

٢١٨٧
٢٢٤

المملكة العربية السعودية

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قسم الدراسات العليا

شعبة الدعوة

قام بإجازة الدكتور / عبد الحميد زين الدين خوجه
بتفويض المخرجات التي طلبت منه أثناء الظاهر

دنا لله أن يرفع بصلته بولم والحمد لله

عضو لجنة المناقشة
د/ عبد الفتاح محمد عزمي

١٤١٠/١١/٢٢

الدعوة إلى الله

ضوء
في أسورة الروم

بحث أعده الطالب

عبد الحميد زين الدين رضا خوجه

لنيل درجة العالمية > الدكتوراة <

إشراف

فضيلة الدكتور / علي عبد اللطيف منصور

عام ١٤١٠ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الَّذِیْ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِیْ اَدْنٰی الْاَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
عَلَيْهِمْ سَیْغَلِبُوْنَ ﴿٢﴾ فِیْ بَضْعِ سِنِیْنَ لِلّٰهِ الْاَمْرُ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَیَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴿٣﴾
بِنَصْرِ اللّٰهِ یَنْصُرُ مَنْ یَّشَآءُ وَهُوَ الْعَزِیْزُ الرَّحِیْمُ ﴿٤﴾



وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ
 ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
 بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ نَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
 وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا
 أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوَاءَ
 أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
 السَّاعَةُ يَبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ
 شُفَعَاءُ أَوْ كَانُوا إِشْرَاكِيهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
 تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِنُ الْمُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
 فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحٰنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ
 وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
 وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ
 ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايٰتِهِ ۚ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
 تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايٰتِهِ ۚ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
 أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
 إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايٰتِهِ ۚ خَلَقَ
 السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 وَالنَّهَارَ وَأَبْغَاؤَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ
 لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايٰتِهِ ۚ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ
 خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيٰتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
 دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
 أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي
 مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
 أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾
 بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ
 أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٩﴾ فَأَقْرِبْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
 حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
 اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
 دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٤٣﴾



وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ
 مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
 آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَقْنَا
 النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
 إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتَتْ ذَا الْقُرْبَىٰ
 حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
 وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءٌ آتَيْنَاهُ مِنْ رَبِّنا
 لِيَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءٌ آتَيْنَاهُ مِنْ ذِكْوَةٍ
 تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
 شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٤﴾ فَأَقْرَجَكَ لِلَّذِينَ الْقَامِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٤٥﴾ مَنْ
 كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نُفْسِهِمْ بِمَهْدُونَ ﴿٤٦﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَمَنْ ءَايَنْتَهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ
 مِنْ رَحْمَتِهِ ؕ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ؕ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَوَّكَاتٍ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُحَابًا فَيَبْسُطُهُ
 فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 خِلَالِهِ ؕ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ؕ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؕ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
 ﴿٥٠﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ ؕ لَمُبْلِسِينَ
 ﴿٥١﴾ فَانظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
 مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ، يَكْفُرُونَ
 ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
 مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِنَهْدِ الْعُمَىٰ عَنِ ضَلَالِنِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا
 مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ * اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ
 مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ
 قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾
 وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
 كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
 لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
 وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
 لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ
 لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ
 يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾



" كلمة شكر و عرفان "

أحمده سبحانه وأشكره على آلائه ونعمه العظيمة ، وأصلي واسلم على خير خلقه محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وبعد :

فاعترفا بالفضل لهذه المؤسسة العلمية الكبرى لما لها من دور بناء في توجيه الشعوب في العالم الاسلامي كله . اتقدم بالشكر الجزيل ، والعرفان بالفضل للقائمين على هذه الجامعة وعلى رأسهم معالي الدكتور / عبدالله العبيد رئيس الجامعة ، وفضيلة الشيخ / عبدالله الغنيمان رئيس قسم الدراسات العليا .

كما يهمني أن أقدم الشكر موفورا لأستاذي فضيلة الدكتور / علي عبداللطيف منصور المشرف على الرسالة لما لقيته من ارشاده وتوجيهه وعنايته وتشجيعه ، مما لا استطيع القيام بحقه ، مما كان له أكبر الأثر في نفسي اذ لم يدخر وسعا في مساعدتي على اخراج هذه الرسالة بالمظهر اللائق ، وما يظهر فيها من نقص فهو بسبب تقصيري عن ايفاء توجيهاته حقها جزاه الله خير الجزاء .

كما أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة او أسدى الي نصحا أو ارشادا او اعارة مراجع ، فلهم جميعا مني الشكر الجزيل .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

" المقدمة "

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا كما يحب ربنا ويرضى ، حمدا يوافي نعمه
الظاهرة والباطنة ، واشكره شكر عبد مغمور بعطائه معترف بآلائه .
وأصلي وأسلم على خير الدعاة وامام الهداة نبينا محمد بن عبدالله صلى الله
عليه وسلم ، الذي اضاء لنا طريق الحق ، ومهد لنا سبيل السعادة في الدنيا ،
والنجاهة في الآخرة ، وتركنا على المحجة القويمه لا يزيغ عنها الا هالك . ورضي
الله عن اصحابه البررة الانتقياء الذين عقلوا عنه رسالته ، وبلغوها امتثالا لأمر الله
ورسوله وبذلوا في سبيل نشرها اموالهم وانفسهم ودماءهم ، وما بخلوا بالفالسي
والنفيس .

أما بعد :

فان الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن الكريم على خيرة رسله ليخرج الناس من
الظلمات الى النور ، وليكون لهم موعظة وتبيانا لكل شيء وشفاء لما في الصدور ،
وبشرى للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وتحذيرا للكافرين والفجرة والعصاة ،
وجعل كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ايضاحا وبيانا لكتابه العظيم الذي انزل
نورا وهدى ورحمة ، وجعل صحابته هداة مهتدين ، حافظين لكتابه ، فهو المهنسل
العذب الذي لا ينضب للدعوة والدعاة الى الله ، والذي به تنظم الصلة بين الخالق
والمخلوق ، وبين المخلوق والمخلوق ، وبين الفرد والجماعة ، وبين الفرد والدولة ،
وبين الأمة الاسلامية والأمم الأخرى ، على امتداد هذا الكون الكبير .

فهو الكتاب الذي ضمنه سبحانه كل ما يلزم لهداية البشرية على اختلاف العقول
والطبائع والاستعدادات من وعد ووعد ، وتذكير وتهديد وقصص وأمثال ، وعبر
ومواعظ الخ .

وجعله برهانا ونورا يبرهن بما به من اعجاز على صدقه وصدق ما جاء به ،
ويبين به العلم والحكمة . قال تعالى :

(ب)

((يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا))^(١)

فما احوج المسلمين اليوم الى دراسة هذا الكتاب العظيم ، كما يدرسـون
شئون حياتهم ، وما أحوجهم الى نوره يعالجون به امراض قلوبهم وامراض البشريسة
جمعاء ، لأنه الدواء الذي جرب والعلاج الذي ما خاب متعاطيه .

(ج)

القرآن والدعوة

لقد بدأت الدعوة الاسلامية بنزول القرآن الكريم في وقت تفككت فيه البشرية وانحلت فيه عراها ، وهيمن فيه الشر على الخير ، وطفغت فيه المادية على الروحانية ، وانقلبت فيه الموازين ، فصار المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وكثر البطر والاشر ، فلا ضعيف منصور ، ولا قوي مقهور .

في هذه الفترة الحرجة المنقلبة الموازين نزل القرآن فكان فيه الانقــــــاذ المحقق للبشرية من الدمار الذي كان يمكن ان تؤول اليه ، والهلاك الذي يمكن أن تصل اليه .

والتاريخ الآن يعيد نفسه ، فقوى الشر والطغيان في كل مكان تتأهب للكيــــد للإسلام ودعوته ، وتتحفز للوثوب على اهله بسبب تقاعس المسلمين عن السباق فسي حلبة أعمال الفكر ، والازدياد من العلم ، والتمسك بالعقيدة الصحيحة الصافية ، بعد ان كانت تتولى قيادة العالم وزعامة الامم في جميع المجالات .

ويقول المودودي رحمه الله : " والأمة التي تتخلف في هذا الطريق لا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده . لأن المسلمين ما داموا يتقدمون في مضمار التحقيق والاجتهاد بقيت جميع الأمم تابعة لهم وسائرة في ركابهم ، وما برح الفكر الاسلامي غالبا على افكار النوع الانساني باجمعه .

ولكنه لما انقطع في المسلمين نبوغ اهل الفكر واصحاب التحقيق ، ولما ترك القوم مزاولة التفكير والبحث والتدقيق ، وقعد بهم اللغوب عن موالاة الاجتهاد ، وتحميل العلم ، فلكانهم تنازلوا من تلقاء انفسهم عن مكانتهم من قيادة العالم ، ونهضت من جانب آخر أمم الغرب تتقدم في هذا السبيل تستعمل ما آتاه الله من قوى الفكر والتدبير ، وتنقب عن اسرار هذا الكون وتبحث عن ذخائر القــــوى الفطرية المكنونة في جوف الأرض وأعماق البحار ، فكانت النتيجة ان انتقلت قيادة العالم الى أمم الغرب ، واضطر المسلمون الى الخضوع لسلطتها .⁽¹⁾ وكان الفــــــز

(1) فن الحضارة الغربية للمودودي ص ١٠

الفكري للأمة الإسلامية وعقول المسلمين تبعاً لهذه القيادة .

ولما جعل الله سبحانه هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ، وهيأها لقيادة الأمم إلى خير الدنيا والآخرة ، وقد دعا القرآن الكريم إلى قرن الدين بالعلم ، ودعا المؤمنين إلى البحث في أنفسهم وفي الآفاق من حولهم ، وإلى التفكير في تكوينهم وأصلهم كأجنة ، وفي الدواب وفي الفلك والشمس والقمر والنجوم ، وفي التوقيت والميزان والفصول والأيام وفي الأرض والزرع ، والحياة والموت ، وفي كل شيء في الوجود ، ليثبتوا للناس أنهم جديرون بالسيادة والقيادة ، وأنهم بحق خير أمة أخرجت للناس ، ومن الأهمية بمكان معرفة أن القرآن الكريم قد كشف عن أسرار خفية ، وأنبيأ بحقائق علمية ، لم يكشف عنها العلماء إلا بعد قرون من نزوله ، فكان ذلك برهاناً أمام الماديين بأنه كلام العلي الخبير .

فلاستدلال بالعلوم الحديثة في توضيح ما في القرآن الكريم وأعجازه في الدعوة إلى الله في المجتمعات من الأمور التي ينبغي على الداعية أن لا يغفلها ، إذا كان ذلك مما ثبت قطعياً ، وصار من المسلمات الثابتة حتى لا يتعرض الداعية في كلامه بما يتعارض مع كتاب الله عز وجل ، أو يعرضه للجدل العقيم ، فإن العلماء ممن أقدم العصور كانوا يطبقون ما دعا إليه القرآن الكريم من التأمل والتفكير والنظر في النفس وفي الآفاق على قدر ما أوتوا من جهد وإمكانيات في عصرهم ، وفي كتاب إيثار الحق على الخلق . يقول :

" وقد صنف في هذا المعنى كتب علم التشريح ، وبيان كيفية الخلق ، وهو مما ينبغي الوقوف عليه ، أو على شيء منه ، وقد نقل ابن الجوزي جملة شافية في أول كتابه لقط المنافع فليطالع فيه " (1)

وفي هذا الباب من النظر في الأنفس والآفاق بذل العلماء الأقدمون جهوداً عظيمة لاستجلاء حكمة الله عز وجل وإظهار دقة صنعه في المخلوقات ، لأنها وسيلة إلى زيادة الإيمان ، ووسيلة إلى افحام الخصوم من الملحدين . وفي أبواب هذه

(1) إيثار الحق على الخلق ص ٤٦ . لأبي عبد الله محمد بن المرتضى البجلي . دار الكتب العلمية ١٤١٨ هـ .

بشرط أنه يكون
مفاداً علمياً
مباشرةً

الرسالة اشارة الى بعض هؤلاء السلف كايين قيم الجوزيه والذهبي وغيرهم رحمهم الله
أجمعين .

ومن الغريب ان البعض يرى ان القرآن الكريم كتاب تشريع فقط ، فيحسب ان
مقتضى ذلك الا تكون له صلة بالعلوم الكونية وان مجال كل منهما مستقل استقلالاً
تاماً عن الآخر ، ولكن الحقيقة ان القرآن الكريم X يساند العلم بترشيد مساره
واعانته على كشف حقائق كثيرة بما يضع بين يديه من مناهج ومعلومات وطرق
للتفكير .

X مع كونه كتاب
هدى وتشريع
فانه ...

والعلم بأبحاثه يساند القرآن الكريم بتفصيل ما جاء في آياته من اشارات
كونيه وبذلك تخدم اغراض القرآن .

لذلك اقول ان القرآن الكريم هو الركن الاساسي في تكوين ثقافة الداعية
وما يتبع ذراع من علومها هو الوسائل .
المستنير الى جانب السنة والسيرة النبوية العطرة X اذ باتباعهما يظفر بهديهما
وفي ضوءهما ينال اقوم الحلول للمشاكل التي نجمت عن واقع التطور والحضارة في
هذا العصر .

اذ لا يمكن ان ينال ذرة من نجاح في دعوته الا اذا تضرع من معين المعارف
الالهية التي اودعها كتابه العزيز ، وبتوفيق من الله وعلى قدر اخلاصه يقتبس منه
العلم والحكمة في طريقة الدعوة .

فالتدبر العميق لآيات القرآن الكريم ، ولما تضمنه من الانوار الساطعة من
مشكاة الوحي الالهي في جميع المجالات العقيدية والاخلاقية والسلوكية مما ينبغي
ان يتصف بها كل مسلم من أهم واجبات الداعية ، لما لهذا الكتاب العظيم من
صلة وثيقة بالدعوة والداعية والمدعويين ، واصلاح نفوسهم وطبائعهم وامراضهم القلبية
المتنوعة ، وطرق العلاج المختلفة ، بما فيه من تشريع وتنظيم يستطيع به الداعية
تعريف الاسلام عقيدة وشريعة ونظاما باسلوب ملائم للعصر ومناهجه الحديثية
وثقافات الناس وواقعهم .

(و)

لهذه الأسباب ولايضاح معالم الطريق في الدعوة الى الله والهداية الى منهجه ،
وتقديم خير الوسائل والمناهج الى تلك الغاية النبيلة الشريفة اخترت هذه السورة
الكريمة " سورة الروم المكية " لاتخذ منها مادة اكتشف بها عما ينبغي ان
يتمف بها الداعية من صفات ، وما يلتزم به من حكمة تجاه المدعويين ، ويعينه في
دعوته بمعرفة ^{آثار} القدرة الالهية البالغة في الخلق والابداع ، ومستغلا لها فسي
الكشف عن بعض الاسرار القرآنية في الأرض وفي السماء وفي النفس الانسانية .

#####

#####

#####

#####

(ز)

سبب اختيار البحث

قد لا يكون هناك مبرر لذكر سبب لاختيار هذا البحث ، لانه في الحقيقة اشتغال بكتاب الله عز وجل ، وقد قدمت بيان اهميته بالنسبة للداعية، وأي مسلم يستطيع ان ينصرف عنه أو عن الاشتغال به ... !!

فالانصراف عن كتاب الله أو عدم الاهتمام به انما هي مذمة وشقاء وذلكة تمشي في ركاب الانسان وتصمه به .

وماذا عساي ان اوجه اليه من سبب سوى ان الدعوة الى الله في القرآن الكريم من أهم الجوانب الضرورية في الحياة المعاصرة ، ومن حق القرآن الكريم أن يأخذ النصيب الأكبر من الدراسة والاهتمام في الجانب الدعوي ، اذ هو جانب مهم يجب الاعتناء به سواء في منهج الدعوة أو في صفات الداعية والمدعوين ، فأهمية الدعوة الى الله في هذا العصر تأتي من ناحية استمرارية الصراع بين الحق والباطل ، والذي لا يمكن أن ينتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وحيثما اتحدث عن الدعوة الى الله في سورة الروم انما اتحدث عن طريق القرآن في الدعوة وهي طريقة الانبياء والرسل التي هي انجح السبل لكل من جعل القرآن منهجا له وطريقة ، ولأن المرحلة المكية هي الأساس الذي قام عليه صرح هذا البناء الشامخ ، وان دراسة بناء هذا الصرح وهذا المثل الحي لبناء المجتمع الأفضل في اكمل ذراها في ظلال الفطرة المنضبطة بنور العقل وهدى الوحي ، لهو مجال واسع للباحثين والدارسين .

ولو تأملنا في حالة العالم الاسلامي في عصرنا الحاضر لوجدنا تعرض العالم الاسلامي للهزات العنيفة التي استحكمت حلقاتها على ايدي خصوم الاسلام واعدائه ، وامتدت موجة الغزو الفكري الاستعماري في العصر الحديث الى ديار الاسلام ، ونفثت سمومها في نفوس الطبقة المثقفة وغيرهم ، لتوهين مقومات الاسلام والتشكيك في صلاحيته لمسايرة تطورات العصر .

(ح)

كما طغت مظاهر المدنية الحديثة بمبادئها الاحادية وافكارها الدخيلسة ومذاهبها الزائفة ، واستحوذت على وسائل التعليم والتوجيه في اغلب البلاد الاسلامية وان بقي القليل منها معصوما من ذلك ، فبالاسم القريمب اشرفت دعوة المجدد والمصلح الامام محمد بن عبدالوهاب فاحيت العقيدة الاسلامية وبدأت سحب البسدة والضلال تضحل ، وقام عليها نظام الحكم الاسلامي في هذه المملكة العربية السعودية فاعطى صورة صادقة عن امكانيات الاسلام في بناء الدولة الحديثة على اسس الشريعة الاسلامية .

فالاسلام اليوم يواجه حربا شرسة بقصد اجتثاثه من الجذور ، وتوجيه التهم اليه بالتأخر والجمود ، بالاضافة الي تآثر المسلمين بالغزو الفكري والافكار المادية الجارفة .

لذا فان العالم كان في حاجة ماسة الى الدعاة ممن يتميزون بصفات معينة من صفاء العقيدة وسعة الأفق ، والحكمة ، ومعرفة حالة المدعويين ، لأن الداعية الذي لا يوجه الدعوة بالاسلوب المناسب لحال المدعو تكون دعوته قليلة الفائدة والجدوى ، فاعتماد الداعية مثلا على جانب الترغيب والترهيب دائما وابدا - كبعض الجماعات الاسلامية في الميدان / ^{خطأ كبير} لأنها ستكون طريقة قاصرة عن مواجهة تحديات الأفكار الاحادية التي انتشرت في كثير من البلدان ، لأن هذا الاسلوب لا ينفع غير المتدينين ولا بد من مرحلة سابقة لهذه المرحلة .

لهذه الاسباب اخترت هذه السورة المكية لاتخذ منها مادة اكشف بها عن صفات الداعية وما ينبغي له في توجيه الدعوة الى المدعويين وبيان آثار القدرة الالهية البالغة في الخلق مستغلا الأمر الالهي بالنظر في خلق السموات والأرض والنفس الانسانية .

و قد اشتملت الرسالة على تمهيد و ثلاثة ابواب و خاتمة و كل باب يشتمل على فصول و مباحث.

التمهيد : و تحدثت فيه عن علاقة اعجاز القرآن الكريم بالدعوة الى الله .
ثم عن الصراع بين الوثنيه و اهل الكتاب
ثم عن مكانة السورة الكريمة و علاقتها بالدعوة الى الله تعالى .

الباب الأول : من صفات الداعية .

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الأول : التوكل والأخذ بالاسباب .

الفصل الثاني : العلم والايمان

الفصل الثالث : العمل الصالح

الفصل الرابع : الصبر

الباب الثاني : اصناف المدعوين .

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الأول : معرفة حال المدعوين و اثره في نجاح الداعية .

الفصل الثاني : دعوة المشركين

الفصل الثالث : دعوة المسلمين .

ويشتمل على خمسة مباحث

المبحث الأول : الدعوة الى العبادات

المبحث الثاني : الدعوة الى الترايط والصلة

المبحث الثالث : الدعوة الى التوحيد والوحدة وعدم الفرقة

المبحث الرابع : الدعوة الى التكافل

المبحث الخامس : الدعوة الى التكامل والتوازن .

الفصل الرابع : دعوة المعرضين وتهيئتهم لسماع الدعوة .

(ي)

الباب الثالث : منهاج الدعوة في السورة الكريمة .

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المنهج العقلي :

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول : ضرب الأمثال

المبحث الثاني : تصوير خصائص النفس البشرية والاحاطة بدخائلها .

المبحث الثالث : لفت الأنظار الى السنن الكونية

المبحث الرابع : لفت الانظار الى ظواهر الخلق الانساني

المبحث الخامس : لفت الانظار الى سنن الله في اهلاك الأمم .

المبحث السادس : لفت الانظار الى علوم الظواهر الدنيوية .

الفصل الثاني : المنهج العاطفي : ويشتمل على :

المبحث الأول : اسلوب الترغيب و الترهيب .

المبحث الثاني : علاقة الرزق في تثبيت الداعية.

الفصل الرابع : في النتائج و الآثار.

و يشتمل على اربعة مباحث:

المبحث الأول : الشكر و الحمد .

المبحث الثاني : الجزاء .

المبحث الثالث : اثبات البعث .

المبحث الرابع : الوجدانية و القدرة .

ثم الخاتمة لخصت فيها البحث و ذكرت بعض المقترحات التي اقتبستها من آيات السورة الكريمة .

(ك)

وأما منهجي في البحث :

فقد قسمت البحث الى ابواب وفصول ومباحث وعناوين فرعية ، كلما وجدت الى ذلك سبيلا .

وأما الآيات القرآنية فقد وضعت الآية المرادة من سورة الروم في الفصول والمباحث تحت العنوان . وعزوت جميع الآيات القرآنية ووضعت ارقامها وسورها في هامش كل صفحة كما هو متبع عادة .

كما حاولت قدر الامكان ان تكون الآيات القرآنية طبق الرسم العثماني في المصحف . ورغم بذل الناسخ جهدا مشكورا في سبيل تطبيق ذلك ، الا انه فاتته الشيء الكثير لعدم تعوده على هذا النوع من الاملاء القرآني .

واما الاحاديث النبوية فقد خرجتها من أمهات المصادر المتوفرة لسدي ، والحديث الذي اجده في البخاري أو مسلم اكتفي به والا انتقلت الى المصادر الاساسية الأخرى .

وقد بذلت جهدي في الاعتماد على المصادر الاساسية المتعلقة بالكتاب والسنة ولكن ذلك لم يمنعني من الاقتباس من العلوم والدراسات الانسانية التي تزيد موضوعي تأييدا مثل الدراسات النفسية والاجتماعية والكونية والتربوية مادام ذلك لا يعارض النهج الاسلامي .

وفي الختام أسأل الله العلي القدير ان يتقبل هذا العمل القليل ويقدر لبي الأجر الجزيل انه سميع مجيب .

واصلي واسلم على من بعثه الله رحمة للعالمين فأناز به الظلمات ، وطمس به الشرك والبدع والخرافات ، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه باحسان الى اليوم الموعود .

عبد الحميد زين الدين رضا خوجه

التمهيد

و يشتمل على : علاقة اعجاز القرآن الكريم بالدعوة الى الله.
ثم الصراع بين الوثنية و اهل الكتاب.
ثم مكانة السورة الكريمة و علاقتها بالدعوة الى الله تعالى.

« توطئة »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين
وبعد :

انزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم ، فكانت آياته حجة دامغة صعقت أهل البلاغة والفصاحة من ان يأتوا بمثله فاذعنوا له حين سمعوا آياته الكريمة واسلوبه القوي ، وبيانه الخلاب ، وعباراته البليغة الآخذ بعضها بحجز بعض ، فتحركت ضمائرهم واستيقظت احساس الخير في نفوسهم ، فلما انقادوا لما فيه من مثل عليا وتنظيم لحياة كريمة انفتحت امامهم الآفاق وتكالبت تحت اقدامهم الجبابرة .

وكان تأثير القرآن شديدا في نفوس العرب لشدة صلته بهم ونزوله بلغتهم وهذا ابو جهل وملاً من قريش يقول قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من امره ، فقال عتبة ابن ربيعة : والله لقد سمعت الكهانة والشعر والسحر ، وعلمت من ذلك علما لا يخفى على ان كان كذلك . فقالوا : إئته فحدثه .

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ! انت خير ام قصي ابن كلاب ؟ انت خير ام هاشم ؟ انت خير ام عبدالمطلب ؟ انت خير ام عبدالله ؟ فبم تشتم أهتنا ، وتضلل آباءنا وتسفه احلامنا وتذم ديننا ؟ فكانت تريد الرياسة عقدنا اليك الويتنا فكنت رئيسنا ما بقيت ، وان كنت تريد الباءة زوجناك عشر نساء من أي بنات قريش شئت ، وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك من بعدك ، وان كان هذا الذي يأتيك رئيسا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك اموالنا في طلب ما تتداوى به أو نغلب فيك . والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت ، فلما فرغ ، قال : (قد فرغت ابا الوليد؟) قال : نعم . قال : (فاسمع مني . قال يابن اخي اسمع .. قال :)) بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرء انا عربيا لقوم يعلمون)) ... الى قوله : ((فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل

صاعقة عاد وشمود)) فوثب عتبة ووضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الله والرحم ليصكتن ، ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش .^(١)

فهذا رجل ملكت عليه بلاغة القرآن اقطار نفسه ، فلم يتمالك من ان يقوم وثبا مناشدا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يكف . فهل كان الذي راعه وروعته واشاع الرعب والوجل في قلبه الا هذه القوة الجازمة المصممة ، وذلك الاسلوب الحاسم الرصين ، وتلك البلاغة الدافقة التي تحمل في ثناياها الصرامة والقوة والاعزاز .

فهذه الحادثة وامثالها تعلمنا يقينا ان القرآن الكريم قد بهر القوم نسوره واعشاهم ضوءه ، وعقل السننهم بيانه وقلب الباطن قوة نظمه ، ومع ذلك كانوا يناهضون النبي صلى الله عليه وسلم ويكابرون ولا يؤمنون ويتهمونه بالسحر مسرة وبالكهانة مرة وبالجنون مرة اخرى .

فتحدهم رب العالمين بأن يأتيوا بمثله ان كانوا صادقين فلما عجزوا تحدهم بعشر سور ، فلما عجزوا تحدهم بسورة واحدة ، فانقطع بهم الجدل ، وبهرهم التحدي واسكتهم الاعجاز ، فوقفوا مبهوتين متحيرين امام الاستسـلام والاذعان أو المكابرة والعناد أمام اسرار القرآن الكثيرة التي اخذت الباطن واعشت ناظرهم .

(١) تفسير القرطبي ٥٧٨٢/٨ .

وجوه الاعجاز في القرآن الكريمالوجه الأول : الاعجاز اللغوي :

ان الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم هو اهم وجوه الاعجاز ، وهو الوجه الذي دانت رقاب اصحاب البلاغة والفصاحة امامه في وقت كانت العربية في عنفوان شبابها وكمال بلاغتها ، وفي وقت كان العرب قد طاعهم البيان بأساليب ساحرة شعرا ونثرا وايجازا واطنابا ، فما استطاع احد منهم ان تحدثه نفسه بمعارضة القرآن ، رغم التحدي الذي اظهره القرآن والتعجيز الذي حطم كبرياءهم وارغم انوفهم على الاعتراف ببلاغته وفصاحته وحسن تنسيقه .

فانهم حين سمعوا القرآن ، وحين تحدوا الى معارضته ، سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله ، وانهم قد رازوا انفسهم ، فأحسوا بالعجز على ان يأتوا بما يوازيه ، او يدانيه ، او يقع قريبا منه لكان محالا ان يدعوا معارضته وقصد تحدوا اليه ، وقرعوا فيه ، وطولبوا به ، وان يتعرضوا لشبا الاسنة ، ويقتحموا موارد الموت ... (١)

ويبين الجرجاني اختلاف الباحثين بعد ذلك عن الذي اعجزهم امام هذا التحدي . اعن معان من دقة معانيه وحسنها وصحتها في العقول ؟ ام عن الفاظ مثل الفاظه ؟

ثم يوضح عن ذلك بقوله :

" اعجزهم مزايا ظهرت في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبهرهم انهم تأملوه آية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول ، واعجز الجمهور ، ونظاما والتثامات واتقانها ، واحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم - ولو حك بيافوخه السماء - موضع طمع ، حتى خرس الالسن عن ان تدعي وتقول " (٢)

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن ص ٩ .

(٢) دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٢ .

واما حد البلاغة فقالوا : اتصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ .

وقيل : الایجاز مع الافهام ، والتصرف من غير اضجار .

وقالوا : ويستحق الكلام اسم البلاغة اذا سابق لفظه معناه الى قلبك .

واما الفصاحة : فهي خلوص الكلام من التعقيد .

وقد احتوى الكتاب العزيز على جمل من ذلك ، افرغت في قالب الجمال ،

واترعت لها كؤوس الاحسان والاجمال وأتت على معظمها واجلها ، واستوقت نصاب ملكها لأزمة علم البيان وادلها . (١)

ففي قوله تعالى : ((وقيل يا ارض ابلعي ماءك ، ويا سماء اقلعي ، وغيض

الماء ، وقضى الامر . واستوت على الجودی ، وقيل بعدا للقوم الظالمين)) (٢) .

فاذا فكر فيها الانسان تجلى له منها الاعجاز ، وبهره الذي يرى ويسمع

انه لم يجد ما وجد من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة الا لامر يرجع الى ارتباط

هذه الكلمة بعضها ببعض ، وان لم يعرض لها الحسن والشرف الا من حيث لاقت

الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة ، وهكذا الى ان تستقرينها الى آخرها ، وان الفضل

تنتاج ما بينهما ، وحصل من مجموعهما ، ومن شك فلي تأمل ! هل يرى لفظة

منها بحيث لو اخذت من بين اخواتها وافردت لادت من الفصاحة ما تؤديه وهي

في مكانها من الآية . (٣)

وذهب الباقلاني الى ان البلاغة على عشرة اقسام هي : الایجاز والتشبيه

والاستعارة ، والتلاؤم ، والفواصل ، والتجانس ، والتصريف ، والتضمين والمبالغة ،

(٤)

وحسن البيان ، ورغم ان العلماء قد بينوا اقسام البلاغة والفصاحة في اعجاز

القرآن الكريم ، ولكنهم لم يقولوا بان هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الاعجاز

من غير ان يقارنه ما يمل به من الكلام ، ويفضي اليه ، مثل ما يقول ان ما اقسام

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن ص ٩ .

(٢) سورة هود آية "٤٤" .

(٣) دلائل الاعجاز للجرجاني ص ٣٧ .

(٤) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٦٢ .

به وحده معجز بنفسه ، وان التشبيه معجز بنفسه ، وان التجنيس معجز ، والمطابقة بنفسها معجزة . (١)

لذا فالاعجاز اللغوي الذي رافقه التحدي انما كان بلفظه ونسقه وبيانه ونظمه وليس بشيء خارج عن ذلك كما يقول سيد قطب رحمه الله . (٢)

ومن المعلوم ان العرب لم يستطيعوا ان يأتوا بشيء مما تحداهم مع حرصهم الشديد على ان يقطعوا حجته ، ومع ما عرف عن فصاحتهم وبلاغتهم وقدرتهم على البيان ، فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء اعلن الله عليهم عجزهم عن الاتيان بشيء من ذلك . قال تعالى : ((قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) (٣)

بل لم ينقل عن احد منهم انه حدث نفسه بشيء من ذلك ، لانهم كانوا ممن المعرفة على جانب يصددهم عن مثل هذه المحاولة الحمقاء اذ علموا يقينا ان اية محاولة منهم انما هي محاولة تدل على المغالطة والمعاندة التي تعرضهم للسخرية والاستهزاء ، ولو علموا ان الاتيان بمثله في قدرتهم لبادروا اليه لانه كان اهلون عليهم من المجابهة بالسيف وسبي الذراري واستباحة الأموال .

القول بالصرفة

اشتهر القول بالصرفة في العصر العباسي ونسب الى ابراهيم بن سيار النظام ، وهو من ائمة المعتزلة ، ومعنى الصرفة : ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن عاقبهم امر خارجي ، فصار كسائر المعجزات . (٤)

وقد انكر هذا القول الباطل جمهور العلماء وتولوا الرد عليه منذ ايام الجاحظ حتى العصر الحاضر .

-
- (١) اعجاز القرآن للباقلاني ٢٧٦ .
 (٢) التصوير الفني ص ٢٢ .
 (٣) الاسراء آية ٨٨ .
 (٤) الاتقان للسيوطي ١١٨/٢ .

قال الباقلاني في معرض رده على هذه المقولة : " ... على ان ذلك لو لم يكن معجزا على ما وصفناه من جهة نظمه الممتنع ، لكان مهما حظ من رتبة البلاغة فيه ، ومنع من مقدار الفصاحة في نظمه كان ابلغ في الاعجوبة ، اذ صرفوا عن الاتيان بمثله ، ومنعوا عن معارضته ، وعدلت دواعيهم عنه ، فكان يستغنى عن انزاله على النظم البديع ، واخراجه في المعرض الفصيح العجيب .

على انهم لو كانوا صرفوا على ما ادعاه ، لم يكن من قبلهم من اهل الجاهلية مصروفين عما كان يعدل به في الفصاحة والبلاغة ، وحسن النظم وعجيب الرصف ، لانهم لم يتحدوا اليه ، ولم تلزمهم حجته .

فلما لم يوجد في كلام من قبله مثله ، علم ان ما ادعاه القائل بالمرقسه ظاهر البطلان .

ومما يبطل ما ذكره (بالصرقة) انه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرقة لم يكن الكلام معجزا ، وانما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه . (١)

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى : " ومن اضعف الاقوال قول من يقول من اهل الكلام : انه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها ، أو بسلب القدرة الجازمة ، وهو ان الله صرف قلوب الامم عن معارضته مع قيام المقتضى التام ، او سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما .

ثم قال : والصواب المقطوع به ان الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرّون على ذلك ، ولا يقدر محمد صلى الله عليه وسلم نفسه من تلقاء نفسه على ان يبدل سورة من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له ادنى تدبر " . (٢)

ويرد الشيخ دراز بأن هذا القول وان كان اعترافا في الجملة بصحة الاعجاز ، الا انه لا يقول به الا اعجمي وشبهه ممن لم يذق للبلاغة طعما ، ولذلك لم يتابعه

(١) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢٦/٤ .

عليه تلميذه الجاحظ ولا احد من علماء العربية وهو بعد خلاف ما عرف العرب
عن انفسهم " . (١)

واما السيوطي فانه يلخص الرد على فساد هذا القول في نقاط أربعة :
أولا : بدليل قوله تعالى : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا
بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) (٢) ، فانه يدل
على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم ، لمنزلته
منزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره .

ثانيا : ان الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن ، فكيف يكتفون
معجزا وليس فيه صفة اعجاز ، بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة
على الاتيان بمثله .

ثالثا : يلزم من القول بالصرقة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وخلص
القرآن من الاعجاز ، وفي ذلك خرق لاجماع الامة أن معجزة الرسول العظمى باقية
ولا معجزة له باقية سوى القرآن .

رابعا : ما قاله الباقلاني انه مما يبطل القول بالصرقة انه لو كانت
المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرقة لم يكن الكلام معجزا وانما يكتفون
بالمعجز معجزا ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه . (٣)

الوجه الثاني :

ومن اعجازه ايضا اخبار الامم الماضية والقرون البائدة من قصص الانبياء مع
اقوامهم ، ودعوتهم لهم الى عبادة الله وحده وتفاصيل الحوادث التي اودت بهم
الى الهلاك بعد العناد والمكابرة . بالاضافة الى تبرئة ساحة الانبياء عليهم
صلوات الله وسلامه من افتراءات اهل الكتاب واتهامهم لهم بما يناقض نبوتهم
من النعوت القبيحة والصفات الذميمة ، فبرأهم القرآن الكريم مما يرمونهم به
من التهم والقبايح .

(١) النبأ العظيم ص ٨٦ .

(٢) سورة الاسراء آية "٨٨" .

(٣) الاتقان ١١٨/٢ .

قال تعالى : ((تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها انست
ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين))^(١) .

وقال مخبرا عن بهتان اليهود : ((وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما
وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن
شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع
الظن وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما))^(٢)

الوجه الثالث :

ومن اعجاز القرآن الكريم اشتماله على اخبار كثيرة من الغيوب لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها ، ولا سبيل لمثله ان يعلمها ليقوم دليلا على
صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ان هذا القرآن من عند الله تعالى ،
من ذلك قصص عن الماضي البعيد لم يحضره احد ممن كانوا احياء في عصر النبي
صلى الله عليه وسلم وقصص عن الحاضر لا سبيل لاحد الى رؤيته او معرفته ، وقصص
عن المستقبل الغامض لا تنفع في ادراكه عقول ذوي الألباب وتفرض اصحاب
الفراسة والذكاء .

وسر الاعجاز فيه انه وقع كما حدث وما تخلف ، وجاء على النحو الذي
اخبر به ، وقد قسمه صاحب مناهل العرفان الى اقسام ثلاثة :

أ - غيب الماضي :

ويتمثل في قصص الانبياء مع اقوامهم او الافراد من الاقوام مثل قصة نوح
عليه السلام . قال تعالى : ((تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها
انت ولا قومك من قبل هذا . فاصبر ان العاقبة للمتقين))^(٣)

وكذلك قصة موسى عليه السلام ، وقصة مريم ابنة عمران ، وكذلك قصة
اصحاب الكهف واصحاب الجنتين .

(١) سورة هود آية ٤٩ .

(٢) سورة النساء آية ١٥٢ ، ١٥٨ .

(٣) سورة هود آية ٤٩ .

ب - غيب الحاضر :

ونريد به ما يتصل بالله تعالى والملائكة والجن والجنة والنار ونحو ذلك ،
 مما لم يكن للرسول صلى الله عليه وسلم سبيل الى رؤيته ولا العلم به ، فضلا عن
 ان يتحدث عنه على هذا الوجه الواضح الذي ايده ما جاء به الانبياء وكتبهم
 عليه الصلاة والسلام . ومن غيب الحاضر او الماضي ما جاء في طي القرآن من
 حقائق ومنافع ومبادئ لم يكشف عنها الا العلم الحديث .

ج - غيب المستقبل :

وتشمل ما ورد في القرآن الكريم من غيوب المستقبل سواء قرب تحقيقها في
 حياة النبي صلى الله عليه وسلم او بعد وفاته الى يوم القيامة ، ومن ذلك في
 القرآن امثلة كثيرة نأخذ بعض النماذج منها للاستدلال :

من ذلك : اخبار القرآن عن الروم بانهم سينتصرون في بضع سنين من اعلان
 هذا النبأ الذي يقول الله فيه : ((الم ، غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد
 غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون
 بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده
 ولكن اكثر الناس لا يعلمون))^(١)

ونزلت هذه الآيات حين غلب سابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والها
 من بلاد الجزيرة ، واقاصي بلاد الروم ، واضطر هرقل ملك الروم حتى الجأه الى
 القسطنطينية وحاصره فيها مدة طويلة ، ثم عادت الدولة لهرقل مرة اخرى كما
 بشر القرآن قبل مضي سبع سنوات من انتصار الفرس عليه .^(٢)

وروى الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان المسلمون
 يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب ، وكان المشركون يحبون ان تظهر
 فارس على الروم لانهم اهل اوثان ، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر ، فذكر ابو بكر

(١) سورة الروم آية "١" .

(٢) ابن كثير ٤٢٢/٣ .

ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :
 اما انهم سيهزمون ، فذكر ذلك ابو بكر لهم ، فقالوا : اجعل بيننا وبينك اجلا ،
 فان ظهروا كان لك كذا وكذا ، وان ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، فجعل بينهم
 اجلا خمس سنين فلم يظهروا ، فذكر ذلك ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم ،
 فقال : الا جعلته - اراه قال دون العشر - والبضع ما دون العشر - قال : فظهرت
 الروم بعد ذلك فذلك قوله تعالى : ((الم غلبت الروم ...)) (١)

وقال المفسرون في سبب نزول هذه السورة الكريمة :

بعث كسرى جيشا الى الروم ، واستعمل عليهم رجلا يسمى شهر براز ، فسار
 الى الروم باهل فارس ، فظهر عليهم فقتلهم وخرّب مدائنهم وقطع زينونهم ، وقد
 كان قيصر بعث رجلا يدعي (يحنس) فالتقى مع شهر براز باذرعات وبصرى وفي
 ادنى الشام الى ارض العرب ، فغلب فارس الروم ، وبلغ ذلك النبي صلى الله
 عليه وسلم بمكة ، فشق ذلك عليهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان
 يظهر الاميون من المجوس على اهل الكتاب من الروم ، وفرح كفار مكة وشمتموا
 فلقوا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : انكم اهل كتاب ، والنصارى اهل
 كتاب ونحن اميون ، وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم ، وانكم
 ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى : ((الم غلبت الروم في أدنى الأرض)) (٢)

فالايعاء الذي يرد في سبب نزول هذه السورة هو ^{ذلت}الترابسط بين الشرك
 والكفر في كل زمان ومكان امام دعوة التوحيد والايمان ، ومع ان الدول قديما لم
 تكن شديدة الاتصال كما هو الشأن في عصرنا الحاضر ، فان المشركين في مكة
 كانوا يحسون بان انتصار المشركين في اي مكان على اهل الكتاب هو انتصار لهم ،
 وكان المسلمون كذلك يحسون ان هناك ما يربطهم باهل الكتاب ، وكان يسوءهم
 ان ينتصر المشركون في أي مكان ، وكانوا يدركون ان دعوتهم وان قضيتهم ليست
 في عزلة عما يجري في انحاء العالم من حولهم ، ويؤثر في قضية الكفر والايمان . (٣)

(١) مسند احمد ٣٠٤/١ .

(٢) اسباب النزول للواحي ص ٣٦٠ ، وتفسير فتح القدير ٤٢٢/٣ ، وتفسير
 القاسمي ٤٧٦٥ ، وتفسير المراغي ٢٩/٢١ .

(٣) في ظلال القرآن ٢٧٥٧/٥ .

لذا فقد سميت السورة بها لاشتمال قصتها على معجزة تعيد للمؤمنين فرحا عظيما بعد تـرح يسير ، فتبطل شماتة اعدائهم وتدل على ان عاقبة الأمر لهم . وهذا من اعظم مقاصد القرآن . (١)

كقوله تعالى : ((لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ءامنين ...)) (٢)

ونزلت هذه الآية ضمن سورة الفتح سنة ست من الهجرة بين مكة والمدينة عقب انصرافه صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، وكان عليه الصلاة والسلام قد اخبر اصحابه انه رأى في منامه انه دخل مكة وطاف بالبيت ، فلما جرى المصلح ورجعوا عامهم وقع في نفس بعض الصحابة من ذلك شيء حتى سأل عمر ابا بكر رضي الله عنهما : اليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى فاخبرك انك تأتيه العام ؟ قال : لا ، قال : فانك آتية ومطوف به . (٣)

وفي العام السابع دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت الحرام مع اصحابه وتحققت الرؤيا . وتأكد للناس انها وحي منام ، ومن ذلك قوله تعالى : ((وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)) (٤)

وقد تحقق هذا الوعد للمسلمين في امبراطورية واسعة الانحاء وشاسعة الارزاء . وقال الامام البيهقي : " فوعدهم في حال الخوف والشدة وغلبة اهـل الكفر ظهورهم واستخلافهم في الأرض وتمكينهم من القيام بامور دينهم الذي ارتضى لهم ، وتبديلهم من الخوف لبالامن ، ففعل به وباصحابه واتباعه جميع ما وعدهم

(١) تفسير القاسمي ٤٧٦٤ .

(٢) سورة الفتح آية ٢٧ .

(٣) البخاري في حديث طويل في كتاب الشروط ٩٧٨/٢ حديث رقم ٢٥٨٢ .

(٤) سورة النور آية ٥٥ .

به وفي ذلك دليل على نبوته وصدق دعوته صلى الله عليه وسلم . (١)

ومن غيب المستقبل :

اعجازه بحفظه من التغيير والتبديل :

لو تأملنا الكتب السماوية لدى الامنين اليهودية والنصرانية لوجدنا انها حرفت مرات ومرات على ايدي العابثين من تلك الأقوام اما بغرض حسن او غرض سيء ولم يبق لديهما نصوصا صريحة قطعية الثبوت على انها لم يصيبها تغيير او تبديل .

اما القرآن الكريم فانه الكتاب الثابت الغير قابل للتبديل او التحريف من حين نزل على محمد صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا والى قيام الساعة بوعد من الله حيث يقول : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)) (٢) .

ومن وسائل حفظه استظهار المسلمين له اطفالا وشبابا وشيبانا عن ظهر قلب والقيام به في المحاريب وفي دور التعليم في جميع بلدان العالم الاسلامي أو لدى الأقليات المحكومة بغير المسلمين ، ولو نظرنا الى العالم النصراني لما وجدنا احدا من احبارهم يستظهر التوراة عن ظهر قلب وهو القمة في ديانتهم ، فمن باب اولى انه لا يوجد احد من الشباب والصغار وتلك معجزة الهية اختصت بالقرآن الكريم ، فحينما طبعت الصهيونية في فلسطين القرآن الكريم بعد اخراج الآيات التي تتحدث عن اليهود ووزعته في دول افريقيا سرعان ما اكتشفت وجمعت وحرقت في تلك البلدان ، ومن القصص الغريبة التي حدثت في ايام الدولة العباسية حينما اعجب الخليفة بعقل يهودي وعلمه فدعاه الى الاسلام فلم يستجيب ولكن اتي بعد فترة مسلما على يد الخليفة فسأله عن استجابته بعد ذلك الامتناع ، فأخبره بانه كان يبحث عن الكتاب الحقيقي فترة فكتب التوراة بقلمه وحرف فيها ما حرف وباعها من اليهود فاشتروها منه ، وكتب الانجيل وحسرسف فيها ما حرف وباعه من النصارى فاشتروه منه ، وكتب القرآن وحرف فيه ما حرف

(١) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ص ١٧٦ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

ثم قدمه الى المسلمين فلم يشتروه منه بعد ان كشفوا التحريف والتبديل . (١)
 وفي حديث عياض بن حمار رضي الله عنه كما رواه مسلم في حديث طويل :
 (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : الا ان ربي امرني
 ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا وقال انما بعثتك لابتليك وابتلي
 بك ، وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان ...) .

قال النووي : اما قوله تعالى : ((لا يغسله الماء)) فمعناه محفوظ في
 الصدور لا يتطسرق اليه الذهاب ، بل يبقى على ممر الازمان ، يكون محفوظا
 لك في حالتك النوم واليقظة وتقرؤه في يسر وسهولة . (٢)

وفي هذا الحديث اشارة الى خلود القرآن الكريم واستعمائه على عوام
 المحو ، ولقد ضاعت كتب سابقة كثيرة ، وتطرق اليها الغش ، اما هذا القرآن
 فقد تم حفظه شكلا وموضوعا ، ومعاني وحروفا ، قد استوعبته الصدور ، يقرأ في
 كل زمان ومكان لا يمحوه من القلوب شيء ، وهذا من اعجازه الذي وضعه الله
 فيه .

الوجه الرابع :

وكذلك من الاعجاز القرآني ما تضمنه من الاخبار عن السرائر ودخائل النفوس
 من غير ان يظهر ذلك منهم بقول او فعل دليلا على صدق نبوته صلى الله عليه
 وسلم وعلى ان هذا القرآن من عند الله ، وذلك كاخباره عن حديث نفس خطرت
 ببال بعضهم فاطلع الله نبيه على ما في نفوسهم . قال تعالى : ((اذ همست
 طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون)) (٣)

قال البخاري : قال عمر سمعت جابر بن عبدالله يقول : (فينا نزلت
 هذه الآية ، وقال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة ، وما يسرني انها لم
 تنزل لقوله تعالى : ((والله وليهما)) (٤)

(١) المزائد المشوق الى علوم القرآن ص ٢٥١

(٢) النووي على مسلم في حاشية ارشاد الساري ٣١٦/١٠ .

(٣) آل عمران آية ١٢٢ .

(٤) البخاري في كتاب التفسير ١٦٦٠/٤ رقم الحديث ٤٢٨٢ .

وقال الشوكاني : والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس ، وكانا جناحي العسكر يوم احد ، والفشل الجبن ، والهيم من الطائفتين كان بعد الخروج ، لما رجع عبدالله بن أبي بمس معه من المنافقين فحفظ الله قلوب المؤمنين فلم يرجعوا . (١)

وكذلك ما نزل في المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار ففضحهم القرآن . قال تعالى : ((والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون)) (٢) .

وكذلك قوله تعالى : ((ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله)) (٣) .

الوجه الخامس :

ومن الاعجاز احتواء القرآن على شريعة كاملة شاملة صالحة لكل زمان ولكل مكان ، ووفائه بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاء لا تظفر به أي تشريع ولا اي دين .

ويعدد الشيخ الزرقاني رحمه الله هذا الشمول في نقاط عدة حيث يقول : (٤)
أولا : اصلاح العقائد عن طريق ارشاد الخلق الى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما .

ثانيا : اصلاح العبادات عن طريق ارشاد الخلق الى ما يزكي النفوس وينغذي الأرواح ويقوم الارادة ويفيد الفرد والمجموع .

ثالثا : اصلاح الاخلاق عن طريق ارشاد الخلق الى فضائلها وتنفيرهم من رذائلها بدون افراط أو تفريط .

(١) تفسير فتح القدير ٣٧٧/١ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٧ .

(٣) سورة المجادلة آية ٨ .

(٤) مناهل العرفان ٢٤٧/٢ - ٢٤٨ .

رابعا : اصلاح الاجتماع عن طريق ارشاد الخلق الى توحيد الصفوف ومحـو العصبيات ، وازالة الفوارق بالتساوي امام الله ودينه وشرعه .

خامسا : اصلاح السياسة والحكم الدولي عن طريق تقرير العدل المطلق والمساواة بين الناس ، ومراعاة الفضائل في الاحكام والمعاملات واجتناب الرذائل الذميمة فيها .

سادسا : اصلاح المالي بالدعوة الى الاقتصاد وعدم الاسراف والتبذير وتحديد وجوه الانفاق المشروع .

سابعا : اصلاح النسائي عن طريق حماية المرأة واعطائها حقوقها الانسانية والدينية والمدنية .

ثامنا : اصلاح الحربي بوضعها على قواعد سليمة من الرحمة والوفاء بالعهد ومعاملة الاسرى والارقاء وتحريرهم بالكفارات .

وغاية القرآن من ذلك كله ان يخلق المؤمن الكامل، والاسرة المسلمة ، والمجتمع الفاضل ، والحكومة المالحة ، ليتألف من هؤلاء جميعا كيان اسلامي قوي يقيم الحق والعدل ، ويرفع الظلم ويدفع العدوان لتكون لهم وراثـة الأرض .

وقد جاءت هذه النظم في ادق وأحكم صورة من البيان والتشريع ، تعجز عن اللحاق بها قوانين البشر .

الوجه السادس :

ومن الاعجاز القرآني اشتماله على حقائق في نظام الكون والى بعض الامـور العلمية والى تكوين الانسان ، وقد كشف العلم الحديث عن بعضها فكان ذلك اعجازا لعلماء المادة الذين بلغوا شأوا بعيدا في مجالهم ومختلف علومهم فكان ذلك سببا في هدايتهم .

ومن ذلك دعوته الى البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر

قال تعالى : ((قل انظروا ماذا في السموات والأرض ...))^(١) .

وقال : ((وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون))^(٢) .

وفي قوله : ((سخر لكم)) تنبيه للعقل البشري بان ما في هذا الكون
من عناصر الحياة ومظاهر النعم انما كان لاجل الانسان ، ولا شك ان الانتفاع بأي
شيء من هذه المخلوقات لا يتم ولا يتحقق الا بعد معرفة فائدة كل مخلوق من
هذه المخلوقات ، ومعرفة هذه المخلوقات لا تتحقق الا بعد معرفة حقائقها تفصيلا
لان معرفة الحقيقة يرشد الى مواطن الانتفاع .^(٣)

واعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل
وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر ، وانما في حثه على التفكير فهو
يحث الانسان على النظر في الكون وتدبره ، ولا يشل حركة العقل في تفكيره ،
او يحول بينه وبين الاستزاده من العلوم ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وليس ثمرة
كتاب من كتب الأديان السابقة يكفل هذا بمثل ما يكفله القرآن .^(٤)

وفي القرآن مع هذا اشارات علمية سيقت مساق الهداية مثل التلقيح في
النبات . قال تعالى : ((وارسلنا الرياح لواقح))^(٥) . وفي علم الأجنحة واطسوار
الخلق في الارحام ... !

وبالاعجاز العلمي في القرآن الكريم دخل عدد من المسيحيين وغيرهم ممن
ذوي الالباب والفكر في دين الاسلام ، مع انهم لم يكونوا يدركون معنى الاعجاز
البلاغي أو البياني في لغة القرآن الكريم من ذلك :

ان ربان سفينة بحرية كان يجول في البحار ويشاهد احوالها ومظاهرها ليلا

(١) سورة يونس آية ١٠١ .

(٢) سورة الجاثية آية ١٣ .

(٣) القرآن العظيم هدايته واعجازه للشيخ محمد الصادق عرجون ص ٢٦٦ .

(٤) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٧٠ .

(٥) الحجر آية "٢٢" .

ونهارا وما تتعرض له من عواصف وسحب وامواج بحرية ورياح عاتية ، وظلمات
فانه لما قرأ قوله تعالى في سورة النور آية (٤٠) : ((او كظلمات في بحر لجى
يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلّمت بعضها فوق بعض اذا اخرج
يده لم يكد يراها)) .

قال في نفسه : ان احدا لا يستطيع ان يصف هذا الوصف الدقيق لأحوال
البحار وظواهرها الجوية الا من كان بحارا ، وان محمدا الذي نزل عليه هـذا
الكلام لم يركب البحر قط ، فمن اين له هذه المعلومات الدقيقة التي لا يعرفها
الا الملاحين ؟ انه ولا شك كلام عليم خبير وهو الله سبحانه وتعالى ، فأمن
واسلم بأن محمداً رسول الله حقا وصدقا . (١)

ولكن من المهم ان لا نفسر الآيات القرآنية بالنظريات العلمية لانها عرضة
للخطأ والصواب ، وانما تفسر بها اذا وصلت الى حقائق ثابتة ، كما اننا لانظير
وراء كل اكتشاف ونقول انه موجود في القرآن ونحمل القرآن ما لا يحتمل .

الوجه السابع :

اعجازه بتأثيره في النفوس :

حينما نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين نزل على امة ذات فصاحة وبلاغة ،
امة كانت تهزها العبارة العالية والاسلوب الرفيع ، فكانوا ينجذبون الى سماعه ،
والتأمل في معانيه ، والتلذذ باسلوبه .

هذا التأثير الخارق او النجاح الباهر ادركه ولا يزال يدركه كل من قرأ
القرآن بتدبير وامعان ونمفة ، بل ان الذين لا يعرفون العربية من المسلمين كانوا
يتأثرون بجرسه والفاظه وان لم يفهوه حق الفهم .

لذا فقد كان هذا الكتاب الكريم قوة غيرت صورة العالم وبدلت الممالك
وأسرت القلوب واستولت على النفوس في فترة قصيرة .

(١) القرآن والاعجاز العلمي لمحمد اسماعيل ابراهيم ص ٤٧ .

من ذلك تأثيره في اعدائه ، فكم من مرة تواصلوا وتعاهدوا على الا يسمعوه ،
 ((وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون))^(١) .

وكم من شجعانهم وصناديدهم يخرج من بيته يريد القضاء على دعوة القرآن
 ومن جاء بالقرآن فتدركه العناية الالهية فينصت ثم يعود خاشعا مؤمنا باللله
 ورسوله .

وفي اسلام عمر رضي الله عنه ، وفي اسلام اسيد بن حضير رضي الله عنه ،
 اعظم دليل على ذلك التأثير .

ومن تأثيره على الناس من مختلف الطبقات ما اورده البخاري عن عائشة
 رضي الله عنها في فضائل الصحابة في حديث طويل منه : (.... فلم تكذب قريش
 بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد ربه في داره ، فليصل
 فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به ، فانا نخشى ان يفتن
 نساءنا وابناءنا ، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فليث ابو بكر بذلك يعبد ربه
 في داره ... ثم بدا لابي بكر ، فابتنى مسجدا بفناء داره ، وكان يملئ فيسه ،
 ويقرأ القرآن فينقذ عليه نساء المشركين وابنائهم ، وهم يعجبون منه وينظرون
 اليه وافزع ذلك اشراف قريش من المشركين))^(٢) . ثم طلبوا من ابن الدغنة
 ان ينهاه فان انتهى او يرد اليه جواره ، فرد اليه ابو بكر جواره .

ان هذا التأثير هو الذي حمل المشركين على صد النبي صلى الله عليه وسلم
 ولو بالقوة في كل مكان يذهب اليه سواء في البيت الحرام أو الاسواق والمجامع
 ليوقفوه عن تبليغ دعوته وقراءة الكتاب المنزل عليه .

أما تأثيره في اوليائه فقد ظهر جليا في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 في التنافس على حمله وتنفيذ تعاليمه والدفاع عنه وعن هدايته ، والموت تحية
 رايته ، والتذلل عند سماعه ، قال تعالى : ((قل ءآمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين
 أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ، ويقولون سبحن ربنا

(١) فصلت آية ٢٦ .

(٢) صحيح البخاري في مناقب الصحابة باب الهجرة ١٤١٨/٣ رقم الحديث

ان كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا))^(١) .

وقال تعالى : ((الله نزل أحسن الحديث كتباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد))^(٢)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اول المتأثرين بالقرآن واشدهم خشوعاً فقد روى البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (اقرأ على ، قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل ؟ قال اني احب ان اسمعه من غيري ، قال : فقرأت عليه النساء حتى بلغت ((فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)) قال : امك . فاذا عينيه تذرفان)^(٣) .

واما الصحابة فقد تلقوا هذا الكتاب الكريم مدركين مدى الشرف الذي حباهم الله به ، فاقبلوا عليه اقبال المتشوق ترتيلاً وتطبيقاً حتى طهرت نفوسهم وصلحت سرائرهم ، واستطاعوا في فترة قصيرة تصحيح مسار الحياة في ممالك عاتية ودول غافلة .

علاقة اعجاز القرآن الكريم بالدعوة الى الله :

لو تأملنا فترة نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم لوجدنا انه نزل لازالة الباطل بكل صورته ، ومحو الفساد في جميع مظاهره فنار على الخرافات التي لو ثت العقول ، وعلى الانحرافات التي شوهت الفطرة ، وعلى الاعراف الفاسدة التي عطلت حرية الفكر ، فلم تمض الا سنين معدودات حتى تهذبت النفوس واستقامت المجتمعات ، وبدأت بدعوة غيرها من الأمم خارج هذه

(١) سورة الاسراء آية ١٠٧ - ١٠٩ .

(٢) سورة الزمر آية ٢٢ .

(٣) صحيح البخاري في كتاب فضائل القرآن ٤/١٩٢٥ - ١٩٢٧ ، رقم الحديث

٤٩٦٧ - ٤٧٦٩ .

الجزيرة بلا تفريق بين أبيض واسود ولا بين عربي وأعجمي ، فكان هذا الكتاب الكريم هو مصدر هذه الدعوة العالمية التي يستمد جميع الدعاة منه مناهجهم وعلى هديه يمشون في وضع الأسس الهادية الى كل خير .

ولئن ذكرنا بعض وجوه الاعجاز القرآني فانما ذكرنا قطرات من بحر لا يبلغ الانسان غايته ، ولئن كان الاعجاز اللغوي هو ما اعجز الامم عن ان يأتوا بمثله فليس معنى ذلك ان وجوه الاعجاز الاخرى يمكن الاتيان بمثله ، فكم من ملحد اعلن ايمانه بعد قراءة آية من القرآن الكريم واكتشف اعجازا لم يكن يدركه أحد من قبله كما سبق ان بيناه .

لذا فان الاعجاز القرآني سبيل لمعرفة الله عز وجل والاعتراف بوحدانيته ، وهو الغرض الأساسي من الدعوة وطرقها واساليبها ومناهجها ، فاذا كان الاعجاز بشتى اشكاله يؤدي هذا الغرض فانه باب من ابواب الدعوة ومفتاح لفتح مغاليق النفوس الى المعرفة الحقيقية والسعادة البشرية ، فاحتواء القرآن الكريم على الاعجاز العلمي يعتبر من اهم المواد الخصبه في الدعوة الى الله عز وجل ، وخاصة في توجيه الدعوة من بيان اطوار خلق الانسان واسرار النباتات واسرار الافلاك ودقة تنظيمها وسيرها الذي لا يختل مما يجذبون اليه المعرضين عنه من اهله ومن غير اهله . وليس هذا الامر بعسير على من يطلب ذلك .

ثم ان اثبات القرآن الكريم تاريخيا وملاحيته لكل زمان في اعطاء المجتمعات صبغة الاستقرار والسعادة منذ اربعة عشر قرنا في جانبي الدين والدولة لمن اهم الجوانب التي تمكن الداعية الى كون القرآن كتاب حق وصدق ، وهذا من الزاد الذي يستطيع الداعية به مواجهة الماديين .

واخبار القرآن عن المغيبات من اهم وجوه الاعجاز التي تمكن الداعية من دعوة اهل الكتب ، اذ به يتضح ان القرآن الكريم كان احق بالانبياء من الأمم المحرفة التي تنسب اليهم الفسق والفجور مما لا يمكن ان يحصل من رجل عادي فكيف بنبي ، فمعرفة احوال اهل الكتاب والعوامل التي دعتهم الى التحريف والتبديل واظهار العداوة للاسلام ، فهذا كله يتصل بتعاليم القرآن واغراضه ،

اذ هي من وظيفة الدعاة ، وكذلك تاريخ الانبياء واممهم وسنة الله عز وجل في امداد الضعيف وتقويته وامهال الظالم في ظلمه ، وتأديبه للضعفاء على تفریطهم ثم الانتقام من الظلمة في اقصى صورها واشدها على الاعداء .

ولا شك ان هذا من الاعجاز الغيبي مما يحتاجه الداعية الى الله عز وجل . واحتواء القرآن على الاعجاز اللغوي الذي يملك على المرء حسه ويستولي على مشاعره ويوقظ حواس الخير فيه مع بعده عن الاختلاف وسلامته من التناقض ثم سمو موضوعه ومعانيه وعقائده وآدابه واحكامه وتشريعه بما يعطي الداعية المادة الصالحة لدعوته لقيام حضارة انسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش ارغد .

ان من صور الاعجاز القرآني هو : التضحية في سبيل القرآن والاخلاص في سبيل الهدف وتقويم النفس والمال والقوة والعافية في سبيل نشر الدين ، ولو نظرنا الى اثر القرآن في نفوس المسلمين والدعاة الى الله عز وجل لوجدنا أن القرآن جعلهم في المقدمة في الاخلاق وفي السلوك وفي الجهاد وفي تحمل المشاق حتى وصلوا الى ثلوج سيبيريا وماتوا تحت ثلوجها قريري العين لما قدموه وبذلوه في سبيل نشر هذا الدين . قال تعالى : ((وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)) (١) .

ومعرفة ذلك وبيانه من اعظم وجوه الدعوة الى الله ومن اكبر وجوه الارتباط بين الدعوة وبين الاعجاز القرآني من جميع وجوهه .

خصائص القرآن المكي وعلاقته بالدعوة الى الله :

أولاً : الآيات المكية تشمل ثلثي القرآن الكريم ، وتعالج موضوع بناء العقيدة بطريقة عقلية وعاطفية تجذب بها نفوسا لجت في عنادها ، واستحكمت فيها عوائد الجاهلية الجهلاء آمادا طويلة ، واحقابا غير قليلة .

فموضوعه الاساسي اذن هو دعوة الناس الى : " حقيقة الالهية ، وحقيقة العبودية ، وحقيقة العلاقة بينهما ، وتعريف الناس بربهم الحق ، الذي ينبغي ان يدينوا له ويعبدوه ، ويتبعوا أمره وشرعه ، وتنحية كل ما ادخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من غيش ودخل وانحراف والتواء ، ورد الناس الى الهمم الحق الذي يستحق الدينونة لربوبيته " (١)

وهذا الموضوع قد افاض فيه القرآن الكريم لانه اصل الدين وعماده ، واهم الاركان التي يجب على الداعية تبليغها ، فافهام الناس العقيدة الصحيحة تؤدي الى تحسين احوالهم وصعودهم الى مدارج الرقى والكمال الانساني في أي عصر من العصور ، وسيكون النجاح حليف الدعاة في هذا العصر كما كان حليف الرسسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة ، وفي طريقة جدال المشركين ، في دعوة هؤلاء يتبع القرآن المناقشة العقلية ، حيث يبين خطأهم الواضح ، والغاءهم العقل ، واتباعهم سئ العادات ، التي وجدوا عليها آباءهم ، كما نرى الهجوم الشديد على الشرك والوثنية والعادات القبيحة ، والتهديد والوعيد للذين يصدون عن ذكر الله ويعرضون عن آياته .

ومن اسلوب القرآن في مجادلتهم يستفيد الداعية الاسلوب الامثل الذي لا يقصد منه الغلبة ولا المخاصمة ولا الشهرة ولا اتباع الفلاسفات العقيمة ، بل بهدف توصيل دعوة الله بتجريد الباطل من ثوبه واظهار الحق ببيان حقيقته .

ومن خصائص السور المكية وآياتها اقامة البرهان تلو البرهان على صدق النبي صلى الله عليه وسلم . وان هذا القرآن كلام الله حقيقة ، وانه ليس من صنع احد

(١) في ظلال القرآن ١٧٤٥/٣ .

من البشر ، وان النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله بشارة ونذارة ، وانه لا يريد منهم جزاء ولا شكورا ، وكذلك ينبغي على الداعي ان يتصف بهذه الصفة حتى يقتنع المدعو بأنسه لا يريد من دعوته نوالا او مالا ، فيستمع له ، ويتفهم قوله ويتأثر بسيرته ، فما من داعية ينحرف عن هذا المنهج الا ويكون وبالا على الدعوة وسبة في جبينها وسببا لانصراف الناس عن امثاله .

كما يكثر فيها عرض قصص المكذبين لما في سماعها من العظة والعبارة لمن اعمل عقله ولم يكابر في الوصول الى الحق .

كما يكثر في المكي الدعوة الى اصول مكارم الأخلاق التي اتفقت عليها الشرائع السماوية واقرتها الفطرة السليمة ، كالنهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، لأن الاسلام لا يرضى من متبعيه ان يعتقدوا عقيدته فقط ، بل يريد منهم التخلق بالخلق القويم والسجايا الكريمة ليكونوا مثالا يقتدى بهم .

وفي نزول القرآن في مكة وتدرجه حسب الوقائع والأحوال تدرج في العرض وتدرج في الدعوة الى الخير والانتقال من اسلوب الى اسلوب . وقد اهتمت الآيات المكية بالعقيدة واركاز الايمان لانها اصل الدين وعماده ولأن من فقد هذه العقيدة فقد الخير كله ، وضعف العقيدة في الله تعالى هو الذي يجرى، الناس على النهاون في العبادات ويوقعهم في المعاصي واتخاذ الوسطاء والشفعاء . وعلى الداعية ان يتأسى بالقرآن الكريم في عنايته بالعقيدة واصولها ، والعمل على تطهيرها من كل شيء يخالطها ، وبذلك تنهض النفوس راضية مطمئنة وتقود صاحبها الى السعادة في الدين والدنيا .

أما من ناحية الاسلوب فانه :

— تغلب على الآيات المكية قصر الفواصل والآيات في الجملة عن الآيات المدنية ، وهذا مما يثير الانتباه ويقرع الآذان ويمعق القلوب .

— كما تكثر فيه كلمة (كلا) التي تدل على الزجر الشديد لقوم لجوا فسي عنادهم امام الحق البين الواضح ، وذكرت هذه الكلمة في النصف الأخير من القرآن الكريم ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة . (١)

(١) المعجم المفهرس لانفاظ القرآن الكريم

— كما يكثر تأكيد المعنى بكثرة القسم بمظاهر الكون المختلفة ، ودعوة للانسان للتفكر في آيات الله في الانفس والآفاق .

— كما يكثر فيها افتتاح السور بالاحرف المقطعة من امثال (ق) ، و (حم) و (كهيعص) و (الم) .

وبهذه الخصائص والاسلوب الدعوي الالهي نجحت الدعوة في مكة في بنساء جماعة هي النواة الأولى لبناء الأمة الكبرى ، هذه الجماعة التي تميزت في سلوكها وتمرفاتها عن غيرها من الجماعات التي تحيط بها عقيدة واخلاقا وسلوكا . (١)

وكانت هذه هي المرحلة الاولى من الدعوة الى الله تعالى وهي مرحلة النشر والتبليغ ثم مرحلة التربية والتكوين وهما مرحلتان متداخلتان . (٢)

خصائص القرآن المدني وعلاقته بالدعوة الى الله تعالى :

(١) يمتاز المدني غالبا بمعالجة بناء المجتمع المسلم ، والاسرة المسلمة وتفصيل احكام الشريعة في نواحي الحياة المختلفة ، من معاملات وزواج وطلاق وميراث واحكام الجهاد والحرب والسلم والهدنة مما يتصل بشئون الدولة المسلمة وعلاقاتها بغيرها ، ولان القتال امر شرع بالمدينة للدفاع عن العقيدة ورد طغيان الاعداء .

(٢) كما يمتاز بالآيات التي تفضح سلوك المنافقين ، وتكشف عن نفسياتهم وبيان خطرهما على الدين ، وتسفيه شعاراتهم وخداعهم للمسلمين الذين يريدون لهم الخير .

وهذا اللون من التنزيل لا نجده في مكة لأن أهلها كانوا اعداء معلنين ، واما المنافقين في المدينة فقد رأوا توطد اركان الدولة فاظهروا الاسلام وابطنوا الكفر .

(١) الدعوة الاسلامية في عهدها المدني لرؤوف شلبي ص ١٣ .

(٢) مناهج الدعوة واساليبها لجريشة ص ٢٢ .

٣) مجادلة اهل الكتاب ، ومناقشة آرائهم التي تتعارض مع الحقائق الثابتة
 مثل ادعائهم ان ابراهيم كان يهوديا أو كان نصرانيا .
 وأما السور المكية فلم يكن الحديث فيها عن اليهود والنصارى جدلا مباشرا
 وانما هو تصحيح لعقيدة المشركين .
 بعكس السور المدنية التي تكثر الحديث عن اليهود وعنادهم ، وسوء ادبهم
 مع الله وتحريفهم لكذب الله .

ولما كانت مثل هذه الأمور تحتاج الى توضيح وبيان وعرض ونقاش ، فقد
 امتازت الآيات المدنية بطول المقاطع والآيات في الغالب ، بالاضافة الى بيان
 الأحكام الشرعية وايضاها فهما وتطبيقا للامة الناشئة وتربيتها وتوجيهها
 نحو اقامة الدولة الاسلامية ، بعيدا عن الانحرافات في السلوك والعقيدة والمنهج
 بعد مرحلة مضية في مكة استمرت ثلاث عشرة سنة .

ومن هنا كانت السور المدنية تضع اسس التشريعات ، وقواعدها العليا ثم
 الشرح والايضاح والتفصيل حسب بناء خطة المجتمع الاسلامي وحاجته ، وصارت هذه
 السور والآيات مكملة للآيات المكية لتكون نبراسا يهتدي به الدعاة الى الله على
 مر الأجيال الى يوم القيامة .

الصراع بين الوثنية وأهل الكتاب

كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح عليه السلام من أحط ادوار التاريخ اذ انحدرت الانسانية الى احط الانحرافات واشدها واسونها علاقة بخالقها ، فليس تكن هناك قوة تمنعها من التردى في الممير السيء الذي ينتظرها من مماءــــ الأُم السابقة .

كما اصبحت الديانات العظمى فريسة لأصحاب المصالح الدنيوية ، ممن يكنزون الذهب والفضة وينفقونها في شهواتهم الدنيئة ، واصبحت المدن الكبيرة مسرحا للفوضى والانحلال وسوء النظام وعسف الحكام ، فتردت الأُم اخلاقيا بعد تردي الجبابرة الذين يحكمونهم بعيدا عن العدالة والرحمة والنظام .

وكانت ابرز الأُم في هذه الحقبة امانان كبيرتان متاخمتان لجزيرة العرب هما : فارس ، والروم .

اما فارس فقد كانت دولة ينتشر فيها الفوضى نتيجة للطبقية الكسروية التي تعتبر نفسها في مصاف الآلهة وبقية الناس سخرة لهم يتصرفون فيهم كما يتصرفون في الحيوان الأعجم .

وفي ذلك يقول المسعودي : " وقد كانت ملوك الاعاجم كلها من عهد اردشير تحتجب عن الندماء ، وكان بين الملك وبين اول الطبقات عشرون ذراعا ، لان الستارة على الملك تكون منه على عشرة اذرع ، ومن الطبقة الاولى/عشرة اذرع وكان الموكل بالستارة رجلا من ابناء الاساورة يقال له (خرم باش) (١) "

كما كان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ، ولا تصل بينها ملة ... وكانت العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا ، وكان لكل واحد منهم في المجتمع مركز محدد لا يتجاوزه ، فلا يجوز للعامي ان يشتري

(١) مروج الذهب ٢٥٤/١ .

عقارا لأمير أو كبير ، وليس لاحد ان يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها . (١)

واما عبادتهم فكانوا يمجدون الشمس والقمر والنجوم واجرام السماء ، ثم تدرجوا حتى صاروا يعبدون النار ، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار ، وجهلت الحقيقة ونسي التاريخ .

" ولما كانت النار لا توحى الى عبادها بشريعة ، ولا ترسل رسولا ، ولا تعاقب العصاة والمجرمين ، اصبحت الديانة عند المجوس عبارة عن طقوس وتقاليد ، يؤديونها في امكنة خاصة وفي ساعات خاصة . فكانوا احرارا يسرون وفق هواهم ، أو ما توحى به مصالحهم ومنافعهم ، ... وهكذا حرمت الأمة الفارسية في حياتها ديننا عميقا جامعا يكون تربية للنفس وتهذيبا للخلق ، وقامعا للشهوات ، فلانظام للأسرة ولا دستور يحول بين الناس وطغيان الملاك وعسف الحكام .. واصبح المجوس لا فرق بينهم وبين اللادينيين والاباحيين في الاخلاق والاعمال . " (٢)

لذا فقد كان بعض ملوكهم قد اعتنق ديانات غير الزرادشتية ، فقد اعتنق سابور المانوية بضعة عشر سنة ، واعتنق قباد المزدكية التي تزين زواج المحارم واشاعة المرأة . فدل ذلك على تناقض نفسيات ملوكهم وعدم اعترافها بالاخلاق الاجتماعيه وعدم احتياطهم في الانساب واختلاطها .

الدولة القيصريّة :

اما هذه الدولة فقد انقسمت في القرن الرابع الميلادي الى قسمين : القسم الشرقي والتي عرفت بالدولة البيزنطية في القسطنطينية ، والقسم الغربي في روما . وكان هذا التقسيم بعد وفاة تيودوسيوس ٣٩٥ م بين ابنيه هونوريوس على الغرب واركاديوس على الشرق ، ولم يقدر لهذين النصفين ان يلتئما قط الا في فترة قصيرة ، وفي اجزاء دون اجزاء . (٣)

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٣) حضارة روما رونالد دولي ص ٣٥٥ .

واما ديانتها فقد كانت المسيحية التي حرفها القياصرة على مر العصور ، حتى صارت لا تستطيع معالجة مسائل الانسان أو تقيم حضارة أو تسير على ضؤئسه دولة ، ويقول الندوي : " ولكن كان فيها اثاره من تعليم المسيح ، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس وطمس نورها ، وطعمها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها ، والوثنية التي نشأ عليها وقضى قسطنطين على البقية الباقية حتى اصبحت النصرانية مزيجا من الخرافات اليونانية والوثنية الروحية والأفلاطونية المصرية والرهبانية ، حتى اضمحلت في جانبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في اليم . (١) "

ويقول هيكل عن الدولة البيزنطية الشرقية :

" وبدأت هذه المسيحية بتعدد مذاهبها ، وانقسم كل مذهب على توالي الزمن فرقا ومذاهب ... وصار لكل شيعة في اوضاع الدين واسه رأي يخالف رأي الشيعة الأخرى ، وتنكرت هذه الطوائف بعضها لبعض ، بسبب خلافها في الرأي ، تنكرا انتج العداوة الشخمية التي تلمسها حينما دب الضعف الخلقي والذهني الى النفوس ، فجعلها سريعة الى التعصب الاعمى والجمود القتال ! (٢) "

ويصف جييون انحراف المسيحية الى الشرك بقوله :

" ومن ثم فان الخيال الذي ارتفع بجهد جهيد الى تأمل وعبادة خالق الكون ، اتخذ من دون الله اشخاصا يقدسهم ، واختار اولئك الذين هم اكثر تناسبا مع آرائه الفجة وملكانه الناقصة ، وهكذا اعتور الفساد بالتدريج تلك الأفكار اللاهوتية السامية البسيطة التي كان يعتنقها المسيحيون الأولون ، ونال منها ما استحدث من اساطير شعبية رخيصة اصبحت تتجه الى اعادة عهد الشرك . (٣) "

ويفسر جييون هذا الانحراف :

بأن المسيحيين كانوا يترددون على مقابر الشهداء ، بامل الحصول عن طريق

(١) ماذا خسر العالم ص ٢٨ .

(٢) حياة محمد صلى الله عليه وسلم ص ١٩ .

(٣) اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ١٦٥/٢ .

شفاعتهم القوية على كل نوع من انواع النعم الروحية ، والنعم الدنيوية على الاخص ، فكانوا يلتمسون دوام صحتهم او شفاء عليلهم او زوال عقم زوجاتهم ، او سلامة ابنائهم وسعادتهم ، بل يلتمسون من الشهداء المقدسين ان يكونوا ادلاءهم وحماتهم في رحلاتهم واسفارهم ، وكانت الجدران مليئة بما يعلق عليها من رموز ترمز الى ما حصلوا عليه من افضال ، فكنت ترى العيون والأيدي والأقدام الممنوعة من الذهب والفضة والصور الدينية التي نال منها التعبد الوثني الطائش . (١)

وأما الحياة الاجتماعية والاقتصادية فقد كانت متردية على رؤوس العامة والرعية ، مما جعلت الدولة الرومية تزيد الاناوت ، وتضاعف الضرائب ، مما اثار حفيظة الناس على الدولة بالمقت والكرهية ، نتج عنها اضطرابات عظيمة وثورات كبيرة . (٢)

واما الاخلاق فقد ذابت فيها اسس الفضيلة ، وانهارت دعائمها حتى صار الناس يفضلون العزوبة على الحياة الزوجية ليقضوا مآربهم في حرية ، وكان العدل يباع ويساوم مثل السلع ، وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع حتى قال جيبون : " وفي آخر القرن السادس المسيحي وصلت الدولة في ترديها وهبوطها الى آخر نقطة " . (٣)

” العلاقة بين الجارتين ”

اما العلاقة بين الجارتين الكبيرتين " الفرس والروم " فقد كانت سيئة للغاية ، بسبب طغيان المادة وحب الجاه والسلطان ، فدخلنا في معارك دامية احترق في اتونها امم من الشعبين . وكما يقول ويلز :
 " ظلت دولة ساسان منافسا مستديما للدولة البيزنطية منذ القرن الثالث الميلادي ، وبسبب تلك المنافسة ساد الاضطراب والدمار الدائم آسيا الصغرى وسوريا ومصر ، وباستمرار كثرة المذابح والنهب والضرائب الباهظة لم يبق منها

(١) اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ١٦٥/٢ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣١ .

(٣) المرجع السابق .

الا مدن خربة مهدمة ، تقوم وسط ريف ليس به من السكان الا قلة متناثرة .^(١)

ثم يبرر سبب هذه المنافسة بقوله :

" فقد ران التعصب وعدم التسامح على كل من فارس وبيزنطة ، فكان كسل منها دولة قائمة على دين على شاكلة جديدة ، شاكلة عاقت الى حد كبير جميع نواحي النشاط الحر للعقل الانساني "^(٢)

ولما حل القرن السابع كان العداء قائما بين الامبراطور هرقل وبين كسرى الثاني الذي استطاع في بداية الامر وحتى اصبح هرقل امبراطور سنة ٦١٠ ان يجتاح كل شيء امامه ، فاستولى على انطاكية ودمشق وأورشليم وبلغت جيوشه مدينة خلقديونية القائمة بآسيا الصغرى ، ثم فتح مصر ٦١٩^(٣) ، وكانت الدولة البيزنطية قد وصلت في هذه المرحلة ادنى مراحل الانحطاط من سوء العلاقة بينها وبين رعاياها .

وكما يقرر المؤرخ سيببوس انه في احدى هذه الغارات استسلم اهل انطاكية للغرب عن طيب خاطر املا في النجاة من الوان القسوة على يد فوكاس .^(٤)

وقد شن هرقل ست حروب على الفرس ، واستمرت الى سنة ٦٢٥ م استطاع ان ينفذ بها الى اراضي العراق القديم عن طريق البحر الأسود واضطر الغرب الى الانسحاب من جميع الأراضي الرومية نتيجة هذه الحروب ، واصبح هرقل في مركز يسمح له بالتوغل في قلب الامبراطورية الفارسية ، وكانت اخر هذه الحروب المصيرية تلك الحرب التي خاضها الفريقان قرب نينوي على ضفاف دجلة في ديسمبر ٦٢٧ م .^(٥)

وهكذا تحقق ما تنبأ به القرآن الكريم عن غلبة الروم في مدته المقررة أي في

(١) موجز تاريخ العالم ص ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٣ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩٥ .

(٤) انطاكية القديمة جلانفيل داوولي ص ٣٤٦ .

(٥) الاسلام يتحدى لوحيد الدين خان ص ١٣٦ .

اقل من عشر سنين كما هو المراد في كلمة (بضع) ، وبوحي هذه السورة
الكريمة اعلنت هزيمة الرومان على يد الفرس في ادنى الأرض ، كما اعلن في نفس
الوقت بالذات عن عودة النصر للرومان بعد مرور تلك المدة المحددة ، كما هو
موضح في مصادر التاريخ التي تدون هذه الفترة .

وقد ترتب على هذه الحروب والهزائم قيام كل من الجارتين اللدودتين بظلم
الرعايا الذين تحت ايديهم ، فكانت الفرس تضطهد من تحت يدها من المسيحيين
على اختلاف مذاهبهم باللوان من العنت والآلام ، كما قام هرقل باضطهاد من
يخالفه من النصارى وأنزل بهم العقاب في غير رحمة ولا شفقة .

فكانت هذه الأحوال المضطربة في الدولتين بالاضافة الى الاضطراب السياسي
والفوضى الاخلاقية التي ملأت البلاد بالمصائب والآلام ، فمالوا الى نظام الاسلام
وعدله ، وقد ظهر ذلك جليا في كتاباتهم للمسلمين بقولهم : " يا معشر
المسلمين انتم احب الينا من الروم وان كانوا على ديننا ، وانتم اوفى لنا
وأرأف بنا ، واكف عن ظلمنا ، واحسن ولاية علينا " (١) . وهكذا كانت هـذه
الحروب من معجزات الاسلام وتمهيدا لانتشاره وحمله راية العدالة والحق في هذه
الحياة .

(١) الدعوة الى الاسلام . لأرونولد (بتصرف) ص ٧٣ ، ٣٣٦ .

مكانة السورة وعلاقتها بالدعوة الى الله

سورة الروم من السور المكية بلا خلاف ، أي من القرآن المكي الذي ظلل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاما ، وآياتها ست وستون آية ، والسورة كغيرها من السور المكية تعني بمعالجة قضية العقيدة في اطارها العام من الايمان بالله ، والكتب والرسل والايان بالبعث والجزاء بعد الموت ، كما تعالج شبهات المشركين في انكارهم للبعث وتدعو المشركين السسى تمديق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، « وكلمة سورة تعنى انها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى » (١) .

وسميت سورة الروم لأن الله ذكر فيها معجزة غيبية لم تكن قد حدثت بعد وهي انتصار دولة الروم المسيحية على دولة الفرس الوثنية بعد فترة قصيـــــرة لا تتجاوز التسع سنوات من الانتصار الكاسح من دولة الفرس على دولة الروم ، وقد فرح المؤمنون بذلك فرحا شديدا لما فيه من اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بانجاز وعده سبحانه وتعالى ، وكان ذلك الفرح يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة ، وقيل مرجعه صلى الله عليه وسلم من الحديدية التي كانت في ذي القعدة سنة ست من الهجرة كما في تفسير الطبري . (٢)

اما موضوعات السورة فهي وجود الله ووحدانيته والاقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم والايان باليوم الآخر .

وهذه قضايا الآيات القرآنية المكية غالبا ، حيث تعرض السورة قضية البعث بأساليب مختلفة وتبين تشكك المشركين في وقوعه ، وتلفت الأنظار الى الوجود القائم امامهم ، وتسوق الادلة في النظر في الانسان وتكوينه واختلاف لغاته وألوانه وخلق السموات والأرض وبدء الخلق واعادته ، والنظر والاعتبار في تاريخ الأمم واحداثهم .

(١) القاموس المحيط ٥٥/٢ .

(٢) تفسير الطبري ١٢/٢١ - ١٤ .

كما تعرض السورة مصارع المكذابين ونهايتهم التعيسة ، ومصير المجرمين وعاقبة استهزائهم بآيات الله عز وجل وما ينتظرهم من الجزاء العادل يوم القيامة .
 كما تعرض مشاهد الكون والحياة ، وعجائب قدرة الله في آياته المنتشرة في الآفاق والانس اقامة للبرهان على وجود الخالق العظيم واثباتا للبعث بعد الموت .
 كما تحدثت السورة عن طبائع البشر ، وما هم عليه من تقلب في السراء والضراء والشدة والرخاء ، وطغيان الكفار وموت قلوبهم عن سماع المواعظ .

كما تعرض الأمر بالصبر للرسول صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من الأذى حتى يأتي وعد الله بنصر دينه واعزاز كلمته ، فوعد الله حق وأنه آت لا محالة ، وفي تصدير السورة ببيان وعد الله للمؤمنين بالنصر ، وختم السورة بالأمر بالصبر تناسق بديع في البدء والختام .

فعلى الدعاة الى الله عز وجل الوقوف امام هذه الظواهر الأساسية الكبيرة ظاهرة بناء العقيدة في نفوس الأمة المسلمة واستعدادهم لتربية النفوس وتثبيت الضمائر ، لخوض المعركة ضد الشرك والجاهلية . لذا فان هذه السورة تعد نموذجاً للقرآن المكي وتمثل منهجه في الدعوة الى الله ، وطريقة عرضه لحقائق الألوهية ، واليوم الآخر من خلال التأمل والنظر في مجال الكون والحياة وتفسيره للانسان سر وجوده ، وهي امور بالغة الأهمية لسعادة البشرية ، ومسلك الدعاة ، ليتحملوا هذه المسؤولية العظيمة .

الباب الأول

من صفات الداعية

ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التوكل على الله مع الاخذ بالاسباب

الفصل الثاني : العلم والايمان

الفصل الثالث : العمل الصالح

الفصل الرابع : الصبر

توطئة

ان صفات الداعية صورة مصغرة من صفات الأنبياء وسلوكه مقتبس من سلوكهم بحكم وراثته الانبياء في علمهم وطرق دعوتهم ، فالعلماء ورثة الأنبياء يخلفونهم في الدعوة الى الله ويقومون مقامهم في ارشاد الناس الى الطريق الموصلة الى السعادة في الدارين .

لذا فان الداعية حامل أمانة وحامل سلوك وحامل أخلاق وطبيب نفوس يملح امراض النفوس والمجتمعات .

ورجل هذا شأنه لا بد أن تتوفر فيه صفات تؤهله للقيام بهذه المهمة الخطيرة ، ونوال هذا الشرف العظيم ، لأنه لا يمكنه ان يؤثر في الآخرين حتى يتحلى بالسلوك العملي الموافق لكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . من هذه الصفات : التوكل على الله ، والعلم والايمان ، والعمل الصالح والهدى .

وقد ركزت على هذه الصفات التي هي بعض الصفات التي ينبغي على الداعية أن يتحلى بها وهي كثيرة ومتعددة ، ولا يعنى التركيز على هذه الصفات المذكورة انها اهم من غيرها ، لأن هناك صفاتا اخرى اساسية لا يستغنى عنها الداعية الذي يريد أن يكون من رواد حمل هذه الأمانة ، فمن فقد من هذه الصفات شيئاً تعذر عليه مواصلة الطريق .

فحسب
ثم ينهى الأمر
فالداعية الى الله ليس خطيباً/ يؤثر في الناس بكلامه/ وانما هو داع الى فكرة يؤمن بها ويحض الناس عليها ، فهو قدوة يؤثر في الناس بعمله قبل قوله وكلامه .

ومن اقوال الحسن البصري في ذلك : " الواعظ من وعظ الناس بعمله لا بقوله ، لذا فقد كان لا يأمر بشيء حتى يبدأ بنفسه ، ولا ينهى عن شيء حتى ينتهى عنه بنفسه " . (١)

(١) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٨٧ .

والعلم والصبر من الصفات المهمة للداعية لأن الجاهل يفسد أكثر مما يصلح وكان الحسن البصري يقول : " اهلك الناس الاماني : قول بلا عمل ، ومعرفة بغير صبر ، وايمان بلا يقين " . (١)

فالداعية الذي لا يكون في المستوى اللائق به من الخلق الفاضل ، والصفات الحميدة لا يقبل الناس على دعوته ، ولا ينجذبون اليه ، بل ينفرون منه وينفضون عنه ، وربما استدلوا على ارتكاب بعض الاخطاء ، بسلوكه المخل بدعوته .

اما الداعية الذي يتحلى بمثل هذه الصفات فان اثره يكون كبيرا في تغيير المفاهيم الخاطئة ، وغرس روح الامل وتحريك النفوس نحو الخير ، واستجابت له الناس ، وانجذبت اليه ووثقت به ، وانشروا نفوسهم لملاقاته والاستماع اليه حيث وضع الله له القبول بين الناس ، فكم من انسان عاش طويلا في بيئة الضلال والفساد يذيق مجتمعه من شره وانحرافه الويلات ، فيجيبى الداعية المؤمن ، العامل بما علم الصابر المتوكل على الله فينتشله من تلك الوهدة الملوثة الى عالم الصلاح والتقوى باذن الله ، فكانت هذه النتيجة اثرا من آثار صفات الداعية الملتزم .

لذا فقد استخلصت من خلال هذه السورة الكريمة بعض الصفات التي يجب ان يتحلى بها الدعاة الى الله عز وجل في دعوتهم .

(١) المرجع السابق ص ١٠٤ .

الفصل الأولالتوكل والأخذ بالاسباب

قال الله تعالى : ((لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون))^(١) .
وقال : ((فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفئك الذين لا يوقنون))^(٢) .

الحمد لله رب العالمين والملاة والسلام على اشرف المرسلين .. وبعد :

ففي قوله تعالى : ((في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون))^(٣) . لفظة كريمة ونكته لطيفة وسر من اسرار القرآن وناموس من نواميس الطبيعة ثابتة وهي ان الامور التي تحصل في هذا الكون انما تحصل بقضاء الله وقدره لحكمة يعلمها هو سبحانه ، فليس لأحد من الناس ان يعترض على الله فيما حصل له ، أو فيما تأخر عليه من الخير ، او توقعه من نتيجة ، وليس لأحد ان يتدخل فيما قدره سبحانه من المقادير في هذا الكون .

وفيه الأمر بالمسارعة برد الأمر كله لله عز وجل سواء في حادث انتشار الروم على الفرس أو فيما سواه من الحوادث والنتائج المرتقبة . وتقرير هذه الحقيقة الكلية انما هو بيان ميزان الموقف ، وميزان كل موقف، فالنصر والهزيمة ، وظهور الدول ودورها ، وضعفها وقوتها ، شأنها شأن ما يقع في هذا الكون من أحوال ، مرده كله الى الله ، يصره كيف يشاء وفق حكمته ، ووفق مراده ، فالتسليم والاستسلام هو اقصى ما يملكه البشر امام الأحوال والأحداث التي يجريها الله وفق قدر مرسوم .^(٤)

وينبغي ان نعلم ان حكمة الله سبحانه انما تسير لما فيه مصلحة عبده دائما وان كان يظهر خلاف ذلك ، وهذا ما ينبغي ان يعتقد الداعية في احواله كلها ، فلا يحيد الفشل الظاهر في نتيجة عمله الى التوقف عن المهمة المنوطة به ، والامانة التي كلف بها ، كما لا يبطره النجاح الكامل والنتيجة الايجابية الى الغرور وادعاء ما ليس له ، فما المطلوب منه الا العمل باخلاص مع اتخاذ الأسباب المؤدية الى النجاح في تبليغ رسالته وتوجيه دعوته بتخطيط سليم وحساب دقيق ، اما النتيجة بعد ذلك فهي خارجة عن ارادته سلبا وايجابا ، متروكة لما تقتضيه حكمة الله سبحانه وتعالى وقضائه ومشيئته وحكمته لما فيه مصلحة عباده

(٢) سورة الروم ٦٠ .

(٤) في ظلال القرآن ٢٧٥٨/٥ .

(١) سورة الروم ٤

(٢) سورة الروم آية ٤

وبلاده ، وهذا ما نسميه التوكل على الله عز وجل .

فالتوكل لغة :

هو اظهار العجز والاعتماد على الغير ، وواكل فلان اذا ضيع امره متكلًا على غيره . (١)

والتوكل في الدين : هو ان يفوض الانسان امره الى ربه ، ويعتمد عليه في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وفعل الاسباب . وعرفه بعض العلماء بانه : الثقة بالله عز وجل والايقان بان قضاءه ماض ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من الاسباب ، من مطعم ومشرب ، وتحرز من عدو ، واعداد سلاح واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة . (٢)

لذا فان التوكل على الله فضيلة اسلامية مفروضة ، بها يتحقق معنى الايمان ويكمل ، والقلب الذي يحس ان يد الله سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل هو قلب موصل بالله ، لا يخطئ، الشعور بوجوده سبحانه والوهيته القاهرة المسيطرة ايا كانت العقبات في الطريق - وهذه الحقيقة - حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله وبين بديهية التوكل ، لا تستشعرها الا القلوب التي تزاوّل الحركة فعلا . (٣)

وقد قص القرآن الكريم علينا اروع الامثلة في الايمان بالله عز وجل والتوكل عليه فهما وتطبيقا وتنفيذاتها : قصة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في غزوة احد عندما اشتد بهم الهول ، ولم يوهن عزيمتهم وسوسة المخذلين وقولهم بان خصومهم قد جمعوا لهم العدة والعدد فاخشوهم ، فازدادوا يقينًا وايمانًا وشجاعة واقدامًا متوكلين على الله تعالى ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) معجم مقاييس اللغة ١٣٧/٦ ، والقرطبي ١٤٣/٢ .

(٢) القرطبي ١٤٣١/٢ .

(٣) الدعوة في ظلال القرآن ٢٦٩/١ .

فسر التوكل وحقيقته اذا هو : اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضره مباشرة الاسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون اليها ، كما لا ينفع الانسان قوله (توكلت على الله) من اعتماده على غيره ، وركونه اليه ، وثقته به ، فتوكل اللسان شيء ، وتوكل القلب شيء ، كما ان توبة اللسان مع اصرار القلب شيء ، وتوبة القلب وان لم ينطق شيء آخر . (١)

الفهم الخاطيء للتوكل :

يرى بعض الناس ان التوكل هو ترك الاسباب لمسبب الاسباب ، وعدم السعي باتخاذها مطلقا ، وعدم الاخذ بوسائل الحيطة والحذر المؤدية الى النجاح والفوز ، وعدم الاخذ بالأمور الموصلة الى المقصود ^{سواء} كان مباحا او مأمورا به ، وقالوا ان التوكل هو اهمال العواقب واطراح التحفظ ، ولم يعلموا انه ينافي التوكل ، لأن الحركة والسعي هو المصدر الطبيعي لحصول الانسان على ما يحتاجه من الرزق والمعاش ، كما انه المصدر الطبيعي ايضا لرفعة شأن الاسلام وعزة المسلمين ، والحصول على النصر والتأييد من الله عز وجل ، وهو الضابط لسنن البقاء في الأرض ، اذ ان من سنن المجتمعات انها تطرد النائم الكسول الخامل المتواكل الذي يعتمد على غيره في حياته كلها ، اذ البقاء في هذه الحياة للصالح قوة وعملا واجتهادا ويقول ابن الجوزي رحمه الله :

ومن المتزهدين اقوام يرون التوكل قطع الاسباب كلها ، وهذا جهل بالعلم ، فان النبي صلى الله عليه وسلم ، دخل الغار وشاور الطبيب ، ولبس الدرع والدرعين ، وحفر الخندق ، ودخل في جوار المطعم بن عدي وكان كافرا ، وقال لسعد : " لان تدع ورثتك اغنياء خير لك من ان تدعهم عالة يتكففون الناس . " (٢)

ولو تأملنا في سيرته صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن حياته كلها كانت جهادا وحركة وسعيا دائبا لا يفتر ولا يكل في سبيل التبليغ وبيان الحق واخراج

(١) الفوائد لابن القيم ص ٨٦ .

(٢) صيد الخاطر ص ٧٤ ، والحديث روي عند البخاري بلفظ (انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم يتكففون الناس) في كتاب الجنائز ١/٤٣٥ .

(٤٤)

الناس من الظلمات الى النور ، يقدم الأسباب وينتظر النتائج من الله تعالى ، لذا فان من فهم التوكل غير هذا الفهم الذي اخذ من حياته صلى الله عليه وسلم فقد رفض ما أمر الله ان يقوم به ، وضاد الله في امره ، وكيف يحل لمسلم ان يرفض الاسباب كلها .. مع ان حكمة الله اقتضت ربط المسببات باسبابها ، وجعل التوكل والدعاء من اقرب الأسباب التي تحصل المقصود بهما .. فرفض الأسباب لا يخرج عن الكفر تارة ، والفسق تارة . (١)

فاهمال العواقب اذن ، واطراح التحفظ يعتبر عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين ، ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرز ، واستفراغ في التحفظ . (٢)

لذا فالتوكل هو الايمان بالله سبحانه المدير للأمور كلها ، والتعلق بسنه سبحانه في كل ما يحتاج اليه المؤمن فيما وراء مقدوره ، وليس من وسائل التوكل ترك الأسباب ، وترك سنن الله في الخلق ، فمن ترك الطعام والشراب باسم التوكل على الله في حفظ حياته فهو جاهل بالله ، ومن يترك العمل للحصول على الرزق وما به قوت اولاده بأسم التوكل على الله فهو جاهل بالله ، ومن يترك اعداد العدة للدفاع عن الوطن واعلاء كلمة الله باسم التوكل وباسم أن الله يدافع عن الذين آمنوا فهو جاهل بالله .

ولا شك أن هذه المفاهيم الخاطئة قد ضل بها فئات من الناس عن طريق الحق،وزين لهم الشيطان هذه الأخطاء واراها اياها على انها تهديهم الى الطريق القويم والصراط المستقيم فازاغهم عن الحق القويم .

اتخاذ الأسباب من التوكل :

يقرر الامام ابن القيم رحمه الله بان التوكل محله القلب ، وان العمل بالأسباب محله الاعضاء والجوارح ، وان الانسان مسوق للعمل بمقتضى فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وكل من خالف ذلك فهو فاسد الفطرة مبدل لخلق الله . (٣)

(١) صيد الخاطر ص ٧٤ .

(٢) تلبيس ابليس ص ٢٧٩ .

(٣) الفوائد ص ٨٦ .

فالمؤمن اذن هو الذي يتخذ الاسباب من باب الايمان بالله وطاعته فيمسا امر به من اتخاذها ، ولكنه لا يجعل الاسباب هي التي تنشئ النتائج فيبتكل عليها فان الذي ينشئ النتائج - كما ينشئ الاسباب - هو الله سبحانه . فاتخاذ السبب عبادة بالطاعة ، وتحقيق النتيجة قدر من الله مستقل عن السبب ، لا يقدر عليه الا الله عز وجل

وهذا الاعتقاد في التوكل يحزر شعور المؤمن من التعبد للأسباب ، والتعلق بها ، كما انه في الوقت ذاته يستوفيها بقدر طاقته ، لينال ثواب طاعة الله في استيفائها .

وبذلك يكون الانسان قد أتى بعبودية القلب بالتوكل ، وعبودية الجوارح بالسبب المنوي به القرية ، فالذي يحقق التوكل هو قيامه بالاسباب المأمور بها ، فمن عطلها لم يصح توكله . (١)

فالاسلام حين امر الانسان بالتوكل ، جعله تشريفا له ان اتمف به ، وكمالا في ايمانه ان اتخذ الاسباب المشروعة بجوارحه بتطبيق سنن الله في الكون ، فهذه لا شك مزية للانسان الذي سخر الله له ما في الارض جميعا وربط المسببات بالاسباب، يقول الله تعالى في سورة الروم ((الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطفه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين ، فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها. ان ذلك لمحى الموتى وهو على كل شيء قدير)) سورة الروم آية ٤٨-٤٩-٥٠ . وفي ربط التوكل باتخاذ الاسباب ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثالا بالطير لتقريب الحقيقة الى الافهام فبالمثال يتضح المقال .

ففي الحديث الذي اخرج الترمذي وابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدوا خماسا وتروح بطانا) (٢) فاثبت حقيقة التوكل على حركة الطير وسعيه ، وانها تغدوا وتروح ، فالطير لا ترزق مع الكسل والخمول ، والنوم والقيود ، وانما تغدوا جياعا ساعية عاملة باحثة ، جادة

(١) الفوائد ص ٨٥ .

(٢) الترمذي في الزهد ٦٩/٢ ، وابن ماجة في الزهد ص ٣١٧ .

نشيطه ، تفتش عما يحفظ حياتها وحياء اولادها ، فلا يردها الله خائبة ، فتروح
ممتلئة البطون ، حاملة الطعام والرزق لصغارها .

فالحديث يوحي بان الاسباب لا بد من سلوكها ليصل المرء الى الغاية التي
يبتغيها ، ويؤمن الوسائل التي تتوقف عليها حياته .

فالله سبحانه امر بالتوكل عليه ، كما امر ايضا بالاخذ بالاسباب والسير
على السنن الكونية التي اقام الكون وفطره عليها ، فالنصر على الأعداء مرتبـط
بالاعداد والاستعداد والتدريب ، والقوة سبب من اسباب النصر الذي يمنحه رب
العالمين لمن يشاء .

والانسان اذا توكل فقط ولم يستعد للامر ويأخذ أهفته بحسب سنة الله في
الاسباب والمسببات يقع في الحسرة والندم عندما يخيب ويفوته غرضه ، فيكسبون
ملوما شرعا وعقلا . قال تعالى : ((وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمتم فتوكل على
الله))^(١) وقرن الامر هنا بالتوكل بالمشاورة ، وكل ذلك من اتخاذ الأسباب سلبا
وايجابا .^(٢)

فالله سبحانه وتعالى أراد ان يعلم نبيه في هذه الآية الكريمة ان يبسدا
بأخذ الحيطة والاهبة والاستعداد في المواطن التي تحتاج الى هذا، وان يستعيـن
بآراء من حوله من أهل العلم والخبرة والبصر بالامور ، فاذا انتهى الى امر او
خطة اقدم على التطبيق والتنفيذ في همة وعزيمة ومضاء ، واثقا بمعونة الله وتأبيده
له .^(٣)

فشأن المؤمن المتوكل في دائرة الاسباب ان يطلب كل شيء عن طريق سببه ،
خضوعا لسنن الله في نظام خلقه ، وهو بذلك يطلبها امرا تكوينيا قدريا ، وتشريعا
تكليفيا ، فاذا جهل الاسباب أوعجز عنها وكل امره الى ربه تعالى ، داعيا اياه
ان يعلمه ما جهل مما سنه من وسائل العلم .^(٤)

(١) آل عمران آية ١٥٩ .

(٢) مؤتمر سورة يوسف ١٠٥٢/٢ .

(٣) موسوعة اخلاق القرآن ٢١٨/٢ .

(٤) المرجع السابق ٢١٧/٢ .

علاقة التوكل بصفات الداعية

مما سبق يتضح ان التوكل من الايمان ، وانه لا بد للانسان منه ، لأنه في حاجة شديدة اليه ، لكي لا تكون حياته كمدا وشقاء و آلاما مفضية ، ولكن هناك فئات من الناس في حاجة الى التوكل اكثر من حاجة غيرهم ، وهم المصلحون والدعاة الذين يتعرضون دائما للطريق المملوء بالأشواك ، ويكونون عرضة للآذى والتعب المضي ، هؤلاء يعلمهم الله ان يفوضوا امرهم اليه ، حتى لا يشبط الفشل همتهم ، ويأمرهم ان يقتدوا بنبيه شعيب عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : ((قال يقوم أرى يتم ان كنت على بينة من ربي ووزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهكم عنه . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب))^(١)

مما سبق يتضح لنا ان للتوكل شروطا تؤدي الى كمال العقيدة ، وكمال الاستسلام لله عز وجل ، ولكي يكون الداعي ناجحا في دعوته فعليه :

- أ - أن يأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة كما اخذ بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يعتقد ان هذه الأسباب قد تؤدي الى نجاحه ، أو نجاح دعوته أو اسماع تبليغه للناس أو تأثرهم به ، أو قربهم منه ، أو وصول مصلحة للاسلام والمسلمين بها . فالله سبحانه كان ولا يزال قادرا على ان يفعل في هذا الكون .. بدون سبب ولكن حكمته اقتضت ان يربط تصريف الكون بالأسباب قال تعالى :
- (ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) الروم ٢٠ وقال تعالى : (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) الروم ٢٣
- ب - ان يقف مع الاسباب حيث اوقفه الله ورسوله ، فلا يتعدى حدودها ، ولا يقصر عنها ، فلا يعتقد انها هي الفاعلة والمؤثرة بنفسها ، وانها تنفع وتضر بذاتها ، بل هي وسيلة توصل الى الغاية ، فهي كالطريق الحسي الذي يقطعه المسافر الى مقصده . (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت اللغاتى فطر الناس عليها .)
- فالمؤمن حين يفرغ من اتخاذ الأسباب يودع الامر كله ، بما في ذلك اسبابه التي اتخذها ، في يد الله ، وينتظر منه وحده سبحانه ان يأتي بالنصر من عنده ، فان كان النصر مقدرًا فلا غالب لمن قدر الله له النصر ، وان يكن الخذلان هو المقدر فمن يملك ان يأتي بالنصر .

فالمجال هو مجال تحرير قلب المؤمن من الاعتماد على الأسباب الظاهرة أو الظن بانها الفاعلة في الأمر ، وتخليص ذلك القلب من التطلع لشيء ، او لاحد غير الله سبحانه .

ج - عدم التضجر والشكوى من تأخر النجاح ، اذ ان الداعية كثيرا ما يقابل جهده بالجحود والنكران والاذى والقطيعة ، وهذه سنة الله في الخلق ، فاذا تشكى وتضجر لم يكن ذلك توكلا ، بل يؤدي به الى الفتور ، عما يقوم به من الدعوة الى الله عز وجل وقد يضعف ويتراجع .

والتضجر والشكوى من تأخر النجاح انما هو من الله وهذا بعد عن الأدب ، وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله : " الجاهل يشكو الله الى الناس ، وهذا غاية الجهل بالمشكو والمشكو اليه ، ولو عرف ربه لما شكاه ، ولو عرف الناس لما شكوا اليهم " (١) .

وفي ذلك حماية لنفس الداعية وايقاظها وحمايتها من التواكل الذي يتسلط على النفس الضعيفة فتمسك بها عن السعي الجاد وتجعلها تقيم في ظل الدعة والسكون . قال تعالى (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون)

الروم ٦٠

الفصل الثاني

العلم والايمان

قال الله تعالى : وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ^(١)

دلّت هذه الآية الكريمة على اهمية اقتران العلم والايمان ، اذ هما جزءان يكمل كل منهما الآخر ، ويظهر أثرهما جليا واضحا على المسلم في افعاله وأقواله وجوارحه ، فالذي يحرص على العلم فقط يخشى عليه من الزيغ والانحراف بما يلبسه عليه شياطين الانس والجن ، وكذلك المؤمن بدون علم يكون معرضا للانحراف والميل عن الحق بما يلبسه عليه الشياطين لقبول زيادات لم تشرع في الدين أو لانقصاص ما أتى به الشرع في كتاب أو سنة من قواعد شرعية . فما اكثر من حرفهم وصرفهم من العباد بما موه عليهم من وجوه الباطل بان النجاة في هذه الدنيا لا تأتي الا بترك الدنيا وما فيها فيخرج على وجهه الى الجبال ويبتعد عن الجمعة والجماعة والعلم وبصير كالوحش ويخيل اليه ان هذا هو الزهد الحقيقي . والبعد عن العلم والعلماء يقوي سلطان الجهل ، ويحرم من اتباع الحق .

ولا ريب ان الذي اوتي العلم والايمان ارفع درجة من الذين اوتوا الايمان فقط كما دل عليه الكتاب والسنة . ^(٢)

وفي قرن العلم بالايمان اشارة الى ان العلم الذي لا يثمر عملا لا قيمة له . وكثير من الذين اوتوا العلم لايؤمنون بالله ، بل تغلب عليهم شقوتهم ، ويصبح العلم الذي علموه حجة عليهم ، يضاعف له به العقاب . ^(٣)

فكم من الأبحار والرهبان اكلوا اموال الناس بالباطل واستحلوا حقوق الأراصل والايتم وعقدوا الحيل والممايد لاصطياد مما لم يحله الله لهم أو خوفا على مكانتهم في النفوس أو حرصا على بقاء رياستهم في البلدان والأصاير وصدوا عن سبيل الله عز وجل ، وكل ذلك انما هو البعد عن الايمان رغم وجود العلم ، بسبب

(١) سورة الروم ٥٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٩٨/١١ .

(٣) التفسير القرآن للقرآن ٥٤٧/٤ . للشيخ عبدالكريم الخطيب - نشر دار الفكر العربي .

والمواعظ والكتب .

فالذين اوتوا العلم والايمن هم الذين يستطيعون مواجهة الرد على المعارضين أصحاب الماديين ومثيري الشبهات من اهل الاهواء والاغراض ، فيردون عليهم ويصحون اغلاطهم ويردون البقية على المنهاج الصحيح .

في القرآن الكريم

وقد قرن الله سبحانه كلمتي العلم والايمن في كثير من المواضع منها :

((... وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون ءامنابه ...)) (١)

((شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة وأولوا العلم قايما بالقسط لا اله هو العزيز الحكيم)) (٢)

((لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك ...)) (٣)

((وقال الذين اوتوا العلم والايمن لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث)) (٤)

((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والله بما تعلمون خبير)) (٥)

فالايمن الذي يقوم على البحث في الكون والتأمل في مشاهد الأرض والسماء

فهيئات ان تروج للالحاد بضاعة أو ينطلي زيف وذاك ما يجعل العلم والايمن قرينين لا ينفكان)) (٦)

وأولوا العلم اكمل الناس علما بوحداية الله عز وجل ، وسائر صفاته ، وقد

خامر هذا العلم قلوبهم بحيث لا يغيب عنها ، وذلك منشأ جميع النعم ، فكان لهم هذه المنزلة عند الله سبحانه)) (٧)

(١) آل عمران آية ٧ .

(٢) آل عمران آية ١٨ .

(٣) النساء ١٦٢ .

(٤) الروم آية ٥٦ .

(٥) المجادلة آية ٥٨ .

(٦) ركائز الايمان ص ٥٦ .

(٧) جواهر العقدين في فضل الشرفين للسهمودي ٨٠/١ .

من هم الذين اوتوا العلم والايمان

اختلف المفسرون في الذين اوتوا العلم الى اقوال عدة :
فقال القرطبي : " قيل الملائكة ، وقيل الأنبياء ، وقيل علماء الأمم ، وقيل
مؤمنوا هذه الأمة ، وقيل جميع المؤمنين .

أي يقول المؤمنون للكفار ردا عليهم لقد لبثتم في قبوركم الى يوم البعث " (١)

واما الشوكاني فبعد ايراده كل هذه الأقوال لا يرى مانعا من الحمل على
الجميع . ومعنى في كتاب الله : أي في علمه وقضائه ، وقال الزجاج: في علم الله
المثبت في اللوح المحفوظ .. وقال الواحدي : أي وقال الذين اوتوا العلم في
كتاب الله . (٢)

ولكن ابن كثير رحمه الله يحدد المراد بمن اوتى العلم والايمان بانهم
العلماء في الدنيا ، وبأنهم يردون عليهم في الآخرة ، كما اقاموا عليهم حجة الله
في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة . (٣)

فكون هؤلاء هم العلماء في الدنيا ابلغ تأثيرا وانكى تقريرا في نفوس
هؤلاء الكافرين اذ كانوا يستهزئون بربهم في الدنيا ، ولا يصدقونهم فيما يوجهونه
اليهم من المواعظ والترغيب والترهيب بيوم البعث وما فيه من حساب ، وعقاب
وحيثما يقابلونهم في الآخرة يقولون لهم هذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه .
" وفي هذا رد عليهم وعلى ما حلفوا عليه واطلاع لهم على الحقيقة " . (٤)

وتكون معنى الآية كما قال مقاتل وقتادة والسدي : أي وقال الذين اوتوا
العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث " فهذا يوم البعث " : أي
الذي كنتم تنكرونه . (٥)

-
- (١) القرطبي ٥/٥١٣٠ .
(٢) فتح القدير ٤/٢٣٢ .
(٣) ابن كثير ٣/٤٤٠ .
(٤) المراغي ٦٢/٢١ .
(٥) القرطبي ٥/٥١٣٠ . الجواهر ١٥/٧٨ .

القرآن يدعو الى العلم والمعرفة

والقرآن الكريم لا يرى حدا للعلم يقف الانسان عنده ، وإنما يرى العلم بحرًا لا ساحل له ، ويطلب منا أن نتزود منه ، ونزداد يوما بعد يوم دون ان نقف عند غاية ، ويعلم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول : ((رب زدني علما))^(١) .

كما لا يرى ان يتلقى الفاضل عن دونه في الفضل ما لديه من علم يجهله ولو كان ذلك لا يتم الا اذا كان منه بمنزلة التابع من المتبوع ، يحل حينما حل ، ويرتحل حينما ارتحل ، وفي ذلك يقص علينا القرآن الكريم قصة موسى مع الخضر عليهما السلام قال تعالى : ((ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا ، فوجدنا عبدا من عبادنا ، اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ، قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا))^(٢) .

يقول القرطبي في ذلك :

" في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم ، وان تفاوتت المراتب ولا يظن ان في تعلم موسى من الخضر ما يدل على ان الخضر كان افضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول ، والفضل لمن فضله الله ، فالخضر ان كان وليا فموسى افضل منه لأنه نبي ، والنبي افضل من الولي ، وان كان نبيا فموسى فضله بالرسالة " .^(٣)

كما يقر القرآن أن الهداة والدعاة والقادة من اصحاب الرسالات الدينية لابد ان يكونوا على جانب كبير من العلم والمعرفة ، حتى تتأكد زعامتهم ، وتلزم طاعتهم ، ولا يرضى القرآن لانسان يحترم انسانيته ان ينقاد لمن لا علم عنده ، ولا ان يكون منه بمنزلة التابع من المتبوع ، فان من حرم العلم حرم الخير كله ، ومن لم يتحل بالمعرفة لا يصح ان يكون قدوة ، يقول الله تعالى على لسان ابراهيم

(١) طه آية ١١٤ .

(٢) سورة . لكهف آية ٦٤ - ٦٦ .

(٣) تفسير القرطبي ٤٠٥٦/٦ .

عليه السلام مخاطبا اياه : ((يسأبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني
اهدك صراطا سويا)) (١) .

فالاتباع لا يكون لغير العالم ، والجاهل لا اتباع له ، لأن الجهل سبب
ومعرة على الانسان ، فالله سبحانه خاطب موسى وهارون عليهما السلام :
((فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون)) (٢) .

فعدم العلم يسوق الانسان الى الهوى ، وهل من شيء اضر من الهوى واتباعه
لدى الانسان ، فبئس متمفيا بالهوى ، ما أضله ، لذلك يأمر الله نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بقوله : ((ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)) (٣) فقرن الهوى
بعدم العلم في الآية .

ويكفي العلم فضلا وشرفا ، انه صفة جلييلة من صفات الله تعالى ، ويكفيه
فضلا ان الله امتن على نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه علمه ما لم يكن يعلم فقال :
((وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
عظيما)) (٤) .

حقيقة العلم وأنواعه

العلم معرفة المعلوم من الذوات والصفات والمعاني على ما هو عليه ،
وهو مصدر علم يعلم علما . (٥)

وقيل : العلم وصول النفس الى معنى الشيء ، وقيل هو الاعتقاد الجازم
المطابق للواقع . (٦) وقيل ادراك الشيء بحقيقته (٧) او هو اعتقاد الشيء على ما هو

-
- (١) سورة مريم آية (٤٣) .
 - (٢) سورة يونس آية (٨٩) .
 - (٣) سورة لجاثية آية (١٨) .
 - (٤) سورة النساء آية ١١٣ .
 - (٥) العلم والعلماء للجزائري ص ١١ .
 - (٦) التعريفات للجزائري ص ٨٣ .
 - (٧) المعجم الوسيط ٦٣٤/٢ .

(١) به على سبيل الثقة .

وينقسم العلم الى ضروري ونظري :

فالضروري : هو ما لا يحتاج المرء معه الى تأمل وتفكر من سائر البدهيات (كالسماء فوقنا) كمعرفة المحسوسات والمرئيات مما يدرك بالحواس الخمس التي هي السمع والبصر واللمس والشم ، والذوق .

ونظري : وهو ما يحتاج المرء فيه الى تأمل واعمال فكر ، وسواء ما كان يدرك بالقلب وحده كالغيبيات من وجود الله والملائكة ، او بالقلب مع الحواس كالواحد نصف سدس الاثنى عشر ، والشمس اكبر من القمر . (٢)

وينقسم العلم من حيث انواعه الى نوعين :

الأول : علم الشريعة وهو ضوء الطريق ومشعله الذي يكشف ابعاده وآماده ، وهو العلم الذي ورثته الأنبياء لاممهم ، وهذا العلم ثلاثة أقسام :

علم بالله واسمائه وصفاته ، وعلم بما اخبر الله به مما كان من الامور الماضية ، وما يكون من الأمور المستقبلية ، وما هو كائن من الأمور الحاضرة ، وعلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الايمان بالله من معارف القلوب وأحوالها ، واقوال الجوارح واعمالها ، وهذا العلم يندرج فيه العلم بأصول الايمان وقواعد الاسلام والعلم بالاقوال والأفعال الظاهرة . (٣)

الثاني : علم دنيا : ويعتبر هذا العلم من جملة المعارف ونتاج العقل البشري فيما يستحدثه من شئون الحياة المختلفة ، وبه ينظم البشر حياتهم ومعاشهم كعلوم تضاريس الأرض والجيولوجيا ، وعلم القضاء وارصاد الجو ، وعلوم البحار ، والجغرافيا الطبيعية والفلكية والبشرية ، وعلم وظائف الأعضاء ، وغيرها من العلوم التي توسع فيها البشر وخاصة في هذا القرن ، الا أننا نجد لها اصلا في القرآن الكريم الذي حض على تعلمها والنظر والتفكير فيها ، ليدرك بها عظمة

(١) الفروق لأبي هلال العسكري ص ٦٣ ، ومقدمة كشف الظنون ٣/١ .

(٢) العلم والعلماء ص ١١ .

(٣) مجموع الفتاوى ٣٩٨/١١ . باختصار

الرب سبحانه فيزداد ايمانا به وتسد حياة الانسان بها حين يستخدمها في سبيل الخير .

" والعلم مهما اتسعت آماده ، وامتدت ابعاده ، وترادفت كشوفه ، فلن يجيء الا بما يصدق الوحي ، ويدعم الايمان ويمكن لهداية الرحمن ، والا بما يزيد الانقياد بصرا بجلال الله ، وقيامه بحقه وثقة ببقائه . (١)

#####

علاقة الداعية بالعلم

العلم سلاح هام للدعاة ، وتكمن اهميته في أمرين اثنين : العمل به ، ثم تبليغه الى الناس .

والعلم أمر قد حض عليه الاسلام ودعا له .. فخاطب القرآن عقول المؤمنين قائلا : ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) (٢) . وللإجابة على ذلك لابد من اعمال العقل الذي بدوره ينيره العلم ويرشد طريقه .

والمعامل في القرآن يرى أنه يبرد تارة كأمر ((فاعلم انه لا اله الا الله)) (٣) ، ويرد تارة كبيان : ((هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب)) (٤) ،

وتارة كتخصيم كما يبين الرسول صلى الله عليه وسلم ((من مات وهو يعلم ان لا إله الا الله دخل الجنة)) (٦) ، ((من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة)) (٧) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ((فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم)) (٨)

-
- (١) مع الله للغزالي ص ٢٢٨ .
 (٢) سورة الزمر آية ٩ .
 (٣) سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ١٩ .
 (٤) سورة ابراهيم عليه السلام آية ٥٢ .
 (٦) صحيح مسلم في الايمان ٣٢/١ ، والترمذي في العلم ١٠٩/٢ .
 (٧) البخاري في العلم ومسنده احمد ٢٥٢/٢ .
 (٨) الترمذي في العلم ١٠٩/٢ .

والتأمل في دين الاسلام تأمل المنصف البصير يدرك انه يعنى بالعلم ويرقى بالفكر ، ولعل سبب ذلك كله عظم الدور المناط بالمسلم وما يقوم به في الحياة والوجود بما يتأمله في صفحة الحياة من عبر ودروس .

والداعية البصير يدرك ان العقل اليقظ يستمد يقظته من العلم وان العمل الصواب يستمد صوابه من العلم .

فالجهد مضر بالأعمال مضر بالعبادات ، ولعل اقرب مثال نسوقه مثال المؤمن الذي يصلى صلاة تخالف صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم لجهله با الكيفية التي صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا محل بعبادته وفي صلته بربه .

فلا بد للداعية اذا ان يتتبع العلم الصحيح المبني على اساس متين لا علم فج لا يستطيع ان يثبت به قضية ، او يثبت به دعوى او يقنع به عاقلا ، ولا بد ان يكون العلم ناضجا مبنيا على اساس سليمة . قال تعالى : ((ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا)) (١) .

ودلت هذه الآية على ادوات العمل التي لا بد من استعمالها من قبل الداعية للتحقق مما هو مقدم عليه من توجيه الرسالة واستيعابه بوسائل موجودة لديه ، وهي السمع والبصر والفؤاد ، ولا بد من التدبير والتفكير والتأمل بهذه الوسائل المتاحة له على احسن حلقة واجمل صورة .

فالذي لا يرى في هذا الكون دلائل قدرة الله ووحدانيته بوضوح أو تلقف الخبر بدون تروي وتأكد فقد عطل ما ميزه الله به عن غيره من الحيوان .

فالحواس هذه موجودة لدى الانسان ولدى الحيوان ولكن شتان ما بيـــــن حواسهما وقدرتهما على استعمالها فالانسان بما اعطاه الله من العقل والقدرة على التفكير امتاز بالعلو والفوقية على الحيوان .

واما الانسان الذي لا يستعمل هذا العقل في التمييز بين الخير والشر وبين العلم والجهل لم يستدرك حكمة الله عز وجل في هذا الكون ودقة صنعه ، ولم

(١) سورة الاسراء آية ٣٦ .

يتوصل به الى عظمة الله عز وجل ، فهو في مستوى الحيوان الاعجم الذي لا عقل له ولا ادراك . قال تعالى : ((لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها ، اولئك كالأنعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون))^(١) .

فالداعية لابد ان ينمي ملكته العلمية في زمان صار العلم فيه هو السبيل الذي تسود به الأمم ، ولا بد ان يكون معايشا للحياة مع الناس ، عالما بما يجري في الحياة من احداث راصدا لآثار تلك الأحداث ، وما يدور في عقول الناس وما يجري على سنتهم منها ، وما ينتظرون من عواقبها .^(٢)

هذا بالاضافة الى قدر صالح من العلم في امور الدين من عقيدة وشريعة ، وان يكون على دراية تامة باحكام الشريعة حلالها وحرامها .. ومن هذا العلم يغذي عقول الناس وقلوبهم مستقاة من مواردها الصافية محررا من الاباطيل والمفترقات والبدع والخرافات .^(٣)

ولما كان تبليغ الدعوة هي المهمة الأولى والأساسية للأنبياء والرسل عليهم السلام ، فما من نبي ولا رسول بعث الى قومه الا وقد امره الله بتبليغ دعوة السماء الذي عليه انزلت . بل وتنتفي مهمته ان لم يقم بها ((يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس))^(٤) .

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم اشد الحرص على ان يربي صحابته الكرام على حب التبليغ قائلا لهم : (بلغوا عني ولو آية ...)^(٥) .

-
- (١) سورة الأعراف ١٧٩ .
 (٢) الدعوة الى الاسلام لعبد الكريم الخطيب ص ٥٢ .
 (٣) المرجع السابق ص ٥٠ .
 (٤) سورة المائدة آية ٦٧ .
 (٥) البخاري في كتاب الأنبياء ج ٣/ ١٢٧٥ ، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه وتكملة الحديث : (وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) .

والتبليغ لا يكون الا بالبيان ، والبيان يستلزم العلم به قبل الدخول فيه ، والبيان يعتبر من نعم الله العظيمة على الانسان لو ادركه وعرف قدره **قال الله تعالى :** ((الرحمن علم القرآن ، خلق الانسان علمه البيان))^(١) ، فكما ان الانسان الذي يريد دخول معركة يحتاج الى السلاح الذي يدافع به ، ويدفع عن نفسه فكذلك الداعية يحتاج الى هذا العلم ليدفع الشر ويجلب الخير ويوضح الحسن من القبيح وبقوة العلم والايمان يتحقق نجاح الداعية في طريق الهداية ، وبهما معا يحقق ما يصبوا اليه من التوفيق والسداد ويفوز بما كتبه الله على نفسه من عطائيساه الجزيلة .

وما احسن قول الامام احمد بن حنبل رحمه الله : " الناس الى العلم احوج منهم الى الطعام والشراب ، لأن الطعام والشراب يحتاج اليه في اليوم مرة او مرتين ، وحاجتهم الى العلم بعدد الانفاس " ^(٢) ومن اجل هذا كان طلب العلم افضل من صلاة الناقله .^(٣)

لذا فان الداعية في حاجة الى العلم اكثر من حاجته الى الطعام والشراب .
فمما يحتاجه :

الثقافة الدينية ، ثم الثقافة العامة ، ثم المامه بظروف المكان والزمان الذي يريد ان يتحدث فيه ، او يدعوا الى الله في دائرته ، وكل هذا من العلم الذي ينبغي للداعية الحرص عليه لانها من دواعي نجاحه في مهمته .

لأن العلم هذا اكثر حاجة ، واكثر ضرورة لمن سلك طريق الدعوة ، وبذلك يكون عالما مسلحا بالفكر ممتلكا لادواته ، لانه يواجه الأمم بعقلها وفكرها ، ويواجه امما من اصناف شتى وميول واهواء متفرقة ، واما متفككة متفرقة تتكالب عليها الأمم كما تتكالب الاكلة على قمعتها ، واما تحللت من القيم والديـن والمثل العليا مع انها وصلت في تسخير المادة الى الدرجات العلى .

(١) سورة الرحمن ١ - ٤ .

(٢) مفتاح السعادة لابن القيم ص ٦٦ .

(٣) اصول الدعوة لزيدان ص ٣١٦ .

ومن هنا لابد ان يتوفر في علم الداعية :

أولا : علم بالاسلام واصوله طبق الكتاب والسنة ثم الحديث النافع من العلوم التي

تخدم الدعوة الاسلامية .

ثانيا : علم بخطط اعداء الاسلام في غزوهم للقيم والاخلاق وخططهم لتذويب

المسلمين واخراجهم عن دينهم وعقيدتهم وعن ماضيهم العريق ، مثل

الدعوة الى العامية او الى العلمانية أو التحلل الخلقي والتفكك الاجتماعي .

وهناك ركن مهم في العلم يجب ان يلتزم به الداعية هو ان يكون عاملا

بعلمه الذي ناله . وهذا امر مهم في توجيه الدعوة الى المدعو .

• قال تعالى : ((ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبرمقتا عند

الله ان تقولوا ما لا تفعلون))^(١)

(١) سورة الصف آية ٢ - ٣ .

الايمان معناه واهميته ،

قال الله تعالى :-

(في بضع سنين لله الامر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون) الروم ٤
 (و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ، فاما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون)
 (و ما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) الروم ٥٣
 (و قال الذين اوتوا العلم و الايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث . . .) الروم ٥٦

الايمان في اللغة : التصديق ، ومحل التصديق القلب .

وفي الشرع : الاقرار باللسان والتصديق بالقلب والعمل بالجوارح .

فالمسلم يؤمن بالله تعالى ، بمعنى ان يصدق بوجود الرب تبارك وتعالى ،
 وانه عز وجل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ،
 لا اله الا هو ولا رُبُّ غيره ، وانه جل وعلا موصوف بكل كمال ، منزه عن كل
 نقصان ، وذلك لهداية الله تعالى له قبل كل شيء ثم للدلالة العقلية والنقلية
 الثابتة في الكتاب والسنة . (١)

فالايمان الصادق يعتبر اولى سمات الدعوة ورباط ملتهم بالله تعالى والزاد

الذي يحملونه في مسيرة الدعوة .

ولا يمكن ان يستفيد الانسان من هذه الكلمة بمجرد ان يقول أنه آمن ، بل
 لابد له من حسن الصلة بالله عز وجل ، ويشعر بالارتباط الوثيق بقدر الله تعالى
 ورسالاته وما أمر به ، فيؤمن بوجود الملائكة والكتب التي انزلها على انبيائه
 والرسل الذين ارسلهم الى الخلائق واليوم الآخر على انه حق لامية فيه وان البعث
 بعد الموت حق يترتب عليه الجزاء والعقاب .

ولا بد للمؤمن ان يتدبر في مخلوقاته سبحانه .

والداعية الرشيد هو الذي تصدر دعوته من القلب . لان ما صدر من القلب
 يدخل في القلب ويصل اليه ، وما كان من اللسان فلا يتجاوز الآذان مهما حمل
 هذا الكلام في طياته من الحسن والرنين والفصاحة والبلاغة ، لأنه فقد عنصر
 الاستجابة القلبية .

(١) منهاج المسلم ص ١٠ .

والداعية الذي يتكلم بما لا يؤمن به انما يتكلم عن حرفة من الحرف وعادة اعتادها لجلب الرزق ، فسرعان ما ينهار امام اول عقبة وقفت في طريقه ، فليس هناك شيء يعطى للداعية الاستمرارية والمواصلة في اداء الرسالة اهم من الايمان بما يقوله ويفعله ، ويقول سيد قطب : " ان المبادئ والافكار بلا عقيدة دافعة مجرد كلمات خاوية ، والذي يمنحها الحياة هي حرارة الايمان المشعة من قلب انسان ! لن يؤمن الآخرون بمبدأ أو فكرة نبتت في ذهن بارد ... آمن أنت اولاً بفكرتك ، عندئذ فقط يؤمن بها الآخرون ، والا فستبقى مجرد صياغة لفظية خالية من الروح والحياة " . (١)

وما أصاب المسلمين الأوائل في بدء الدعوة من الاذى والشدة وقدرتهم على تحمل الوان العذاب وصبرهم على ترك الديار دليل قاطع على ان الايمان اذا رسخ في القلب لا تقتله عواصف المحن والاحسن ولا تزحزحه شدائد الحياة . (٢)

فالداعية المؤمن يزداد كل يوم ايمانا بما يراه في صفحة الحياة والكون من عجائب واسرار في الانسان والحيوان والنبات والجماد فيثبت بقوة هذا الايمان لأداء الأمانة التي تحتاج الى قوة في ايمالها الى الغير .

فكما ان كل آلة تحتاج الى حرارة في حركتها وسيرها ، فكذلك قلب الداعي يحتاج الى حرارة الايمان ، لأنه لا يستطيع ان يعيد الايمان والثقة بالله في نفوس الآخرين ، ويملأها حماسة اذا لم يكن هو قد امتلأ حماسة وايمانا وقدرة روحية فائقة وثقة مطلقة بالله . (٣)

فالايمان بالله عز وجل هو الدافع المحرك للقوى الكامنة في نفس الانسان وهو الذي يجعل المؤمن في شوق دائم للعمل بما يرضيه سبحانه ، ويحرك في قلبه عوامل الخير ليحقق غايته ، ويحبب اليه العبادة بالشكل الذي يرضاه ويتقبله . (٤)

والا كان كالنائحة المستأجرة هل تكون كالتي تبكي ولدها كما يقول ابن المبارك رحمه الله . (٥)

(١) افراح الروح لسيد قطب ص ٢٣ . (٢) الدعوة الى الاسلام البيانوني، ص ٣٥ .

(٣) الدعوة و الدعاة للصوف ص ٦٤ . (٤) اسس الدعوة الوكيل ص ٧١ .

(٥) نفس المرجع ص ٧٣ .

فايمان الداعية ليس غاية في طريق الدعوة الى الله ، وانما هو وسيلة
لشيء أعلى شأنًا وابلغ اثرا في النفوس .

فغاية هذا الايمان الفردي لدى الداعية هو التأثير في الافراد ثم تكوين
الجماعة المسلمة التي تلتزم بما التزم به الداعية من السلوك السوي والاخلاق
الفاضلة والترابط الاخوي والعزة الاسلامية .

فلا شك أن للايمان هذا اثار ذات مستوى رفيع في الافراد وفي الجماعات
وفي استقرار النفوس وطمأننتها وحسن علاقتها بخالقها واحساسها بالمسئولية التامة
تجاه السلوك التربوي وتحمل الأمانة وادائها على الوجه المرضي .

ومن هذا يتضح لنا أهمية العلم والايمان وأهمية اقترانهما في الداعية
واثرهما في تحمل المسئولية وتبليغ الرسالة وأداء الامانة واقامة الحجة حتى فسي
احرج المواقف واشدها على الانسان ، وهما الداعيان للانسان على الاخلاص والالتقان
فيما يقوم به من عمل طمعا في دار البقاء وحباً في رضا موجد الكون ومدبره
سبحانه وتعالى .

أثر الايمان بالله في نفسية الداعية :

فايمان الداعية بالله عز وجل يجعله يؤمن بربوبيته سبحانه لجميع العالمين
ورزقهم وهدايتهم ، كما يؤمن بالوحيته سبحانه ، وانه لا اله غيره ، ولا معبود بحق
سواه . قال تعالى : ((قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع
والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر ،
فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون فذل لكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق
إلا الضلل))^(١)

فلا يطلب الا من الله ، ولا يتوجه الا لله ، ولا يستعبد الا بالله ،
ولا يلتجئ الا لله .

(١) سورة يونس آية ٣١ - ٣٢ .

وايمانه باسمائه وصفاته مستلزمة ان لا يعطل شيئا منها ، ويؤمن بها بدون تشبيه او تعطيل او تمثيل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ويصفه بما وصف به نفسه او وصفه بها رسوله . مع اعتقاد ان صفاته سبحانه لا تشبه صفات المخلوقين .

فايمان الداعية بالله عز وجل يعطيه الثقة التامة على ان الله سبحانه اقرب اليه من حبل الوريد ، وانه احن به من امه التي ارضعته ومن والده الذي رباه ، وانه لا شيء قدره له من خير او شر الا فيه خير له في الدنيا ، او في الآخرة ، او فيهما معا ، ولكنه لا يستطيع ان يدرك هذه الحكمة الالهية لقصور ادراكه هذه الحكمة، فهذا الايمان هو الذي يدعوه الى حسن الظن بالله عز وجل في كل احواله وعدم القنوط من رحمة الله واليأس منه ، وبهذا يتحرر من الخوف والجبن والجزع ويتحلى بالطمأنينة والصبر والشجاعة والاقدام .

وهذا الايمان هو الذي يجعل الانسان مرطبا لسانه بذكره ويلهج بالثناء والحمد لله ، فيكون مع الله في سيره وعمله وراحته ، وهو الذي يرده عن غوائل الآفات والامراض النفسية والروحية مثل الحسد والحقد والبغضاء .

اخرج احمد في مسنده عن انس رضي الله عنه قال : (كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فطلع رجل من الأنصار تنطق لحيته من وضوئه ، وقد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته ايضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى . فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبدالله ابن عمر بن العاص ، فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي فعلت ، قال نعم ، قال انس : وكان عبدالله يحدث انه بات معه تلك الليالي الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئا غير انه اذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر ، حتى يقوم لصلاة الفجر ، غير اني لم اسمعه يقول خيرا ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت ان احتقر عمله قلت : يا عبدالله اني لم يكن بيني وبين ابي غضب ولا هجر ثم ، ولكن سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت انت الثلاث مرار ، فاردت ان آوى اليك لانظر ما عملك فافتدي به ، فلم ارك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما هو الا ما رأيت ، قال فلما وليت دعائي ، فقال : ما هو الا ما رأيت غير اني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ، ولا أحد أحد على خير اعطاه الله اياه ، فقال عبدالله : هذه التي بلغت بك ، وهي التي لا نطق^(١)

وايمانه بالله يبعث في قلبه الخشية والرغبة والرغبة فيرغب فيما رغبه الله فيه ، ويرهب مما رهبه منه ، اذا سمع وعد الله برقت اساريره وطمع فسي رحمة الله وثوابه ، واذا سمع وعيده وجف قلبه ودمعت عيناه وخاف من عذاب الله .^(٢)

واما ايمانه بالملائكة وانهم خلق من مخلوقات الله عز وجل خلقهم من نور واكرمهم بما ميزهم به عن بقية المخلوقات ، فايما هذا بيومه الى الايمان بأن الملائكة على درجات في المنزلة عند الله عز وجل ومنهم المقربون كجبرئيل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وملك الموت .

فايمانه بوجودهم يجعله يؤمن بآثارهم المترتبة على امر الله سبحانه وتعالى مثل وصول الوحي الى الانبياء والمرسلين ووقاة الخلائق بقبض ارواحهم ، وحفظ الانسان من اذى الجن وشورهم طول حياته : ((له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله))^(٣) .

وايمانه بالكتب يجعله يؤمن بان الله هو المشرع للخلق الى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم وانه اعلم بما يصلحهم ويؤلف شئاتهم ، وانه انقذهم بهذـه الكتب من التردى في الامور الرذيلة والفجور والفسق ، وكما يؤمن بأن الكتب المنزلة على موسى وعيسى والصحف المنزلة على ابراهيم وداود انما هي نبراس لتلك

(١) مسند احمد ١٦٦/٣ .

(٢) الدعوة الى الاسلام للبيانوني ص ٤١ .

(٣) سورة الرعد اية ١١ .

الأمم وان القرآن الكريم هو اعظم الكتب التي انزلها الله تعالى وآخرها ، وانها ناسخة لجميع الكتب السابقة ، وانه الكتاب الشامل لأعظم تشريع رباني تكفل الله لمن اخذ به ان يسعد في الدارين ، وتوعد من اعرض عنه بالشقاء فيهما .

وايمانه بالرسول يجعله يؤمن بانهم افضل الخلق عند الله وانه هياهم لحمل الرسالة واداء الأمانة وتبليغ الدين وكما يمنعه هذا الايمان من ان ينسب شيئاً اليهم من الرذائل والفسق والتعدي كما نسب ذلك اليهم اليهود والنصارى .

ويؤمن بأنهم من البشر يأكلون ويشربون وينامون .

وايمانه بالبعث يجعله يحاسب نفسه في اعماله ولا يقوم بعمل يرى ببصيرته انها تفضحه بين الخلائق يوم القيامة ويجعله يؤمن بان وراء الطاعة ثواب الله تعالى ورضاه ، وأن وراء المعصية عقاب الله تعالى وسخطه .

فمن آمن بالبعث والجزاء والعقاب آمن بما يسبق ذلك من عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين .^(١)

واما ايمانه بالقضاء والقدر فيجعله يسلم نفسه لحكمته ومشيئته سبحانه، وانه سبحانه عدل في قضائه حكيم في تصرفه وتدبيره وان ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن .

فهذا الايمان يرفع عن نفسه الحسد والحقد والبغضاء للآخرين ويجعله غير متأسف ولا متضجر مما هو فيه ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما اخطأه لم يكن ليصيبه .

فكل المنتحرين في العالم لو درسنا نفسياتهم لوجدنا انهم لا يؤمنون بقضاء ولا قدر فيتبرم بالحياة ويحاول ان يهرب من واقعه ويمم اذنيه عن فشله ، ويعمى عينيه عما يدور حوله وما يحصل بين الخلائق ممن هم امثاله ، فينتحر هرباً من هذه الدنيا .

(١) يراجع صحيح البخاري في الجنائر ٤٤٨/١ .

وعلى هذه المعاني من الايمان ينبغي ان يكون الداعية ليوافق بها صراع الحياة هذه .

مما سبق يظهر بان الايمان هو المرتكز الاساسي الذي يصدر عنه الداعية ولان الدعوة الى امر لا يؤمن به صاحبه امر متكلف ، لا يؤثر في المدعو ولا يفيد . فلا بد للداعية من توفر الأسس التالية :

الايمان بأن الاسلام هو النظام الالهي الوحيد القادر على أن يقوم بانقاذ البشرية مما يتردى فيه من الانحراف وما ينتشر فيه من الضلال ، وان الاسلام هو النظام الوحيد الذي يكسب البشرية السعادة الدائمة الكاملة ، كما يجعل الايمان هو الأساس والصلة الوحيدة في تحديد العلاقة بينه وبين الناس .

ان يتصف بالايمان العميق الذي تحتاجه الدعوة والايمان الذي يبعث الحرارة والحيوية الذي يستطيع به التأثير على الناس .

ان يحرص على ايمانه من النقص ، ويعمل لما فيه زيادة ايمانه وزيادته يقينه بالله عز وجل عن طريق العلم والفهم ، واليقين الصادق ، حتى يستطيع الاستمرار في الدعوة والثبات عليها .

ان يكون مؤمناً ذا وعي ، متنبها لما يدور حوله مقتنعا بالفكرة التي يدعو اليها ، عارفا بالهدف الذي ينشده ، والطريقة التي يسير عليها ، وبذلك يحفظ نفسه من مكايد الكائدين وشبهات المفللين .

الفصل الثالث

العمل الصالح

قال الله تعالى :

- (١) ((فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون)) الروم ١٥ .
(٢) ((من كفر فعليه كفره ، ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون))
(٣) ليجزي الذين آمنوا و عملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين))

يؤكد القرآن الكريم في كثير من آياته على العمل الصالح ، وذلك لأن الإيمان شجرة ثمرتها الاسلام ، والعمل الصالح زهرته اليانعة ، والإيمان لا يتجلى بالظهور الا حينما يظهر العمل الصالح متلاً ومضيئاً .

فالآية الأولى والاخيرة قرنتبين الإيمان والعمل الصالح ، وهذا كثير في القرآن ومن هذا التلازم يتضح ان العمل الصالح مصدق للإيمان ، كما ان الإيمان لازم لقبول العمل الصالح .

ويقول القرطبي رحمه الله : " بأن قوله تعالى : ((و عملوا الصالحات)) فيه رد على من يقول بأن الإيمان بمجردة يقتضي الطاعات ، لأنه لو كان ذلك ما اعاده فالجنة تنال بالإيمان والعمل الصالح ، وقيل الجنة تنال بالإيمان ، والدرجات تنال بالأعمال الصالحة " (٤)

ثم ان العلم الذي يناله الانسان يكون حجة له او حجة عليه ، وضابطهما هو العمل ، فالعمل الصالح هو مجال تطبيق العلم وتثبيته ، والخروج من مجاهدة النظريات والخيال الى واقع الحياة وميادين الجهاد والمجاهدة .

فالمعلومات النظرية التي لم ينقلها العمل من دائرة الذهن الى واقع الحياة تشبه الطعام الذي لم يحوله الهضم الكامل الى حركة وحرارة وشعور . (٥)

ويدخل في الاعمال الصالحة العبادات المفروضة التي يتقرب بها الى الله ، سائر اعمال البر التي ترضيه بما لها من التأثير في صلاح البشر ، كبر الوالدين وصلة الرحم ، واکرام اليتامى والمساكين ، وغير ذلك من الحث على الفضائل والزجر عن الرذائل ، والمعاصي الضارة بالابدان والأموال ، والاعراض والعقول والاديان .

(١) سورة الروم ١٥ .

(٢) سورة الروم ٤٤

(٣) سورة الروم ٤٥ .

(٤) تفسير القرطبي ٢٠٥/١ .

(٥) جدد حياتك للغزالي ص ٥٤ .

واعظم ضوابطها التقوى ، وهي الاسم الجامع لما يقي النفس من كل ما يدنسها وتسوء به عاقبتها في الدنيا والاخرة .

ويقول ابن القيم رحمه الله :

" وذلك بأن تجعل عملك تابعا للعلم ، موافقا له ، مؤتما به ، تسيـر

بسيره ، وتقف بوقوفه ، وتتحرك بحركته ، نازلا منازلها ، مرتويا من موارده ، ناظرا الى الحكم الديني الامرئ متقيدا به ، فعلا وتركها وطلبا وهربا ناظرا الى ترتيب الثواب والعقاب عليه سببا وكسبا . (١)

ولو تأملنا الامم السابقة وما اهلكوا بسببه ، لوجدنا ان كفر اليهود كان اصله من جهة عدم العمل بالعلم ، فهم يعلمون الحق ، ولكنهم لا يتبعونه قسولا او عملا .

وكذلك كفر النصارى : كان من جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون في اصناف العبادات بلا شريعة من الله ويقولون على الله ما لا يعلمون . (٢)

ومن هنا يتضح اهمية العمل الصالح وكونه قرين الايمان في آيات كثيرة في القرآن الكريم .

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة ؟ قال : بلى ، ولكن ما مفتاح الا وله اسنان ، فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك ، والا لم يفتح . (٣)

من أجل ذلك نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وامته الى اهمية العمل ، كما حذرهم من العاقبة السيئة يوم القيامة لمن يهتم بالقول ولا يعمل به ولا يطبقه .

فعن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) مدارج السالكين ٩٦/٢ .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥ .

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٩١ .

(لما اسرى بنى مررت على رجال تفرض شفاهم بمقاريض من نار ، قال : فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم ، وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون)^(١)

والصحابة رضي الله عنهم كانوا من احرص الناس على التطبيق العملي لما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من التطبيق العملي لشعائر الله عز وجل ، اذ وطن في نفوسهم انه لا ايمان بدون عمل ، وان العلم مما يحاسب عليه الانسان تطبيقا وابلاغا واعلاما للغير ، فبدلوا كل ما في وسعهم من جهد وطاقة في سبيل التطبيق مما اثار اعجاب العدو قبل الصديق ، فكل قول يقولونه يسبقه فعل وتطبيق ، اذ يرون نصب اعينهم قوله تعالى : ((ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون))^(٢) .

وذكر ابو عمرو الداني في كتاب البيان له باسناده عن عثمان وابن مسعود وابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها الى عشر اخر ، حتى يتعلموا ما فيها من العمل ، فيعلمنا القرآن والعمل جميعا)^(٣)

ولا يخفى ما في هذا البذل منهم من المشقة والعنت ، ولكن ذلك صار فيهم سجية وطبيعة متأصلة فسهلت عليهم تهذيب جماع انفسهم وترويضها فسي مرضاة الله عز وجل ، ومع الدوام والاستمرار سهل عليهم العمل بما علموا والتطبيق لما فهموا . لذا اثر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قوله : (انا يصعب علينا حفظ الفاظ القرآن ، ويسهل علينا العمل به ، وان من بعدنا يسهل عليهم حفظ الفاظ القرآن ويصعب عليهم العمل به)^(٤) .

(١) مسند احمد بن حنبل ٢٣١/٣ .

(٢) سورة الصف ٢ - ٣ .

(٣) تفسير القرطبي (المقدمة) ٣٤/١ .

(٤) المرجع السابق ٣٤/١ .

العمل الصالح والقدوة

العمل الصالح كالذي يهدي المائر ، ويرشد الضالين كما ينشرون على صاحبه بهاء وروبتا بألق به في سماء المجتمع الذي يعيش فيه ، فترى الناس به يقتدون ، وعلى منهجه يسرون ، ومن نصحه وارشاده وتوجيهه لا يشبعون .

لذا فقد اعتبره الشيخ عبدالكريم زيدان احد الاصليين اللذين تنبني عليهما القدوة الحسنة يقول : " واصل السيرة الحسنة التي بها يكون الداعي المسلم قدوة طيبة لغيره ترجع الى اصليين كبيرين : حسن الخلق ، وموافقة العمل للقول ، فاذا تحقق هذان الاملان حسنت سيرة الداعي ، وكانت سيرته الطيبة دعوة صامتة الى الاسلام ، وان فاته هذان الاملان ساءت سيرته ، وصارت دعوته منفرة عن الاسلام فليتنق الداعي ربه في هذا الأمر الخطير ولا يكون منفرا عن دين الله بسيرته وهو يريد الدعوة اليه بقوله " (١)

لذا نقول أن الداعية لا يكون قدوة بالعلم وحده ولا بالايمان وحده فلا بد له من العمل الصالح المطابق لعلمه وایمانه حتى يكون اشد تأثيرا في المجتمعات المختلفة ، وابلغ اثرا في نشر النضيلة ، واكثرا جلبا للقلوب التي في المدور ، فلا بد ان تنصرف همة الداعية اذن الى اصلاح نفسه وتهذيب سلوكه والجم جماعته بلجام الخير المطابق للكتاب والسنة .

ان القدوة الحسنة لا يساويها شيء في حسن التأثير ، فالكلام والبراعة فيه صنعة سهلة يجيدها الآخرون كما يجيدها المشعوذون والكذابون على السواء ، ويعرف سبيلها المخلصون والمنافقون . قال تعالى : ((ومن الناس من يعجبك قوله فسي الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)) (٢) .

وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من احرص الناس على هذا الأمر والزمهم بتباعد الطاعات واجتناب المحرمات ، بل كانوا يوصون بعضهم بعضا به

(١) اصول الدعوة ص ٤٢ ،

(٢) كيف ندعو الناس عبدالمدب ص ٨٤ . والآية في سورة البقرة ٢٠٤ .

ويذكرون بعضهم بعضا على الدوام والاستمرار عليه ، لأنها الملة العملية التي تقرب الى الله عز وجل وادراك رضاه سبحانه .

وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يقول : " اني اخاف ان يقال لي يوم القيامة اعلمت او جهلت ؟ فاقول علمت ، فلا تبقى آية في كتاب الله عز وجل أمـرة او زاجرة الا جاءتني تسألني فريضتها ، فتسألني الآمرة : هل ائتمرت ، والزاجرة : هل ازدجرت ؟ فاعوذ بالله من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع " (١)

لذلك نرى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي سعد بن أبي وقاص حين عينه اميرا على حرب العراق قائلا : " يا سعد سعد بني وهيب لا يغررك ان قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله ، فان اللمعز وجل لا يمحو السئ بالسئ ، ولكنه يمحو السئ بالحسن ، فان الله ليس بينه وبين احد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم ، وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة ، فانظر الامر الذي رأيت النبسي صلى الله عليه وسلم عليه منذ بعث الى ان فارقتنا فالزمه ، فانه الامر . هذه عظتي اياك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين " (٢)

لذلك كان اساس التفاضل في الاسلام هو الالتزام بالطاعة والالتزام بما يرضي الله عز وجل وان يجعل الانسان بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية باتباع اوامره واجتناب نواهيه وهو ما نسميه بالتقوى .

وكان التابعي الجليل طلق بن حبيب يقول : تقووا بالتقوى ، فليل له صف لنا التقوى ، فقال التقوى هي العمل بطاعة الله ، على نور من الله ، يبرجو رحمة الله ، وترك معصية الله ، على نور من الله يخاف عقاب الله . (٣)

فلا بد ان يكون الداعية نموذجا حيا لما يدعو اليه ، ومثلا حيا لكل خلق كريم يدعو اليه ، وفضيلة يحدث عنها ، فاذا دعا الى الصدق كان الصدق هو

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨٠ .

(٢) البداية والنهاية ١٥/٧ .

(٣) المرجع السابق ١٠٦/٩ .

ما يرى الناس منه ، ويعرفونه عنه ، واذا تحدث عن العفة والقناعة ، كان اعسف الناس عما في ايدي الناس ، واقنعهم بما بين يدين ، واذا تحدث عن الجهاد كان على رأس المجاهدين في مواقع الخير ، فلا يداهن ، ولا ينافق في اعلان كلمة الحق ، يقولها صريحة واضحة ، ولو كان على غير هوى اصحاب القوة والسلطان .^(١)

وكان العلماء رضوان الله عليهم يدفعون انفسهم الى ان يكونوا قدوة خيـر للناس ، ونيراس نور في حياة الناس ، واخوف ما كانوا يخافون ان يكونوا قدوة شر للناس يستدلون بهم في ارتكاب المحرمات فهذا اخوف ما كان يخافه الامام المبجل احمد بن حنبل حينما طلب منه ان يقر بخلق القرآن فيكون سبيلا لاضلال الناس وانحرافهم عن جادة الحق .

قال المروزي في محنة احمد بن حنبل وهو بين الهنبازين : يا استاذ قال الله تعالى : ((ولا تقتلوا انفسكم)) فقال احمد يا مروزي اخرج انظر أي شيء ترى ، قال فخرجت الى رحبة دار الخليفة فرأيت خلقا من الناس لا يحمي عددهم الا الله والصحف في ايديهم والاقلام والمحابر في اذرعهم ، فقال لهم المروزي : أي شيء تعلمون . فقالوا ننظر ما يقول احمد فنكتبه ، قال المروزي : مكانكم ، ثم دخل الى احمد وهو قائم بين الهنبازين ، فقال : رأيت قوما بأيديهم الصحف والاقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه ، فقال يا مروزي أضل هؤلاء كلهم . اقتل نفسي ولا أضل هؤلاء كلهم . قال ابن الجوزي : وانما تهون عليهم انفسهم لتلمحهم العواقب ، فعيون البصائر ناظرة الى المال لا الى الحال "^(٢)

فانتظار خلق بهذا العدد بأيديهم الصحف والاقلام والمحابر لم يكن يتم لولا ورع هذا العالم وتقواه وصبره على العذاب في سبيل الحق الذي يعتقد ولم يهن ولم يضعف امام قوة الجلادين ولا اسواط الضاربين ، فلم يكن كما يقول الخطيب البغدادي " كان العمل قاصرا عن علمه . ونعوذ بالله من علم عاد كلا واورث ذلا وصار في رقبة صاحبه غلا " ^(٣)

(١) الدعوة الى الاسلام للخطيب ص ٥٠ .

(٢) مناقب الامام احمد لابن الجوزي ص ٣٣٠ .

(٣) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص ١٤ - ١٥ .

وينبغي على العالم ان لا يرضى من افعاله الظاهرة والباطنة بالجائر منها ، بل يأخذ نفسه باحسنها واكملها ، فان العلماء هم القدوة ، واليهم المرجع فسي الأحكام ، وهم حجة الله تعالى على العوام ، وقد راقبهم للاخذ عنهم من لا ينظرون ويقتدى بهديهم من لا يعلمون ، واذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به ، كما قال الشافعي رحمه الله : " ليس العلم ما حفظ ، العلم ما نفع " .
 ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفساد لاقتداء الناس به .
 (١)

ولذلك كان المأمون يقول : " نحن الى ان نوعظ بلالاعمال احوج منسا أن نوعظ بالاقوال " (٢)

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين للمسمودي ٢٦٢/١ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨٥ .

سر تأثير القدوة

وسر تأثير القدوة الحسنة في اكتساب الفضائل يرجع الى :

ان العالم الملتزم في المجتمعات يحتل مرتبة محاطة بالتقدير والثناء ، والاطراء والاعجاب ، ويحاول المحتك بهم محاكاتهم في اخلاقهم وسلوكهم المطابق لما أمر الله به ورسوله .

لما يرى فيه من الدرجة والرفعة والاستقرار النفسي ، والطمأنينة الدائمة ، والتوازن الاجتماعي ، فيقنع هؤلاء بإمكانية ادراك هذه الدرجة من المهارات المكتسبة والكمال الخلقي .

وقد وجه القرآن الكريم بمراحة تامة الى القدوة الحسنة فقال : ((لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا))^(١) .

وفي الآية الحض على ان يجعلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة لهم في اعمالهم واقوالهم واخلاقهم وسلوكهم في الحياة .

ثم ان القدوة لم تنقطع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل بقيت في اصحابه وتابعيه ، ولا ينقطعون الى يوم القيامة .

روى البخاري عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يزال من امتي امة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك)^(٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة للناس ، لأنه بهمس نفوسهم ، فتعلقوا به واحبوه حبا لا نظير له ، ولانه الترجمة الصادقة لروح القرآن وتوجيهاته ، وكان خلقه القرآن ، وكان سلوكه يسبق قوله ، وقد أخذ عنه المحابة

(١) سورة الأحزاب آية ٢١ .

(٢) صحيح البخاري في المناقب ٣/١٣٣٠ رقم الحديث ٣٤٤٢ .

هذا الخلق ، واشربوا القدوة منه صلى الله عليه وسلم في قلوبهم وعقولهم واجسادهم في جميع احوالهم بملاحظتهم الدقيقة ومراقبتهم الدائمة لفكره وسلوكه ، وعرضه لدعوة الاسلام .

لذا فان من اهم الصفات التي يجب ان يلتزم به الداعية العمل بعلمه كسي لا يخالف قوله فعله ، ولا يخالف ظاهره باطنه ، فلا ينهى عن شيء حتى يكون اول تارك له ، ليفيد وعظه وارشاده ، فان من حث على التحلي بفضيلة وهو عاطل منها ، أو امر بالتخلي عن نقيمة وهو ملوث بها لا يقابل قوله الا بالسرد ، ولا يعامل الا بالاعراض والاهمال ، بل يكون موضع حيرة البسطاء ، ومحل سخرية العقلاء . (١)

ومن هنا كان حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توصية الرجل وهو يظفر بذات الدين ، لانها الركن الركين في اقامة البيت المسلم ، والاسرة المسلمة وفي تنشئة الاطفال - بالقدوة قبل التلقين - على قيم الاسلام ومبادئه منذ نعومة اظفارهم ، فتصبح عادة لهم وطبيعة ، وجزءاً من كيانهم ليس من السهل ان يحددوا عنه حين تحاول ان تلويهم الاعاصير . (٢)

فالداعية يقوم بعمل الانبياء والمرسلين ، فاذا فعلوا شيئاً لحظتهم العيون واذا قالوا صغت لهم الأذان ، ناظرين اليهم نظرة اجلال وتقدير ، فاذا كان فعله لا يطابق قوله فانه لا تأثير له على الناس ، ويكون ذلك مدعاة لانصراف الناس عنه .

(١) هداية المرشدين ص ٩٠ .

(٢) منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب ١١٩/٢ .

العمل الصالح دليل على الشكر

كل انسان مدين لله عز وجل بجسمه وعقله وقلبه وصحته وطعامه وشرابه ، فلو فقد الانسان طعامه وشرابه لاختل توازنه الانساني جسما وعقلا وفكرا ولضعفت معنويته ولانهارت قواه ، ولذهبت طاقاته وامكانياته على العطاء والعمل . قال تعالى : ((والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون))^(١) .

لذا فلا بد لكل انسان ان يؤدي شكره لله تعالى بالحرص على العمل الصالح وبذل ما منحه الله تعالى من قوة في اداء اوامره تعالى على الوجه الذي يرضيه وينتهي عما نهي عنه على الوجه الذي يريده ، فهذه الطاقات الكامنة في النفوس اذا لم تشغل في العمل الصالح فلا بد لها ان تشغل بالعمل الفاسد والافساد فسي الأرض والانهماك على الملذات والتهايوي الى موارد التلف ((انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا))^(٢) .

ولما كانت النفس أمارة بالسوء الا من رحم الله تعالى كان من الضروري ان نجبر انفسنا على الالتزام بمنهج الله سبحانه ، فطاعة الله والحرص عليهما لا تأتي بغير ركوب المكاره وبغير نوال الشدة والمشقة ، وبدونها لا نستطيع أن نؤثر في غيرنا ، وفاقد الشيء لا يعطيه .

ثم ان الحرص على الوقت من العناصر المهمة في سبيل العمل الصالح ، فالمؤمن مسئول عن وقته وعن علمه وعن ماله لما ورد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما افناه ، وعن علمه فيما فعل ، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن جسمه فيما ابلاه) رواه الترمذي في باب شأن الحساب والقصاص ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .^(٣)

(١) سورة النحل آية ٧٨ . (٢) سورة الانسان آية ٢ - ٣ . (٣) الترمذي في كتاب الزهد ٧٧/٢ ، وقال الالباني اسناده صحيح . اقتفاء العلم للعمل ص ١٦ . الخَطِيبُ البغدادي

ويمكن ان نستفيد من هذا الحديث الشريف على ان العمل الصالح فرصة ثمينة لمن اراد الخير ، فاما ان يبحث عنه حتى يوفق اليه أو يتميد الفرصة المواتية له ان مرت عليه ، ولذلك يستطيع ان يزكى نفسه ، ويظهر قلبه ، ويكون قدوة للناس في حياته ، بالاضافة الى الأجر الذي يضاعفه الله له اضعافا كثيرة ، فربحه يضاعف عشرة من امثاله ، بل مئات الأمثال ، وذلك مما لا توفره تجارات الدنيا ((من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم)) (١) .

هذه المضاعفات التي تزيد في نضرته في ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

فالقول ان لم يمدقه العمل كان هذا القول اهدارا لقيمة المبدأ الذي يدعو اليه ، واستخفافا بالمعنى الذي يبثه في نفوس المدعوين ، وقد ذم الله سبحانه وتعالى علماء اليهود بأنهم كانوا كالحمار الذي يحمل اسفارا ، وهو مثل دل على ان العالم الذي لا يعمل بعلمه يكون مثله مثل الحمار الذي لا يستفيد من علمه ولا ينال في حياته الا المشقة والتعب والارهاق بدون مردود من فائدة تسجل له بالاضافة الى انه يدخل ضمن غير العقلاء وغير اهل الفهم والادراك .

ففي قوله تعالى : ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلونون الكتاب افلا تعقلون)) (٢) نرى التوبيخ والتقريع لهم على عدم العمل ، وعلى عدم الاستفادة مما علموه ، فالانسان الذي لم يقربه علمه من الله لم يزد من الله الا بعداً .

(١) سورة الحديد آية ١١ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٤ .

العمل الصالح علامة من يحب الله

ان الحب يورث شدة الولاء ، ويبعث على العمل والاجتهاد قربي للمحبوب وابتغاء لمرضاته ، عملا من تلقاء النفس وطوعها ، لا يراقب منفعة. مرجوة ولا تحده مراعاة اجر مرغوب ، فما يزال صاحبه في بذل وعطاء حتى يفرغ جهده او ينقضي عمره .

فادنى اطماع المحبة ممن تحب ، الحظوة منه ، والرفعة لديه ، والزلفى عنده اذا لم تطمح اكثر ، وهذه غاية اطماع المحبين لله عز وجل .^(١)

لذا فالأصل في المسلم هو حب الله وحب ما يحبه الله ، فمن أحب الله واحب ما يحبه الله كان من اولياء الله ، وكثير من الناس يدعى المحبة من غير تحقيق . قال الله تعالى : ((قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم))^(٢) .

قال بعض السلف : ادعى قوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فانزل الله هذه الآية .^(٣)

فمحببة الله عز وجل تقتضي فعل ما يحبه الله وتنفيذ اوامره بدقة ، رغبة ورهبة وترك منهياته بحرص رغبة ورهبة ، ولا يتفاوت الناس في المرتبة عند الله عز وجل الا بقدر تنفيذهم للوازم المحبة هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله احب اليه ممسا سواهما ، وان يحب المرء لا يحبه الا لله ، وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار)^(٤)

واذا كان حب المرء لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم دل على

-
- (١) الاخلاق والسير لابن حزم ص ٥٠ .
 - (٢) سورة آل عمران آية ٣١ .
 - (٣) مجموع الفتاوى ٥٢٠/١١ .
 - (٤) صحيح البخاري في الايمان ١٤/١ رقم الحديث ١٦ .

ايمانه ، فان العمل كذلك ثمرة من ثمار الحب وشاهد على صدقه ومعيار لتمكنه من قلبه ، مما يجعله دائم البحث عن مرضاة الله فيما يستطيع ان يقدمه أو يبذله في سبيله فيقدم نفسه رخيمة في سبيل اعلاء كلمته ، ويبذل ماله لمن يجاهدون اعداءه ويعطف على الفقير والمسكين واليتيم رغبة في مرضاته سبحانه . قال تعالى :

((ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد)) (١) ، وقال :

((ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)) (٢) .

وقال رجل لابراهيم بن ادهم . قال ، الله تعالى : ((ادعوني استجب لكم)) (٣)

فما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ فقال ابراهيم من اجل خمسة اشياء . قال : وماهي ؟ قال : عرفتم الله فلم تؤدوا حقه .

وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه .

وقلتم نحب الرسول صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته .

وقلتم نلعن ابليس واطعتموه .

(٤) والخامسة تركتم عيوبكم واخذتم في عيوب الناس .

(١) البقرة آية (٢٠٧) .

(٢) الانسان ٨ - ٩ . غافر (٦٠) .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨٢ .

البعد عن العمل مضر بالداعية والدعوة

ان سلوك الداعية حينما يكون مخالفا لقوله ، وما يصدر عنه من افعسال مخالفة لوعظه وارشاده ، وطمعه في حطام الدنيا تعكس الادعاء بزهده ، فـان المدعويين يكونون اشد فرارا منه من الاسد في عرينه ، اذ يقول قائلهم : لو كان هذا الدين هو الحق لظهرت احقيته على ظاهره وظاهر اتباعه وتصرفاتهم .

فبعد الداعية عن الالتزامات الشرعية والتكاليف الربانية يجعله فتنة وبلاء على الاسلام ، وبسببه ينصرفون عن دين الله افواجا ، لذا نرى الامام ابن القيم يشنع عليهم اعظم تشنيع فيقول :

" علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون اليها الناس باقوالهم ، ويدعونهم الى النار بافعالهم ، فكلما قالت اقوالهم للناس هلموا ، قالت افعالهم لا تسمعوا منهم ، فلو كان ما دعوا اليه حقا كانوا اول المستجيبين له ، فهم في الصورة ادلاء ، وفي الحقيقة قطاع طرق " (١)

ولما كانت سعادة النفس ولذتها بالعمل الصالح كان تركه حرمانا للنفس من الخير ، والم وحسره ، ونقص من حيث يظن السعادة والنعيم ، فلذتها بقسدر ما يحصل لها من راحة نفسية نتيجة السلوك المرضي والمها وخسرتها بحسب ما فاتها من ذلك . فمتى تجردت النفس من العمل كانت القوى النفسانية هـمي الباقية فقط ، والتي بها يأكل ويشرب وينكح ويغضب ولا يلحقها من جهتها شرف ولا فضيلة ، بل خسارة ومنقصة لاتفاقه بـميزات القوى الهيمية وربما زادت عليه .

فخطأ الداعية ومخالفته لقوله من اعظم المصائب التي تصرف الناس عن اهل العلم اذ لا يتأثرون بما يقوله ولا يأخذون بما يتكلم به ، فالقول الذي يصدر عن القلب وصدقه العمل يجد طريقه بسهولة الى قلوب السامعين ، واما ان كان قولسه مخالفا لفعله فان قوله ينزلق عن قلوب الناس ولا يتأثرون به .

لذا كان مالك بن دينار يقول : " العالم الذي لا يعمل بعلمه بمنزلة الصفاة اذا وقع عليه القطر زلق عنه " (٢)

(١) الفوائد ص ٦١ .

(٢) اقتضاء العلم العمل ص ٦٢ ، وجامع بيان العلم ص ٢٨٧ .

لذا فان العمل من اكثر المؤثرات في النفوس وفي القلوب ، فالتاجر —
والعامل المنتهى عما نهى الله عنه من الغش والخداع في المعاملات يكون داعية
بما يثيره في نفوس مرتاديه من الحب والالتزام ، بل ان ذلك يكون مدعاة لكثرة
رواده ، وهذا في امر بسيط ، فكيف بالذى يدعو الى الله عز وجل بالعلم والعمل .

ويقرر علماء التربية ان الايحاء العملى اقوى اثرا في التربية من الايحاء
النظري ، فاذا قلت لطفلك : لا تخف وأنت ترتعش من الخوف ، كان سريان عدوى
خوفك اليه اقوى من الأقوال التي تنادي فيها بعدم الخوف مهما كانت بليغته
مؤثرة .

واذا أراد الداعية ان يوقد الحماس في نفوس الناس ، فلا بد ان يكون
بنفسه متقدما حماسا ، لأن الحماس الكاذب والمتكلف لا ينتج الا حماسا كاذبا
او متكلفا .

وقد كره الله عز وجل هذا اللون من السلوك الناقص ، لأنه اقرب الى
الادعاء ، ولأن اصحابه يقصرون ، وهم ابصر من غيرهم بمواطن الرشد^(١) ((يا أيها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون))^(٢) .

(١) جدد حياتك للغزالي ص ١٨٢ .

(٢) سورة الصف آية ٢ - ٣ .

من نتائج الايمان والعمل الصالح

- (١) النجاة من الخسران : ((والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات))^(١) .
- (٢) المغفرة والاجر العظيم : ((وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما))^(٢) .
- (٣) قبول التوبة وابدال السيئات حسنات : ((الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما))^(٣) .
- (٤) تحقق الفلاح : ((فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين))^(٤) .
- (٥) دخول الجنة : ((ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا))^(٥) ..
- (٦) ((فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون))^(٦) .
- (٦) التمكين والاستخلاف في الأرض والأمن من الخوف : ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض/وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا))^(٧) .
- (٧) القرب من الله حتى يكون من اوليائه لما ورد في البخاري عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله قال : من عسادي لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت

-
- (١) سورة العصر آية ١ - ٣ .
- (٢) سورة الفتح آية ٢٩ .
- (٣) سورة الفرقان آية ٧٠ .
- (٤) القصص آية ٦٧ .
- (٥) سورة النساء ١٢٤ .
- (٦) سورة الروم ١٥ .
- (٧) سورة النور ٥٥ .

عليه ، وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببتــــه
كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،
ورجله التي يمشى بها ، وان سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ،
وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وانــــا
أكره مساءته (١) .

وبعد هذا اقول بأن مثل هذه النتائج والآثار ، وهي غيـض من فيض من اهم
العوامل الأساسية في تعديل سلوك المسلم ، ودفعاً له اليه ، والعالم والداعية اشد
دفعاً له ، وهذا ما يجعله يتحكم في سلوكه ، وفي قوله وعمله ، ويحاول جاهداً
أن يوجهه الى طريق السعادة ، ويبعد بها عن طريق الشقاوة ، وسر الاخلاص فــــي
العمل والاحسان فيه سر عظيم يميز هذه الأمة المحمدية عن الامم الأخرى ، ويرفعهم
فوق تلك الأمم التي لا هم لها الا الرفعة في الدنيا فقط .

فالعمل بالعلم من اهم اركان من يتصدى للدعوة الى الله ، بل هو ســــر
نجاحه في دعوته ، وسر القبول الذي يلقيه ممن توجه اليهم الدعوة .

(١) صحيح البخاري ٢٣٨٤/٥ رقم الحديث ٦١٣٢ .

الفصل الرابع

الصبر

قال الله تعالى : ((فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون))^(١)

ففي هذه الآية الكريمة أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يتصف بهذه الصفة وهي الصبر ، فدللت الآية على ان هذه الصفة من الصفات المحمودة والمطلوبة من الانسان ، فان الله سبحانه لا يأمر نبيه بالتزام خلق من الاخلاق الا اذا كانت ممدوحة ومحمودة .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية :

" أي اصبر على مخالفتهم وعنادهم ، فان الله تعالى منجز لك ما وعدهك من نصره اياك عليهم ، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ، وقوله : ((ولا يستخفك الذين لا يوقنون)) أي اثبت على ما بعثك الله به ، فانه الحق الذي لا مرية فيه ، ولا تعدل عنه ، وليس فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله منحصر فيه " .^(٢)

وقال القرطبي رحمه الله :

" أي اصبر على اذاهم فان الله ينصرك ، ولا يستفزك الذين لا يوقنون ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته " .^(٣)

وفي الجلالين : أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر .^(٤)

وهذا ما ذهب اليه صاحب اضواء البيان بأن مثل هذه الآيات يراد بها التشريع لأمته ، لأنه صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك الأمر .^(٥)

-
- (١) سورة الروم آية ٦٠ .
 - (٢) تفسير ابن كثير ٤٤٠/٣ .
 - (٣) تفسير القرطبي ٥١٣١/٧ .
 - (٤) تفسير الجلالين ٦٧/٢ .
 - (٥) اضواء البيان ٤٩٢/٦ ..

ولا شك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يتطلب منهم الصبر اكثر من غيرهم لما يجابهوا به من المدعوين من الوان الأذى ، والوان الصد والانصراف ، امام شدة حرص رسل الله على ابلاغهم ما يهديهم سبيل الرشاد ، وينير لهم الطريق ، ويدلهم على السعادة ، وهذا ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يداوم في دعوتهم بدون راحة أو كلل او فتور .

تعريف الصبر :
(١) الصبر في اللغة هو الحبس واعالى الشئ وجنس من الحجارة .

ويأتي بمعنى الاكراه اذا صبر الحاكم انسانا أي حبسه على يمين ، وكل من قتل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ فانه مقتول صبرا .
(٢)

والصبرة : ما جمع من الطعام بعضه فوق بعض بلا كيل ولا وزن .
(٣)

ومنه المبرة بالضم للارض ذات الحصب لشدتها وصلابتها . لذا قيل انسه مأخوذ من الضم والجمع ، فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع ، فالصبر فيه المعاني الثلاثة : المنع والشدة والضم .
(٤)

والصبر في الاصطلاح : هو ترك الشكوى من الم البلوى لغير الله لا الى الله ، لأن الله تعالى اثنى على ايوب عليه السلام بالصبر فقال : ((انا وجدناه صابرا))^(٥) ، مع دعائه في دفع الضر عنه بقوله : ((وأيوب اذ نادى ربه انسي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين))^(٦) .

وقيل : الصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكى ، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما .

وقيل : الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب .
(٧)

-
- (١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٣٢٩ .
 - (٢) لسان العرب ١/٤٠٣ - ٤٠٥ .
 - (٣) القاموس المحيط ٢/٦٨ .
 - (٤) عدة الصابرين لابن القيم ص ١٢ .
 - (٥) سورة ص آية ٤٤ .
 - (٦) سورة الأنبياء آية ٨٣ . (التعريفات للجرجاني ص ٦٩) .
 - (٧) عدة الصابرين ص ١٢ .

وقيل : الصبر قوة خلقية من قوى الإرادة ، تمكن الانسان من ضبط نفسه لتحمل المشقات والآلام ، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل ، والعجلة والرعونة ، والغضب والطيش والخوف والطمع ، والاهواء والشهوات والغرائز .^(١)

وقيل : الصبر عبارة عن مخالفة الهوى والميل عن شهوات الدنيا .

وقيل : انه عبارة عن مقاومة باعث الدين في مقاومة باعث الهوى .

وعلى هذا يكون المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين ، لأن اليقين يعرفه ان المعصية ضارة والطاعة نافعة ، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر .^(٢)

وقيل : الصبر حبس النفس لمصادفة المكروه ، وصبر الرجل حبس نفسه عن اظهار الجزع ، والجزع اظهار ما يلحق المصاب من المصن والغم .

والصبر على الشدة يفيد حبس النفس عن المقابلة عليه بالقول والفعل ، والصبر عن الشيء يفيد حبس النفس عن فعله .^(٣)

ومن الأهمية بمكان ان نعلم ان الصبر لا يكون صبرا الا على ما ليس الى العبد في ازالته قوة وامكان ، فلو ترك الانسان الماء مع وجوده وتألم للعطش الذي يصيبه من ذلك فانه لا يسمى صبرا ، وهذا مما لا يؤمر بالصبر عليه .

واما حكم الصبر فهو واجب باجماع الأمة ، وهذا الوجوب في الجملة لا في التفصيل ، اذ ان حكم الصبر انما يكون بحسب المصير عنه ، او المصير عليه .

فالصبر عن المحرمات واجب ، وتتأكد درجة وجوبه بمقدار عظم المحرم .
اما الصبر عن المكروه ، او عما هو خلاف الأفضل والامثل ، فلا يمل درجة الواجب ، وانما هو مستحب ، او خير من مقابله .^(٤)

(١) الاخلاق الاسلامية لحبنة ٢٩٣/٢ .

(٢) تصفية القلوب من الاوزار والذنوب للذماري ص ٢٩٣ .

(٣) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٦٥ .

(٤) الصبر في القرآن للقرضاوي ص ٣٣ .

اسماء الصبر باعتبار حقيقته

الصبر لفظ عام يقصد به حبس النفس ، والجسد تبع له ، وحسب نسوع
الحبس هذا يسمى هذا الشيء ، على انه قسم من أقسام الصبر ولازمة من لوازمه .

فاذا حبس الانسان نفسه عن الزنا قيل عفة ، وان حبس نفسه عن افشاء السر
سمي كتماننا ، وان حبس نفسه عن الانتقام وعن اجابة داعي الغضب سمي حلما وعفوا
وان حبس نفسه عن الحرص على المال والامساك به سمي سخاء ، وان حبس نفسه عن
فضول العيش سمي زهدا ، وان حبس نفسه عن التولى في الحرب سمي شجاعة .

ويمكن تقسيم الصبر باعتبار العسر واليسر الى ما يكون شاقا على النفس
وهذا ما يسمى تصبرا ، والى ما يكون وقوع الصبر فيه من غير شدة ولا مكابدة ،
ويسمى هذا صبورا ، اذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى ،
تيسر الصبر وسهل . (١)

وبهذا المعنى يكون الصبر مرتبنا بما يأمر به العقل ، وما تهدف اليه
الحكمة ، ويكون الصابر واعيا لكل ما يفعل ، ومدرك لما يصبر عليه احتسابا ،
وهذه نظرة عميقة لمفهوم الصبر ، غير النظرة الساذجة التي يراها الباحثون في
علم النفس الحديث من ان الصبر نوع من الكبت ، وان جوهر الكبت يكمن في
تجنب ما هو مؤلم ، وان مصدره صراع بين رغبات واهواء متضادة متضاربة ، وانه
فرار من الوعي الى اللاوعي . (٢)

ولو تأملنا نظرياتهم في الكبت لوجدناها تعتمد على الشهوانية المحضنة
التي لا تقف عند حد ، ولا يردعها خلق او دين ، وغير معترفة بام او اخست
او غيرها ، وهي التي يسمونها بعقدة اوديب ، الذي ابتكرها اليهودي المنحرف
(فرويد) .

(١) - تصفية القلوب من الاوزار والذنوب للذماروكاص ١٩٤ .

(٢) - نحو علم نفس اسلامي لحسن الشرفاوي ص ٣٠٨ .

وأما اقسام الصبر باعتبار محله فعلى قسمين :

(١) جسمي اختياري : وهو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية بارادته واختياره ،
كالمشي ودفح الحجر .

ثم جسمي اضطراري : اذ ليس للانسان خيار في ان يزيله عنه ، فهو امام
خيارين : الصبر ، أو الجزع ، ومنه الصبر على الم الضرب والمــــرض
والجراحات .

(٢) نفسي : وهذا النوع مرتبط بالنفس لا بالجسد . وينقسم الى قسمين :
اختياري : كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا ولا عقلا ، ممن
مشتهى تميل اليه النفس .

اضطراري : كصبر النفس على محبوبها قهرا اذا حيل بينها وبينه . (١)

والذي يميز الانسان عن غيره من الحيوان هو النوع الاختياري ، اذ يدرك
بعقله أهمية هذا الاختيار وانه مما يزين حاله ويرفع مكانته عند الله ثم عند
الناس .

من هذا نعلم ان الصبر الذي يثاب عليه الانسان بغير حساب ((انما يوفى
المصبرون أجرهم بغير حساب)) (٢) على ثلاثة أنواع : صبر على المأمور ، وصبر
عن المحذور ، وصبر على المقدور . (٣)

فالعبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من الأحوال ، وذلك ان جميع
ما يلقي العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين :

النوع الأول : ما يوافق هواه من الصحة والسلامة والمال والجاه ، وكشسرة
العشيرة والاتباع وجميع ملاذ الدنيا ، فان العبد محتاج الى الصبر في جميع هذه
الأمر بعدم الركون اليها وعدم الانهماك في التلذذ بها ، ومراعاة حق الله فسي
ماله بالانفاق ، وفي بدنه بالمعونة للحق .

(١) يراجع : الذريعة ٢١٨ ، عدة الصابرين ص ٢٠ .

(٢) سورة الزمر آية ١٠ .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ٥١١ .

النوع الثاني : ما يخالف هواه . وهو على ثلاثة أقسام .

أحدها : الطاعات فيحتاج الى الصبر عليها ، لان من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالملاة ، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ، ومنها ما يكره بسببهما معا كالحج والجهاد . ويحتاج العبد فيها الى الصبر على طاعته ففي ثلاثة احوال : قبل العبادة بتصحيح النية ، وفي نفس العبادة بعدم الغفلة والكسل ، وبعد الفراغ بعدم افشائه لاجل الرياء والسمعة .

ثانيها : الصبر عن المعاصي : كمعاصي اللسان ونحوه ، وهو عنصر المقاومة

للمغريات .

ثالثها : ما لا يدخل تحت الاختبار كالمصائب ، وسائر أنواع البلاء ، فالصبر

على ذلك من اعلى المقامات لان سنده اليقين ، ومنه الصبر على اذى الناس من قول او فعل او جناية على نفسه وماله ، والصبر عليه يكون بترك المكافآت وهو من اعلى المراتب . (١)

— واما الصبر المحظور فهو الصبر عن الطعام والشراب حتى يموت ، وكذلك

الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة .

— واما الصبر المكروه فمثل : الصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع

الأهل حتى يتضرر بدنه ، وكذلك صبره عن فعل المستحب . (٢)

وقد سمي الامام الغزالي رحمه الله صفة الصبر التي فارق بها الانسان

البهائم في قمع الشهوات وقهرها (باعث ديني) وسمى مطالبة الشهوات بمقتضياتها

(باعث الهوى) واعتبر المعركة قائمة بين الباعثين : باعث الدين ، وبعث الهوى

وان الحرب سجال بينهما ، ومكان المعركة هو قلب العبد ، ومدد باعث الدين

الملائكة ، ومدد باعث الشهوة الشياطين ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص ٢٦٩ - ٢٧١ بتصريف .

(٢) عدة الصابرين ٣١ .

مقابلة باعث الشهوة ، فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة ، فقد نصر
حزب الله والتحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في
دفعها التحق با تباع الشياطين . (١)

لذا فان الصبر يحتاج الى العزيمة سواء في الصبر على الطاعات ، أو في
الصبر عن الشهوات ، وبدون العزيمة والقوة الدافعة في النفس اليه فانه لا يستطيع
مدافعة الشيطان والتغلب عليه ، وهذا مرتبط بالايمان وقوته .

(١) احياء علوم الدين للغزالي ٢١٨١/٤ .

علاقة الصبر بنجاح الداعية

الانبياء أفضل خلق الله عز وجل واقربهم الى الله ، فهم اولياء الله عز وجل ارسلهم الله الى الخلق بعد ان هياهم لحمل الرسالة واداء الامانة . لذا كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالأمثل .

ولما كان الدعاة الى الله عز وجل هم الذين ورثوا وظيفه الانبياء ففي تبليغ رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وحملوا بعده امانة التبليغ فقد تحملوا عنه ايضا ثقل البلاغ وما يترتب عليه من الاذى والامتحان .

لذا فلم يكن حمل الدعوة وتبليغها بالأمر الهين والطريق الميسور ، ولا يستطيعها الا من لديه عزم وقوة وثبات ، وفداء نفس في سبيل الله تنفيذا لاوامره غير هيب مما يصيبه في طريقه من اذى وبلاء .

فالداعية ينبغي له ان يتحلى بالصبر على حسن الطاعة وترك المعاصي وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل ، وهذا كله قبل ان يصبر على اذى المدعوين وعنادهم ومجابتهم له .

وبالجملة فالداعية يدعو لمعرفة الله سبحانه ، ومن كانت هذه دعوته ، وهذه مهمته ، وهذا شأنه وديدنه ، فالزم ما يكون له ، واوجب ما يكون عليه ان يكون شديد الصلة بهذا الاله الذي يدعو اليه الليل والنهار^(١) ، والا لم يكن لدعوته تأثير ، ولا لقوله وقع في النفوس [ولا لحضوره تقدير واحترام ، فلا بد من ميزه تميزه عن العوام بالجهد والصبر والايثار والتضحية والفداء .

ولا يمكن ان يحصل له كل هذا الا بكثرة الطاعات والقربات مما يجبها الله ويحض عليها عباده .

كما لا يمكن ان يحصل له هذا ايضا الا بالانتهاء عما نهى الله عنه من المعاصي والآثام التي تبعده عن الله وعن الخلق .

(١) مرشد الدعاة ص ٢١٥ .

وكذلك تحمله لما يصيبه من المصائب والآلام في جسمه وفي نفسه وفي ماله وأهله .

ولا يمكن ان يتأتى له كل هذه الأمور الا بعقد العزم على الصبر في الطاعات والصبر عن المعاصي والصبر على المقدرات التي يقدرها الله عليه .

وان احس الداعية في نفسه مرضاً من الأمراض النفسية فعليه ان يعالج نفسه ، والا صار مغموزاً وملموزاً بين الناس ، فمن لم يستطع معالجة نفسه واهله واولاده فهو عن معالجة غيره ابعد واعجز .

فابواب الصبر التي يجب ان يتحلى بها الداعية ، صبره في طعامه وشرابه وسكنانه ومركوبه وان لا يدخله التنافس الذي ذكره الله في قوله : ((الهكُم التكاثر حتى زرم المقابر))^(١) ، والا تحول من الرأس الى الذنب ومن المتبوع الى التابع وصار يطارد الدنيا ليشبع نهما التنافس والتفاخر في المال وغيره .

ولابد له من ان يمسك لجام لسانه عن الكلام بما لا يرضي الله سبحانه ، فان اللسان رحب الميدان في الخير والشر ، فمن اطلقه ولم يضبطه بالشرع سلك به الشيطان المهالك ، وكبه الله في النار ، وذلك من ضعف الصبر .^(٢)

ومن المعلوم ان الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، يمتحنون في ايمانهم وصدق ما يدعون اليه ، ومقدار ثباتهم على الحق والمبدأ ، ورفض المغريات باشكالها والوانها حتى يظهر المخلص منهم من غير المخلص بما قدموا من ارواحهم وجهدهم وفكرهم في سبيل اعلاء كلمة الله وفي سبيل اخراج الناس من الظلمات الى النور ، ولا يمكن ظهور هؤلاء الا بالصبر ، قال الله تعالى : ((احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذابين))^(٣)

(١) سورة التكاثر آية ١ - ٢ .

(٢) تسلية أهل المصائب ص ٢٠٥ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٢ - ٣ .

ثم ان الدعوة الى الله عز وجل تكون بين اناس مختلفي المذاهب والميول ،
اناس اخذوا من اسلافهم الشرك والخرافات وتعودوا على اخلاق جاهلية تركزت في
نفوسهم ، وامام ملأ امتلأت نفوسهم ضيقا وتبرما ما بين خائف على منزلته وسلطته
أو خائف على سلطانه من الزوال أو الزعزعة ، فيرى في هذه الدعوة شرا مستطييرا
على مكتسباته من المكانة والمنزلة بين قومه ، فيعاند ويكابر من ان يتبع هذه
الدعوة ، او يتهم ويفتري على الدعاة لتنفير الناس عنه ، او يغري رعاي الناس
على اذاه وطرده .

فمن الذي يستطيع ان يجابه كل هذه الممائب والآلام الا من كان متمصفا
بالصبر ومتحليا بالحلم ومتطبعا بالشفقة والعطف يجابه العناد بالحسنى ويجابه
الأذى بالحلم . انه لا يقوى على ذلك الا من قواه الله عز وجل .

فالصابر اما ان يكون صبره طبعا أو تطبعا ، والحلم كذلك طبعا أو تطبعا
وكلاهما مما يعينه الله عليه بحسن النية والاخلاص . وحين امر الله سبحانه
بالتواصي قرن التواصي بالصبر مع التواصي بالحق ، واقسم على ان فلاح البشر منوط
بهما .

وهذا التواصي احوج ما يكون اليه الدعاة ، لما في الدعوة من مشاق
وما يتعرضوا له من متاعب وآلام ، وهذا مرتبط بالعزيمة كما ذكر ذلك من قبل ،
كما قال تعالى حكاية عن لقمان وهو يعظ ابنه : ((.. واصبر على ما اصابك ان
ذلك من عزم الأمور))^(١)

ويشدهم لهذه العزيمة انتظارهم للمكافأة العظمى من حسن الجزاء وجنة
عرضها السموات والأرض والنجاة من احوال يوم القيامة .

كما ينبغي للدعاة ان يطلبوا من الله العفو والعافية ولا يتمنوا الابتلاء
لأنه صعب تحمله الا من سهل الله عليه ذلك .

وعلى الداعية ان يتحلى بالصفات المنبثقة من الصبر ، لما فيه من الدلالة
على اخلاصه ولكي تكون معينة له على نجاحه في مهمته ، فمن تلك الصفات :

(١) سورة لقمان آية ١٧ .

الحلم :

وأهى الاناة و التثيت فى الامور ، و ذلك شعار العقلاء ، و الصفة المضادة له :
العجلة الرعناء ، و سرعة الغضب.

الرفق بالمدعو اثناء توجيه الدعوة اليه :

ان الرفق فى توجيه الدعوة عامل عظيم الاهمية بالنسبة للمدعويين و التأثير عليهم
لما فيه من جذب النفوس و التألف و التحيب الى المدعو . قال تعالى : (فيما رحمة
من الله لنت لهم و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ٢
و عكسه العنف و الفسوة و الشدة فى توجيه الدعوة ، و لا ينتج عن هذه الصفات الا النفرة
و العداوة و الشحناء و قد يصل الى الردة عند ضعيف الايمان و قد يعرض معرض عن
الاسلام بسبب احد الدعاء من الذين لم يراعوا مسألة الرفق فى تليغ الدعوة . و ما احسن
قول عمر رضى الله عنه فى هذا الجانب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(ايها الناس لا تبغضوا الله الى عبادة ، ففيل كيف ذاك اصلحك الله ؟
قال : يجلس احدكم قاصا على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه ، و يقوم احدكم
اماما فيقول على الناس حتى يبغض اليهم ما هم فيه . ٣
فادا كان كلامه هذا فى المسلمين ، فاهل الكتاب و الجاهل و المبتدئين هم احوح السى
هذا الرفق من غيرهم . و احسن بداية فى الدعوة الى الله الرفق ،
فمن صحت بدايته حسنت نهايته .

(١) النهاية فى عريب الحديث ٤٣٤/١ .

(٢) آل عمران آية ١٥٩ .

(٣) الآداب الشرعية و المنح المرعية ١٠٨/٢ .

الباب الثاني

أمناف المدعوين

ويشتمل على اربعة فصول :

الفصل الأول : أهمية معرفة حال المدعوين في نجاح الداعية

الفصل الثاني : دعوة المشركين

الفصل الثالث : دعوة المسلمين

الفصل الرابع : دعوة المعرضين وتهيئتهم لسماع الدعوة

الفصل الأولأهمية معرفة حال المدعويين في نجاح الداعيةالفروق الفردية في المدعو :

ان الشخصية الانسانية تتركب من جوانب فطرية ومكتسبة ، فهناك الجانب الجسدي ، ثم الجانب الوجداني ، ثم الجانب العقلي ، وتتكون منها " النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبيا ، والتي تعتبر مميّزا خاصا للفرد وبمقتضاها يتحدد اسلوبه الخاص للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية " (١) وعليه فطبائع الناس لا نستطيع أن نطلق عليها الاتفاق التام والوحدة ، فهناك الميول والاستعداد التي تجعل فروقا وحواجز بين فرد وفرد ، ولا يمكن أن نعلم الناس كلهم بنمط واحد من التعليم ، فما سبب ذلك اذاً ؟ فما يتقبله انسان في اسبوع لا يقبله انسان آخر الا في شهر ، فالداعية والمعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يعطي لكل فرد الجرعة التي تناسب استعداداته الفطرية والاجتماعية وهو الذي يستطيع ان يضع الخطة المثلى للتأثير عليه بحيث لا يزيد مرضه ولا علتته .

ولكن ما أسباب هذه الفروق^{الفردية} بين الأفراد ؟؟

يقول علماء الجغرافية : " ان الموقع له تأثير كبير على حياة الانسان وانماط نشاطه ، ويتفق معظم الباحثين على ان الحضارات الاولى للانسان ظهرت في مناطق معتدلة ، وفرت للانسان فرص تطوير مصادر الأرض وخاصة الزراعية منها ، فتحوّل الانسان من الحياة البدائية الى الحياة الحضارية المتطورة ، اما في المناطق القطبية والمناطق الاستوائية فبقي الانسان بدائيا حتى وقتنا الحاضر " (٢)

ثم ان الموقع بما فيه من المؤثرات كالمناخ والضغط والاشعاع والحرارة والرطوبة والرياح ، كانت مؤثرة بشكل مباشر في وظيفة الكائن الحي وحياته ، بل ان بعض الباحثين يرجع تنوع الاجناس البشرية الى اختلاف مناخات البيئة ، وتعتبر

(١) معالم شخصية المسلم يحي فرغل ص ٧ .

(٢) البيئة والانسان ص ٧٥ .

هذه الاختلافات استجابات تكيفية لتباينات في الأحوال المناخية للبيئة ، فشكل الانف مثلا هو استجابة لحاجات الكائن البشري لترطيب الهواء اثناء عملية الشهيق ، كما ان لون البشرة له ارتباط بالحرارة والرطوبة واشعة الشمس . (١)

فاذا كانت البيئة لها تأثير على جسم الانسان ولونه ، فلا شك ان لــــه تأثيرا ايضا على اخلاقه وسلوكه . لذا فان ابن خلدون يقرر في مقدمته اثر الهواء في اخلاق البشر من الخفة والطيش والفرح والانقباض والاطراق ونحوه . (٢)

فهذه العوامل الخارجية المختلفة الطارئة على الانسان ، بالاضافة الى العوامل الوراثية ، هي التي تشكل الفروق الفردية لدى الناس ، وهي الصفات التي تميز كل انسان عن غيره من الافراد ، سواء كانت تلك الصفات جسمية أم عقلية أم مزاجية ، وفي سلوكه النفسي أو الاجتماعي . (٣)

قال تعالى (و من آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون) ٢٠ (ومن آياته خلق السموات و الارض و اختلاف ألسنتم و الوانكم ان في ذلك لايات للعالمين) ٢٢ فاختلف الطبائع و التصرفات تبع لاختلاف الالسن و الالوان ، تبع كذلك لتغير احوال الانسان بالنسبة لعمره من ضعف الى قوة الى ضعف و شيية .

معرفة الفروق الفردية والدعوة الى الله

وعليه فقد اختلفت طبائع الناس وتنوعت عقائدهم وتعددت ميولهم ، وتبعاً لذلك فقد انقسمت الانسانية الى اتجاهات وجماعات ، لا يمكن اصدار حكم جامع عليهم أو ايضاح مصير مشترك يضم اولئك جميعاً .

ففيهم من يسرت له بقايا وحى صالح فهو يعمل بها مخلصاً ، ولو عرف غيرها لسارع اليه ، وفيهم من نضج فيه كمال الفطرة فهو يحترم العقل ويرعى الحقوق ويتجنب الدنيا ، وفيهم الغفل الذي يعطى قيادة من امتلكه ويسير خلف غيره لانه لا يحسن الا التقليد ، وفيهم الذي يسخر بجزء من الدين ويستعد للسخرية من سائر اجزائه اذا عرضت عليه ، وفيهم من ينكر عالم الغيب جملة وتفصيلاً ، ويقر بعالم الشهادة وحده ، وفيهم من يملك قدرة البحث والتنقيب ولكنه يعطلها كسلاً ... (٤)

(١) البيئة و الانسان د . عبدالاله ابو عياش ص ٢٨ (٣) الفروق الفردية للهاشمي ص ٧

(٢) يراجع مقدمة ابن خلدون ص ٢٦ (٤) مع الله للغزالي ص ٧١

لذلك فان المدعوين ليسوا سواء في الاستجابة الى الحق ، وقبول الدعوة ، فمنهم السريع في الاستجابة ، ومنهم البطيء جدا ، ومنهم بين هذين الحدين في درجات كثيرة جدا ، تستعصي على الحد والاحماء ، وذلك بالاضافة الى المثقفين والأميين والعمال والفلاحين ، والمنحرفين والمبتدعين ، وقصيري النظر .
فالتعامل مع هؤلاء و تصحيح افهامهم ونظرتهم يحتاج الى حكمة و درية من الداعي .
لاهم ليسوا على مستوى واحد في الاستجابة و القبول . قال تعالى (و ما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم . ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)

ولما كانت الدعوة الاسلامية دعوة عامة ودائمة ، كان عليها ان تستوعب الناس علما بطبائعهم وتفهما لاهتماماتهم ، لكي تتمكن من تحريك داعية النظر عند كل جماعة على حدة ، لكي تستطيع ابلاغ الدعوة الى الجميع .^(١)

ومما ينبغي على الداعية تدبره ان الله سبحانه علم نبيه بان يقول :
(قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين))^(٢) .

ولا شك ان البصيرة هنا هي الحجة الواضحة والبيان الدقيق والبرهان الساطع والفهم العميق للدعوة والمدعوين ، وكون الدعوة على بصيرة شرط فيها ، وفي ذلك يقول الرازي : " وهذا يدل على ان الدعوة الى الله تعالى انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط ، وهو ان يكون على بصيرة مما يقول ... وعلى هدى و يقين فان لم يكن كذلك فهو محض الغرور " .^(٣)

ولونظرنا الى الدعوة في صدر الاسلام نرى المثالية في الاداء والمثابرة في الابلاغ والصبر على البلوى في سبيل الله عز وجل مما يعطينا اليقين بأن الدعسوة من اعظم الامانات التي حملها الانسان في هذه الحياة ، امانة لا بد ان تفي بها والا اعتبر مقصرا في جنب الله . قال تعالى : ((وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا))^(٤)

(١) الدعوة الاسلامية د. احمد احمد غلوش ص ٢٥

(٢) يوسف ١٠٨ .

(٣) تفسير الرازي ٢٥٥/٥ .

(٤) سورة البقرة آية ١٤٣ .

فكيف تكون هذه الأمة وسطا ، وكيف يكونون شهداء على الناس دون ان يعو واقعهم ، وواقع الناس ، وكيف تصح الشهادة من غافل لاه ؟ ان الأمة النائمة الغافلة التي اسلمت اعناقها لأعدائها في اجواء الضياع لا تعي نفسها ولا تعي غيرها ، ولا تستطيع ان تكون امة شهيدة على الناس . (١)

لذلك كان لزاما على الداعية أن يمارس دراسة محيطه باستمرار ليجدد معرفته لما حوله ، وان يداوم الاتصال بالناس والافكار فيقرأ الصحف ويسمع الاخبار ويحللها بروح الفاحص ، ولا يأخذ الامور على علاتها ، حتى يدرك مخططات الاعداء والاصدقاء (٢) . ولا بد له من ان يطلع على عادات القوم الاجتماعية المستقرة في نفوسهم ويحاول علاج هذه العادة بما يفتح الله عليه من اسلوب وطريقة كـي لا تكون مجابهته لهم مدعاة لعدم الاستفادة منه ومن علمه ، او بالأحرى ايذاؤه وطرده .

وإذا وضع في بيئة جديدة ، فعليه ان يصبر فترة سكون تطول او تقصر حتى يتبين معالم تلك البيئة ، ويعرف مفاتيح التحويل فيها ، والا أصيب بمدمسات شديدة تعود بالضرر عليه او على دعوته . (٣)

وبمعرفته الدقيقة هذه بحال المدعويين يستطيع الداعية ان يرتبط بواقع المجتمع ومشاكل الناس وقضاياهم ، ويستطيع ان يثير في الناس نشاطهم ويحرك انتباههم .

ونشير هنا الى ضرورة المام الداعية بظروف المكان والزمان الذي يتحدث فيه او يدعو الى الله في دائرته ، ونشير الى فشل الكثير من الدعاة الذين لم يلموا بمثل تلك الظروف فافسدوا على انفسهم الجو الذي يدعون فيه ، وقد كان في سعة الاسلام سعة لهم ، مما يضيقون به ، او يضيقون على انفسهم . (٤)

-
- (١) دور المنهاج الرباني في الدعوة الاسلامية ص ٢٢٠ .
 - (٢) كيف ندعو الناس لعبد البديع صقر ص ٤١ - ٤٩ بتصرف .
 - (٣) نفس المرجع ص ٤٩ .
 - (٤) دعوة الله بين التكوين والتمكين لجريشه ص ٦٠ .

فلو تأملنا واقعنا المعاصر اليوم ، ولو اجلنا النظر في العالم اليوم رأينا اننا اصبحنا وامسينا في قرية صغيرة ، فما حدث في الشرق نراه ، وما حدث في الغرب لا يغيب عنا قطعا بفضل الله عز وجل ثم بفضل هذه الابتكارات والاختراعات الكثيرة .

هذه الاختراعات والوسائل التي دخلت كل بيت ونفذت الى كل اذن رضوا أم كرهوا وصارت كالحبل الذي بتكراره قد اثر في الصخر ، فكم غيرت من قلوب وحرفت من طبائع ، وبدلت من سلوك ، لأن كثرة الامساك يفقد الاحساس .

فكم من المسلمين اعتنق الشيوعية بوساطة هذه الوسائل ولم يقابل زعماء الشيوعية قط ، وكم من مارق انجرف وراء الوجودية ولم ير سارتر قط . (١)

فهذه الانحرافات والانتكاسات الموجودة بين المسلمين هي موجودة ايضا في غير المسلمين ، فيوجد في الدول المسلمة والكافرة على السواء ، وكذلك البابلية والقاديانية في مختلف المجتمعات . فهذه الانحرافات والشذوذ لا بد لها من دراسة مركزة ومعرفة شاملة لأحوال المنحرفين والشاذين ، ولابد من تخطيط شامل واسلوب مناسب حتى يتمكن الداعية من معالجة مشكلات الناس الاجتماعية ونزعاتهم الخلقية واحوالهم النفسية . (٢)

ان نفس الداعية ينبغي ان تكون مكان تجربة تبرز فيه الدروس والخبرات ، لانها حقل تجارب ، ومن النتائج المستفادة يتعرف على افضل البذور ، واناسب الأوقات واجدى الاساليب ويهيئ اسباب الشفاء المناسب من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وآثار السلف الصالح رضي الله عنهم ، وبذلك يجيء نصحه طبا للمريض ، ورحمة تذهب عناده ، ونورا يهديه السبيل .

(١) فيلسوف فرنسي ولد في باريس ١٩٠٥ م . وهو من القائلين بالمذهب الوجودي في

الفلسفة . نشر افكاره في روايات ومسرحيات .

المنجد في الأدب والعلوم ص ٢٤٢ .

(٢) كيف يدعو الداعية لعلوان ص ٧ - ٨ بتصريف .

معرفة احوال المدعو في السيرة

الأمر
 وإذا كان يتعلق بالقرآن الكريم وبسورة الروم ، فلا بد لنا ان نعرف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف ذلك ايضا ، ونستخلص من حياته وسيرته اهتمامه بهذا الجانب الهام الذي لا يمكن لداعية ان يكون في غنى عن الاستفادة من دروسه وعبره .

ان القرآن الكريم حينما نزل لم ينزل جملة واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما نزل منجما ومفرقا حسب الوقائع والأحداث الواقعة والمتجددة كل يوم ، نزل ليؤيد واقعا أو ينفيه ، وينظم امة كانت تعيش في الضلال والضياع والعمى .

فنزول القرآن مع الحادثة والواقعة اثبت في النفس والقلب لما فيه من ارتباط بين الآيات والواقع ، وفي ذلك لفت لنظر الداعية الى الوعي والفهم للانسان الذي يدعوه ، وواقعه الذي يعيش فيه .

ان الدعوة الى دراسة المدعو وفهمه ضرورة تحتّمها حكمة الدعوة وتحتّمها ضرورة تأصل هذا الدين في النفوس .

فكم من داعية دخل الى مجتمع من المجتمعات وبدأ يدعوهم بطرق لا تتسم بالحكمة تنتج عنها ايداء الداعية ، أو طرده من ذلك المجتمع بحيث لا يستطيع دخولها مرة اخرى ، وبذلك التصرف حرم نفسه من الافادة وبذل العلم الذي كان يريد نشره وابلاغه ، وحرم ذلك المجتمع من الخير الذي سيق اليه .

وإذا استعرضنا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة الابرار فاننا نجد هذه القاعدة بارزة واضحة قوية ، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف قريشا وانسابها وعلاقاتها ادق المعرفة ، كما نجده يعرف القبائل العربية ، ويعرف اماكنها ومواقعها ، وعلاقاتها وانسابها ونفسياتها ولهجاتها ، كما يعرف رجالها وساداتها واخلاقها وعاداتها وتاريخها وثاراتها وقوتها وضعفها . (١)

ولو تأملنا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار واليهود بالمدينة ، وما تضمنه من تنظيم دقيق للمجتمع المدني وما فيه من ضبط وتحديد المسؤولية لليهود ، عرفنا يقينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتتبع

(١) دور المنهاج الرباني في الدعوة الإسلامية ص ٢١٧ .

احوال هؤلاء وهؤلاء ، وينمي معرفته بدقائق هذا الشعب وما جبلت عليه وما عرفت به ، وعلى ضوء هذه المعرفة الدقيقة لنفسياتهم وطبائعهم كتب هذا الكتاب* الذي استطاع به أن يدخل في انفسهم الخوف والرعب وحد من تسلطهم في هذه المنطقة التجارية الحساسة الواقعة بين شمال الجزيرة وجنوبها .

ومن هذا الباب نراه صلى الله عليه وسلم يأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه ان يتعلم اللغة السريانية .

وكانت هذه المعرفة الدقيقة للنفسيات ، والبيئة والعادات هي التي تحدد اختيار القادة والقواد والولاة والأمراء والقضاة . هذه المعرفة التي كانت موجودة لدى الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما في معرفة النفوس وطبائعها من اهمية فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بهذه المعرفة لما له من سرعة التأثير على الفرد .

ومن تأمل اجوبته عليه الصلاة والسلام لاسئلة السائلين ، وافراد المستفتين يرى انها كانت تتنوع بحسب الاحوال والاشخاص والمعاملات والاعراف كما في الصحيحين وغيرهما عن افضل الأعمال فاجاب كل سائل عن فضيلة بما رآه انفع لـه واخص به . (١)

فحينما كان النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية وقريش تمنعه من دخول مكة ، وبعد مداوات ورسل لمعرفة هدف النبي صلى الله عليه وسلم ارسلوا اليه مكرز بن حفص بن الاخيف ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : (هذا رجل غادر) (٢) ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة - وكان سيد الاحابيش - فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه) فرجع الى قريش قبل ان يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : " ايصد عن بيت الله من جاء معظما له ، والذي نفس الحليس بيده

(١) التراتيب الادارية للكناني ٣٢١/٢ . انظر صحيح البخاري ١٢/١ ١٣٦/٢ ٥٥٢/٢

(٢) سيرة ابن هشام ٧٧٧/٣ .

* كتابه صلى الله عليه وسلم في موادعة يهود . انظر تاريخ الطبري ٤٧٩/٢

لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، او لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد " (١)

ثم ارسلت قريش سهيل بن عمرو بعد بيعة الرضوان ليفاوض النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه مقبلا قال : (قد اراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل) (٢)

فدلت اقواله صلى الله عليه وسلم على معرفة بالنفوس دقيقة ، وعلى فهم للرجال على الحقيقة ، ولا نقول انه كان يعلم الغيب بل يعلم من الغيب ما علمه الله عز وجل ، ولكنها دراسة الرجال ودراسة النفوس والطبائع ومعاملة كل رجل بما يناسب طبيعته ونفسيته ومخاطبة كل انسان بما يؤثر على نفسيته وعاطفته .

وعند البخاري رحمه الله تعالى / باب من خص بالعلم قوما دون قـوم كراهية ان لا يفهموا قال على : (حدثوا الناس بما يعرفون ، اتحبون ان يكذب الله ورسوله) (٣)

فتخصيص علم لاناس دون اناس دل على ان الدعوة لا تكون على مستوى واحد لجميع الطبقات ، فدعوة العوام وغير المتعلمين اصعب من غيرهم ، اذ ان حالهم كحال المبتدئ في تعلم القراءة والكتابة ، واقل صعوبة او تعقيد قد يصرفهم عن الدعوة ... وهؤلاء تحركهم العاطفة اكثر مما يحركهم العقل ، وهؤلاء بعكس المتعلمين ومن في مستواهم فيبحثون عن التحليل والاستنتاج والمعنويات ودلائل الاعجاز ، فلا بد من مراعاة منزلتهم العلمية عند دعوتهم ومخاطبتهم . (٤)

لذا فان اساليب الدعوة تختلف باختلاف المدعويين ، فان كانوا حكاما او امراء فانه يدعوهم باللين من القول ، كما قال تعالى : ((اذها الى فرعون انه طفئ ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)) (٥) ، وان كانوا من العلماء

(١) سيرة ابن هشام ٢/٧٧٨ .

(٢) المرجع السابق ٣/٧٨٣ .

(٣) صحيح البخاري في العلم ١/٥٩ رقم ١٢٧ .

(٤) قواعد الدعوة الى الله لهمام سعيد ص ٨٩ - ٩٠ .

(٥) سورة طه آية ٤٣ - ٤٤ .

الغائبين تكون الدعوة بالدلائل القطعية المتبادلة بينهم ، وان كانوا من اهل الكتاب فنكون ببيان محاسن الاسلام ، وبيان شدة حاجة الناس اليه في كل زمان ومكان .

ولو تأملنا في حديث معاذ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال له : (انك تقدم على قوم من اهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم الى ان يوحدوا الله تعالى ، فاذا عرفوا ذلك فاخبرهم ان الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فاذا صلوا فاخبرهم ان الله افترض عليهم زكاة في اموالهم ، تؤخذ من غنيهم ، فتد على فقيرهم ، فاذا اقرؤا بذلك فخذ منهم ، وتوق كرائم اموال الناس) (١) .

ومن فقه الحديث التدرج في الدعوة الى الله عزوجل ، وكذلك معرفة النبي صلى الله عليه وسلم باحوالهم وديانتهم ونفسياتهم ، لذلك وجه الى معاذ هذا المنهج الدقيق في دعوتهم .

يقول القرضاوي : ان الداعية لا ينجح في دعوته ما لم يعرف من يدعوهم حتى يعرف كيف يدعوهم ، وماذا يقدم معهم وماذا يؤخر ، ومعنى الحديث انهم لو كانوا مجوسا او ملاحدة او نحو ذلك لكان عليه ان يدعوهم بطريقة اخرى . (٢)

فلا بد من معرفة الداعية بحال من توجه اليهم الدعوة في شئونهم واستعدادهم ، وطبائع بلادهم ، واخلاقهم وحالتهم الاجتماعية ، وفي ذلك اعظم العون في تقديم الرسالة الحققة وعرضها عليهم ، على بصيرة ، وبذلك يعامل كل انسان بما يناسبه ، ويكون الكلام اوقع في نفس المدعو .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك بأن الجيلة البشرية وطبيعتها تنطوي على مجموعة من الصفات لا يمكن ازالتها بالكلية ، فاناس تحب المال ، ولاجلها تثبت ، واناس تحب الفخر وبه تثبت ، فلم يحاول هدم هذه الجيلة ،

(١) البخاري في التوحيد ٢٦٨٥/٦ رقم الحديث ٦٩٣٧ .
 (٢) ثقافة الداعية ص ١٤ . انظر دعوة النبي (ص) عدى بن هاتم للاسلام ، ودعوته للاعرابي المشرك - في سيرة ابيه اصفه - صحيفة الدكتور محمد زكار ص ٢٨٨

وانما ترقى بها ، وهذبها ، ووجهها لما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين ، فكان يشبع نهمة المؤلفة قلوبهم من المال ليثبتوا على الحق الذي دخلوا فيه رحمة وشفقة عليهم، ولذلك رد على سعد بقوله : (اني لأعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكبه الله في النار)^(١) . كما اعطى ابا سفيان ما كان يحبه من الفخر بقوله : (من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن)^(٢) . انها اشباع رغبة المؤلفة قلوبهم بما لا يعارض الدين بل يقويه ويشد ازره ، والا فكم يسع دار ابي سفيان من الناس ؟ فمراعاة هذه الطبائع ضرورة لنجاح الداعية ، ومن هنا راعت الوسائل طبائع الناس وخاطبتهم على اساسها .

وهكذا لاحظت الدعوة الاسلامية قيمة الانسان وتنوع طباعه ، ومن هذا

الباب :

- (١) مناقشة الواقع العقائدي لهم .
- (٢) تجزئة الدعوة وتدرجها .
- (٣) تكرار الدعوة في مختلف المواقع .
- (٤) بيان الغاية من الدعوة والهدف منها .
- (٥) تقديم المنهج بعد تفهم طبيعة الناس وغرائزهم وعقائدهم وميولهم .

ولو تأملنا بعد ذلك في سيرة صحابته الكرام لوجدنا السير على نفس المنهج ، اذ لم يكن القواد المسلمون ليدخلوا بلدا للفتح بدون تخطيط أو معرفة ، وقد نقل الكتاني : ان الخلفاء صدر الاسلام امروا امراء جيوشهم وعمالهم ان يرسم كل منهم خطط البلاد التي افتتحها واستولى عليها .^(٤)

وفي وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه لعمر خير دليل على ذلك : حيث

وصف ترابها وشجرها ومساحتها طولاً وعرضاً ، وما فيها من الجبال والرمال ،

-
- (١) البخاري في الايمان ١٨/١ ، رقم الحديث ٢٧ وكذلك مسلم ٧٤/١ .
 - (٢) سيرة ابن هشام ٨٦٢/٤ .
 - (٣) الدعوة الاسلامية لغلوش ٤٢٩ - ٤٣١ بتصرف .
 - (٤) التراتيب الادارية للكتاني ٢٦٦/٢ .

(١٠٤)

ونهرها ، وزيادتها ونقصانها ، وكيفية استخدام المواسلات في وقت زيادة النيل ، ثم اجتهاد الناس في الزراعة ، ووصف النبات ، ومايقوم به من اصلاح لها بعسـد ذلك . وقد اعجب بهذا الوصف أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حيث قال : لله درك يابن العاص ، لقد وصفت لي خيرا كاني اشاهده . (١)

فحينما كان عمرو بن العاص يريد فتح مصر لم يكن غافلا عما يجري في مصر من الظلم والكبت والاستغلال والاستعباد للمصريين الذين يمكن ان يكونوا مهيين لقبول الاسلام ، بالاضافة الى الخيرات الكثيرة التي تكون قوة للاسلام .

وهذا ما جعل عمرو بن العاص يختلي بعمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٨ وجعل يرغبه في فتح مصر ، ومازال به حتى اجابه . (٢)

وهذا بلا شك حسن استثمار لمعرفته الاجتماعية والجغرافية التي استطاع بها ان يقنع عمر بفتح مصر حتى فتحت على يده .

وهذا يدل على اهتمام المسلمين بالعباد والبلاد جغرافية ونفوسا ، بل ان هذا الاستشعار الذكي كان - بالضرورة - من وراء التحرك الاسلامي الموفق الى ما وراء حدود الدولة الاسلامية في مسيرة الخير ، ومن وراء اهم العوامل التي انتجت انتشار الدعوة الاسلامية بين الناس على صعيد اوسع من الصعيد الذي شغلته الدولة في اوج قوتها ، وهذا معناه ان الحاسة الجغرافية كانت بصيرة الاسلام ، وهو يتصدى للعدوان ويبطل مفعوله الخطر ، أو هو يتصدى لنشر الدعوة على المدى الأوسع في جزيرة العالم . (٣)

(١) يراجع جمهرة رسائل العرب ٢٠٥/١ . وفي التراتيب الادارية ٢٦٦/٢ مانمه :

" وقد ترجم هذا التقرير ونشره الى عدة لغات اجنبية الكاتب النمساوي اوكتاف اوزان ، ووصفه بقوله : انه من الفرائد في ايجازه واعجازه ، واقترح وجوبه في جميع مدارس المعمورة حتى يتعلموا منه مع قوة الوصف ، متانة التعبير ، وصحة الحكم على الاشياء ، وكيفية تنظيم الممالك " . أه .

(٢) جمهرة رسائل العرب ٢٠٥/١ .

(٣) الاسلام والفكر الجغرافي . د . صلاح الدين الشامي ص ٤٣ .

فمعرفة النفوس امر بالغ المعوِّبة ، تحتاج الى مواهب وطاقات وتخصصات
وجهود ، كي تستفيد من الوسائل المباحة كلها ، تستفيد من المراقبة ،
والمتابعة ، والاحداث ، ومن المناسبات والظروف ، وهي في الحقيقة معرفة يقظة
وحذر وتنبيه وفطنة وفراسة ونظرة الى البعيد البعيد .

النتيجة

عرفنا مما سبق انه ينبغي على كل من يقوم بمسئولية الدعوة الى الله ان يدرس المكان الذي تبلغ فيه الدعوة دراسة شاملة وموضوعية وان يعرف مراكز الضلال ، ومواطن الانحراف ، معرفة كاملة ومستوعبة ، وان يفكر في اسلوب العمل الذي يتفق مع عقلية الناس واستعداداتهم الذي يتلائم مع مستوى تفكيرهم ومسئولية استجابتهم^(١) ، ولا بد له من ان يكون مطلعاً على حياة الناس عالماً بما يجري في عقولهم ، وما يجري على سنتهم منها ، وما ينتظرون من عواقبها .

عندئذ يبدأ مهمة الداعي بعرض بعض الأحداث . ناقشتها على ضوء الشريعة الاسلامية وما تقدمه من حلول لها ، وفي هذا ما يشد الناس الى الدين ويوثق صلته بهم .^(٢)

كذلك ينبغي للداعي الى الله ان يتفقد القوم ، ليعرف مواطن الضعف ، فيهم ، والجرائم المتفشية فيهم ، ليعمل على نهيمهم عنها . اذ من الجهل الفاضح ان ينهى القوم عن منكرات لا يعرفونها ، وليس مألوفة لديهم ، فقد يكون كلام الداعي في هذه المنكرات مدعاة لسؤالهم عنها ، وتعرفهم لها ، فيكون الواعظ اشبه بداعية الى المنكرات بدل ان يكون داعية الى الفضائل .^(٣)

فالداعية في الحقيقة طيب ، يظهر فضله ومكانته على قدر علمه ، فسي تشخيص الداء في المدعويين ، وتعيين الدواء ، والتأكيد على ذلك ، ثم ازالة الشبهات التي تمنع المدعويين من رؤية الداء والاحساس به ، وترغيبهم في استعمال الدواء ، وترهيبهم من تركه ، ثم تعهد المستجيبين منهم بالتربية والتعليم لتحمل لهم المناعة ضد دائهم القديم .^(٤)

-
- (١) كيف يدعو الداعية لعلوان ص ٧ .
 - (٢) الدعوة الى الاسلام لعبدالكريم الخطيب ص ٥٢ .
 - (٣) دعوة الرسل الى الله تعالى للعدوي ص ١٥٣ .
 - (٤) اصول الدعوة لزيدان ص ٤٠٤ .

فمعرفة الداعية للمدعو واختلاطه به ، وجمع المعلومات عنه امر مهم للغاية ، اذ يؤدي حتما الى معرفة المنافذ التي يمكن صاحب الرسالة ان ينفذ اليه من خلالها الى نفسه .

ولا شك ان هذا يوفر للداعية كثيرا من المشقة والتعب .

الفصل الثانيدعوة المشركين

قال تعالى : (ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نقول الآيات لقوم يعقلون . بل اتع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدى من اضل الله ومالهم من ناصرين) الروم ٢٨ - ٢٩
وقال تعالى : ((... فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون))^(١)

توطئة :

ان الدعوة الاسلامية دعوة عامة جاءت واضحة جلية لا غموض فيها ولا ابهام ختم الله بها رسالات الانبياء ، وجعل الأمة التي اتبعتها خير امة اخرجت للناس .
وقد سن النبي صلى الله عليه وسلم لامته سنة نشر الاسلام بين الأمم سواء كانوا اهل كتاب أو مشركين أو غيرهم من مختلف المذاهب والنحل .
وقد بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة اهله وذوي قرباه ، ثم دعا مختلف القبائل العربية في الجزيرة ، وبعد هجرته دعا اليهود والنصارى الى الاسلام وكاتب الملوك والامراء يدعوهم الى الاسلام فكتب الى هرقل وكسرى والمقوقس وملكي عمان ، وملك اليمامة حيث عرض عليهم الدعوة باسلوب ملائم ، كما جابه اعظم امتين فسي تلك الفترة هما الفرس والروم .

ولعل دعوة غير المسلمين بلغت من الأهمية بمكان في هذا العصر نظرا لانتشار المعارف والعلوم من المؤيدات التي كشفت مزايا الاسلام لدى تلك الأمم .
لذا كان من الضرورة للداعية ان يتعرف على دوافع الكفر بالله تعالى والنوازع الشيطانية^{التي} تدفع بالانسان اليه ، وكيفية محاربة تلك النوازع وكيفية اعمال العقول في سبيل الوصول الى الحق .

ولا بد للدعاة من الانطلاق الي كافة الشعوب التي لا تزال غارقة في ظلمات الجهالة ، ويجد فيهم المنهرون ارضا خصبة لبث سمومهم ، ونشر آرائهم التي تحارب الاسلام وتطعن في حقيقته وتشوه صورته امام تلك الشعوب .

(١) سورة الروم ٢٩ .

(٢) سورة الروم ٩ .

الشرك اشد انواع الظلم

بين الله سبحانه في الآيتين الكريمتين بأنه ارسل الرسل الى هؤلاء المشركين فامروهم بالمعروف ونهواهم عن المنكر ، فلما كذبوا رسلهم اخذهم ربك اخذ عزيز مقتدر ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ، فاتباع هؤلاء المشركين الذين ظلموا انفسهم وغيرهم انهم اتبعوا اهواءهم ولم يحكموا عقولهم ، اذ ليس لهم في هذا الشرك من سنة من نقل أو عقل ، او حجة او منطق ، فهم قوم ساروا على غير هدى ولا علم ولا بصيرة ، فلا أمل في رجوعهم الى الحق والى الطريق المستقيم . (١)

فانحرف هؤلاء وضلالهم الى طريق الاشراك كان ظلما لانفسهم عظيم ، اذ جلبوا على ارواحهم واجسادهم العذاب الاليم في نار جهنم .

فالظلم في اللغة : وضع الشيء في غير موضعه .

واصل الظلم في الشرع : عبارة عن التعدي عن الحق الى الباطل ، وهو الجور والميل عن القصد . (٢)

واجناس الظلم ثلاثة :

الأول : الظلم الذي هو شرك .

الثاني : ظلم الناس بعضهم بعضا .

الثالث : ظلمه لنفسه بما دون الشرك . (٣)

والمقموذ بالظلم في الآية الكريمة هو الشرك لأنه ظلم نفسه بأن اوجب عليها دخول النار يوم القيامة ، ولأنه ظلم الذات الالهية بعدم تقديم الطاعة والاعتراف بالوحدانية له سبحانه وتعالى . فاعظم انواع الظلم هو الاشراك بالله تعالى الذي خلق الانسان في احسن تقويم وورزقه وانعم عليه من الطيبات مالا حد له .

(١) التفسير الواضح ١٦/٣ - ٢٣ .

(٢) لسان الغرب ٦٥٠/٢ ، التعريفات ص ٧٦ .

(٣) الايمان لابن تيمية ص ٧٥ .

وعند الترمذي عن عبدالله قال : (لما نزلت : ((الذين آمنوا ولم يلبسوا
 ايمانهم بظلم))^(١) شق ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله فأينا لم يظلم
 نفسه قال : ليس ذلك ، انما هو الشرك . ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه :
 ((يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم))^(٢) وقال الترمذي : هذا حديث
 حسن صحيح .^(٣)

فمن سلم من اجناس الظلم الثلاثة المذكورة كان له الامن التام ، والاهتداء
 التام يوم القيامة^(٤) ((اولئك لهم الامن وهم مهتدون))^(٥) .

قال شيخ الاسلام : والذي شق عليهم انهم ظنوا ان الظلم المشروط عدمه هو
 ظلم العبد نفسه ، وانه لا امن ولا اهتداء الا لمن لم يظلم نفسه فبين لهم النبي
 صلى الله عليه وسلم ما دلهم على ان الشرك ظلم في كتاب الله ، فلا يحصل الامن
 والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم .^(٦)



-
- (١) سورة الانعام آية ٨٤ .
 (٢) سورة لقمان آية ١٣ .
 (٣) صحيح الترمذي في التفسير ١٥٥/٢ .
 (٤) تيسير العزيز الحميد ص ٧٠ .
 (٥) سورة الأنعام آية ٨٣ .
 (٦) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٧ .

الكفر لغة : الستر ، واعظم الكفر جحود الوجدانية او الشريعة أو النبوة

واستعمال الكفر في الدين اكثر .

فمن جحد الوجدانية او الشريعة أو النبوة أو ثلاثها معا فهو كافر .

والشرك والشركة والمشاركة : خلط الملكين ، وان يوجد شيء

لاثنين فصاعدا عينا كان ذلك الشيء أو معنى ، وشرك الانسان في الدين على ضربين :

الشرك الأعظم : وهو اثبات شريك لله سبحانه وتعالى وذلك اعظم الكفر .

الشرك الأصغر : وهو مراعاة غير الله معه في بعض الامور مثل الرياء

(١)

والنفاق .

والكفر اعم من الشرك . اذ ان لفظ الكفر عام اطلق على كل من جحد

الالهوية وكفر بالله ، وقد يطلق على كفر النعمة ، وقد يطلق على المشركين كما في

قوله تعالى : ((قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد)) (٢)

الى غير ذلك من الاطلاقات .

واما الشرك فهو عبادة غير الله مع الله بمعنى ان يتخذ الانسان لنفسه

سبحانه وتعالى شريكا فيما هو من خصائص الالهوية .

[وجه الظلم] وللظلم وجوه كثيرة . فمن وجوها :

— عدم الاستجابة لرسول الله وللدعاة الى الله ، وحربهم ومناصبتهم العداة ،

قال تعالى : ((وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من ارضنا أو لتعودن في

مملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنمكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن

خاف مقامى وخاف وعيد)) (٣)

— ومن الظلم : طاعة الشيطان في كل كبيرة وصغيرة ، لأنه لا يأمر الا بما

(١) مفردات الراغب ٢٦٦ .

(٢) سورة آل عمران ١٢ .

(٣) سورة ابراهيم ١٣ - ١٤ .

يخالف الفطرة ويزري بالانسان ، ويسود صفحته حتى يسوق اكبر عدد من الخلق الى جهنم معه . قال تعالى : ((وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ، ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي ، اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم))^(١) .

- ومن الظلم : الحكم بغير ما أنزل الله من شرائع البشر حيث لا تؤدي الى صلاح البلاد والعباد ولا توصل الى سعادة الدارين . قال تعالى : ((ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون))^(٢) .

- ومن الظلم التكذيب بآيات الله والاعراض عنها وعدم الاقبال عليهما ، والاستهزاء بها . قال تعالى : ((من اظلم ممن كذب بآيات الله وصدق عنها))^(٣) .

- ومن الظلم الكذب على الله تعالى . قال تعالى : ((ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآيته انه لا يفلح الظالمون))^(٤) .

- ومن الظلم كتمان الحق وعدم اظهاره وتبليغه . قال تعالى : ((ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون))^(٥) .

- ومن الظلم اتباع الهوى وترك شريعة الله تعالى . (بل اتبع الذين ظلموا الهواهم بغريتهم)^(٦)

- ومن الظلم ان يذكر الانسان بآيات ربه فلا يتذكر ولا يتعظ . قال تعالى : ((ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ، انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى لن يهتدوا اذا ابدا))^(٦) .

-
- (١) سورة ابراهيم آية ٢٢ .
 (٢) سورة المائدة آية ٤٥ .
 (٣) سورة الانعام آية ١٥٧ .
 (٤) سورة الانعام آية ٢١ .
 (٥) سورة البقرة آية ١٤٠ .
 (٦) سورة الكهف آية ٥٧ .

الأسباب التي تؤدي الى الشرك

ان معرفة الله تعالى فطرة الهية ، مركزه في النفس البشرية ، فاي انحراف الى الشرك بالله تعالى انما هو انحراف عن الفطرة السوية .
 فالشرك في الامم لم يأت في لحظة واحدة ، وانما جاء بعد ازمان متطاولة في ظل انحرافات متسلسلة ، فكانت الاسباب المؤدية الى الشرك تحكيم الهوى ، فما زالوا ينحدرون في هاوية الضلال درجة درجة حتى وصلوا الى القول بتعدد الآلهة .
 فقالوا : ان هذا الكون لابد له من خالق ومدبر ، الا انه ليس باله واحد .
 بل الامر ان لهذا الكون اربابا وآلهة ، وان ازمة قوى هذا الكون المختلفة موزعة بين الآلهة ، وان سعادة الانسان وشقاءه وفلاحه وخسرانه ، ونفعه وضره متوقفة على مرضاة ذوات عديدة وسخطها ، والذين وصلوا الى هذه النتيجة واختاروا هذا الرأي في هذا الكون ونظامه تقدموا خطوة أخرى في الخرص والتخمين ، واجتهدوا في تحديد القوى الالهية ، وتعيين ذواتها المختلفة ، فاتخذوا كل ما جذب انظارهم من بدائع هذا الكون آلهة ^(١) وكان ذلك من اكبر وجوه اتباع الهوى .

وقد تنوعت الشركاء عند المشركين في جميع الاعمار حسب تنوع الاسباب التي افسدت عليهم تصورهم لمعنى الالهية والعبادة ووقعتهم في الشرك والضلال ، وطمست عليهم سبيل الفطرة التي فطر الانسان عليها .

فهناك الجسم العظيم حيث رأو فيه أنه يفيض عليهم اسباب الحياة والحركة فعبدوا الشمس والقمر ، ومن هذا السبيل عبدوا المرأة والبقرة ، لما رأوا في الاولى النسل والولادة ، وفي الثانية الحرث والزراعة .

وهناك احياء قر في النفوس ان لهم قربا معنويا من الله فاتجهوا اليهم بالعبادة والدعاء والاستغاثة وبذلك عبدت الملائكة والانبياء ، وقربت القرايين للأولياء .

وضعف ادراك قوم وضاق عقلهم عن أن يعبدوا غير مرثي لا تدركه الابصار ،

(١) الاسلام والجاهلية للمودودي ص ٢٣ .

فتخيلوا عظمة المعبود في شيء مادي يصنعونه بأيديهم في تمثال نحتوه أو شكل رسموه ، ثم تقربوا اليه وعبدوه .

وهذه العقيدة المنحرفة أدت بهم الى آثار عديدة في نفوسهم :

أولا : ان حياة الانسان كلها تتحول الى مرتع خصيب للأوهام والظنون فانه يرى في كثير من الاشياء - بمجرد التوهم - انها تؤثر في سعادته وشقاؤه تأثيرا لا برهان له ، ولا دليل عليه ، فيضيع كثيرا من قوته عبثا وينفقها في غير طائل ، طمعا في المنافع الحسنة أو خوفا من المضر الفادحة ... فتراه تارة يلجأ الى قبر رجا أن يبيلغه سؤاله ، وطورا يعكف على صنم أملا في ان ينعم عليه بالسعادة والفلاح . وكلها جهود تعدل به عن المساعي الطبيعية وعن جيلة الانسان الفطرية .

ثانيا : ان يفضي به هذا الرأي الى اتخاذ برنامج طويل من الطقوس والأعمال التي لا صلة لها بالحياة اليومية ، ولا أصل لها في الدين .

ثالثا : انهم يصبحون لقمة سائغة لكل مشعوذ ودجال ، ولكل من ينصب نفسه ملكا يصل نسبه بالشمس والقمر وغيرهما من الالهة الكاذبة . ومنهم من يصير سادنا للآلهة ، او يصير كاهنا لها . حيث ينفخ فيه الشيطان فيدعي المقدرة على كشف الكربات ، وتنقل وظائفهم وامتيازاتهم الى اولادهم واحفادهم ، وتكون سلسلة من ضلال الاجيال .

وهكذا تكون هذه العقيدة سببا في استعباد البشر واسترقاقهم واستغلال سذاجتهم .

رابعا : ان هذا الرأي الفاسد لا تزود العلوم والفلسفة والادب والعمران والسياسة باساس مستقل ، أو مبدأ ثابت ، ولا يتأتى من هؤلاء الالهة الكاذبة الخيالية ، نوع من الهداية للبشر ، حتى يهتدوا بها ويقفوا اثرها . (١)

(١) الاسلام والجاهلية للمودودي ص ٢٤ .

فأي اهانة للإنسان وعقله اعظم من عبادة غير الله من اشياء لا تنفع ولا تضر
وما أضل عقل من يعبد الحيوانات المتوحشة والانعام التي تذبح وتؤكل ويعبدها
هو من دون الله ويقدها .

ثم ان الشخص الذي يعتقد بوجود مؤثر غير الله يصبح عقله مستعدا لقبول
كل خرافة ، وتمديق كل دجال ، وبهذا تروج في المجتمع بضاعة الكهنة والعرافين
ممن يدعون معرفة الغيب ، والاتصال بالقوى الخفية .

كما ينتشر التطير والتشاؤم والرعب وعدم الطمأنينة . قال تعالى :
((سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا)) (١)

لذا فان الشرك بجميع انواعه وصوره والوانه شذوذ في الانسانيه، وحالسة
مرضية ، تلحق العقل البشري فتجعله يتخبط في عبادته وتدينه ، وظاهرة الانحراف
هذه ليست خاصة بزمنه صلى الله عليه وسلم ، وانما هي ظاهرة امتدت الى أمم
سبقته هذه الأمة ممن فسدت عقولهم ، وشذت نفوسهم من زمن نوح عليه السلام
حيث غويت امته في اتخاذ الاصنام .

(١) آل عمران آية ١٥١ .

خصائص ملة الكفر

- فمنهم من يكفر بنسبة الشريك الى الله تعالى .
ومنهم من يكفر بانكار البعث .
ومنهم من يكفر برسالة الرسل . ومنهم من يكفر بجهود وجود الله تعالى .
ولكن على تفاوتهم فان لهم خصائص تجمعهم منها :

- (١) تعطيلهم ما وهبهم الله من عقل وسمع وبصر ، مما ادى بهم الى غلظة القلوب وابطال فائدة السمع والبصر ، حتى ومفهم الله في كثير من الآيات بأنهم شر الدواب ، وبأنهم الصم البكم الذين لا يعقلون ، اذ لهم آذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون بها ، وهؤلاء هم الذين يندمون في الآخرة حيث لا ينفعهم الندم ويقولون : ((وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير)) (١) .
- (٢) حنقهم على الرسل واتباع الرسل ، وامتلاء نفوسهم غيظا منهم ، اذا تليت عليهم آيات الله بينة واضحة وقد ينتهي بهم الغيظ والحنق الى مقابلته بما لا يرضاه الله من العنف والشدة وضروب الايذاء .
- (٣) فرارهم من الدعوة الى الحق ، ومن الداعي اليه ، حتى انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، وذلك لأن الحق يعمل زلزلة في نفوسهم واضطراباً في افئدتهم ، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ((واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم واستفشوا ثيابهم واصرروا واستكبروا استكباراً)) (٢) .
- (٤) دفاعهم عن الباطل وقتالهم في سبيل الشيطان ، واكبر مظهر لذلك جدلهم في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . (٣)

(١) سورة الملك (١٠) .
(٢) سورة نوح عليه السلام آية ٧ .
(٣) دعوة الرسل الى الله تعالى لمحمد العدوي ص ٤٤٥ .

الهوى

قوله تعالى : (بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهتدي من اضل الله وما لهم من ناصرين) الروم ٢٩

في هذه الآية الكريمة بين الله سبحانه وتعالى سبب انحراف المشركين عن جادة الحق وطريق الصواب ، وسبب انصرافهم عن الواجب الحق وعن الفطرة السليمة التي كان ينبغي عليهم ان يأخذوا بها ولا ينحرفوا عنها ، فالمشركون اتبعوا اهواءهم في عبادتهم الانداد بغير علم ، وسفها من انفسهم وجهلا . (١)

كما تبدأ الآية الكريمة بالاضراب على ما يتلقاه المشركون من آيات الله المفصلة .. فهم لا ينتفعون بها ، ولا يجنون من ثمرها المبارك الطيب شيئا ، بل يظنون على ما هم عليه من ضلال وشرك .

انهم منقادون لاهواء غالبية عليهم ، متسلطة على عقولهم ، من كان هذا شأنه فلن ينقاد الا بمقود هواه ولا يستجيب الا لنداء شيطانه .

وفي قوله تعالى : ((بغير علم)) اشارة الى ان هذا الهوى المتسلط على المشركين هو هوى اعمى عمى مطبقا ، لا تنفذ اليه ضوء . (٢)

فوقوعهم في سيطرة الهوى طمس عنهم استعمال عقولهم بسبب الحرص على الدنيا وما فيها من زعامة لهم ووجاهة بين قومهم ، وكان ذلك ظلما لهم ممن حيث لا يشعرون ، وهم باتباعهم هوى النفس - دون العقل - اصبحوا في ضلال وحيرة اذ تعرضوا بذلك لسخط الله وغضبه وجزائه بالخزي لهم في الدنيا والعذاب في الآخرة .

وقد اثبتت الآية الكريمة ان سبب انحراف هؤلاء المشركين عن الحق هو اتباع الهوى ، والهوى كان بلاء الأمم السابقة التي نالها غضب الله وعقابه ، فما اعترضت امة على انبيائها او لم تقبل الرسالة ، او قتلت الأنبياء والرسل انما كان اساسها هو ان ما جاء اليهم من الحق لم يوافق هواهم - فما الهوى اذن ؟

(١) ابن كثير ٤٣١/٣ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٥١٢/٤ .

يقول الجرجاني : " الهوى ميلان النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع " . (١)

واما سيد قطب رحمه الله فيرى بان الهوى لا ضابط له ولا مقياس ، انما هو شهوة النفس المتقلبة ونزوتها المضطربة ، ورغباتها ومخاوفها ، وآمالها ومطامعها التي لا تستند الى حق ، ولا تقف عند حد ولا تزن بميزان . (٢)

فالنفوس لا تخلو من هوى لانها تميل الى ما تحب دائما وابدا ، ومن هذا الباب تقع فريسة للشيطان ، فلو تأملنا الى المتع والملذات والشهوات والعواطف والانفعالات التي لا تستند على ضوابط شرعية ، فانها تكون شرا ووبالا واذى وضرا على صاحبه .

والمعاصي التي من الانسان انما تقع بسبب موافقة الهوى مع انه يعرف معرفة اكيدة بان هذه معصية ينبغي له ان يتجنبها ، ولكن متعة لحظة وارضاء نفس امارة بسوء ولو دقائق معدودة تجرفه الى المعصية ثم يتنبه بعد زوال هذه المتعة بان لو لم يفعل ذلك .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى : " تأملت وقوع المعاصي من العصاة فوجدتهم لا يقصدون العصيان ، وانما يقصدون موافقة هواهم ، فوقع العصيان تبعا ، فنظرت في ذلك الاقدام مع العلم بوقوع المخالفة فاذا به ملاحظتهم لكرم الخالق وفضله الزاخر " . (٣)

ويقول ابن الجوزي : " بان الهوى ميل الطبع الى ما يلائمه ، وهذا الميل قد خلق في الانسان لضرورة بقاءه " .

ويرى ابن الجوزي ان ذم الهوى على الاطلاق لا يصلح ، وانما يذم المفرط من ذلك وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار .

وانه لما كان من موافق الهوى انه لا يقف منه على حد المنتفع ، اطلق

(١) التعريفات ١٣٤ .

(٢) الظلال ٢٢٦٧/٥ .

(٣) ميد الخاطر ص ٢٤٧ .

ذم الهوى والشهوات لعموم غلبة الضرر ، فمطلق الهوى يدعو الى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة ، ويحث على نيل الشهوات عاجلا ، وان كان سببا للألم والأذى في العاجل ، ومنع لذات في الآجل . (١)

ولو تأملنا في قريش كيف كانت انغمسهم وكبرياؤهم من الوقوع فيما يذمون به كانوا يقعون في اتباع الهوى كبرا وعنادا عن اتباع رجل منهم كانوا يعرفونه ، وفي ذلك يقول ابن القيم : " طال تعجبي من اقوام لهم انفة ، وعندهم كبر زائد في الحد ، وكانوا يأنفون ان تعلوهم استاهم ؟ ومع هذه الانفة كانوا يذلون بعبادة حجر او خشبة أو حيوان . مع أن الله سبحانه ذم الاصنام فقال : ((ألهم أرجل يمشون بها ام لهم ايد يبطنون بها ، ام لهم اعين يبصرون بها)) (٢)

وكأنه يشير اليهم : بأنكم انتم لكم هذه الآلات المدركة وهم ليس لهم ، فكيف يعبد الكامل الناقص ، غير ان هوى القوم في متابعة الاسلاف واستجلاء ما اخترعوه بآرائهم غطى على العقول فلم تتأمل حقائق الأمور . (٣)

ثم ان استبصار العبر والاستفادة من المواعظ لا تتم الا بالسلامة من الاغراض : وهي متابعة الهوى والانقياد لداعي النفس الأمارة بالسوء . فاتباع الهوى يطمس نور العقل من الرؤية والتفكير ، ويعمي بصيرة القلب من الايضاح والجلء .. والعبد اذا اتبع هواه فسد رأيه بانطماس عقله وقلبه ، فرأى الحسن في صورة القبيح ، والقبيح في صورة الحسن ، والتبس عليه الحق بالباطل ، فكيف ينتفع بالتذكير والعظة وكيف يصل الى الحق بفكر منحرف مطموس .

وقد اشار القرآن الكريم الى تأثير الهوى في الانسان ، وما يؤدي اليه من الانحراف بتفكيره عن اتجاهه السليم ، فيضل سبيله ويعجز عن التمييز بين الحق والباطل . قال تعالى : ((فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ، ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)) (٤)

(١) ذم الهوى ص ١٨ .

(٢) سورة الاعراف ١٩٥ .

(٣) صيد الخاطر ص ٣٧٧ .

(٤) سورة القصص آية ٥٠ .

لذا فان الهوى لا يمكن ان يكون هاديا للبشر بحال من الأحوال ، لما في طبيعتها من دواعي الضعف والخور ، ولانها اضلت العقل والعلم في كثير من الاحيان ومهما كبحت من جماح فطرتها فانها لن تأتي الا بحكم معوج حائد عن طريق الصواب في جل الأحوال - بل كلها - لأن الميول والرغبات التي توجد في طبيعتها تعدل بها عن وجه الصواب وتلجئها الى حكم او رأي يأتي به المقصود مستعجلا وبسهولة . وهذا ضعف طبيعي كامن في جبلة الهوى ونفس حقيقتها . (١)

ولو استعرضنا حالة المشركين والكافرين مع انبيائهم لوجدنا بأن مظاهر اتباع الهوى تركزت فيما يلي :

- عدم الايمان بالله وعدم الاعتراف بالوحيته والنفرة من وحدة الالهية .
- انكار البعث . وانكار النبوة .
- انكار الحساب والجزاء .
- حب الدنيا ومظاهرها .

(١) الدين القيم للمودودي ص ٢٦ .

وأما الآثار المترتبة على اتباع الهوى فكثيرة منها

- الانحطاط وعدم السمو والذلة . قال تعالى :
- ((ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه))^(١) .
- الغفلة : ((ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً))^(٢) .
- الضلال : ((أفرأيت من اتخذ الهه هواه وامله الله على علم))^(٣) .
- ((ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله))^(٤) .
- ((قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين))^(٥)
- عدم الايمان والانجراف وراء المادة : ((فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى))^(٦) .
- استمرار التيه والعمى : ((أرايت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً))^(٧) .
- ((ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين))^(٨) .
- اختلال ميزان الحق في نفس الانسان ، وانقلاب المفاهيم عنده . قال تعالى :
- ((.. فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ..))^(٩)
- ((افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم))^(١٠)

-
- (١) سورة الاعراف ١٧٦ .
- (٢) سورة الكهف ٢٨ .
- (٣) سورة الجاثية ٢٣ .
- (٤) سورة القصص ٥٠ .
- (٥) سورة الانعام ٥٦ .
- (٦) سورة طه ١٦ .
- (٧) سورة الفرقان ٤٣ .
- (٨) البقرة ١٤٥ .
- (٩) سورة ص ٢٦ .
- (١٠) سورة محمد ١٤ .

الملا في مجتمعات الشرك والكفر

قال الله تعالى : (ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم با لينات فانتقمنا من الذين اجرهموا وكان حفا علينا نصر المؤمنين) الروم ٤٧
 قال ابن كثير " هذه الآية تسلية من الله لعبيده ورسوله محمد (ص) بأنه وان كذبه كثير من قومه ومن الناس فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاء و امهم به من الدلائل الواضحات ،
 — ولكن الله انتقم ممن كذبهم وانجي المؤمنين بهم " (١) فمجتمعات المشركين في اي بقعة من بقاع العالم لا تخلوا من الطبقات المتسلطة والطبقات المتسلطة عليها .

فاما الطبقة المتسلطة فهي التي يسميها القرآن الكريم (الملا) وقد تاكدت في آيات أخرى بأن الملا - وهم كبار القوم - هم الذين يقفون في وجه الدعوات . قال تعالى :
 تعالى : ((قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك ..)) (١) .

فهؤلاء هم الذين بيدهم السلطة وبيدهم الاموال فبه يعبثون بممائر الناس ، وبه يسخرون الجماهير لضرب الحق . لذا فقد تميز الملا في وصف القرآن الكريم على معاداة الدعوة الى الله تعالى ، ومقاومة دعوة الرسل الكرام ، وقيادة حملة الكذب والافتراء والتضليل ضد انبياء الله . (٢)

قال تعالى : ((وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون ، وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين)) (٣) .

وهم الذين جابهوا الانبياء ، ووقفوا ضد ما يدعون اليه من الحق ونسبوههم الى الضلال المبين ((لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، قال الملا من قومه انا لنراك فسي ضلال مبين)) (٤) .

فالمجتمعات المشركة هي المجتمعات التي لا تعبد الله وحده أولاً وتخلص العبودية لله وحده .

فالمجتمعات الشيوعية من المجتمعات الكافرة التي تعبد المادة وحدها ولا تعترف بالله سبحانه وتعالى ، وهي التي عبدت الانسان للحزب والقيادة الجماعية مع اهدار خصائص الانسان ومطالبه الاساسية .

(٤) سورة سبأ ٢٤ - ٣٥

(٥) سورة الاعراف ٥٩ - ٦٠

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٢٦

(٢) سورة الاعراف آية ٨٨ .

(٣) اصول الدعوة لزيدان ص ٣٦٧ .

وتدخل فيه المجتمعات الوثنية في كثير من البلاد الشرقية والغربية فـ في الهند واليابان والفلبين وأفريقيه بتأليه غير الله وتقديم الشعائر التعبدية لشتى الآلهة والمعبودات التي نعتقد بالوهيتها .

وكذلك المجتمعات النصرانية واليهودية بتصورها الاعتقادي المحرف الذي لا يفرد الله بالوحدانية ، بل يجعل معه شركاء ، اما بالنبوة أو التثليث أو بتصوير علاقة خلقه به على غير حقيقتها ^(١) ، او بجعلهم الحاكمة العليا التي هي لله عز وجل لاحبارهم ورهبانهم يشرعون لهم من عند انفسهم فيقبلون منهم ما يشرعونه لهم بما لم يأذن به الله ، فاولى ان يوصموا اليوم بالشرك والكفر وقد جعلوا ذلك لناس منهم ليسوا احبارا ولا رهبانا ^(٢) . ثم ان بعض المجتمعات الكافرة تجعل آصرة الرابطة عندهم هو الجنس واللون والقوم والارض ، وهذه الاشياء لا تمثل الخصائص العليا للانسان ، لأنه لا يستطيع ان يغير بارادته الحرة جنسه او لونه او قومه ، بعكس عقيدته ، وتصوره وفكره ومنهج حياته . ^(٣)

والملا باوصافهم واخلاقهم التي بينها القرآن موجودون في كل مجتمع ، وفي كل مكان وزمان ، ولهذا فهم يقفون غالبا في وجه كل دعوة ويحاربونها بدافع من الكبر وحب الرياسة ، وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة مركزهم ومكانتهم وترفعهم ، فالدوافع التي دفعت الملا من الاقوام الماضية الى محاربة رسول الله والدعوة الى الله هي نفسها التي توجد في نفوس الكبراء والمترفين من الأمم .

وقد بين المفسرون الى ان الملا هم وجه المعارضة للدعوة الى الله ، ففي تفسير ابن كثير في قوله تعالى : ((قال الملا من قومه انا لنراك في ضلال مبين)) ^(٤) قال : وهكذا حال الفجار انما يرون الابرار في ضلالة . ويقول : ثم الواقع غالبا ان من تبع الحق ضعفاء الناس والغالب على الاشراف والكبراء مخالفته . ^(٥)

(١) الاسلام سعيد حوى ٣٧/١ - ٣٨ .

(٢) نفس المرجع ٤٠/١ .

(٣) نفس المرجع ٤٩/١ .

(٤) الاعراف آيه "٦٠" .

(٥) تفسير ابن كثير ، ٤٤٠/٢ .

(١٢٤)

(١) والمأل كما يقول المفسرون : هم اشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وساداتهم .

وإطلاق كلمة المأل على هؤلاء في القرآن بهذا المعنى هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلا للشرف والسيادة والقيادة ، فهم عظماء في نظر اقوامهم لرئاستهم لهم وليس لاستحقاقهم هذا الوصف . (٢)

فإلزامة لها دور خطير في المجتمعات الكافرة يتمتعون بنفوذ السيادة : يأمرهم فيطاعون ، ويدعون فيستجابون ، ويسنون فيتبعون ، وتكون لهم الكلمة الفاصلة في المشاكل والقضايا المصيرية في تلك المجتمعات التي ركبت الهوى وساقتها مطية للضلال والانحراف

(١) تفسير القرطبي ٢٣٤/٣ ، ١٢١/١٢ .

(٢) اصول الدعوة لزيدان ص ٣٦٦ .

أسباب عداوة الملأ للدعوة الى اللهأ - الكبر والتعالي واحتقار أهل الدعوة :

قال تعالى : ((وجدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ..))^(١) .
 وقال : ((ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملأيه بأيتنا
 فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين))^(٢) .
 ((قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم
 اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ، قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ، قال الذين
 استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرين))^(٣)

ب - حب الرياسة والجاه :

قال تعالى : ((فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
 يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا
 الأولى))^(٤) .

وقال تعالى : ((قال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في
 الأرض ويذرك وآلتهك ، قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قهرون))^(٥) .

وقال تعالى : ((وافاقيل لهم اتعبوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا
 عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون))^(٦) .
 ومن هذه الاسباب : المسد والمفند ، وجب السهوات ، واسباع الهوى ، والتمسك
 بالتقاليد الموروثة .

-
- (١) سورة النمل آية ١٤ .
 (٢) سورة يونس آية ٧٥ .
 (٣) سورة الاعراف ٧٥ - ٧٦ .
 (٤) سورة المؤمنون آية ٢٤ .
 (٥) سورة الاعراف ١٢٧ .
 (٦) سورة البقرة آية ١٧٠ .

جمهور الناس

واما جمهور الناس فهم اكثرية الناس في المجتمعات وبهم تقوم المجتمعات قلة وكثرة وهم اسرع من غيرهم الى الاستجابة الى الحق ، فهم اتباع رسل الله يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم .

كما سأل هرقل ابا سفيان في الشام قائلاً : أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقال ابو سفيان بل ضعفاؤهم ، فقال هرقل : هم اتباع الرسل . (١)

وسبب استجابتهم للحق لأنهم لا يوجد لديهم موانع القبول الموجودة في الملأ كحب الرياسة والتسلط والأنفوسة من الانقياد .

وقد اشار الى ذلك القرطبي في قوله تعالى : ((وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذ لنا)) (٢) .

وتأثر هؤلاء بالملأ محتمل لشدة تأثيرهم فيهم بالاضلال والاكاذيب ، كما حصل من فرعون وقومه ، حيث اتبعوه في باطله واطاعوه في ضلاله ، ولا شك أن فتنة فرعون كانت بكثرة امواله واعوانه . ((فاستخف قومه فاطعوه انهم كانوا قوماً فاسقين)) (٣) . ((فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد)) (٤) .

(١) يراجع صحيح البخاري في بدء الوحي ٧/١ رقم الحديث ٧ .

(٢) هود آية ٢٧ .

(٣) الزخرف آية ٥٤ .

(٤) هود آية ٩٧ .

أسباب تأثر الجمهور بالملأأ - الخوف :

قال تعالى : ((فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئه ان يفتنهم ، وان فرعون لعال في الأرض وانه لمن المسرفين)) (١) .
 فان لم يوجد الخوف من بطش الملأ أو وجد الايمان لم يرده ذلك عن اتباع الحق ^{وإنه} يترتب عليه التعذيب ونحوه . ((قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون ، انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطيئنا ، ان كنا اول المؤمنين)) (٢)

ب - الاغراء بالمال والسلطة :

((قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده الا خسار)) (٣) .
 ((ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الا نهر تجري من تحتي افلا تبصرون)) (٤)

ج - اثارة الشبهات حول الانبياء واتباعهم والقيام بحملة دعاية عليهم :

مثل :

الاتهام بالجنون : ((قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون)) (٥) .
 الاتهام بالضللال : ((قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال مبين)) (٦) .
 دعوى حماية العقيدة : ((وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم أو ان يظهر في الأرض الفساد)) (٧) .

(١) سورة يونس ٨٢ .

(٢) سورة الشعراء ٥٠ - ٥١ .

(٣) سورة نوح ٢١ .

(٤) سورة الزخرف ٥١ .

(٥) سورة الشعراء ٢٧ .

(٦) سورة الأعراف ٦٠ .

(٧) سورة المؤمنين ٢٦ .

(١٢٨)

- الانتهام بالسفاهة : ((قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة))^(١) .
- التهديد بالطرد : ((قال الملأ الذين استكبروا لنخرجنك^١ يشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا))^(٢) .
- الانتهام بالسحر : ((قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لسحر عليم))^(٣) .
- السخرية مما يقوم به من عمل : ((ويصنع الغلثك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه))^(٤) .

####

واجب الداعية في دعوة غير المسلمين

ان التدرج في دعوة الكفار^١ والملل أمر ضروري واداة من ادوات النجاح ، ووسيلة من وسائل الوصول الى الاهداف المنشودة والغايات المرجوة ، والنبي صلى الله عليه وسلم في مكة استمر في دعوته ثلاث عشرة سنة ، ولكنها لم تكن على درجة واحدة من القوة أو اللين ، فنراه يأمره الله تعالى بقوله : ((وانذر عشيرتـك الأقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين))^(٥)

ولكنه حين اصبح في المدينة وحين اصبح على شيء من القوة قال له : (اذن للذين يقتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير))^(٦) .

ومن سيرته صلى الله عليه وسلم يتضح لنا ان المشركين في مكة كانوا على

انواع ثلاثة :

النوع الأول :

يميل بفطرته الى الحق ويدرك ببصيرته مدى نصيب الدعوة من الحق ومدى امانة

-
- (١) سورة الأعراف ٦٦ .
 (٢) سورة الأعراف ٨٨ .
 (٣) سورة الأعراف ١٠٩ .
 (٤) سورة هود ٢٨ .
 (٥) سورة الشعراء ٢١٤ .
 (٦) سورة الحج ٣٩ .

الداعية في التبليغ فلا يلبث أن يستجيب لنداء الحق لأول وهلة ، ولا يتردد في العمل على نصرته والجهاد في سبيله ، شأن الرعيل الأول من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه .

والنوع الثاني :

وهم الغالبية ممن لم يبلغوا حد الكمال الذي وصل اليه الأولون ، ولم ينزلوا الى حضيض النقمان الذي انحدر اليه الكافرون ، فهم على فطرة سليمة وخلقة كريمة ، ولكنهم على تردد بين التزام الباطل الذي نشأوا عليه واتباع الحق الذي دعوا اليه فيحتاجون الى الموعظة الحسنة والقول البليغ من ترغيب وترهيب وحجة ظاهرة .

النوع الثالث :

من سيطرت على قلوبهم حمية الجاهلية واخذتهم العزة بالاثم ، واصروا على الباطل ووقفوا من دعوة الحق موقف العناد والاستكبار ، وقالوا : ((لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم))^(١) . أو قالوا : ((ان هذا الا أساطير الأولين))^(٢) فمثل هؤلاء لا تجدي فيهم بلاغة القرآن ولا تنفع الموعظة الحسنة ، بل لابد من مجادلتهم بالتي هي احسن باقامة الحجة عليهم ، وبيان الدليل القاطع لهم ، مع التزام الرفق ، واتباع اللين معهم ، فان ذلك انفع في اطفاء جاهليتهم ولا تزيدهم الغلظة الا استكبارا ونفورا ، فاما ان ينقاد الى الحق او يحكم الله فيهم بأمره .

وعلى الداعية ان يكون على علم تام بمبادئهم وافكارهم ، علما يمكنه من الوقوف على الثغرات والاطياء التي تشتمل عليها ، كما أن عليه عدم استعمال الأدلة النقلية في مناقشة هؤلاء الملاحدة ، بل يركز على الأدلة العقلية وتبديد شبهاتهم .

والقضية الأولى مع هؤلاء هي قضية اثبات الاله الواحد ، والطريقة المثلى لاثبات تلك القضية مع منكريها هي الأدلة العقلية ، فنبرهن لهم على وجود الله بجليل صنعه وعظم خلقه .

(١) سورة الزخرف ٣١ .

(٢) سورة المؤمنون ٨٢ .

وعلى الداعية ان يتعقب افتراءاتهم ويدحضها بالادلة القاطعة ، حتى اذا رأى انهم انقادوا اليه ، وانصاعوا للحق ، وصدقوا بالأدلة وآمنوا بوجود الله الخالق الرازق المدبر المنفرد بالكمالات كلها ، وحينما تثبت عندهم العقيدة الصحيحة خاطبهم حينئذ بالادلة النقلية وشرح لهم مبادئ الاسلام وفرائضه واصوله.

واما الوثنيون الذين لم تبلغهم الدعوة على وجهها الصحيح فأولئك هم اقرب الى الفطرة ممن سواهم ، وعلى الداعية ان يلفت انظارهم الى ما حولهم من خلق الله ، والى ما في الكون من الآيات التي يشاهدونها من بديع صنع الله ، ثم ينسب خلقها واتقانها وابداعها الى الله سبحانه، فالليل والنهار والشمس والقمر والأرض والجبال والخيول والبنغال والبر والبحر كلها آية من آيات الله . (١)

في سكونها وحركتها ونظامها الدقيق في اليوم والشهر والسنة ، والتقلبات الجوية وما فيها من الدقة والنظام .

وأهل الكتاب يرددهم الداعية الى كتابهم الحق ، ويذكرهم باقوال رسولهم ، ويوضح لهم ان الرسل كلهم اخوان اصطفاهم الله من خلقه وجعلهم سفراء بينه وبين عباده ، وان اللاحق يقف على اثر السابق ، وان الواجب على الناس ان يؤمنوا بكل الرسل بلا استثناء . (٢)

وقد علم الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم اساليب الجدل في كتابه الكريم باساليب فيها منتهى الحكمة في اقامة الحجة بالتي هي احسن . قال تعالى : ((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كُفُفُتُ ضره ، أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)) (٣)

فبعد ان اعترف القوم بأن الله هو خالق السموات والأرض استفهم منهم النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه عز وجل عن آلهتهم ومدى قدرتها في رفع

(١) اسس الدعوة للوكيل ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) أسس الدعوة للوكيل ص ٤١ .

(٣) سورة الزمر ٢٨ .

(١٣٢)

الضر أو امسك الرحمة ، مع علمه اليقيني بانها لا تملك شيئا من ذلك ، ولكنيه
 أمر بالعدول عن مجابهة القوم بهذه الحقيقة المحرجة لهم ، الى سؤالهم عنها ،
 فلما عجزوا عن الاجابة ، صد عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وبما أمره به الله
 من القول الفصل والنتيجة القاضية عليهم بالاعتراف X ومثله قوله تعالى : ((قل
 أرأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الأرض ، ام لهم شرك في
 السموات ، ائتوني بكتاب من قبل هذا او اثاره من علم ان كنتم صادقين)) (١) .

ولكن الجدل بالتي هي احسن قد لا يفيد فئة من هؤلاء ، فيبالغ في الأذى ويرمي
 النبي صلى الله عليه وسلم بالسحر تارة وبالجنون تارة اخرى ، وتأخذ العزة بالاثم
 فيواجهه القرآن بالشدة والغلظة مثل قوله تعالى : ((ذرني ومن خلقت وحيدا
 وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع ان ازيد .
 كلا انه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا)) (٢) .

فما زال بعد نزول الآيات في نقصان في ماله وولده حتى هلك .

وهكذا يتضح لنا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية من فهم لأساليب القرآن ،
 وآداب الدعوة ، وما ينبغي له من الاستعداد لتفهم الناس ، والقدرة على مخاطبة
 كل فريق منهم بما يليق من تल्प ورفق او شدة وحزم تأليفا لقلوب المؤمنين
 وتقريبا لنفوس المترددين وارغاما لأعداء الدعوة .

ثم ان عمومية الرسالة المحمدية ذات أهمية بالغة للدعاة ، حيث يهشون
 دعوتهم في مختلف البلدان ومختلف الشعوب ، وفي ذلك من الفوائد ما لا يحصى
 لذا ، فان الدعوة الى الله تعالى لغير المسلمين تؤدي الى هدفين اساسيين في هذا
 العصر :

احدهما : محو الواجهة السيئة التي الصقها اعداء الاسلام من المبشرين
 والمستشرقين وغيرهم بالمسلمين ورسالتهم .

والآخر : الكشف عن محاسن الاسلام ، وكيف ان العالم كله لو أخذ به

لتوصل بتوفيق الله تعالى الى بر الامان وسعادة الدارين .

الفصل الثالث

دعوة المسلمين

ويشتمل على خمسة مباحث :

المبحث الأول : الدعوة الى العبادات

المبحث الثاني : الدعوة الى الترابط والملة

المبحث الثالث : الدعوة الى التوحيد والوحدة وعدم الفرقة

المبحث الرابع : الدعوة الى التكافل

المبحث الخامس : الدعوة الى التكامل والتوازن بين الدين والدنيا

المبحث الأولالدعوة الى العباداتتوطئة :

ان المجتمعات الاسلامية لا تقل أهمية الدعوة فيها عن أهميتها في المجتمعات غير الاسلامية ، وذلك لأن الايمان قول/وعمل ، فالتطبيق هو الذي يظهر الايمان على أرض الواقع ، ولا يتم ذلك الا باتيان ما أمر الله به والانتهاه عما نهى الله عنه .

ثم ان العلل والأمراض كما تصيب الاجسام فتذهب بجمالها وحسنها ان لم تسعف بالعلاج قبل استفحال الداء ، فكذلك القلوب فانها تتعرض للأمراض والعلل بين آونة واخرى فيضعف نورها ، ويضمحل تقواها وايمانها ، وبسبب هذه الأمراض يهون عليها خوض اللذات المحرمة والشهوات الممنوعة .

وما أكثر الأمراض التي اصابت المجتمعات الاسلامية من البدع والخرافات نتيجة بعدهم عن تحقيق معنى (لا إله إلا الله) والتهاون بالواجبات الشرعية وانعدام روح الاخلاق الاسلامية كآثر من آثار الغزو الفكري على ديار المسلمين . وعلقت اوهام وخرافات بالاسلام وهو منها براء .

فلا شك ان مسئولية هذه الأمراض تقع على عاتق العلماء والدعاة الى الله عز وجل لأنهم هم الاطباء الحقيقيون لمعالجتها ، فحق على القائمين بالدعوة الى الله بين المسلمين التنبيه الى أهمية الالتزام بالعبادات واهمية الترابط والملسة والاخوة الصادقة بين المسلمين ودعوتهم الى عدم التفرق والتواصل بينهم بالتكافل والتضامن ، وكذلك التكامل بين الدنيا والآخرة وعدم التواكل والمسكنة التي دعا اليها بعض الصوفية .

فالتذكير بحق الله وحق الفرد والمجتمع ، والتنبيه من الغفلة من اعظم واجبات الدعاة الى الله ، اذ هم الذين يستطيعون اعطاء الدواء الناجع للداء الذي

نشب في قلب المسلم . فمتى أهمل الداعية هذا الواجب ، كان ذلك سببا في
تفشي المرض وازدياده وانتشار خطره ثم هلاك العباد والبلاد .

فمحاربة العادات والتقاليد التي لا تتفق مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم من الواجبات الملقاة على عاتق الداعية فلا بد له من اداء هذا الحق على
الوجه الذي يرضي الله تعالى .

؟؟؟؟؟ ؟؟؟؟؟ ؟؟؟؟؟

؟؟؟؟؟ ؟؟؟؟

؟؟؟؟؟

#

المبحث الأول : الدعوة الى العبادات

قال تعالى : ((مينبين اليه واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين)) الروم ٣١
قال الفيروز آبادي : العبدية والعبودية والعبادة الطاعة . (١)

وقال ابن منظور : واصل العبودية الخضوع والتذلل .. ومعنى العبادة :
الطاعة مع الخضوع . ويقال عبد الطريق اي ذلله وسواه . (٢)

وقال الرازي : اصل العبودية الخضوع والذل ، والتعبيد التذليل ، والعبادة
الطاعة . (٣)

من هذا يتضح لنا ان العبادة مشتقة من معنى الطاعة مع التذلل والخضوع ،
لأن الله سبحانه وتعالى امرنا بأمر وطلب منا طاعته في ذلك ، مع انه غير محتاج
لهذه الطاعات ، اذ لا تفيد طاعة طائع ، ولا تضره معصية عاص .

وفي هذا المعنى تعريف القرطبي حيث يقول : اصل العبادة : التذلل والخضوع
وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ، لانهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين
متذللين لله . (٤)

وفي الاصطلاح : اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأفعال
والأفعال والأعمال الظاهرة والباطنة (٥)

وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور ، وذلك هو حقيقة دين
الاسلام ، فالعبادات تشمل كل ما يقوم به المؤمن طاعة لله تعالى ، ولكنها قد
تعنى معنى خاصا هو بعض من هذا المعنى العام - وخاصة الاستعمال الفقهي - اركان
الدين من الصلاة والصيام والزكاة والحج .

والحق ان هناك ما يبرر اطلاق لفظ العبادات ويراد به تلك الاركان لانها

(١) القاموس المحيط ١/٣٢٢ .

(٢) لسان العرب ٢/٦٦٥ .

(٣) مختار الصحاح ص ٤٠٨ .

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ٤٦ .

(٥) تيسير العزيز الحميد ص ٤٧ .

جامعة لكثير من اسرار العبادات محملة لكثير من مقاصدها محققة جل معانيها
ان لم يكن جميعها (١) ، وقد رسمها الاسلام للتقرب بها الى الله تعالى واتخذها
شعائر مميزة له ، وعين لها مواقيت ومقادير وكيفيات لا مجال لتبديل أو تعديل
فيها . (٢)

#####

مقاصد العبادة في الاسلام ومكانتها وأهميتها

ان القرآن الكريم جاء بهدايات تامة كاملة تفي بحاجات البشر في كل عصر
ومصر ، وفاء لا يظفر به أي تشريع ، ولا أي دين آخر، ويتجلى ذلك باستعراض
المقاصد النبيلة التي رمى اليها القرآن في هدايته :

أولها : اصلاح العقائد عن طريق ارشاد الخلق الى حقائق المبدأ والمعاد ،
وما بينهما تحت عنوان : الايمان باللهوملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
ثانيها : اصلاح العبادات عن طريق ارشاد الخلق الى ما يزكي النفوس ويغذي
الأرواح ويقوم الارادة ويفيد الفرد والمجموع منها .

ثالثها : اصلاح الاخلاق عن طريق ارشاد الخلق الى فضائلها وتنفيرهم من
رذائلها في قصد واعتدال عند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط .

رابعها : اصلاح الاجتماع عن طريق ارشاد الخلق الى توحيد صفوفهم ومحو
العصبية وازالة الفوارق التي تباعد بينهم وذلك باشعارهم انهم جنس واحد من نفس
واحد . (٣)

فالقرآن الكريم اذن بعد تشبيته قواعد العقيدة وضع القواعد الأساسية
للعبادات لكون العقيدة بمنزلة القاعدة والأساس في البناء ، والعبادة بمنزلة البناء

(١) العبادات واحكامها وبيان آثارها في بناء المجتمع الاسلامي ص ٨ .
(٢) العبادة في الاسلام للقرضاوي ص ١٥٢ .
(٣) مناهل العرفان ٢/٢٤٢ .

فوقه ، فلا بد لصلاح البناء وسلامته من سلامة القاعدة وملاحها ، ولهذا كانت العبادة عمارة الكون والحياة وهي الصلة بين البشر وخالقهم ، فكلما اضطربت العبادة اختلت الصلة بين العباد وبين من يعبدونه .^(١)

فاختلال العبادة في نفوس الناس تؤدي الى ضعف روح الدين في نفوسهم ، وحينئذ تفقد العبادة مدلولها من اذهانهم ، ومعانيها وحكمتها في حياتهم ، وتتحول الى حركات آلية ، لا حياة فيها ولا حرارة ، وينعكس ذلك على سلوكهم من الرياء والسمعة والنفاق .

ولهذه الأهمية العظيمة والغاية الكبيرة اهتم القرآن بالعبادة اهتماما بالغاً ، اذ جعلها الله سبحانه هي الغاية من خلق الثقلين-الانس والجن- قال تعالى :
 ((وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون))^(٢) .

فدل هذا التأكيد البليغ على انها هي المنظمة لعلاقة الفرد بربه سبحانه ، وهي التي تظهر عبوديته لله تعالى على وجه واضح ، واقراره المؤكد بحق الله الخالص على عباده وفي مقدمتها الصلاة .

فهذه العبادات يجب الحرص عليها والدعوة اليها ، ولا يجوز مطلقا التقليل من شأنها ، وهي بمجموعها تقوي الايمان وترسخه ، فهي له بمثابة الماء للنسبات والهواء للانسان ، وهيبات ان يبقى الايمان على قوته اذا فرط المسلم بها .

لهذا كله اهتم القرآن بها ، وسعى الى ما ثبت قواعدها ، ليستقيم بنيانها ، وتكون عبادة صحيحة ، سالمة من أي اضطراب يخل بأي جانب من جوانبها ، فكان لسلامة قواعد ومبادئ العبادة اعظم الآثار في ثبات الدعوة وترويض الدعاة على نشر هذه الدعوة والدفاع عنها ونجاحها في اوساط الناس .^(٣)

واما وحدة العبادة فانها تظهر في ان الاسلام وحد بين الناس في المعاملة

(١) مفاهيم اسلامية للمودودي ص ١٢ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٣) اسباب نجاح الدعوة الاسلامية لعبدالله الموسى ص ٢٦٤ .

كما وحدهم في العبادة اذ امرهم ان يعبدوا الاها واحدا هو الخالق الذي لا رب سواه
وجعل تمايزهم ونفاضلهم بالتقوى . قال تعالى : ((يا أيها الناس انا خلقناكم من
ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم))^(١) .

فمكانة العبادة في الاسلام انما تأتي من كونها حقا لله تعالى على عباده ،
فقد خلقهم واحسن صورهم ، ورزقهم من الطيبات ما يقوم به معاشهم وحياتهم ،
فيتنعمون ويتلذذون به ، وسخر لهم ما في السموات والأرض .

فحق الله عز وجل احق ان يؤدي عرفانا وشكرا لأُ نعمه عز وجل ، روى معاذ
رضي الله عنه قال : (كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له
غفير ، فقال : يا معاذ ، هل تدري حق الله على عباده ، وماحق العباد على الله ؟
قلت : الله ورسوله اعلم . قال : فان حق الله على العباد ان يعبدوه ، ولا يشركوا
به شيئا ، وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا . فقلست :
بارسول الله ، افلا ابشر به الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلموا)^(٢)

ويشبه الامام ابن القيم العبادات بمادة سقي غراس التوحيد فيقول : الايمان
شجرة عظيمة ، عروقتها العلم والمعرفة ، واليقين ، وساقها الاخلاص ، وفروعها
الأعمال ، وثمرتها ما توجهه الاعمال الصالحة من الآثار الحميدة ، والصفات الممدوحة
والاخلاق الزكية ، والسمت الصالح والهدى ، والدل المرضي، فيستدل على غرس هذه
الشجرة في القلب وثبوتها فيه بهذه الأمور .

فالغرس اذا لم يتعاهده صاحبه اوشك ان يهلك .

ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد الى ما أمر الله به من العبادات علسي
تعاقب الأوقات ، ومن عظيم رحمته ، وتمام نعمته واحسانه الى عباده ان وظفها
عليها ، وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم .^(٣)

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) صحيح البخاري في الجهاد ١٠٤٩/٣ ، رقم الحديث ٢٧٠١ .

(٣) التفسير القيم ص ٣٣٠ .

ان الحق في التكليف بالشرائع مثله كمثل سيد مرض عبیده ، فسلط عليهم رجلا من خاصته ليسقيهم دواء ، فان اطاعوا له اطاعوا السيد ، ورضي عنهم سيدهم ، واثابهم خيرا ، ونجوا من المرضى ، وان عصوه عصوا السيد ، واحاط بهم غضبه وجازاهم اسوأ الجزاء ، وهلكوا من المرض .^(١)

والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال راويا عن الملائكة :
(مثله كمثل رجل بنى دارا ، وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعيا ، فمن اجاب الداعي دخل الدار ، وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة)^(٢) .

فنزلت الشرائع الالهية بهذه العبارة ، ومكنت هذه المعرفة من نفوسهم بثلاث مقامات :

- احدها : انه تعالى منعم ، وشكر المنعم واجب ، والعبادة شكر له على نعمه .
- والثاني : انه يجازي المعرضين عنه ، والتاركين لعبادته في الدنيا اشد الجزاء .
- والثالث : انه يجازي في الآخرة المطيعين والعاصين ، فانيسطت من هنالك ثلاثة علوم : علم التذكير بالآء الله ، وعلم التذكير بايام الله ، وعلم التذكير بالمعاد ، فنزل القرآن العظيم شرحا لهذه العلوم .^(٣)

ولما كانت النعم ظاهرة بادية للعيان مما انعم الله بها على الانسان ، فانه لاشك اولى من ان يشكره سبحانه على نعمه باداء ما طلبه منه من عبادات يجازيه عليها يوم القيامة بالجنة ، فدل ذلك على مقاصد العبادة واهميتها ومكانتها في الاسلام .

(١) حجة الله البالغة ١٣/١ .

(٢) صحيح البخاري ٢٦٥٥/٦ ، رقم الحديث ٦٨٥٢ .

(٣) حجة الله البالغة ١٤٣/١ .

شمول العبادات

سلك القرآن الكريم في تثبيت العبادات في النفوس مسلك التدرج ، كما فطمهم عن الشرك والاباحية درجة درجة ، فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة ، ثم ثنى بالزكاة والصوم والحج بعد ذلك ، وكذلك كان الشأن في العبادات حيث زجرهم عن الكبائر ، وشدد النكير عليهم فيها ، فابتدأ في تحريم ما كان متأملاً في النفوس من الموبقات والمفاسد الضارة كالخمر والميسر والزنى وغيرها . (١)

فالعبادة في الاسلام شاملة لحياة الانسان كله ، فهو في عبادة الله في ذكره وصلاته وصيامه وحجه وجهاده في سبيل الله ، وكده في سبيل الرزق الحلال وفي شهوده ، وحينما سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن العبادة أجاب رحمه الله :
 " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالملاة والزكاة والصيام والحج ، وصدق الحديث ، واداء الأمانة وبسر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان للجار ، واليتيم والمسكين وابن السبيـل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه ، واخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضا بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه وامثال ذلك هي من العبادة لله " . (٢)

من هذا يتضح لنا ان العبادة لا تقف عند العبادات المعنية ذات الشروط والحركات الخاصة مثل الصلاة والصوم وغيرها ، بل تنتشر في عالم الانسان كله ، وتنسحب على كل فكره وعقله ، حتى يكون كل أمر ذي بال من امور الانسان شيئاً داخلاً في مفهوم هذه العبادة ، فالبسمة نوع من انواع العبادة وتعبيراً عن ارادة الوحدة في تقرير الارتباط الشامل والواعي بين الانسان وربّه وبينهما وبين الكسـون كله . (٣)

(١) مناهل العرفان ٤٩/١ .

(٢) العبودية ص ٢٨ ، ٧٣ .

(٣) رمضان لاوند (الوعي الاسلامي) ص ٨٤ ، ٦٦ .

فاذا كانت العبادة بهذا الشمول وهذا الاتساع العظيم فان ايماننا بالله لا يمكن أن يتحقق شعوريا وعمليا الا بالعبادة ، ولا تتم انسانيتنا الا بها ، بحيث تؤدي في النهاية الى وحدة الأمة وانصهارها في بوتقة واحدة تحت شمول كلمته العبادية التي هي دعوة الى وحدة الأمة الاسلامية شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، ودعوة الى ارتباطها برباط واحد لا تفك آصرتها المحن والمصائب ، فوحدة القبلة والتقاء المسلمين خمس مرات في اليوم الى مركز واحد ترتبط عنده شعور المسلمين ، يولد عندهم الاحساس ببقية المسلمين في اطراف الكون ، وكذلك صوم شهر واحد في وقت واحد في كل عام ، وكذلك الحج حيث تلتقى جسوم المسلمين ولغاتهم ولباسهم في شعائر واحدة ، وكلمات واحدة ، ويذوبون رقة ، ولطفا فيما بينهم ، كل ذلك دل على الشمول العام لكل ما يمكن به التأليف والتآلف .

ثم انه بالاضافة الى هذا الشمول فان هذه العبادات جاءت ملائمة لفطرة الانسان وسجيته وطبيعته ففيها الوجهة التربوية السليمة التي تدفع الانسان اليها دون ان يحس بثقل لها في نفسه وروحه ، اذ انها موضوعة على التخفيف والرحمة والشفقة ، ففي فرضية الصلاة نرى انها راعت حالة الانسان الظاهرية والنفسية ، بحيث لا يمكن أن يتضايق منه الانسان في أية حالة من حالاته الطارئة في حياته فمن ذلك :

التقديم والتأخير في الصلاة اذا اقتضت الضرورة لذلك في السفر ، ومثسسل تأخير صلاة المغرب بمزدلفة . وتأخير صوم رمضان لعذر .

ومنه تخفيف الابدال مثل : استبدال الوضوء والغسل بالتيمم عند الحاجة .
ومنه تخفيف التنقيص مثل صلاة المريض قاعدا أو مضطجعا ، أو قصر الرباعية في السفر .

ومنه : تخفيف الاسقاط مثل اسقاط الصلاة عن الحائض والنفساء .

ومن هذه الملائمة لفطرة الانسان التدرج في فرضية العبادات من البدء بفرضية

الملاة قبل الهجرة ثم فرضية الصوم في السنة الثانية من الهجرة وحتمها بالحج بعدما الفت النفوس جميل شرائعه وعظيم أثره واطمأنت الى سلامة احكامه الى ما فيه صلاحهم وتنظيم حياتهم تنظيما دقيقا بحيث لا يتكلف العناء والمشقة لحمل مشكلات حياته ، فانقاد لهذه الدعوة انقياد طاعة باختياره .

::::: :::::: ::::::

أثر العبادات في صلاح الفرد والجماعة

وهناك مزية بارزة في العبادات الاسلامية وهي انها تمزج بين الدنيا والآخرة ، وتصل بين السماء والأرض ، وكلها تشتمل على جانب تعبدى موجه الى السماء مقصود به الآخرة ، وجانب عملي موجه لواقع الأرض ، مقصود به الحياة الدنيا ، وتنظيمها وإقامتها على اسس مكيانه من النظافة والعدالة والملاح والاستقرار ، وبذلك تصبح الدنيا والآخرة متملتين متحدتين في الفكر والضمير ، ويمبح الكائن البشري يمشى بجسمه على الأرض ، وروحه متطلعة الى السماء . (١)

لذا فقد اتبع القرآن الكريم في تربيته لشخصية الانسان ، وفي تغيير سلوكه اسلوب العمل والممارسة الفعلية للافكار والعبادات السلوكية الجديدة التي يريد ان يفرسها في نفوسهم ، ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة ، كالصلاة ، والقيام ، والزكاة ، والحج .

فالقيام بهذه العبادات في اوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى والامتثال لاوامره ، والتوجه الدائم اليه في عبودية تامة ، كما يعلمه الصبر ، وتحمل المشاق ومجاهدة النفس ، والتحكم في اهوائها وشهواتها ، كما يعلمه حب الناس والاحسان اليهم ، وينمي في نفسه روح التكافل والتعاون الاجتماعي ، وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية .

(١) في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص ١٣٥ .

ولا شك ان قيام المؤمن بهذه العبادات باخلاص ، وبانتظام انما يؤدي السى اكتسابه هذه الخصال الحميدة التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة ، كما تمده بالوقاية من الأمراض النفسية كما يأتي في المباحث التالية .

ولو تأملنا المجتمعات المختلطة او الاقليات الاسلامية في بعض الأقطار التي تحكمها اكثرية كافرة لظهر لنا بوضوح وجلاء ما يتميز به المسلم من المظهر الملائم لكرامة الانسان ما لا يظهر عليه في الاكثرية الكافرة ، هذا المظهر الذي يحكمه الالتزام بقواعد الشريعة من العبادات بجميع انواعها واشكالها ، ويكون بذلك قريير العين مطمئن النفس ، فما السبب في ذلك ؟

السبب ان للعبادات تأثيراً واضحاً في سلوك الفرد ، فهي التي تزكي نفسه وتزيد مراقبته لربه تعالى في السر والعلن ، والخوف منه ، فينزجر عن المعاصي والاضرار بالناس ، ويسارع الى عمل الخير ، ولا شك ان المجتمع سيكون سعيداً اذا زاد فيه عدد الصالحين الخائفين من الله تعالى ، وان كمية الخير في المجتمع ستكثر ومقادير الشر والسوء ستقل ، وعلى هذا يمكننا ان نقول ان العبادات في الاسلام تملح الفرد والمجتمع وتملحها معا .^(١)

اذن فالحظ كل الحظ لهذا المجتمع الذي وجد فيه المسلمون العاملون بهذه العبادات ، لأن الله تعالى لم يشرع للناس من العبادات الا ما يتصل به امر اصلاحي او تهذيبي لهم ، وكان من حقه ان يتعبدهم بتكاليف لا تتصل بملاحهم في الدنيا والآخرة ، ولكن رحمته اقتضت بأن يجمع بين حقه على الناس في ان يعبدوه ، ويشكروه ، وبين تحقيق مصالحهم عن طريق اختيار اساليب لهذه العبادة ، ترمي الى التهذيب واصلاح النفوس واسعاد المجتمع .^(٢)

ولو تأملنا المجتمع العربي قبل الاسلام لوجدنا انهم لم تكن لهم حضارة الفرس والروم ، بل كانوا اعراباً جفاة ، وهذا ما جعل رستم قائد الفرس في وقعة
إلا أنهم تغيروا بعد الإسلام

(١) اصول الدعوة لزيدان ص ٤٢ .

(٢) مناهج التفكير في العقائد والعبادات لمحمد محمد المدني - مجلة الوعي

الاسلامي عدد ١٤ سنة ١٣٨٦ ص ١٨٠ .

القادية حينما سمع منادي سعد بالظهر ، ورأى استعداد المسلمين للصلاة ووقوفهم في تنظيم دقيق أدركته الحسرة البالغة ، وأظهر تألمه وتوجهه في قوله : " أكمل عمر كبدي ، احرق الله كبده ، علم هؤلاء حتى علموا .. ثم قال : .. انما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل " . (١)

فجعل الصلاة أدبا جماعيا وتربية جماعية على الالتزام الجماعي لتنظيم الفرد والجماعة ، ولما رآها في الصلاة ادرك انها تبدلت حالا بحال فصارت امة لها دين وآداب ، ولم يفهم هذا الا من مظهر الصلاة ، لأنه رآها صغفوا منتظمة في وقار وأدب وقد اصبحت خلف امام واحد بمظهر الامتثال والاتحاد والنظام والاخوة الصادقة والمحبة .

فالعبادات اذن مكارم وآداب - فردية وجماعية - ونفعها دنيوى واخرى ، ويظهر ذلك جليا في آثارها على الفرد والمجتمع ، لانها وسيلة للرفق الاخلاقي والأمن الاجتماعي والاستقرار النفسي فهي تنهى الفرد عن المنكرات والفواحش كما تدعوه الى تحسين علاقته بربه سبحانه ودل على ذلك كله تظافر دليل العقل والنقل والواقع التاريخي للمجتمع الاسلامي .

وهذا كله من شمول العبادات في الاسلام ، ودخولها في حياة الانسان ، وفي ضبط علاقاته كلها سواء الفردية منها او الاجتماعية ، الدقيقة منها او العظيمة ، وفي ذلك كله علامة وبرهان على قدرته لاصلاح الشعوب ، واخراجها من ظلمات الامراض والأوبئة والعقد النفسية الى السعادة المنشودة التي تبحث عنها البشرية ولا زالت ، ولا شك ان هذه مهمة الدعوة الى الله في هذا العصر .

(١) تاريخ الطبري ٥٣٣/٣ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار سويدان ،

عبادة الصلاة

الصلاة في اللغة : الدعاء .

وهي العبادة المخصوصة بالركوع والسجود والصلاة من الله تعالى الرحمة ،

وصلاة الله على رسوله : رحمته له وحسن ثنائه عليه .

وقال ابن الأعرابي : الصلاة من الله الرحمة ، ومن المخلوقين والملائكة والانس

والجن القيام والركوع والسجود والتسبيح ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها

من تعظيم الرب تعالى وتقدس .^(١)

فهي إذاً دعاء يتقرب به الى الله تعالى باقامة ما فرضه على عباده من طاعة

بإظهار الحاجة والافتقار اليه سبحانه بالقول والعمل .

#####

أهمية الصلاة في الكتاب والسنة

اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بأمر الصلاة اهتماماً بالغاً دل على

مكانتها في الاسلام ، وبين الله سبحانه في القرآن الكريم ان ابا الانبياء ابراهيم

عليه السلام طلب من الله تعالى ان يجعله من المرتبطين بها والمقيمين لها في

نفسه وولده . قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : (رب اجعلني مقيم

الصلوة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء) .^(٢)

فلا شك ان هذا الاهتمام البالغ كان اهتماماً عاماً من الانبياء كلهم صلوات

الله وسلامه عليهم تبعاً لأهمية الصلاة عند خالقنا سبحانه وتعالى وحضهم عليها .

وكما حض الله سبحانه الانبياء عليها حض المؤمنين ايضاً ، وجعل اقامتها

علامة على التقوى المقرونة بالايمان . قال تعالى :

(١) لسان العرب ٤٧٠/٢ .

(٢) سورة ابراهيم آية "٤٠" .

((ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ،
ويقيمون الصلاة ، وما رزقناهم ينفقون)) (١) .

ثم اننا لو استعرضنا مادة الصلاة في القرآن الكريم لوجدناها قد تكسرت
ثلاثاً وسبعين مرة ما بين ترغيب في اقامتها وتشويق لما يهيئه الله تعالى من
الخير العميم للمحافظين عليها والتمسكين باقامتها على الوجه الأكمل ، وما بين
ترهيب للمتساهلين فيها او التاركين لها ، وما اعده الله سبحانه من العذاب
والنكال لهم ، ولاشك ان هذا التكرار بهذا العدد في القرآن الكريم انما يدل على
الأهمية البالغة والمكانة الكبيرة .

واما السنة السنة النبوية فقد وضحت مقاصد القرآن الكريم وشرحتها شرحاً
وافياً ، ورغبت في أهمية الصلاة واقامتها ، ورغبت المسلم في ملازمتها وادائها
بدقة متناهية دلت على الاهتمام بها .

فقد أكدت الاحاديث الشريفة على وجوبها مبينة انها هي الفارق بين المسلم
والكافر ، وانها من صفات المؤمنين المتقين ، كما انها لا يجوز التفريط بها في
أية حال من الحالات سواء في اقامة أو في سفر أو في حالة السلم أو الحرب ،
أو حالة الصحة والمرض ، بل صورت لملازمة الخوف في الحرب نحواً من سبع صور ،
ولا شك أن حالة الحرب هي اشد الحالات واكثرها حاجة الى الترك لو كان هناك
ترك .

بل ان السنة جعلت تركها او التكاسل عنها من صفات المنافقين ، كما كانت
آخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبينت انها اول ما يسأل عنه
العبد يوم القيامة .

ثم ان الصلاة بعد هذا تزكية للنفس ، وصلة بين العبد وربّه وتذكير مستمر
بعبوديته لله تعالى ، وبمعاني كلمة التوحيد ، وهي مزرعة لروحه ، وغسل لادبائها
واوساخها ، وهي قرّة عين المسلم ، اليها يفرغ اذا ضاق صدره ، وادبهم است

الخطوب كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما انها هي التي تنهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر لما فيها من قراءة القرآن وتسبيح الله وذكره وتمجيده فكان في ذلك كله تذكير للعبد ووقاية له من المخالفة والعصيان . (١)

كما حضت السنة النبوية على لوازم الصلاة ومقدماتها ورغبتها فيها فقد رغبت في الأذان وانها امانة يجب اداؤها في وقتها والاعلان بها في الأوقات التي حددتها الشريعة الاسلامية ، في أي مكان من الأرض بلا تحديد .

فأول مظاهر الصلاة اذاً هو الاذان ، وهو زيادة على كونه اعلاما بدخول الوقت فيه اشعار بعظمة الله تعالى ، وانه اكبر الوسائل التي تدعو الى اداء هذا الركن وامتنال امره في الاسلام .

وبترديد الاذان مع المؤذن يجدد المؤمن ايمانه خمس مرات في اليوم فيسارع بل يتعود على المسارعة الى امتثال امر الله تعالى .

وكما حضت على الاذان حضت على بناء المساجد وتنظيفها وتطهيرها من الأوساخ والروائح الكريهة أيا كان مصدرها .

وكما حضت على الطهارة التي هي مقدمة للصلاة وضرورة من ضروراتها ، وما يتبعها من الاستنجاء والاستجمار والتنظف من القذر والأذى حتى يكونوا انظف الناس ابدانا وازكاهم نفوسا ، واصحهم اجساما وارقاها ارواحا ، ولهذا اناطت الشريعة غسل جميع الجسد ، وغسل الاطراف باسباب تقع يوميا ورغبت في غسل اليدين وانقائهما قبل المضمضة والاستنشاق .

ولما كانت الصلاة تربي الانسان روحيا وخلقياً بربطه بخالقه جل وعلا ، فقد اختارت السنة النبوية احسن الصور تشويقا واكثرها ترغيبا من الصور التمثيلية المشاهدة المحسوسة حتى يكون اكثر وقعا واشد تأثيرا ، واحسن منظرا كما ورد في البخاري عن ابي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رأيتم لو أن نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقى من درنه ؟

(١) اصول الدعوة لزيدان ص ٣٩ - ٤٠ بتصريف .

قالوا : لا يبقى من درنه شيئا . قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله
بهن الخطايا (رواه البخاري .^(١)

فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اعطى مثلا اعلى في التربية ،
ودرسا شيقا بوسائل محسوسة ليبين فائدة الصلاة البالغة النهاية في السمو والايضاح
ومكانتها في الاسلام ، كما تذكر المسلم بان المحافظة عليها في الدنيا توصل الى
نعيم الجنة وانهارها ، ويوضح لأصحابه وامته عمل الصلاة في محو الخطايا التي تبدر
من الانسان في صباحه ومساءه .

فعن أبي عثمان قال : (كنت مع سلمان الفارسي تحت شجرة واخذ منها
غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه ، فقال يا أبا عثمان ألا تسألني لم افعل هذا ؟
قلت : ولم تفعله ؟ ، فقال هكذا فعل بي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا معه تحت شجرة ، فأخذ منها غصنا يابسا فهزه حتى تحات ورقه ، فقال :
يا سلمان ، ألا تسألني لم افعل هذا ؟ قلت : ولم تفعله ؟ قال : ان المسلم اذا
توضأ فاحسن الوضوء ، ثم صلى الصلوات الخمس تحاتت خطاياه كما يتحات هذا
الورق ، وقال : وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهب
السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)^(٢) .

فدل ذلك على المكانة السامية التي وضعتها الشريعة الاسلامية لهذا الركن
العظيم ، وبينت أهميتها وفضلها وأثرها على الفرد الذي هو جزء من المجتمع
الاسلامي الكبير ففي صلاح الأفراد صلاح المجتمعات .

ولا شك أن شريعة تفرض على افرادها كافة - رجالا ونساء - ان تكون لهم
هذه الوسيلة الروحية خمس مرات كل يوم ، جدير بأن يسود في مجتمعاتها الاخلاق
الطاهرة وتزول منها المنكرات . قال تعالى : ((ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر)^(٣)

(١) البخاري في مواقيت الصلاة ١/١٩٧ .

(٢) مسند احمد ٥/٤٣٧ ، وعزاه المنذري الى النسائي والطبراني ثم قال ورواه احمد

محتج بهم في الصحيح الا على بن زيد . (الترغيب والترهيب ١/٢٣٧) .

(٣) سورة العنكبوت آية "٤٥" .

الصلاة وأثرها في النفس والروح

الصلاة تربي الانسان روحيا وخلقيا ، اذ تربط بين الانسان وخالقه وتعلمه الطاعة والشكر ، كما أنها تقوي ارادته وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة والمحافظة على المواعيد ، وهذه الأشياء انما تحصل بوجود الاستقرار النفسي ، والراحة والطمأنينة التي تتم بوجود حسن العلاقة مع الباري سبحانه وتعالى .

« فالانسان اذا لم تتمل روحه بمبدعها ظهرت فيه مظاهر الوحشة والاكتئاب وعدم الفناعة بشيء ، وربما ظن ان وحشته واكتنابه حملا من عدم اخذه حظا من الملهييات فالقى بنفسه بين احضانها ففضى حياته وهو شديد الاقبال على الدنيا ، عظيم الحسرة فيما لم يبلغ اليه اجتهاده فيها ، دائم الحيرة ، كثير الهلع .

بينما تتيح الصلاة للمرء أن يسأل بارئه كل ما يريد حتى ينفس عن مشاعره ، وتخلق فيه عقيدة اطاعة اوامر الله ، ولو كانت تتعارض ورغباته الشخصية ، كما تبت فيه عدم اليأس ، وتدعوه الى التماس القوة من الله .

فالانسان الذي يعتمد على الله لا يعرف اليأس الى قلبه سبيلا ، ويملك من القوة النفسية ما يواجه بها اعظم المشاكل دقة وخطراً .

ومن هنا يتبين لنا ان اتصال الروح الانسانية بخالقها ولو لحظات في اليوم من الضروريات للانسان ، لهذا شرع الله الصلاة في الاسلام . (١)

فالصلاة هي الدين في حالة العمل ، أو هي/الدين الحق ، ~~والدين لا يكتوي~~ ^{ركنه} ~~والدين هو العمل الجوى الزعب~~ ^{هنا يتدبه اذا لم يكن صلا ميوبا} بواسطته تحاول النفس أن تنجو من الهلاك بالتجائها الى اصلها التي تنزلت منه ، وهذا العمل هو الصلاة ، وهي كما أعنيها ليست التلطف بكلمات أو ترديد عبارات / ولكنها الحركة التي تقوم بها النفس لتضع نفسها في علاقة شخصية ، أو اتصال مباشر بخالقه الذي يسير الانسان وفق مشيئته وارادته .

(١) روح الدين الاسلامي ، طبارة ص ٢٧٢ .

نصيب الدعاء من الصلاة :

فالملاة اذا هي دوام الولاء الايماني بحيث لا يغفل الانسان عنها أبدا حتى تتمدرك حركته في الحياة موافقة لمنهجه الذي انزله ، فشرع له الولاء بالملاة خمس مرات كل يوم بممارسة افعال خاصة لتتكون اخلاقه وسلوكه عمليا ، وليبني علاقاته مع بني الانسان بالواقع ، فتعويد المرء على النظام في الحياة ، وعلى ضبط النفس وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية ، وعلى التضحية في سبيل المجموع كلها تتطلب مرانا وممارسة يومية تلازم حياة الانسان .

فالداعي الى الله اذا كان موصل القلب بالله ، يتلو كلامه ، ويطبقه على نفسه ، ويشغل بالعبادات من صلاة وصيام وقيام فان لذلك يكون اطيب الأثر في نفسه وفيمن يستمع اليه ، لأن العبادات تهذب النفس وتقوي الروح ، وتجعل لكلامه أشرا فيمن يدعوهم .

ولو تأملنا في الصلاة بهذه النظرة التأملية لوجدنا الصورة الحية للكيمان الاسلامي العظيم المشتمل على جسم الانسان كله : فعقله يكون في تأمل وتفكر في موقفه امام الله تعالى ملك الملوك متفكرا فيما يتلوه من آياته الكريمة . ويكون روحه في خشوع وخشية .

ولعائده العبد الرب

فليست الصلاة مجرد حركات تؤدي ، بل هي صلة فيها اهداف جليلة تطبع

الانسان على النظام في حياته وتروضه على السلوك القويم .

وهذه الصلة يستمد منها القلب قوة وتحس فيها الروح صلة ، وتجد فيها النفس زادا انفس من اعراض الحياة الدنيا ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ، وهو الوثيق الصلة بربه ، الموصول السروح بالوحي والالهام ، وما يزال هذا الينبوع الدافق في متناول كل مؤمن يريـد زادا للطريق ، وريا في الهجير ومددا حين ينقطع المدد ، ورصيـداً حين ينفد الرصيد . (١)

(١) في ظلال القرآن ٦٩/١ .

لما أخرجه احمد وأبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى) (١) .

وافهم من هذا ان حياة الانسان في تطور دائم في مراحل حياته المختلفة ، اذ تؤثر عليها المدنية الحديثة كل التأثير ، ولكن شيئاً واحداً لا يتغير ، وهذا الشيء هو العبادات التي فرضها الله على الانسان ، وجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، وجعلها مقراً وملجأ يلجأ اليه الانسان في كل لحظة ينتابه القلق أو عدم الاطمئنان أو تكالبت عليه المنغصات والمكدرات وما أكثرها في هذا العصر المتناقض احواله . ولعل احوج ما يكون اليها هو الداعية الى الله تعالى ، ذلك لأن العبادات لها أثر كبير في نفسية الانسان التي تتجاذبها دوافع عديدة في مسيرة حياته ونوازع مختلفة تؤثر على سلوكه كالشح والظلم والعجلة . فلا بد للانسان من مجاهدة هذه الدوافع وهذه النوازع وتهذيبها بهذه العبادات . اذ هي السبيل الوحيد لغرس المثل في شخصية الداعي .

ولبيان اهمية الصلاة بالنسبة للداعية ولتعليمه الصبر على ما يلقاه في سبيل تبليغ رسالة ربه ، ولتعليمه التأمل والتدبير ، والتفكير ، في انجاز المهمة المنوطة به ما اورده السيوطي في اسباب النزول قال : اخرج البزار والطبراني بسند رواه عن جابر قال : اجتمعت قريش في دار الندوة . فقالت سموا هذا الرجل اسماً يصدر عنه الناس . قالوا : كاهن ، قالوا : ليس بكاهن .. قالوا : ساحر . قالوا : ليس بساحر . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل في ثيابه فتدثر فيها . فأتاه جبريل فقال : ((يا أيها المزمّل)) ((يا أيها المدثر)) . وعن ابراهيم النخعي قال : نزلت وهو في قطيفة . (٢)

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه .

وقال معمر عن قتادة : قاموا حولاً ، أو حولين حتى انتفخت سوقهم واقدامهم

(١) مسند احمد ٣٨٨/٥ ، وابو داود ٣٥/٢ ، رقم الحديث ١٣١٩ .

(٢) اسباب النزول للسيوطي على حاشية تفسير الجلالين ١٢٤/٢ .

(١) فانزل الله تخفيفها بعد في آخر السورة .

ولذلك علم النبي صلى الله عليه وسلم اصعابه كيف يهتمون بالصلاة فهم الذين حملوا رسالته بعده لما لها من عظيم الأثر في نفس الداعية ، بحيث يقف امام ربه بكل جوارحه وحواسه ، ويحس احساسا كاملا بأنه امام خالقه ومالكوه ومدبر امره ، وبذلك تنزل عليه السكينة والهدوء النفسي والراحة العقلية .

وفي ذلك اثر علاجي عظيم في تخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية ، وفي خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس .
وفي هذا تدريب للداعية على التحمل ، وتنبيه له الى ثقل امر الدعوة ، وحاجتها الى الصبر الطويل .

وكانت الصلاة قرآءة عين النبي صلى الله عليه وسلم ، وانها كمال قوته وعزيمته التي تجعله يتحمل مصاعب الدعوة ومشقاتها ، لأن العبد اقرب ما يكون الى ربه وهو ساجد . (٢)

اخرج النسائي عن انس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حبيب الى من الدنيا النساء والطيب ، وجعلت قرآءة عيني في الصلاة) (٣) .

وقال السيوطي : وفي الحديث اشارة الى ان الصلاة مناجاة الله تعالى ..نتيجة التعظيم على ما يلوح من اركانها ووظائفها ، كما ان فيها اشارة الى ان كمال القوة النظرية اهم عنده واشرف في نفس الأمر . (٤)

فالملاة في كل عبادة هي عنوانها وترجمانها الذي يدل على مبادئها واتجاهاتها . لذا نجد الصلاة في الاسلام تشمل الكيان البشري كله في آن واحد ، جسما وعقلا ، وروحا . وتعطي كلا منها نصيبه ، وتوازن بين شتى الاتجاهات . هذا

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٣٧ .

(٢) مسلم في الصلاة ١/٢٠١ . ونص الحديث : (عن ابي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فاكثروا الدعاء) .

(٣) سنن النسائي في عشرة النساء ٧/٥٨ .

(٤) زهر الربى للسيوطي ٧/٥٩ .

التوجه الذي له اثره الكبير في حياة الفرد ، حين يؤدي الصلاة على حقيقتها ،
لا مجرد حركات وكلمات . (١)

وعليه فان اصل الصلاة ثلاثة اشياء :

- # ان يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله وعظمته .
- # وان يعبر اللسان عن تلك العظمة وذلك الخضوع بافصح عبارة .
- # وان يؤدي الجوارح حسب ذلك الخضوع .

وبذلك يستشعر ذله ، وعزة ربه ، فينكس رأسه - آية الخضوع والاختبات ،
ولا شيء في تمرين النفس على انقياد الطبيعة للعقل ، وجريانها في حكمه مثل
الصلاة . (٢)

صلة المواقيت بحياة الانسان :

ولو نظرنا الي مواقيت الصلاة نجد أن هذه المواقيت تتدرج بداية من نحو
سبع ساعات من صلاة الفجر الي صلاة الظهر ، الي ان تصل الي ساعة واحدة ونصف
ساعة بين صلاتي المغرب والعشاء .

وتعليل ذلك ان النوم اثناء الليل يعطي الانسان الراحة التامة من الاجهاد في
اليوم السابق ، فيستيقظ الانسان هادئاً مطمئناً وتهدأ توترات عضلاته ، فنأتي
مسيرة حياته العملية فيبلغ منه الجهد والتعب بعد مدة اقصاها سبع ساعات ،
ولذلك فرضت عليه الشريعة التوقف عن العمل ، حتى يؤدي الوضوء والصلاة ، لأنها
راحة بعد عناء طويل من العمل . *

لما اخرجه ابو داود عن سالم بن ابي الجعد ، قال : قال رجل - قال مسعر :
اراه من خزاعة - ليتني صليت فاسترحت ، فكانهم عابوا عليه ذلك ، فقال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا بلال اقم الصلاة أرحنا بها) (٣)

(١) في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص ١٢٨ .

(٢) حجة الله البالغة ١٥٢/١ - ١٥٤ .

(٣) سنن ابي داود في الادب ٢٩٦/٤ ، رقم الحديث ٤٩٨٥ .

* التوقف عن العمل غير مطلوب من المسلم على اطلاقه .

وحيثما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا بإراحتة بالصلاة ، إنما أشار إلى أنها راحة للنفوس من الاضطراب ، وطمانينة للأفئدة الوجله ، واستقرار للنفوس الخائفة . أنها الانس بالله من كل وحشة ، وهي الزاد للحياة بين يدي كل شدة ، والظهر من كل زلة وعثرة .

وفي الوضوء اثر كبير على اعصاب الانسان بما يقوم به الماء من تنشيطها وتلطيف توتراتها العضلية ، فيؤدي بعد ذلك الصلاة ثم يرجع بعد ذلك إلى العمل والكد فيبلغ منه الجهد بعد ثلاث ساعات تقريبا ويحل موعد صلاة العصر فيتوضأ للصلاة وتهدأ اعصابه وتوتراته ، وهكذا يتدرج في عمله حتى تحين صلاة العشاء فيؤديها ليستريح بعد ذلك مدة تكفيه للعمل في اليوم التالي ، فأثر الماء على الانسان يأتي في تلطيف التوترات العضلية التي تصاحب الاجهاد اليومي وتهسدي الدورة الدموية .

الطهارة نظافة وتجميل :

ان الصلاة داعية للنظافة ، ومدعمة لها ، وحاضة عليها ، فهي ليست عبادة روحية فحسب ، بل هي تطهر وتجميل وتزين ، فأول شروطها الطهارة في البدن ، وذلك بالاستنجاء وغسل الأطراف المحدودة خمس مرات في اليوم والليله ، فلو تأملنا السر في تحديد هذه الأماكن لوجدنا انها أماكن تجمع الأوساخ وهي الأماكن المعرضة دائما للغبار والشمس والحرارة والبرودة ، فأولى ثم أولى بها ان تغسل ، لكسي يظهر الانسان في أعضائه هذه الظاهرة بمظهر متميز ، ومنظر حسن ، ومرأى جميل فتزيل الأوساخ عن اليدين والرجلين ومغابنهما ، وكذلك عن الوجه وما يتبعه من الأعضاء كالانف والفم ، والاذن والعينين فتزول الروائح والأوساخ والقذى . قال الله تعالى :

((يأيها الذين ءامنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا))^(١)
وقال تعالى : ((يبني ءادم خذوا زينتكم عند كل مسجد))^(٢)

(١) سورة المائدة (٦) .

(٢) الاعراف آية ٣١ .

فالوقوف امام الله عز وجل لا بد أن يكون وقوفاً مناسباً لمقام الله تبارك وتعالى والتنظيف التام والتجمل في المظهر العام .

حضور الجماعة وعلاقتها بالدعوة

شرعت الجماعة في الصلاة لحكم بالنغة وآداب مقصودة ، واهداف بعيدة ، وهي جمع كلمة المسلمين وقلوبهم على التعارف والألفة والمحبة والمودة ، والتأخى ، والتعاون والنظام ، إذ أن هذه الآداب والأهداف لا تتأتى الا في ادائها جماعة ، وبمجرد دخول المسلم الى المسجد يحس بحقيقة المساواة ولا امتياز لأحد على أحد ، الكل سواسية بين يدي الله ، كما يحس بقوة الجماعة ووحدتها ، واخوتها في ظل هذا اللقاء .

وقد قال بوجوب ادائها جماعةً عددٌ من السلف منهم عطاء والحسن البصري ، وابو عمر الأوزاعي ، وابو ثور ، والامام أحمد في ظاهر مذهبه ، ونص عليه الشافعي في مختصر المزني فقال : " واما الجماعة فلا ارخص في تركها الا من عذر " (١)

ولا شك ان مواظبة الفرد على صلاة الجماعة تتيح له فرصة التعرف على جيرانه ويزيد تفاعله مع الآخرين، ويكوّن علاقات اجتماعية سليمة ، وعلاقات صداقة ومسودة معهم ، وبذلك يشبع الانسان حاجته الى الانتماء الاجتماعي ، وبالتالي يؤدي الى وقايته من القلق الناتج من العزلة والوحدة المنتشرة في بعض الديانات .

وفي تهذيب الأخلاق لابن مسكويه :

" ولعل الشريعة انما أوجبت على الناس أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات ، وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل بها هذا الانس الطبيعي الذي يجب ان نحرض عليه ونكسبه مع ابناء جنسنا ، حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا لانها مبدأ المحبات كلها ، ثم تتأكد بالاعتقادات المحيحة التي تجمعهم ، وهذا الاجتماع ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة ، والدليل على غرض صاحب الشريعة ما ذكرنا انه اوجب على اهل المدينة بأسرهم ، ان يجتمعوا في كل

(١) الصلاة وحكم تاركها لابن القيم ص ٩٨ مطبعة الامام .

اسبوع يوما بعينه في مسجد يسعهم ... ثم اوجب ايضا أن يجتمع أهل المدينة مع أهل القرى والرساتيق المتقاربين في كل سنة مرتين في مصلى بارز ، مصحرين ليسعهم المكان ويتجدد الانس بين كافتهم ، ثم اوجب بعد ذلك كله أن يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ، ولم يعين من العمر على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان في اجتماع أهل المدن المتباعدة ... فيجتمع بذلك الانس الطبيعي الى الخيرات المشتركة ، وتتجدد بينهم محبة الشريعة .^(١)

فحضور الجماعات سمة المجتمعات المسلمة ، وعلامة اقامة شرع الله تعالى على الأرض ، وهي اقامة الدين ، وشارة لأول أركانه ، مما يترتب عليه اقامة بقيسة أركانه . قال تعالى : ((الذين إن مكنهم في الأرض أقاموا الملوء وءاتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر))^(٢) .

ثم ان المسلمين قبل ان يقوموا بدعوة الامم الأخرى الى دينهم لابد أن يقوموا بدعوة بعضهم بعضا الى دعوة الاسلام والتواصي بالحق ، وذلك بأن يبث من بيئته الأمر في البلاد الاسلامية الوعاظ والمرشدين والخطباء والمعلمين لبيان ما يحتاج الناس الى ايضاحه وبيانه ، وخاصة احكام العبادات الظاهرة كالملاة ، لأهميتها في إظهار المسلمين متميزين عن الأمم الأخرى ، ولاظهار شعيرة هي في الحقيقة مظهر رفيع من الطاعة والآداب ، تعطي لكل ناظر أهمية هذا الدين وفضله ، وما تميزت به من النظافة الظاهرة والباطنة ، تلك الطاعة / الأدب / الذي يجعل المسلم في حالة من الرهبة والرغبة أمام الله سبحانه وتعالى منذللا خاشعا في صلاته لو وقف على رأسه طير لما تحرك ، وبعد انتهاء هذه الشعيرة تجدهم جبابرة في ميدان القتال أسود غاب لا يرهبون ولا يخافون ، فكم من كافر قد أسلم ، وكم من عاص قد تاب ، ومن جبار رق امام هذا المنظر الالهي الذي امتاز به المسلمون ، فما احرانا بالتمسك والالتزام والطاعة والامتثال في تطبيق أمر الله وشرعه على ما يحبه ويرضاه .

(١) اصلاح المساجد من البدع والعيوائد للقاسمي ص ٥٣ .

(٢) سورة الحج آية ٤١ .

المبحث الثانيالدعوة الى الترايط والملة

قال تعالى : ((فئات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون)) (١) .

لما بين الله سبحانه في الآية السابقة ان ما يرزقه الانسان من مال وما يوسع عليه من رزق انما هو من عند الله سبحانه وتفضل منه ، عقب على ذلك بانه " اذا علم الانسان يقينا ان الله هو الذي بيده كل شيء ، وانه سبحانه يجري ارزاق العباد كما شاء ، وقدر ، اذا علم الانسان هذا العلم ، سخت نفسه بالبذل والعطاء ، وسمحت يده بالاحسان ببعض ما آتاه الله ، وخاصة ما كان متعلقا بذوي القربى واليتامى والمساكين " (٢)

والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمنه ، لأنه قال : " ذلك خير للذين يريدون وجه الله " (٣) ، أو لكل مكلف له رحم مرغب فيها ، وقدم الاحسان الى القرابة لان خير المدقة ما كان على قريب ، فهو صدقة مضاعفة وصلة رحم مرغب فيها . (٤)

ووجه تخصيص الأصناف الثلاثة لأنهم اولى من سائر الأصناف بالاحسان ولكون ذلك واجبا لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته ، وكفاية من يعول . (٥)

والمراد بالحق هنا هو ما أوجبه الشارع او حض عليه من النفقة الواجبة والصدقة وما يتبع ذلك من وجوه البر . (٦)

(١) سورة الروم آية ٣٨ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن ، لعبدالكريم الخطيب ٥٢٤/٤ .

(٣) القرطبي ٥١١٧/٧ .

(٤) فتح القدير للشوكاني ٢٣٧/٤ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) تيسير الكريم الرحمن ٦٦/٦ .

ولا شك ان الاحسان الى القريب يكون حسب القرب والحاجة ، ومن اعلى مراتب الاحسان هو الاحسان المالي لما جبلت عليه النفس من حب المال والشح به وعدم التساهل في صرفه . ولما كان هذا المال الذي وهبه الله للانسان واغناه به وفضله على غيره في تملكه اياه اما امتحانا أو استحقاقا يكون سببا لكثير من التحاسد والتباغض بين الأهل والأقارب ، ولا يمكن أن يزول ذلك الا باعطائهم الحق الذي أوجبه الله على صاحب المال في قرابته .

وهذا التكليف يؤدي الى التماسك في الأسرة اولا عن طريق سد الحاجة لمن هو صاحب حاجة بين اعضائها ، وثانيا : عن طريق اضعاف روح الحقد في نفوس من لا يملكون منهم اذا لم يعطوا ممن يملكون بينهم .

وقدم الله سبحانه الاحسان الى القرابة لأن خير الصدقة ما كان على قريب ، ويعظم المفسدة التي يترتب على حرمانهم بين الاسرة الواحدة ، ثم ثنى ذلك بالمسكين الذي اسكنه الفقر والحاجة ، بما يدفع عنه حاجته ، من اطعامه وسقيه وكسوته ، ثم ثلث بابن السبيل الغريب عن بلده المنقطع عن أهله وذويه ، ولا مال معه ولا كسب يدبر نفسه في سفره .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في هذه الآية : " بدأ أمره باوجب الحقوق ودل على افضل الاعمال ، اذا كان عنده شيء ، فقال : ((وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل))^(١) ، وقوله تعالى : ((ذلك خير للذين يريدون وجه الله)) على أن الخيرية هنا تعود للمعطي بهذا الشرط الدقيق الذي هو ارادة وجه الله سبحانه في العطاء والبذل ، وعدم التفكير بأي تعويض مادي أو معنوي ، وبأي صورة من الصور ، وهذا لا يمنع أن يكون هناك خيرا للمعطي له وان لم يرد بذلك وجهه الله اذ حرم نفسه من الخيرية المشار اليها من الفلاح والغوز في الدنيا والآخرة بتلك النية المادية " .

(١) الادب المفرد للبخاري ص ٢٤ .

ما المراد بحقه ؟

- قال ابن كثير : " حقه من البر والملة " ^(١) .
 وقال القرطبي : " وخير الصدقة ما كان على القريب " ^(٢) .
 وقال سيد قطب : " ... فإله صاحب المال الأول قد قدر قسما منه لفئات من عباده يؤديها اليهم من يضع يده على ذلك المال ومن ثم سماها حقا " ^(٣) .
 وقال ابن سعدى : " حقه الذي أوجبه الشارع أو حض عليه من النفقة الواجبة والصدقة والهدية ... " ^(٤)

- وقال مجاهد وقتادة : " وللقريب في مال قريبه الغني حق واجب " ^(٥) .
 وقال النسفي والخازن : " حقه من البر والملة " ^(٦) .
 وقال البيضاوي : " كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم " ^(٧)

فهذه الأقوال تنفق على أن أداء الحق لذوي القربى يكون في المال الذي يمتلكه القريب الغني لقريبه الفقير ، ويكون بذلك : أن غيره من وجوه البر التي سنذكرها داخله فيها ، بدون شك ، كما تبين هذه الأقوال أهمية البر لما فيه من الأثر العظيم في النفس ولما له من جبر العسر وتفريغ الكربة ، بالإضافة إلى الوجوه الأخرى .

ثم إن الأمر بصلة الرحم من أوائل ما نزل من التشريع في الإسلام دل على ذلك هذه الآية التي في السورة وغيرها من الآيات المكية ، وكذلك الأحاديث النبوية التي وردت في بداية الإسلام .

من ذلك قصة أبي سفيان مع هرقل حينما سأله : فماذا يأمركم به ؟

-
- (١) تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣ .
 (٢) القرطبي ٥١١٧/٧ . والشوكاني ٢٢٦/٤ .
 (٣) في ظلال القرآن ٢٧٧١/٥ .
 (٤) تيسير الكريم المنان ٦٦/٦ .
 (٥) الشوكاني ٢٢٧/٤ .
 (٦) مدارك التنزيل للنسفي ولباب التأويل لخازن ٤٧/٥ .
 (٧) انوار التنزيل للبيضاوي ٤٧/٥ .

قال ابو سفيان : قلت : يقول : (اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والملة)^(١) .

بم تكون الصلة والقطيعة ؟

في هذه الآية قدم الله سبحانه ذوي القرابة في وجوه الانفاق عليهم عندهم حاجتهم ، ممن اوجب الدين الاسلامي الانفاق عليهم ، لأن لهم حقين : حق القرابة ، وحق الحاجة ، فلا بد ان يكونوا محل رحمة الانسان قبل التفكير في القرابة ، فكونه قريبا يعطي له الأولوية في الرحمة . وعليه فان وجوه الصلة كثيرة وعديدة سواء في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة .

فأول هذه الوجوه هي التمدق عليهم واعانتهم ماليا ، لأن الشح وامسك المال عن الأقرباء ذوي الحاجة يتسبب في تفرقة الاسرة وتمزق الرابطة واثارة الحسد والبغض والحقد ، وقد يتعدى ذلك الى ايقاع الضرر وكيد المكاييد حتى يصبح فقيرا معدما مشلما ، حتى لا يبقى مترفعا عليهم هو وزوجه وأولاده .

ومن وجوه البر أيضا زيارتهم والسؤال عنهم وعن احوالهم ، واکرامهم ، والاهداء اليهم ، وعبادة مرضاهم وتعهدهم ومشاركتهم في مسراتهم ، ومواساتهم في احزانهم وتقديمهم على غيرهم في كل أمر ، وعدم معاملتهم بالمثل في الاساءة ، وايثارهم على غيرهم في الاحسان ، واطهار الرحمة والشفقة لهم .^(٢)

وليس الواصل لرحمه هو من يعامل ارحامه بالمثل ، فان وصلوه وصلهم ، وان قطعوه قطعهم ، ولكن الواصل هو الذي اذا قطعت رحمه وصلها^(٣) . لما روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس الواصل بالمكافي ، ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها)^(٤)

-
- (١) صحيح البخاري في بدء الوحي ٩/١ رقم الحديث ٧ .
 - (٢) الاخلاق الاسلامية واسسها لحبنكة ص ٣٤٠ .
 - (٣) المرجع السابق .
 - (٤) صحيح البخاري في الادب ٢٢٢٢/٥ رقم الحديث ٥٦٤٥ .

(١٦٤)

وقال ابن ابي جمرة : وتكون صلة الرحم بالمال ، وبالعون عند الحاجة وبدفع
الضر ، وبطلاقة الوجه ، وبالدعاء ، والمعنى الجامع : ايمال ما امكن من الخير ،
دفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة . (١)

وقد اعتبر بعض العلماء قطع الصلة صلة ان كان القريب كافرا أو فاجرا .
قال ابن أبي جمرة بعد أن ذكر ما تكون به صلة الرحم : " وهذا انما يستمر
اذا كان أهل الرحم أهل استقامة ، فان كانوا كفارا ، أو فجارا فمقاطعتهم في الله
هي صلتهم ، بشرط بذل الجهد في وعظهم واعلامهم اذا أصروا ، أن ذلك بسبب
تخلفهم عن الحق ، ولا تسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهور الغيب ان يعودوا
الى الطريق المثلى " (٢)

وزيادة على ذلك فان من حق القريب ان تعرفه وتتعرف عليه ، وان تعقّد
بينك وبينه صلة لقوله عليه الصلاة والسلام : (تعلموا من انسابكم ما تصلون به
أرحامكم ، فان صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال ، منسأة في الأثر) .
رواه الترمذي وقال حديث غريب . (٣)

وعن محمد بن جبير بن مطعم ان جبير بن مطعم اخبره انه سمع عمـــــــ
ابن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر : (تعلموا انسابكم ، ثم صلوا
أرحامكم ، والله انه ليكون بين الرجل وبين اخيه الشيء ، ولو يعلم الذي بينه
وبينه من داخله الرحم لا وزعه ذلك على انتهاكه) (٤)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (احفظوا انسابكم تصلوا أرحامكم
فانه لا بعد بالرحم اذا قربت وان كانت بعيدة ، ولا قرب بها اذا بعدت وان
كانت قريبة ، وكل رحم آتية يوم القيامة امام صاحبها ، تشهد له بملّة ، ان
كان وصلها ، وعليه بقطيعة ان كان قطعها) (٥)

(١) فتح الباري لابن حجر ٢٣/١٣ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الترمذي في البر ٢٧/٢ ، وقال المنذري : ورواه الطبراني من حديث العلاء
ابن خارجه كلفظ الترمذي باسناد لا بأس به (الترغيب والترهيب ٣/٣٣٥) .

(٤) و(٥) الادب المفرد للبخاري ص ٣٠ .

ففي حض الخليفة الراشد رضي الله عنه الى تعليم الانساب مغزى كبير وهو أن منهج الدعوة الاسلامية لا يرفض معرفة الانساب والحرص عليها الا اذا استعملت للفخر والتعالي على الناس . والترفع عليهم ، والتعدي والظلم باسم العصبية والحمية الجاهلية ، لأن المعرفة هذه تؤدي الى تفريق الناس وعدم جمعهم في وحدة الاسلام .

وقول عمر رضي الله عنه يؤكد بأن معرفة الانساب منهج اسلامي وطريقة شرعية للوصول الى صلة الأرحام واداء حقوقهم ، ولما في ذلك من تنظيم النسل بالطسرق الشرعية . وربط الابناء بالآباء ، وحماية الاسرة من التفكك والانحلال ، وحماية الاقارب من القطيعة وانتهاك معالم القربى ، ولما في ذلك من التفكك الاجتماعي الذي يؤدي الى اشاعة الفرقة والشحناء ، وواجب الدعوة الاسلامية هو حماية المجتمع من هذه الأمراض التي تؤثر على وحدة المسلمين وتفرق جمع كلمتهم .

آثار الملة وآثار القطيعة

ان من مبادئ الاسلام الاجتماعية الأولى هي ربط جماعات المسلمين في وحدة ^{المسجد الواحد} ^{والجماعة} جماعية عامة / لأن في اتحاد الأسرة/التزام لأمر الله سبحانه . لذا فقد تراخمت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الحض على الصلوة وبيان محاسنها ومزياتها وحسن آثارها بشتى الصور البديعة ، من ذلك :

أ - أن النبي صلى الله عليه وسلم ^{جعل} علامة على كمال الايمان وزيادته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) (١)

ب - أنه يزداد له في رزقه ، ويوسع الله عليه ، كما يؤخر له في أجله ، لما رواه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من احب ان يبسط له في رزقه ، وينسأ له في اثره فليصل رحمه) (٢) ، وهذا ثواب معجل

(١) صحيح البخاري ٢٢٧٢/٥ .

(٢) المرجع السابق ٢٢٢٢/٥ .

له في الدنيا ، زائد على ثواب الآخرة المدخر له .

ج - انه تدفع عنه ميتة السوء وهي كل ميتة لا يتمناها الانسان لنفسه . لما ورد عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من سـرره ان يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء ، فليتق الله وليمل رحمه)^(١) .

د - ان الانسان يؤدي بذلك عملا يحبه الله ، لما روي عن رجل من خثعم قال : قلت يا رسول الله : أي الأعمال أحب الى الله ؟ قال : (الايمان بالله ، قال : قلت : يا رسول الله ثم مه ؟ قال : ثم صلة الرحم ، قال : قلت : يا رسول الله ثم مه ؟ قال ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . رواه ابو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح ، غير نافع بن خالد الطاهي وهو ثقة .^(٢)

هـ - انه يقرب من الجنة ويباعد من النار ، لما رواه ابو ايوب رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم (فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال : يا رسول الله ، أو يا محمد : اخبرني بعمل يدخلني الجنة . قال : ماله ، ماله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَرَبُّ مَالَهُ ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصل الرحم)^(٣)

و - انه يكون ممن يمله الله عز وجل باحسانه ، لما روته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله)^(٤)

ز - مضاعفة الأجر والثواب عند الله تعالى بملته رحمه لما أخرجه الترمذي باسناد حسن عن سلمان بن عامر يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم ثنتان : صدقة وصله)^(٥)

(١) مسند احمد ١/١٤٣ .

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/١٥١ .

(٣) صحيح البخاري ٢/٥٠٥ .

(٤) صحيح البخاري في صلة الرحم ٢/٤٢٢ .

(٥) سنن الترمذي ١/١١٢ .

ح - انه يكون محبوبا من أهله لما رواه البخاري عن عبدالله بن عمر قال : (من اتقى ربه ، ووصل رحمه ، نسى ، فنى أجله ، وثرى ماله ، واحبه أهله)^(١)

ط - ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم لما روي عن عبيد الله بن موسى قال : اخبرنا سليمان (ابوإمام) قال سمعت عبدالله بن أبي اوفي يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم)^(٢) .

ي - ان بهذه الصلة يتم عمران الديار لما روي عند أحمد عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا (صلة الرحم وحسن الجوار ، أو حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار)^(٣) .

وهذا كله في حق الواصل ، اذ ان العمر هو الحياة والحياة هي عيش الانسان من حين يولد الى أن يموت ، وصلة الرحم سبب للمودة لانها عبادة تتعدى الى الغير فتدخل السرور الى قلوب الموصولين بالصلة ، فيحبه اهله ، فيدخل عليه بكل سرور سرور في قلبه فتطيب حياته بالسرور الذي يدخل قلبه وذاته وهو الوصال الذي وصله الله به ، فاذا وصله الله طابت حياته ونمت ، فتنشأ حياته وتقوى في ساعة واحدة بالبركة والنمو على قدر الوصلة ، ثم اذا مات الواصل للرحم ، يود أهله الذي يحبونه لو فدوه بانفسهم ، فيبقى ودهم له في قلوبهم بعد موته ، فيذكرونه بكل خير ويترحمون عليه لان مثاله موجود في نفوسهم ، كأنه لم يموت بعد .^(٤)

وأما آثار القطيعة فكثيرة ايضا - منها :

أ - انه يكون مفسدا في الأرض ملعونا من الله اصم عن قول الحق وأعمى عن رؤية الحق . قال تعالى : ((فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم)^(٥)

(١) الادب المفرد ص ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) مسند احمد ١٥٩/٦ ، والترغيب والترهيب ٣/٣٣٦ .

(٤) شعب الايمان لعبدالجليل بن موسى القصري ت ٦٠٨ هـ ص ٤٣٧ .

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم آية ٢٢ - ٢٣ .

لأن قطع الانسان صلاته مع اسرته دليل على تحلل ذاته وبذلك يفقد كثيرا من الصفات الاساسية كالرحمة والود ، ومن لم يحفظ ود أقاربه فحري أن لا يحفظ ود الأبعد ، ومن لم يعط المخلوق حقه ، فحري ان ينسى حقوق الخالق .

ب - ان عليه اللعنة وسوء الدار . قال تعالى : ((والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار))^(١)

ج - انه لا يدخل الجنة لما روي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل الجنة قاطع)^(٢) . أي قاطع رحم . وقاطع لما أمر الله به أن يوصل ، ودل هذا على تمرد العبد على امر الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا من الخسران العظيم ما لا يوصف . ثم ان القاطع للرحم يدخل النعم على الغير بغير حق فيبغضونه ، ويبغضهم ويتولد الحقد عنده فيتنصص عليه عيشه الذي هو حياته ، وتنفيس العيش نقصان من عمره ، لان بركة الحياة قد زالت عنه .^(٣)

بيان مراتب الرحم

اورد صاحب تبيين المحارم احاديث ثلاثة في الباب واستدل بها على مراتب

الرحم قال : واما الاخبار

فقال عليه الصلاة والسلام : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له : مه ؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال ألا ترضين أن أصل من وصلك ، واقطع من قطعك، قالت : بلى يا رب ، قال فذاك)^(٤)

(١) سورة الرعد ٢٥ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٣١/٥ .

(٣) شعب الايمان للقصري ص ٤٣٩ .

(٤) صحيح البخاري ١٨٢٨/٤ .

وقال عليه الصلاة والسلام : (الرحم شجنة من الرحمن . فقال من وملك
وملته ، ومن قطعك قطعته)^(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (الرحم معلقة بالعرش تقول من ومني وصله
الله ومن قطعني قطعه الله)^(٢) .

قال : وفي هذه الأحاديث الثلاثة بيان مراتب الرحم ، بعضها اعظم من بعض ،
كبيان مراتب العبادات .

فالأولى : لمن هو اخص الأرحام بواسطة الولادة لان الاخذ بحقوى الرحمن ابلغ
في القرب .

والثانية : دونها لأن الاشتقاق اللفظي مستدعى للتناسب بين معنيين ، فالقرب
دون الأولى كالاخوة والاعمام ونحوه .

والثالثة : دونها لان التعلق بالعرش دون التعلق بالرحمن وبحقويه .^(٣)

واختلفوا في الرحم التي تجب صلته ، فقال قوم : هي قرابة كل ذي رحم
محرم . وقال الآخرون : هي قرابة كل قريب محرما كان أو غيره .^(٤)

لذا فان البر والصلة يكون للأقرب فالأقرب حسب منزلة القرابة ودرجتها ،
واخرج البخاري في الادب المفرد عن المقدم بن معدي كرب ، انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول : (ان الله يوصيكم بامهاتكم ، ثم بامهاتكم ، ثم يوصيكم
بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب)^(٥)

فالقرابة لها مراتب في شدة القرب كما مر آنفا ، فالأولوية في الصلة انما
تكون لمن تكون قرابته اقرب رحما واكثر رحما ، ولا شك أن اكثر الناس قربا للرجل

(١) صحيح البخاري ٢٢٣٢/٥ .
(٢) صحيح مسلم ٤٢٢/٢ .
(٣) تبیین المحارم لسنان الدين الاماسي (ورقة ٢١٧) .
(٤) المرجع السابق ورقة ٢١٩ .
(٥) الادب المفرد للبخاري ص ٢٦ .

والديه ثم يليهما غيرهما بعد ذلك من الاعمام والاخوة واولادهم ، وتندرج الصلوة على قدر صلة النسب به .

وواجب الدعاة الى الله الاستفادة من هذه الصلة ، فيما يفيد المجتمعات الاسلامية ، وحدة ، ومحبة ، وعطفا عليهم .

لأن الحرص على صلة القرابة مما يرفع عن النفوس كثيرا من الأمراض الاجتماعية كالغيرة والحسد المهلك ، وقد وصف القرآن الكريم الغيرة بين الاخوة في قصة يوسف عليه السلام بسبب حب ابيهم يعقوب عليه السلام له ولاخيه الاصغر ، وغالب ما تكون الغيرة مصحوبة بالكره والرغبة في الايذاء ، وفيما قام به اخوة يوسف اكبر الدليل على ذلك ، وكذلك الحسد من الأمراض التي تتولد في غالب الاحوال بين الاخوة قبل غيرهم ، وقد ورد حسد الاخوة في قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم ولذلك علمنا الله الاستعاذة من الحسد في قوله : ((ومن شر حاسد اذا حسد))^(١) .

فالحسد داء وبيل كثير عند الناس وخاصة عند ذوي القربى كما يقول ابن الجوزي^(٢) ولم تكن الامم تخلو منه ، فقد اورد القرآن الكريم حسد أهل الكتاب للمسلمين على ما اتاهم الله من فضله . قال تعالى : ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم مسن بعد ايمنكم كفارا حسدا من عند انفسهم))^(٣) .

فالرابطة النسبية لها فوائد ايجابية عظيمة اذا وصلت في الدعوة الى الله واذا استغلت استغلالا صحيحا . طبق قواعد الاخلاق الاسلامية . كما ان لها اضرارا ومفاسد في النفوس والافراد والجماعات ان لم تستغل استغلالا صحيحا .

وقد استفاد النبي صلى الله عليه وسلم من رابطة النسب استفادة كبيرة بما وضع الله في قلوب بعضهم حمايته ، وشد ازره في دعوته الى الله تعالى . كعمه ابي طالب ، وعمه حمزة رضي الله عنه .

(١) سورة الفلق آية (٥) .

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي

(٣) سورة البقرة آية ١٠٩ .

وكم جهدت وذاقته الوان العذاب ، بنو هاشم وبنو المطلب مع المسلمين في شعب ابي طالب بسبب مقاطعة قريش لهم وتعاهدتهم على ان لا ينكحوا اليهـسـم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ، حتى جهدوا ، لا يصل اليهم شيء الا سرا مستخفيا به من اراد صلتهم من قريش .^(١)

فالرابطة النسبية لها فوائد تستفيد منها الدعوة الاسلامية ويستغلها الدعاة لنصرة الحق ، وتركيز اسسه في النفوس ، واستغلال مكانتهم الاجتماعية للدعوة بين قومهم ، لأن ذلك من اتخاذ الاسباب في سبيل تبليغ كلمة الله ، وتمحيح العقائسد والعبادات الباطلة .

وقد كان بعض انبياء الله لا يتعرض لهم الكفار بسبب ماله من عصبية وقرابة قال تعالى في قصة شعيب عليه السلام : ((قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك))^(٢) .

كما ينبغي للدعاة الى الله لفت انظار المسلمين الى العطف على المسكين وابن السبيل في المرتبة الثانية بعد ذوي القربى ، لأن لهم حقوقا ايضا على ذوي القدرة من المسلمين وفي ذلك توسيع لقاعدة العطف والرحمة والملة الى غير ذوي القرابة ، لما فيه من تأليف القلوب ، وجذب الانصار بالمحبة .

لأن حرص الاسلام على توجيه المسلمين الى حب الآخرين ، والى التجمع وتوحيد الصفوف ، انما ينمي في نفوسهم عاطفة حب الغير ، ويقوي بينهم الميل الى الايثار والعمل على خير الناس والمجتمع عامة ، ويضعف انفعالات الكراهية والبغضاء ، ودوافع الظلم والعدوان ، والميل الى حب الذات ، والاثرة ، ولا شك ان القدرة على حب الناس ، واسداء الخير لهم ، والقيام بأعمال مفيدة للمجتمع ، انما يقوي الشعور بالانتماء الى الجماعة ويقضي على مشاعر العزلة والوحدة .

وقد اثني الله سبحانه على الانصار لما اظهروه من محبة صادقة للمهاجرين

(١) سيرة ابن هشام ٢٣٤/١ - ٢٣٦ .

(٢) سورة هود آية ٩١ .

من المسلمين ، ولتقديمهم يد العون إليهم ، اذ آوؤهم وشاركوهم في مساكنهم وأموالهم ، وآثروهم على انفسهم . قال تعالى : ((والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأوليئك هم المفلحون)) (١) .

كما يدعو القرآن الى حب اخوانهم المسلمين ، وضبط الحب بالحب الايماني المبني على اخوة الاسلام . قال تعالى : ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ..)) (٢) .

كما ينبغي للدعاة الى الله ايضاح ان الصلة النسبية ليست عنصرية كعنصرية الغربيين المعتمدة على العرق واللون ، ولا قومية معتمدة على اللغة كالقوميـات التي ظهرت في العالم كله ، وابتلي بها المسلمون ايضا مما كان لها اعظم الاثر في اسقاط خلافة الاسلام وهيبة المسلمين .

•

(١) سورة الحشر آية ٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٧١ .

المبحث الثالث

الصحيح،

الدعوة الى التوحيد / والوحدة وعدم الفرقة

قال تعالى : ((.... وأقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)) (١) .

في هذه الآية الكريمة أمر الله عباده بأن يتقوه ، وأن يؤدوا حق الله تعالى باقامة شعيرة الصلاة ، لأنها احد أركان الاسلام والرباط الوثيق بين العبد وربيه ، والضوء الذي ينير العلاقة الوشيجه بين الخالق والمخلوق .

بعد ذلك نبههم وحذرهم بأن لا يكونوا من المشركين . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : " أي كونوا من الموحدين المخلصين له العبادة ، لا يريدون بها سواه " (٢) .

والشرك على ثلاثة مراتب وكله محرم :

فالأول : وهو الأصل في الشرك ، وهو اعتقاد شريك لله في الوهيته ، وهو الشرك الأعظم ، وهو شرك الجاهلية وهو المراد بقوله تعالى : ((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)) (٣) .

والثاني : يليه في الرتبة وهو اعتقاد شريك لله تعالى في الفعل وهو قول من قال : ان موجودا ما غير الله تعالى يستقل بأحداث فعل وایجاهه وان لم يعتقده كونه لها كالتقديرية مجوس هذه الأمة .

الثالث : وهو الاشراك في العبادة ، وهو الرياء ، وهو ان يفعل شيئا من العبادات التي امر الله بفعلها له لغيره ، وهذا هو الذي سيقت الآيات والأحاديث لبيان تحريمه . (٤)

(١) سورة الروم ٣١ - ٣٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣ .

(٣) سورة النساء آية ٤٨ .

(٤) تفسير القرطبي ١٧٥١/٣ .

ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم
(انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه)^(١)

ويقول سيد قطب : " فالشرك الوان وانماط كثيرة ، منهم من يشركون الجن ،
ومنهم من يشركون الملائكة ، ومنهم من يشركون الأجداد والآباء ، ومنهم من يشركون
الملوك والسلاطين ، ومنهم من يشركون الكهان والأخبار ، ومنهم من يشركون الأشجار
والأحجار ، ومنهم من يشركون الكواكب والنجوم ، ومنهم من يشركون النار ، ومنهم
من يشركون الليل والنهار ، ومنهم من يشركون القيم الزائفة والرغائب والأطماع ،
ولا تنتهي انماط الشرك واشكاله ، فكل حزب بما لديهم فرحون " ^(٢) .

وبعد أن وجه الله عباده بأن لا يكون من هذا الصنف الذي حدده من الناس ،
بين بعد ذلك بعض خصائص هذا الصنف وما امتاز به من مميزات فقال : ((مسن
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا))^(٣) .

فالله سبحانه حدد في هذه الآية ان الدين واحد وهو الاسلام ، وان المجتمع
المسلم لا بد ان يكون ملتزما بواحدية المعبود ، والوحدة في الالهية ، فمع ان
الدين واحد وهو اخلاص العبادة لله وحده ، فان هؤلاء المشركين فرقوه حسب
اهوائهم .

وقال ابن كثير : " أي بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض " ^(٤) .

فاليهود والنصارى غيروه وآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، بل انهم كانوا ينقلبون
في دينهم من اول النهار الى آخره ، وكذلك كان المشركون حيث بدلوا بوحدانية
الله عز وجل عبادة المعبودات الزائفة التي لا تجلب لهم نفعا ، ولا تدفع عنهم
ضرا ، ولا تستجيب لهم اذا دعوه ، ولكن عدم اعمال العقول ، وضلال النفوس
وانحرافها الى الهوى ، او صلتهم الى هذا الدرك من الانحراف .

(١) صحيح مسلم ٥٩٣/٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٢٧٦٨/٥ .
(٣) سورة الروم ٣٢ .
(٤) تفسير القرطبي ١٧/٣ .

ومن وجوه القراءات ما قرأه حمزة والكسائي " فارقوا دينهم " : أي فارقوا دينهم الذي يجب اتباعه ، وهو التوحيد ^(١) ، لأن الله تعالى اخذ منهم العهد في عالم الذر ، واخذ اقرارهم على انه ربهم - يعبدونه ولا يشركون به شيئا .

قال تعالى : ((واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين)) ^(٢) .

وهذا ما قرره ابن كثير بقوله : أي فارقوا دينهم ، أي تركوه وراء ظهورهم وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان وسائر أهل الأديان الباطلة مما عدا أهل الاسلام ... ، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ، ومثل باطلية ، وكل فرقة منهم تزعم انها على شيء ، وهذه الأمة أيضا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة الا واحدة ، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبما كان عليه الصدر الأول والتابعين وائمة المسلمين مسن قديم الدهر وحديثه . ^(٣)

وروى أحمد في المسند قال : حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال في خطبته حاكيا عن الله سبحانه : (واني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وانهم اتتهم الشاطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحلت لهم) ^(٤) .

وقد رجح الشوكاني بعد ذكر الأقوال في المراد من الذين فرقوا دينهم فقال : " وقيل المراد بهم عموم الكفار وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر به الله " ^(٥) ، ثم عقب على ذلك بقوله : " وهذا هو الصواب لأن اللفظ يفيد العموم فيدخل فيسه طوائف أهل الكتاب ، وطوائف المشركين ، وغيرهم ممن ابتدع من أهل الاسلام " ^(٦)

(١) تفسير القرطبي ٥١١٤/٧ .

(٢) سورة الاعراف ١٧٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣ .

(٤) صحيح مسلم في الجنة ٥٤٢/٢ .

(٥) فتح القدير ١٨٣/٢ .

(٦) المرجع السابق .

((وكانوا شيعة)) : أي فرقا تحزبت ، وتعمبت كل فرقة على نصر مامعها من الباطل ومنايذة غيرهم ومحاربتهم . (١)

وأما قوله : ((كل حزب بما لديهم فرحون)) أي : كل فريق بما لديهم ممن الدين المبني على غير الصواب مسرورون بمبتهجون ، يظنون انهم على الحق وليس بايديهم منه شيء (٢) ، أو انهم فرحون بما لديهم من العلوم المخالفة لعلمهم الرسل ويحكمون لانفسهم بانه الحق وان غيرهم على باطل (٣) ، والباطل وجوه كثيرة ولكل جماعة مع معبودها اسلوب عبادة ، وطقوس وصلوات وقربات، وهي عن نفسها انها على الهدى ، وان كل ما سواها في ضلال وخسران ، وليس هكذا الحق ، فانه وجه واحد وطريق واحد (٤) ، والسبب في هذا الفرح انهم لم يتبينوا الحق ، وعليهم ان يتبينوه . (٥)

مما سبق يتضح لنا ان ((الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعة)) هم مشركون ، سواء كانوا من المشركين الذين تمزقهم اوهام الجاهلية وتقاليدها وعاداتها وثاراتها شيعة وفرقا وقبائل وعشائر وبطونا ، أو كانوا من اليهود والنصارى ممن قسمتهم الخلافات المذهبية مللا ونحلا ومعسكرات ، أو من غيرهم مما كان وما سيكون مسن مذاهب ونظريات وتصورات ومعتقدات واطواع وأنظمة الى يوم الدين . (٦)

فلايد للمسلم ان يقف امام هذه التيارات وقفة المفارقة والرفض والممود منذ اللحظة الأولى ، كما يقف امام أي نظام أو تشريع رفض الحاكمية لله وحده .

ولا شك ان الآفة الكريمة تحذر المسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا ، كـل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل ، فيكونون مشابهيين بذلك للمشركين في التفرق، بل الدين واحد والرسول واحد والاله واحد .

-
- (١) تيسير الكريم المنان ٦٤/٦ .
 - (٢) فتح القدير ٢٢٥/٤ .
 - (٣) تيسير الكريم المنان ٦٤/٦ .
 - (٤) التفسير القرآني للقرآن ٥١٧/٤ .
 - (٥) تفسير القرطبي ٥١١٤/٧ .
 - (٦) في ظلال القرآن ١٢٣٩/٣ .

والاخوة الايمانية قد عقدها الله وربطها اتم الربط ، فما بال كل ذلك يلغسي
ويبني التفرق ، والشقاق بين المسلمين على مسائل خفية او فروع خلافية يضل بها
بعضهم بعضا ، ويتميز بها بعضهم على بعض ، فهل هذا الا من اكبر نزغات الشيطان
واعظم مقاصده التي كاد بها المسلمين ، وهل السعي في جمع كلمتهم وازالة ما
بينهم من الشقاق المبني على ذلك الأصل الا من أفضل الجهاد في سبيل الله وافضل
الأعمال المقربة الى الله . (١)

ميزة الاسلام على الديانات الأخرى

وقد تميز الاسلام بميزة لا توجد في الديانات الأخرى ، بحيث استطاع للم
الشمل وتوحيد الشعوب ، وتوحيد الصفوف على اختلاف اللوان واللغات ، توحيدا
ذابت بينها الفوارق البشرية .

ويقول مونتجمري وات : " ان فكرة الامة لما جاء بها الاسلام ، كانت هي
الفكرة البديعة التي لم يسبق اليها ، ولم تنزل الى هذا الزمن ينبوعا لكل فيض من
فيوض الايمان يدفع بالمسلمين الى الوحدة في امة واحدة تختفي فيها حواجز الاجناس
واللغات وعصبيات النسب والسلالة ، وقد تفرد الاسلام بخلق هذه الوحدة بين اتباعه
فاشتملت امته على أقوام من العرب والفرس والهنود والمينييين والمغول والبربر
والسود والبيض على تباعد الأقطار ، وتفاوت المصالح ، ولم يخرج من حظيرة هذه
الامة احد لينشق عليها ويقطع الصلة بينه وبينها ، بل كان المنشقون عنها
يعتقدون انهم اقرب ممن يخالفونهم الى تعزيز وحدتها ولم شملها ، ونفي الغرباء
عنها " . (١)

ويقول العقاد : " ونرى ان مونتجمري قد اصاب في التنويه بمعنى الأمة
في العقيدة الاسلامية ، واعتباره انه معنى فريد ، خلقت العقيدة الاسلامية ، ولم يكن
له مرادف بمعناه في لغة من اللغات قبل ولا بعد الاسلام .

وسر هذه القوة في العقيدة الاسلامية انها منحت الفرد مقياسا للحياة ارفع

(١) ما يقال عن الاسلام ص ١٧١ .

واسلم من مقياس العصية والمنعة فأبدعت لها فكرة الأمة وحررت هذه الفكرة من ربة العصية وحدود الوراثة . (١)

الاسلام لا يقبل التجزئة

في حال الناس

ان المتأمل/ حينما يرى اهل الباطل وحرصهم على باطلهم ، يتمنى أن يكون المسلمون اكثر حرصا على الحق الذي هم عليه .

فكل ما مضى في الاسلام من الفتوحات والتقدم العلمي والحضاري ، انما كان بسبب العقيدة الالهية التي كان المسلمون يحملونها ، فصنعوا بذلك معجزات كثيرة عجزت/ الامم عن اتيان جزء منها قبلهم ، يقول أحد المفكرين : " اذا بقي للاسلام ايمانه والمؤمنون به فلا خطر عليه من اقوياء اليوم ولا من اقوياء الغد المجهول " (٢)

فالأمة التي لا يجمع بين افرادها وجماعاتها الحق فرق بينهم الباطل ، فهناك من المسلمين من انحصر مفهوم العبادة عندهم في جانب من جوانب الحياة ففصلوا بين علاقة الانسان بربه وبين علاقته بتنظيم المجتمع ، فخرجوا بذلك عن الجادة الصحيحة .

ثم ان الوحدة بين المسلمين لا تتم الا اذا كانوا مسلمين حقيقة فهناك من المسلمين من يهتم بالعبادات ويؤديها وفق احكام الاسلام ، بينما يزاول نشايط المعاملات وفق منهج آخر ، فالاسلام لا يقبل التجزئة ، ولا التفريق بين عقيدته وتشريعه . لذا فان الجماعة الواحدة لا تتكون لها وحدة الا اذا اتحدت فيها المشاعر والمنازع النفسية على اساس عقدي روحي دائم ، لا يتغير بتغير الظروف والأحوال والمصالح ، ولا تتجاذبه الأهواء الجامحة المبنية على الهوى .

فليس لأحد من الخلق دخل في تشريع أو تنظيم ، فالوحدة مبنية على اساسين عظيمين كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ما يقال عن الاسلام ص ١٧٢ .

(٢) الاسلام في القرن العشرين للعقاد ص ٣٦ .

الاسلام والعنصرية

القرآن الكريم نظر الى الانسان على انه خليفة الله في ارضه ليتحمّل المسئولية ويعمر الكون ، وارسل اليه الرسل مبشرين ومنذرين ، وتبدو هـذه النظرة الانسانية تأكيدا للوحدة التي ترجع الانسان الى اب واحد وام واحدة . قال تعالى : ((ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)) (١) .

والعقيدة الاسلامية تؤكد لنا ان هذه الحياة الدنيا ليست نهاية الوجود الانساني ، وان الموت لا يعنى الفناء البشري ، بل ان الانسان يواصل رحلته بعد الموت نحو الله ، وهي الغاية النهائية للحياة والكائنات^{لاجل الزاء} وهكذا تقوم العقيدة مقام النظام والأهداف والغايات في اعمال البشر بدون النظر الى أي مظهر من مظاهر الجسد .

ولما كان الانسان معرضا لاختلاف اللون والجنس واللغة والعصبية الضيقة ، فان الاسلام نظر الى الانسان من حيث هو انسان ، واسقط كل الفوارق الظاهرة وكسل العصبية العرقية عنه ، وتبدو هذه النظرة في قوله تعالى : ((ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)) (٢) .

وقد ظهر ذلك جليا واضحا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم في صحابته الكرام حيث كانوا امة واحدة ، وكانت الأخوة الصادقة والوحدة الاسلامية ترفرف على مجتمع يتكون من قرشى وغير قرشى : (حبشي ، ورومي وفارسي) . ولذلك امتن الله سبحانه على عباده بتلك النعمة العظيمة التي انستهم ما بينهم من الشارات والعداوات . قال تعالى : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا

(١) سورة النساء (١) .

(٢) سورة الحجرات (١٣) .

نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون^(١) .
فليس في الاسلام عنصرية ولا عرقية ولا قبلية ولا عصبية الا عصبية الاسلام وأخوته .

عقيدة التوحيد وسيلة جمع لا فرقة

والحقيقة ان كل شيء في الاسلام يدعو الى الالفة والتعاون ويحث على الوحدة والتضامن بعقيدته وثقافته ولغته ودستوره وقانونه .

فالاسلام لا يسمح بقيام عقائد وعصبيات في مجتمعه ، تمزق وحدته ، وتفريق كلمته وتبدد قوته ، وتجعل بأس ابنائه بينهم شديدا .

واذا كانت سياسة الدول والامم في العالم اليوم قائمة على التكتل والتحالف والانضواء في مجموعات متعاونة ، يسند بعضها بعضا ويدافع بعضها عن بعض ، ويلتمسون لذلك اوهى الاسباب والروابط ، فان المسلمين على اختلاف شعوبهم ومذاهبهم ونحلهم وتباعد اوطانهم ليس لهم سوى كتاب واحد وهو القرآن ، وليس لهم الا قبلة واحدة يتجهون اليها في صلاتهم ويقصدون اليها في حجهم وهي الكعبة وليس لهم في الحياة الا هدف واحد يسعون اليه ، وهو رضى الله سبحانه . ويقسول الشيخ عطية سالم : " ان وحدة العقيدة هي الوحدة المعنوية التي تقابل الوحدة الجنسية ، لأن العقيدة عمل القلب لا علاقة لها بالجنس ولا باللون ، ولا بالمكان ولا بالزمان ، فيرتبط بها جميع ابناء المعتقد الاسلامي فيؤمن انه وكل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وآمن بما آمن به السلف الصالح ودعا اليه الكتاب والسنة - يشعر يقينا ان كل من دان بذلك انه اخ له في دينه وملتزم معه في تكاليفه فيرتبط آخر الأمة بأولها ، بل صالح هذه الأمة بصلحاء الأمم قبلنا "^(٢)

فوحدة الشعوب والأمم وترباطها ، وزوال الشر والبغضاء والإحن من بينها ، لا يمكن ان تزول الا بزوال الشرك بجميع انواعه وتوحيد الله في وحدانيته .

(١) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٢) مجلة الجامعة الاسلامية عدد ٦١ ص ١٦٦ .

كما أن وحدة المسلمين لا يمكن أن تتم الا بتقديم العبادة لله سبحانه
تعالى ، ثم البعد عن الآفات المفرقة لهم مما نهى الاسلام عنها . وممن
تلك الآفات :

آفة موالاتة أعداء الله :

فالمؤمن هو الذي لا يتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، فايثار العلاقة
الايمانية والاخوة الحقيقية في الدين دليل على كمال الايمان وصدق اليقين .

وبذلك ضمن الاسلام للأمة الاسلامية قوتها وتماسكها الداخلي ، كما ضمن لها
المشاركة الاجتماعية لافرادها في مواجهة الكوارث وفي مواجهة الأزمات ، واصبحت
سلامة المجتمع هدفا من الولاء المتبادل فيما بينهم ، والصلة الوثيقة العالية التي
تربط بين الأمة الواحدة ، قال تعالى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم
أو لكك كتب في قلوبهم الايمان ، وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من
تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن
حزب الله هم المفلحون))^(١) .

ولما كان التخاصم والتنازع بين الافراد مما لم يخل منه اي تجمع انساني - سوا - كان
هذا التخاصم لسبب مادي اوغيره - فان الله سبحانه لم يخرج هذين المتخاصمين
عن دائرة الاخوة اشعارا لهما بان التخاصم مهما بلغ/فانه لا يستطيع أن يشتمت شمل
الاخوة ، كما امر المؤمنين بالاصلاح بينهما ، فقال : ((انما المؤمنون اخوة ،
فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون))^(٢) . والاصلاح جانب من جوانب
الدعوة لتسكين الفتنة وازالة الفرقة ، لأن الرابطة الاساسية بين المسلمين هي رابطة
التوحيد لا رابطة الشرك . قال تعالى : ((يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا
آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمن))^(٣)

(١) سورة المجادلة ٢٢ .

(٢) سورة الحجرات ١٠ .

(٣) سورة التوبة ٢٣ .

ويقول ابن كثير رحمه الله : " أمر الله تعالى بمباينة الكفار ، وان كانوا آباء أو أبناء ، ونهى الله تعالى عن موالاتهم ان استحباوا - أي اختاروا - الكفر . على الايمان " (١) .

ومن الآفات التفاخر بالانساب والأحساب :

وفيه من اسباب الفرقة الشيء العظيم اذ أن الاسلام لا يجعل اللون والعرق والجنس أساسا ولا النسب والحسب أساسا لمكانة الانسان وفضله بين الناس ، بل يجعل التقوى والتمسك بأهداف الفضيلة ظاهرا وباطنا هو الأساس الذي يقيم به الانسان . والانسان الذي لا يجعل للتوحيد والشريعة والاخلاق الاسلامية مكانتها العظيمة في نفسه فهو احقر مخلوق خلقه الله في هذا الوجود ، لما رواه ابوهريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، انتم بنو آدم ، وآدم من تراب ، ليدعن رجال ، فخرهم باقوام ، انما هم فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدفع بانفها النتن) (٢)

ومن الآفات ترك بعض ما انزل الله - جهلا وهوى - :

وبذلك تقع بينهم العداوة والبغضاء ، اذ لم يبق بينهم حق جامع يشتركون فيه ، وانقطعت بذلك جماعتهم ، وصار كل حزب بما لديهم فرحون .
وحيث ان العبادات تزيد في وحدة المسلمين قوة وصلابة ومثانة ، فكذلك بقية المظاهر كالسلوك والاخلاق ، والتاريخ والمشاعر والتصورات والأفكار .
وبهذا تقوم وحدة الامة الاسلامية امتن ما تكون ، واعظم ما تكون واقسوى ما تكون ، اخوة في جسد واحد .

فالتوحيد انما اوجب على البشرية ، ليرد الانسان الى ربه ، وليجعل السلطة

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٤٢ .

(٢) سنن ابي داود في الادب ٤/٣٣١ . رقم الحديث ٥١١٦ .

الوحيدة التي يتلقى عنها موازينه وقيمه ، ووجود حياته ، وروابطه الاجتماعية .
وبذلك يرتفع الانسان من وشائج الارض والطين ، ومن وشائج الدم واللحم ومن
وشائج اللون واللغة الى وشائج الأخلاق والفضيلة .

فواجب الدعاة الى الله تحذير المسلمين من الفرقة والنزاع ، وايجاب التضامن
والولاء بينهم على كل حال ، وايجاب الاعتصام بالوحدة والملح فيما بينهم ، والاصلاح
بين من يقع بينهم نزاع وقتال ، مما له صلة وثيقة بحفظ كيان المجتمع موحدًا
متحدًا قويا عزيزا بريئا من اسباب الوهن والتصدع ، تطبيقا لقوله تعالى :
((ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم
عذاب عظيم)) (١) .

وقوله : ((واطيعوا الله ورسوله ولا تنزعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا
ان الله مع الصابرين)) (٢) .

وقوله : ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ..)) (٣) .

ومن ثمرات الوحدة اذن الامن المستتب الذي رزقه الله لبعض البلاد الاسلامية
وهذا نموذج للوحدة وعدم الفرقة ، وبهذا الامن يستطيع القيام بالدعوة الى الله
داخل بلاد المسلمين وخارجها غير خائف ولا وجل معتزا بوحدة المسلمين وعزتهم
يدعوهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ،
ومن جور الاديان الى عدل الاسلام .

(١) آل عمران (١٠٥) .

(٢) الانفال (٤٦) .

(٣) التوبة (٧١) .

المبحث الرابعالدعوة الى التكافل

قال تعالى : ((وما ءاتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وما ءاتيتم من زكوة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون))^(١) .

التكافل في اللغة مأخوذ من كفل .

والكاف والفاء واللام اصل صحيح يدل على تضمن الشيء للشيء .^(٢)

والكفل : بالكسر الضعف ، والنصيب والحظ . قال تعالى : ((يأيتها الذين ءامنوا اتقوا الله وءامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته))^(٣) أي : نصيبين وضعفين . وقال تعالى : ((ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها))^(٤) .

وقال الفراء : الكفل الحظ .

والكافل بمعنى العائل . وقد كفله ويكفله^(٥) قال تعالى : ((وكفلها زكريا ...))^(٦) .

والكافل الذي يكفل انسانا يعوله .^(٧)

والكافل بمعنى الضامن .^(٨)

والتكافل بمعنى التساند والتضامن والاجتماع ، بمعنى الالتقاء ، ويقوم بين المجموعة من الناس والتي تكون مجتمعا .^(٩)

-
- (١) سورة الروم (٣٩) .
 - (٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٨٧/٥ .
 - (٣) سورة الحديد آية (٢٩) .
 - (٤) سورة النساء آية ٨٥ .
 - (٥) القاموس المحيط ٤٦/٤ ، ولسان العرب ٢٧٩/٢ .
 - (٦) سورة آل عمران ٣٧ .
 - (٧) معجم مقاييس اللغة ١٨٧/٥ .
 - (٨) القاموس المحيط ٤٦/٤ ، ومعجم مقاييس اللغة ١٨٧/٥ .
 - (٩) المجتمع المتكافل في الاسلام . ص ٦١ .

ومعنى التكافل الاجتماعي في الاصطلاح " ان يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم ، وان يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه يمدّه بالخير ، وان تكون كل القوى الانسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ، ودفع الأضرار ، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي واقامته على اساس سليمة . (١)

ويقول الشيخ عبدالله علوان أن التكافل الاجتماعي هو : " ان يتضامن ابناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا افرادا أو جماعات حكاما أو محكوميين على اتخاذ مواقف ايجابية كراعية اليتيم ، أو سلبية كتحرим الاحتكار بدافع مسن شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الاسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ، ويتضامنون لايجاد المجتمع الافضل ودفع الضرر عن افراده " (٢) .

ويقول عبدالعزيز الخياط : " فمعنى التكافل الاجتماعي ان يتساند المجتمع افراده وجماعته بحيث لا تظنى مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة ، ولا تـذوب مصلحة الفرد في مصلحة الجماعة ، وانما يبقى للفرد كيانه وابداعه ومميزاته ، وللجماعة هيئتها وسيطرتها ، فيعيش الافراد في كفالة الجماعة ، كما تكـون الجماعة متلاقية في مصالح الآحاد ودفع الضرر عنهم " (٣) .

-
- (١) في المجتمع الاسلامي لمحمد ابو زهرة ص ٤ .
 (٢) التكامل الاجتماعي في الاسلام ص ١٢ .
 (٣) المجتمع المتكافل في الاسلام ص ٦١ .

أهمية التكافل في الاسلام

التكافل أو التضامن يعتبر من المبادئ الهامة التي دعت اليها الشريعة الاسلامية لما في قيامه من تقوية المجتمع الاسلامي على اسس سليمة ، وبه تتحدد مسئولية الفرد تجاه الجماعة ومسئولية الجماعة تجاه الفرد .

ولا شك أن اساس التكافل هو الاخوة الايمانية التي تذوب امامها كل العقبات المادية ، والحواجز الجغرافية واختلاف اللغات والالسن . قال الله تعالى : ((إنما المؤمنون اخوة))^(١) . وقال تعالى : ((ان هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون))^(٢) فالامة تعنى الوحدة والتضامن والتكافل والتفاعل فيما يقويها ويشد ازرها امام العاديات والمحن ، والامة هي التي تضم جناحها بحنان على من لا يستطيعون الوقوف على اقدامهم كالاصناف التي تعطي لهم الزكاة وغيرهم . قال الله تعالى : ((إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل))^(٣) . وقال تعالى : ((واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ، وبذي القربى واليتيمى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب ، والمصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً))^(٤) . وقد قرن الله سبحانه وتعالى الاحسان الى هؤلاء بعبادته تعظيماً لهذا الأمر واهتماماً بالغاً به ، اذ جعل الله الاحسان الى هؤلاء ضرباً من ضروب العبادة ، يتقرب بها الانسان الى ربه فيزداد ايماناً وقرباً له سبحانه وتعالى . ولما أمر الله سبحانه بالزكاة جعلها اساس التكافل واساس التضامن وكررها في القرآن اثنتان وثلاثون مرة مفرداً ومقترباً بالصلاة^(٥) ، مدللاً على أهميتها وفضلها .

وفي هذه الآية الكريمة التي في هذه السورة التي نحن بمددها ، فإن الله

-
- (١) سورة الحجرات (١٠) .
 - (٢) سورة الانبياء (٩٢) .
 - (٣) سورة التوبة (٦٠) .
 - (٤) سورة النساء (٣٦) .
 - (٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .

تعالى حض على الزكاة مع الاخلاص الكامل ، اذ ان هذا المال المدفوع باخلاص يطهر الانسان من الاخلاق الرذيلة ويطهر المال من البخل بها ، ويزيد في دفع حاجته المعطي ويضاعف له الأجر حتى تكون شيئا كثيرا يوم القيامة . فليس مجرد اعطاء المال خيرا ، حتى يكون بهذه الصفة ، وهو ان يكون على وجه يتزكى به صاحبه . (١)

فاعطاء الزكاة تكافل واجب يجبر عليه المسلم القادر اجبارا ، وهو لون من السوان التكافل^{ونوعه} انواعه ، ويعطي^{به} للمنفق متعة واطمئنانا وقبولاً لدى الافراد فسي مجتمعه ، بالاضافة الى تنمية الاحساس بالغير لدى الأفراد وحمل على نفاذ فاعليته في^{حسه} العلاقة بينهم . لان العقر والغنى عارضان ، فقد يصير الغنى فقيراً والفقير غنياً .

والانفاق في غير المنافع الشخصية الانانية ، تشذيب لغريزة الملك والاقتناء وحب المال الذي هو من الشهوات التي حببت الى الانسان وحماية له من اغسراء المال .

وفي قرن الزكاة بالملاة في قوله ((الذين ان مكنتهم في الأرض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ...)) (٢) ، دليل على أهمية الزكاة وملتتها بقوة المجتمع الاسلامي لأنه مرتبط بالتمكين في الارض ، وفيه تصوير مدى ارتباط ضعف المسلمين وتأخرهم عن الامم الاخرى في كثير من المجالات اذا اهلوا شأن هذا الركن الاجتماعي التكافلي العظيم .

ومما لا شك فيه ان هذا النظام الالهي المالي يحمل في طياته كثيرا من عوامل البقاء والاستقرار الاجتماعي وحفظ الكرامة الانسانية في العالم الاسلامي اجمع ، وفي هذا يخالف كل المخالفة الانظمة الوضعية في المعسكرين الشرقي والغربي .

المجتمع الغربي الذي ابعد عن الدين ، واخذ لنفسه الحرية الفردية فسي الهار النظام العلماني حتى رهمل الى نتائج سيئة اضعفت الروابط الاجتماعية في المجتمع الرأسمالي ، واندفع الى انظمة تعارضها الديانات السماوية كالربا واستخدامه

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٦٧/٦ .

(٢) سورة الحج ٤١ .

استخداما موسعا ، و على هذا الاساس العلماني تغيرت معايير السلوك والاخلاق ، و المثل ، و خرجت عن الرقابة الدينية ، و الرقابة النفسية في التصرفات الفردية و غيرها .

ان الديانات السماوية تنمي لدى الفرد الرقابة الذاتية خشية من الله عز وجل اذ ان هذه الرقابة تدفع بصاحبها الى السلوك الانساني المؤدى الى التكافل الاجتماعي ، و السير في خط معتدل في علاقات الافراد ، و تحول دون الظلم و الاعتداء و تدعو الى ايمان و الاسلام .

و لكن هذه المثل و القيم اضمحلت أو انعدمت في المجتمعات الرأسمالية و صارت المادة اهم ما ينشده الفرد و يبحث عنه من أى مصدر كان ، و بأى طريقة كانت ، و بذلك اهدرت قيمه الشعوب الغربية امام القلة اليهودية التي تتحكم في رأس المال ، و تسير وفق هواها .

و أما في المجتمع السوعي الذي اسعد هو الآخر عن الدين تماما و اخذ لنفسه النظام الماركسي في الاقتصاد ، مستهدفا القضاء على الرأسمالية ونظرتها الى معايير السلوك القائمة في المجتمعات ، و التي لا تصلح للبقاء في مجتمعات الماركسيه العمالية . فقد اعتبر الدين مخدرا فاضعف في نفوس الناس الوازع الديني ، و الرقابة الدينية و صارت المادة هي التي ينشدها الفرد و يلهث وراءها ، بالاضافة الى الانسان الذي اهدرت كرامته كلية ، و اعتبر ترسا في في آله ، فان عمل فله قوت يومه ، و ان لم يعمل فليس له شيء ، و يكدح طول عمره ، ثم تتناهب اعراض الشيخوخة وهو لم يستطع بعد من امتلاك دار أو جمع مال أو تأمين مستقبل .

و قد أثبتت الأيام الآن الى أى مدى وصلت اهانة الانسان في المجتمعات الشيوعية ، بين اكثرية تعمل مقابل طبقة الكحام و المتألهون الذين يأخذون كدح هذه الامم العاملة وتكدهه في سبيل نشر الاحاد .

يقول الدكتور امير عبدالعزيز : " و ينبغي ان تعلم ان فاعلية الاصصاد شيء ، يختلف تماما عن فاعلية الوجدان ، فالاقتصاد و الانتاج شيء ، و الوجدان و الرفاهة

الحسية والشعورية شيء آخر ، فعامل الاقتماد والانتاج تحرك نحو الكسب والاستزادة من اسباب المادة فقط ، لكن عامل الوجدان ورفاهة الحس والشعور تحرك نحو المعاني والقيم المتجردة عن المادة كالتضحية والشجاعة والسخاء والايثار ، وعلو الهمة واکرام الضيف والجار ، وانصاف المظلوم ومواساة الارامل والايتام والمحتاجين فلم يكن الدافع لهذه القيم العليا يوما ما الا قنصاد ووسائل الانتاج" (١)

ومن هذا يتضح بان الجدليه الماركسية انما تبني مجتمعها على أوهام

وسراب .

#####

أنواع التكافل

جعل الله سبحانه للتكافل وجوها وأنواعا وسبلا كثيرة حماية للمجتمع الاسلامي من الانهيار ، وسدا لسبل الانحراف الفردي أو الجماعي وحرما على حماية الاخوة الايمانية من التشتت والضياع وفي الجدول البياني الآتي توضيح لذلك ، وهذا التكافل يدور بين حد ثابت لا ينزل عنه ابدا ، كما في فريضة الزكاة ، وحسب مطلق مرسل استشيرت له ضمائر المؤمنين ، وعزائم اهل الخير فيهم ، وجعل ذلك دينا وعبادة وقربة الى الله عز وجل من افضل القربات وأزكاها للافراد والجماعات .

(١) النظرية الماركسية في ميزان الاسلام ص ٨٠ .

التكافل

معنوي

مثل

النصح والارشاد والتواصي
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
زيارة المريض .

مادي

مندوب

واجب

(١٨٨)

الصدقة
القرض
الوقف
الزوايا
الهدية
الهبة

الكفارة

الزكاة

الصدقة
التمتع
الظهار
اليمين
الصوم
في الحج
القديمة
النذور

أولا : الزكاة :

والزكاة في اللغة: الزيادة

وفي الشرع : عبارة عن ايجاب طائفة من المال في مال مخصوص لمالك مخصوص .^(١)

فالزكاة تعتبر اعظم وسيلة من وسائل التكافل وأهمها مكانة واكثرها تأثيرا في وحدة المجتمع الاسلامي . لذا فهي ركن من اركان الاسلام ، ودعامة من دعائمه الخمسة ، وهي عبادة تؤدي مرة في كل عام ، ولأهميتها قرنها الله تعالى في كثير من الآيات القرآنية بالملاة مرتبا عليها سبحانه وتعالى عواقب واهداف واحسدة تبيانا لارتباطهما ببعضهما ارتباطا مؤكدا .

وقد بين الله في هذه الآية الكريمة بأن اخراج الزكاة لا بد وان تكون من نفس مخلصه رحيمة متأثرة حاسة بالمشاركة الوجدانية ، وذلك يتضح جليا في قوله ((تريدون وجه الله)) فإزادة وجه الله تعالى في الأعمال هي النافعة والمؤثرة فسي النفوس ، لأنها تخرج من نفس المزكي كل العادات الضارة ، وكل الخلال السيئة كالانانية والجشع والطمع والبخل .

لذا فان الصديق رضي الله عنه لم يقبل ان يفرق بين الملاة والزكاة ، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه ، وحسابه على الله تعالى . فقال : والله لاقاتلن من فرق بين الملاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر : فوالله ما هو الا ان شرح الله صدر ابي بكر رضي الله عنه فعرفت انه الحق)^(٢)

(١) التعريفات للجرجاني (كلمة الزكاة) .

(٢) صحيح البخاري في الزكاة ٥٠٦/٢ ، ورواه الجماعة عدا ابن ماجه .
والعناق : هي الانثى من اولاد الماعز ما لم يتم له سنة .
(لسان العرب ٩٠٥/٢) .

فالزكاة اذن ليست شرعة مرهونة بمشيئة الانسان ، بل هي حق المال ، ولا يند من ادائها على الوجه المقرر في الشرع ، وهي في نفس الوقت ضرورة من ضرورات المجتمع الاسلامي ، واساس ما يسمى بالرعاية الاجتماعية في المجتمعات الحديثة .

فالسخاء والبذل من اخلاق الله عز وجل ، وكل من خالف هذه الاخلاق في حق هذا الركن العظيم فانه خالف اخلاق الرحمن ، وبابن الفطرة فوجب قتاله .

لذا فان الزكاة شيء من المال واجب الاداء ويقاوم الامام من امتنع عن ادائها حتى يؤديها صاغرا .

والحكمة في ايجاب الزكاة ان الله تعالى خلق الخلق وافقر بعضهم الى بعض وجعل منهم الاغنياء والفقراء وذوي الحاجات المختلفة ، ليستقيم امر الخليقة ، ولو انه كان خلقهم كلهم اغنياء لبطل نظام الوجود ، وكذلك لو خلقهم كلهم فقراء كما قال تعالى : ((ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا))^(١) فجعل الله سبحانه للفقراء وذوي الحاجات حقوقا في اموال الاغنياء هي مفروضة عليهم ، ليس لاصحاب الأموال فيها شيء ، لأن الله تعالى هو الذي اخرج للفقراء ذلك النصيب من نفس المال الذي استخلف فيه الاغنياء من عباده .

فاخراج زكاة العروض وزكاة بهيمة الانعام ، وزكاة الزروع والثمار ، وزكاة النقدين والركاز ، وزكاة الفطر كفيلة بحماية المجتمع الاسلامي من الانحلال والفرقة وضمان لابعاد المجتمع المتكافل عن الحاجة سواء اكان سببها وضع للانسان يطول اجله ... أو وضع طارئ مؤقت ينتهي فور استدراكه .

ومن الزكاة ايضا زكاة الفطر ، وهو فرض على رأي جمهور الفقهاء . لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير ، على كل حر او عبد ، ذكر أو انثى من المسلمين)^(٢) .

(١) سورة الزخرف ٣٢ .

(٢) صحيح البخاري في الزكاة ٥٤٧/٢ رقم الحديث ١٤٣٣ .

ويخرجها المسلم عن نفسه وعن كل من يلي عليه وتجب نفقته .
والحكمة من وراء ذلك هو اغناء فقراء المسلمين في يوم العيد ، حتى تعم
البهجة الجميع في هذا اليوم الكريم ، ولا يشعرون بعناء الفقر والمسكنة في ذلك
اليوم ، وفي هذا ما يفيد الآخذ واسرته فائدة عظيمة .

اما المعطي فانه جبر النقص الذي قد يكون طراً عليه من لغو أو رفث أو غير
ذلك^{اشاد الهيام} لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (فرض رسول الله صلى الله عليه
وسلم زكاة الفطر طهرة للمائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين ، فمن أداها
قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن اداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات)^(١)

وجوه أخرى للانفاق :

ان الاسلام يدعو الافراد الى انفاق غير الزكاة الواجبة كعبادة يتقرب بها
المؤمن الى الله سبحانه ، ويعتبر ذلك تأكيداً الى مزيد العناية بمصارف الزكاة
وتأكيد تلافى الضعف والوهن في علاقات الافراد في المجتمع . قال تعالى :
((يسئلونك ماذا ينفقون ، قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى
والمسكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم))^(٢) .

فدعوة الاسلام الى الانفاق ليست لايمال الناس الى ترف ورفاهية ، وانهماك في
متع الحياة الدنيا ، بل دعوة الى الانسان بان لا ينسى اخوانه في الدين ، بل يتحرى
عنهم بالسؤال ، ويكون ذلك مفتاحاً للمحبة والتآلف بين أفراد المجتمع .

ثانياً : الكفارات :

ان الانسان بحكم انسانيته وضعفه الفطري في هذه الحياة قد يقع في تقصير
فيما أمر الله سبحانه فيرتكب المخالفة التي تدخل الخلل في عبادته وتضعفها ،

(١) سنن ابي داود في الزكاة ١١١/٢ رقم الحديث ١٦٠٩ .

(٢) سورة البقرة ٢١٥ .

فحكمة الله اقتضت تشريع عقوبة مالية يدفع بها الانسان تقصيره ويتدارك ما حصل من خطأ ، ويجبر عبادته به ، ومن حكمة الله سبحانه ان جعل هذا الجبر لمصلحة الفقراء والمساكين ومساعدة لهم لتكون لبنة من لبنات البناء في التكافل الاجتماعي.

ومن أنواع الكفارات :

كفارة اليمين :

فالانسان الذي حلف ان لا يفعل كذا ففعل ، أو حلف ان يفعل كذا فلم يفعل ، او وجد ان الخير بعكس ما حلف فتوقف لا فعله حينئذ كفارة يمين . قال الله تعالى :
 ((لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم ، واحفظوا ايمنكمم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)) (١) .

يقول القرطبي في تفسير الآية : " ذكر في الكفارة خلال الثلاث فخير فيها وعقب عند عدمها بالميام ، وبدأ بالطعام لأنه كان الافضل في بلاد الحجاز لغلبة الحاجة اليه وعدم شعهم ، ولا خلاف ان كفارة اليمين على التخيير ، وقال ابن العربي : والذي عندي انها تكون بحسب الحال ، فان علمت محتاجا فالطعام افضل لانك ان اعتقت لم تدفع حاجتهم وزدت محتاجا حادي عشر اليهم وكذلك الكسوة تليه ، ولما علم الله الحاجة بدأ بالمقدم المهم " (٢) .

بل ان الفقهاء جعلوا الكفارة في مال الحالف اذا مات ولم يكفر (٣) . أو يعتق رقبة وهذا لا يتم الا بالمال وبذلك يفك قيد مغلول ومقيد من رقبته ويفك مافيته من مشقة وعنت .

فان لم يجد ذلك من الاطعام أو الكسوة أو عتق الرقبة صام ، ولا شك أن هذا غاية العطف على المحتاجين ، وامر من الله بالبحث عنهم والسؤال عن حالهم .

(١) سورة المائدة آية ٨٩ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٢٧٣/٤ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٢٧٨/٤ .

اذ حدد الله سبحانه في اعطاء الكفارة المساكين ، فلو اعطاه لغني لم يجزه ذلك عن الكفارة ، فلا بد للمكفر من البحث والتحري عن المحتاج قدر استطاعته وجهده .

ومنها : كفارة الظهار :

والظهار لغة : مقابلة الظهر بالظهر ، يقال تظاهر القوم اذا تدابروا كانه ولى كل واحد منهم ظهره الى صاحبه اذا كان بينهم عداوة .
 وشرعا : قول الرجل لامرأته انت على كظهر امي .^(١)

وكان الظهار يعتبر طلاقا في الجاهلية . ولما ظاهر اوس بن الصامت من زوجه خوله بنت ثعلبة جاءت تشكي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها فقال لها (حرمت عليه ، فانزل الله سبحانه : ((قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير . الذين يظهرون منكم من نسايتهم ما هن امهاتهم ، إن امهاتهم الا النسي ولدنهم . وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، وان الله لعفو غفور . والذين يظهرون من نسايتهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به . والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ولللكافرين عذاب اليم))^(٢) .

فالله سبحانه أمر بالتكفير والزم الاخراج وبهذا كله يكونوا مؤمنين بالله ورسوله لانها حدود الله ، فلا بد من حفظها ، وطاعات لا بد من اداها لله سبحانه ، فتنفيذ امر الله فيه مصلحة المجتمع واغناء الفقراء عن السؤال والتكفف ، وجبر لما في نفوسهم من الانكسار وعطف على ابنائهم ورحمة وشفقة لهم .

(١) انيس الفقهاء لقاسم القونوي ص ١٦٢ .

(٢) سورة المجادلة ١ - ٤ .

ومنها : كفارة الجماع في نهار رمضان :

نهى الله سبحانه الصائم عن الجماع في نهار رمضان واعتبر عدم الامساك عن شهوتي البطن والفرج خلال النهار مبطلا للصيام ، فمن جامع زوجته في هذا الوقت ، فقد ارتكب مخالفة لامر الله سبحانه ، ولا بد من جبر هذه المخالفة بعقوبة رقية فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، وقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : (بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال : يا رسول الله هلكت. قال : مالك ، قال وقعت على امرأتي وأنا صائم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تجد رقبة تعتقها ، قال : لا قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا . فقال : فهل تجد اطعام ستين مسكينا . قال : لا ، قال : فمكث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما نحن على ذلك اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر ، والعرق المكتل ، قال : أين السائل ؟ فقال : انا ، قال : خذ هذا فتصدق به ، فقال الرجل : أعلى افقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت افقر من أهل بيتي . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه ثم قال : اطعمسسه أهلك (١) .

ومن ذلك التكافل ايضا كفارة الهرم العاجز عن الصيام لقوله تعالى : ((وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)) (٢) . واخرج ابن جرير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا) ، واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والدار قطني والبيهقي (ان انس ابن مالك ضعف عن الصوم عاما قبل موته ، فصنع جفنة من ثريد ودعا ثلاثين مسكينا فاطعمهم) (٣) . وهذا ايضا من وسائل التكافل الاجتماعي في الاسلام .

-
- (١) صحيح البخاري في الصوم ٦٨٤/٢ رقم الحديث ١٨٣٤ .
 والمكتل : شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا (لسان العرب) .
 (٢) البقرة آية ١٨٤ .
 (٣) فتح القدير للشوكاني ١٨٠/١ .

ومنه الحامل والمرضع اذا افطرتا في رمضان اذا خافتا على ولديهما أو على نفسيهما ، لما أخرجه عبد بن حميد وابن جرير والدار قطني وصححه عن ابن عباس انه قال لأم ولد له حامل أو مرضعة : (انت بمنزلة الذين لا يطيقون الصيام عليك الطعام لا قضاء عليك) .

وكما اخرج ايضا عن ابن عمر ان احدا بناته ارسلت تسأله عن صوم رمضان وهي حامل قال : (تفطر وتطعم عن كل يوم مسكينا)^(١) .

ومنها : كفارات الحج :

منها : أن الله تعالى أوجب فدية الحلق للأذى والمرضى . لقول تعالى :
 ((فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فغدية من صيام أو صدقة أو نسك))^(٢) .
 والنسك : الذبيحة ، والصدقة والذبيحة تتعدى فائدتها الى المساكين والفقراء والمحتاجين ، وذلك من التكافل أيضا ، ومنها كفارة الصيد في الاحرام ، فجزاء من قتل شيئا من الصيد وهو محرم ان يذبح مثله من النعم ، ويتمدق به للفقراء والمساكين . قال تعالى : ((يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بلوغ الكعبة أو كفرة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام))^(٣) .

فتكون الكفارة بمثل ما صاد ، ففي النعامة بدنه ، وفي حمار الوحش وبقرة الوحش بقرة ، وفي الظبي شاة ، وما لم يبلغ جزاؤه ذلك ففيه اطعام أو صيام الاحمام مكة ففيها شاة .^(٤)

ففي الذبيحة والاطعام تكافل اجتماعي لمصلحة الفقراء والمساكين ، وفي كتب الفقه توضيح وبيان للفدية في مخالفة أحكام الحج .

(١) فتح القدير للشوكاني ١٨٠/١ .

(٢) سورة البقرة ١٩٦ .

(٣) المائدة ٩٥ .

(٤) تفسير القرطبي ٢٣٠٧/٤ .

ومن هذا الباب أيضا الهدى : وهو ما يهدي من النعم الى الحرم سواء كان واجبا كهدي القارن والمتمتع ، أو مستحبا كهدي المفرد في الحج .

ثالثا : النذور :

والنذر ايجاب عين الفعل المباح على نفسه تعظيما لله تعالى ، وينعقد النذر بنذر الناذر اذا كان في طاعة الله تعالى .^(١) قال تعالى : ((يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا))^(٢) .

وقال القرطبي : " النذر : ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يلزمه " ^(٣) .

وإذا لم يستطع الوفاء بنذره لزمته الكفارة وهي كفارة يمين من عتق رقبة ، أو اطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة ، فان لم يجد فصيام ثلاث ايام كما في آية المائدة .

رابعا : الوصايا والهبات والهدايا والأوقاف :

فالوصية تمليك مضاف الى ما بعد الموت بطريق التبرع سواء كان ذلك في الأعيان أو في المنافع كقضاء حوائجه ومصالح ورثته من بعده .
وتنفيذ وصاياه وغير ذلك ، وهي قضية مشروعة وقربة مندوبة ، دل على ذلك الكتاب والسنة .^(٤)

ففي الكتاب :

قوله تعالى : ((من بعد وصية يوصى بها أو دين))^(٥) .

-
- (١) انيس الفقهاء ص ٣٠٠ .
 - (٢) سورة الانسان ٧ .
 - (٣) تفسير القرطبي ٦٩١٨/١٠ .
 - (٤) انيس الفقهاء ص ٢٩٨ .
 - (٥) سورة النساء ١٢ .

وفي السنة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ان الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلاث اموالكم زيادة في اعمالكم)^(١) .

واما الهبة فهي التبرع والتفضل بما ينفع الموهوب له . ومنه هبته الدين ممن
عليه الدين ابراء ، والهبة لشواب الآخرة صدقة .

وأوجه التبرعات كثيرة وهي من باب الصدقة الجارية مثل انشاء المستشفيات
لعلاج المرضى واصلاح الطرقات والجسور وانشاء سكن الفقراء والارامل والايتام .. وغير
ذلك مما يخدم المسلمين ويرفع من معنوياتهم ويحميهم من الذلة والهوان .

وكذلك الهدية وهي ما تؤخذ بلا شرط الاعادة .^(٢)

والتهادي ان يهدي بعضهم الى بعض^(٣) . وفي الحديث : (تهادوا فسان
الهدية تذهب وقر الصدر)^(٤) .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهدي ويهدى اليه ويقبل الهدية
ويجزى عليها ، وذلك لأن الهدية مما تؤلف القلوب وتحبب النفوس وتقربها ، وهي
من التكافل المادي ايضا .

ثم الأوقاف :

والوقف هو الحبس لغة .

وفي الشرع : عبارة عن حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنافع على
الفقراء مع بقاء العين ، وعند أبي يوسف ومحمد : حبس العين على حكم ملك الله
سبحانه وتعالى فيزول ملك الواقف .^(٥)

(١) أخرجه ابن ماجة ص ١٩٩ .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٣٤ .

(٣) لسان العرب ٧٨٨/٣ .

(٤) مسند احمد ٤٠٥/٢ . والترمذي في الولاء ٤٤/٢ .

(٥) انيس الفقهاء ص ١٩٧ .

وقد روى البخاري ان عمر رضي الله عنه قال : (يا رسول الله اني استفدت

مالا وهو عندي نفيس فاردت ان اتصدق به . فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
تصدق بأمله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره)^(١) .

وقد كان غيره من الصحابة رضي الله عنهم من احرص الناس على ذلك .
طلبها لمرضاة الله سبحانه ، فقد روى البخاري بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه
يقول : (كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب امواله
اليه ببيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها
ويشرب من ماء فيها طيب . قال فلما انزلت هذه الآية : ((لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون)) قام ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول : ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون)) وان احب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله
فضعها حيث اراك الله . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال
رابح ، ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت واني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة :
افعل يا رسول الله . فقسمها ابو طلحة في اقاربه وفي بني عمه)^(٢) .

فالوقف صدقة جارية تبقى بعد الانسان ، وبعد ان يعفى اثره وينقطع عمله ،
وينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون .

فهذه الأوقاف اذن كنز يضيفه الانسان الى رصيده عند الله ويخبئه ليلسوم
يحتاجه فيه اشد الحاجة ، فما احرى الانسان ان يكون حميد الذكر في الدنيا بما
هيئه للفقراء والمساكين والارامل والايتام ، ويكون من الفائزين في الآخرة .

ويقول محمد المبارك رحمه الله : " ومن المهم معرفة ان الوقف في التاريخ
الاسلامي كان مؤسسة اجتماعية خيرية عظيمة النفع ، متعددة الانواع ، فمنه ما كان
وقفا على التعلم والتعليم ، ومنها ما كان وقفا على الجهاد والمجاهدين ،

(١) صحيح البخاري في الوصايا ١٠١٧/٣ .

(٢) صحيح البخاري ٥٣٠/٢ الحديث رقم ١٣٩٢ .

والآية في سورة آل عمران آية ٩٢ .

ومنها _____ كان وقفا على المرضى والمستشفيات والعجزة واليتامى واللقطاء ، وعلى تزويج الشبان ، وحبذا لو عاد الاغنياء والموسرون الى احياء سنة الوقف ، والى الصدقات الدائمة ، وخاصة لنشر تعاليم الاسلام ومبادئه وللمساهمة في سبيل الخير الكثيرة" (١)

التكافل المعنوي

واما التكافل الاجتماعي المعنوي فهو النصح والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والسهر على مافيه راحة المسلميين واطمئنانهم على اموالهم ودمائهم ونفوسهم ، والحيطه من ان يؤخذوا على غشيرة بفعل ضعف النفوس وضعاف الدين . قال الله تعالى : ((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) (٢) .
وقال تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...)) (٣) .

ويقول الزرقاني : " وقد تكافل الصحابة تكافلا اجتماعيا فرضه الاسلام عليهم فجعل عيونهم مفتحة لكل من يكذب على الله أو يفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو يخوض في الشريعة بغير علم ، أو يفتي في الدين بغير حجة ، ولم يكن ذلك منهم الا لأن كل واحد منهم يعتقد أنه عضو في جسم الأمة ، عليه أن يتعاون هو والمجموع في المحافظة على الملة ، ويعتقد أنه لبنة في بناء الجماعة ، عليه أن يعمل على سلامتها من الدغل والزغل ، والافتراء ، والكذب خصوصا في اصل التشريع الأول وهو القرآن واصله الثاني وهو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . (٤)

ولم يكن هذا الحرص منهم الا امتثالا لامر الله وخوفا من العقاب والعذاب ،

(١) نظام الاسلام - الاقتصاد - ص ١٥٢ .

(٢) آل عمران ١٠٤ .

(٣) آل عمران ١١٠ .

(٤) مناهل العرفان ٣١٦/١ .

اذا قصرنا في هذا الركن العظيم حين يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث
عليكم عقابا منه فتدعون فلا يستجاب لكم) . رواه الترمذي وقال حديث حسن . (١)

فخلو المجتمعات الاسلامية من الدعاة الى الخير والنهية عن الشر دليل على
قصور تلك المجتمعات في هذا الواجب المهم ، اذ ان سلامة المجتمعات الاسلامية
تقتضي خلوه من المستحدثات في امور الدين ، وبعده عن الانحرافات والضلالات ونقاؤه
من الأوهام والخرافات ، وخلوصه من ذميم العادات .

فالانحرافات والضلالات والأوهام والخرافات وذييم العادات بدع لا يرتضيها
الدين الاسلامي لمجتمعه ، ولا يقبلها لامته .

ولو القينا نظرة على العالم الاسلامي لرأينا من فساد المعتقدات ما يتمثل
بالعقيدة من الانحرافات مما يعد خروجا عن الدين ، وكفرا بالله تعالى مثل الاعتقاد
بعدم صلاحية الاسلام للتطبيق والحكم في العصر الحاضر ، او اعتناق مذهب هـدام
كالشيوعية أو الطواف بالقبور ونحوه ... فالمجتمع المتكافل في نظر الاسلام ينبغي
ان يتعاون افراده على ازالة هذه البدع والخرافات التي صارت جزءا من الدين فسمي
نفوس الناس .

من يشملهم نظام التكافل الاجتماعي : ومن أهمهم :

- (١) الفقراء والمساكين هم المعدمون كليا أو من عندهم شيء لا يسد حاجاتهم
الضرورية .
- (٢) اليتيم هو الصغير الذي مات ابوه وتركه دون عائل ويدخل فيه ابناء الشهداء
في البلاد الاسلامية .
- (٣) اللقيط : هو الصبي المنبوذ الذي لا يعرف له أب ولا أم ، وقد أوجبست
الشريعة له الحماية والرعاية كما في كتب الفقه .

(١) سنن الترمذي ٤٩/٢ .

- (٤) العجزة واصحاب العاهات والمعوقين والعميان .
- (٥) الأرمال : وهي المرأة التي مات عنها زوجها .
- (٦) المطلقة : التي انفصلت عن زوجها بالطلاق .
- (٧) المنكوبين بجائحة او فاقة .
- (٨) ابناء السبيل : وهم المسافرون المنقطعون عن بلدهم وليس لديهم ما يوصلهم من نفقة أو مال ، فتسد حاجتهم من الزكاة الواجبة بمقتضى حق التضامن والتكافل من المسلمين واشعارا برعاية الاخوة واحترام المجتمع لرعايته .
- (٩) المشردون وهم الذين حرموا من العطف والرعاية بسبب اليتيم وانفصال الوالدين وتزوجهما بالغير .
- (١٠) ويضاف الى هؤلاء من يستحقون من مصارف الزكاة كالعاملين عليها ان كانوا فقراء والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وكذلك من كان في حاجة الي مساعدة او رعاية مادية او معنوية ، لان هناك حالات كثيرة لا يمكن حصرها .
- فالمجتمعات في العالم على اختلاف ديانتها وعقيدتها لا تخلو من اصناف الضعفاء من هؤلاء . ولكن الدين الوحيد الذي اعطى لهؤلاء حقوقا ، يضمن لهم الراحة والطمأنينة وسد الحاجة هو الدين الاسلامي ، وتلك ميزة من اعظم المميزات والخصائص بين المسلمين .
- المؤلفة قلوبهم وهم الذين يقبلون على الانضمام الى المجتمع من الاجانب عند اعلان مبادئ الايمان لقاء مساعدة مادية هم في حاجة اليها حتى اذا خاصمتهم اقوامهم امكنهم ان يدبروا امراً نفهم في المعيشة ولو مؤقتا .
- فمصرف المؤلفة قلوبهم اسلوب للحفاظ على المجتمع الاسلامي والدفاع عنه وعن قيمه ، وهو تكتيك يستغل عند الحاجة اليه .

الربا من مقوضات التكافل الاجتماعي :

في الآية الكريمة قارن الله بين الربا والزكاة مقارنة حسية ، فأثبت للزكاة المضاعفة ، واثبت للربا المحق وعدم المضاعفة ، وفي ذلك اثبات للضرر المؤكد الذي يصيب المرابي وان ظهر له الارباح الطائلة المحسوسة امامه .

والربا في اللغة الزيادة .

وفي الشرع : هو فضل احد المتجانسين على الآخر من مال بلا عوض . (١)

وقد ذكر الله سبحانه عدة عوامل ترهيبية للتعامل بالربا - منها :

أ - وصف الله اثر الربا على المتعامل به من الاضطراب وعدم التوازن وسرعسة السقوط ، وعدم السيطرة على النفس . قال تعالى : ((الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ...)) (٢)

ب - محو اثر الزيادة في المعاملة الربوية بتحول آثارها في حياة آكل الربا الى سلبيات من : البغض والكراهية والقلق والخوف والحزن . قال تعالى : ((يمحق الله الربوا ويربى الصدقات)) (٣)

ج - وصف المرابي بانه مبعوض من الله ، محارب فيما يقوم به من المعاملة مسن الله تعالى ورسوله . قال تعالى : ((فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)) (٤)

فالربا نقيض الصدقة ، لأن الصدقة هبة بلا مقابل ، واما الربا فهو استرداد للدين ومعه زيادة حرام مغتصبة من جهد المدين ودمه ان كان قد عمل بالمال الذي اقترضه من المرابي ، واذا كان القرض للانفاق على الاهل والولد ، او لسداد دينسه فانه يكون قد انهكه وقصم ظهره .

لذلك فان الربا شح وانانية فردية ، وهدم لروابط المجتمع ، واثارة للاحقاد والفرقة بين أفراده ، بعكس فريضة الزكاة ، فانها قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي والاقتصادي تنشر الرحمة بين افراده ، وتبث المحبة وتطهر القلب ، وتزكي المال . ولم يبلغ الاسلام في تكبير جريمة اجتماعية اراد ابطالها ما بلغ في جريمة الربا حيث توعد الله المرابي بحرب من الله ورسوله . وذلك لأن آكل الربا خارج على

(١) انيس الفقهاء ص ٢١٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٣) البقرة ٢٧٦ .

(٤) البقرة ٢٧٩ .

قواعد الاسلام ، وقواعد الخلق والضمير ، لأنه عدو لدود لصاحب الحاجة ، ويقضي بعمله هذا على التعاون الذي هو أصل من اصول الجماعة الاسلامية .

وآية الروم هذه وان كانت ليست صريحة في تحريم الربا مثل آية البقرة السابقة ، فانها كانت تمهيدا لتحريم الربا ، وبيانا لعدم مشروعية هذا النوع من الكسب ، ولكونه وسيلة للابتزاز والاستنزاف لدم الانسان الذي وقع في ضائقة مالية .

ومن الغريب ان بعض من يدعون العلم يقررون بأن الربا المحرم هو الاضعاف المضاعفة استنادا الى قوله تعالى : ((يأبىها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضاعفة))^(١) ، مع أن آية البقرة حرم الربا بلا تحديد وقطع واكد التحريم . قال تعالى : ((يأبىها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين))^(٢) وربط الله التوبة من الربا برأس المال . فقال تعالى : ((وان تبتم فلکم رؤوس اموالکم لا تظلمون ولا تظلمون))^(٣) .

#####

الأضرار التي تترتب على تعطيل

مبدأ التكافل الاجتماعي

(١) حرمان الفقراء والمساكين من حاجاتهم الضرورية تؤدي الى تفشي السرقة والاعتداء على الأرواح والأموال . وكذلك الى انتشار الحقد من الطبقات الفقيرة على الطبقات الغنية . وهذا من اكبر العوامل التي أدت الى انتشار الشيوعية والاشتراكية في بعض البلاد الاسلامية في هذه الطبقات بالأخص .

(٢) عدم رعاية اليتيم واللقيط وحرمانهم من التعليم ونحوه يؤدي بهم الى التشرد وارتكاب الجرائم المختلفة .

(١) آل عمران ١٣٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨ .

(٣) البقرة ٢٧٩ .

- (٣) عدم رعاية الأراامل والمطلقات قد يؤدي بهن الى ارتكاب الفواحش والفجور والجرائم الخلقية لتأمين المعيشة اليومية .
- (٤) عدم ايجاد العمل المناسب للأفراد يؤدي بهم الى البطالة عن العمل وانتشار البطالة ، وبالتالي الى انتشار الجرائم .
- (٥) وعدم رعاية هؤلاء الضعفاء تؤدي بهم الى انتشار التسول كما تؤدي الى ضعف الوعي الجماعي ، وانحلال الرابطة الاجتماعية بين المسلمين ، والحقد على المجتمع والخروج عليه بالوان من الجرائم .
- (٦) وعدم تطبيق التكافل المعنوي من النصح والارشاد تؤدي الى ضعف الوازع الديني لدى الأفراد ، وبالتالي يؤدي الى ضعف الاداء الوظيفي ، وعدم الرقابة الذاتية في الانسان وانتشار البدع والخرافات والجهالات التي تخالف الشريعة الاسلامية وتفشي الاشاعات الباطلة على الاسلام والمسلمين .

فهذه هي نظرة الاسلام في مجال التكافل الاجتماعي ، والذي بلغت به المجتمعات الاسلامية أعلى مراتب الضبط الاجتماعي ، وانعدمت فيها الحاجة والفاقة ، بل الامراض الاجتماعية التي تسببها شدة الحاجة والفقر ، كما ان التكافل في الاسلام لم يقف عند ذوي الحاجة من المسلمين ، بل تعداه الى كل من عاش على أرضه من أهل الذمة من غير المسلمين ، واهتم بالانفاق عليه واخراجه من العوز والفاقة .

وفي كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه لاهل الحيرة : " ... وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل أو اصابته آفة من الآفات ، أو كان غنيا فافتقر ، وصار أهل دينه يتمدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ، ودار الاسلام ، فان خرجوا الى غير دار الهجرة ودار الاسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم ... " (١) .

وبهذا تعمل نظم الاسلام على سد حاجات المسلمين في كل وقت ، وتصرف الإيرادات على ما فيه مصلحة المجتمع الاسلامي وحمايته من الفرقة والانهياب ، وهذا

(١) كتاب الخراج - أبي يوسف ص ١٤٤ .

في الجانب المادي . واما في الجانب المعنوي فهو حماية المجتمع من الشبهات التي يثيرها اعداء الاسلام لبث الفرقة أو نشر الفساد والانحلال الخلقي باطراء الفسق وتزيينه ، وكذلك حمايتها من الأمراض الخلقية والنفسية ، كالفجوة والنميمة والهمز واللمز لما لها من اثر في انحلال الروابط الاجتماعية .

وكذلك الدعوة الى التثبت من الاشاعات التي تهدف تفرقة المسلمين وايقاع العداوة بينهم .

لذا فان منهج الدعوة الاسلامية تدعو كل فرد من المسلمين ان يكون محببا للاملاح عادلا في اقواله وافعاله ومقدرا جانب الوحدة وتأليف القلوب وحماية الانفس من الاخطار الحسية والمعنوية .

كما يجب عليهم تأكيد معنى العبادة في الزكاة ، اذ هي اساس التكافل الاجتماعي المادي . وهو الأهم في مواجهة العلمانية والماركسية .

\$\$\$\$\$ \$\$\$\$\$ \$\$\$\$\$

#####

\$\$\$\$\$

؟

المبحث الخامسالدعوة الى التكامل والتوازن بين الدين والدنيا

قال الله تعالى : ((ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا إليها
وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) (١) .

وقال تعالى : ((ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن
في ذلك لآيات لقوم يسمعون)) (٢) .

المادة والروح :

هناك صراع حاد ودائم بين نظر تين متباينتين في هذه الحياة منذ القدم مالت
احدهما الى النزعة المادية البحتة واستسهلت في سبيل الوصول اليها كل السبل
وانتهكت في طريقها اليها كل القيم والأعراف ، ودمرت في سبيلها كل الفضائل
والاخلاق والمثل العليا ، فادى به ذلك الى التنكر لانسانيته وضميره على اعتقاد ان
فيه سعادة له كفرد وسعادة له ولغيره كجماعة .

ومالت النظرة الأخرى ، الى الروحية المحضة ، فهربت من الحياة ، وتجنبت
السعي في آفاق الأرض والتفكر في خزائن الله عز وجل والمشي في مناكبها والانتفاع
بخيراتها ، على اعتقاد أن في ذلك سعادة للجسم والروح ، فارهق جسده بضروب من
التعذيب والوان من الابداء ، وحرمها من طيبات الأرض ومتع الحياة الدنيا ، وخالف
الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فسكن المغارات ولبس المرقعات ، وعرض نفسه
وجسده للأمراض ، وعاش في متاهة يرفضها العقل - يأكل من خشاش الأرض أو ما يقدمه
له غيره من الخلائق - كسولا حاملا متواكلا ، أيامه ولياليه اكتئاب ، تحول نتيجة
لذلك الى شبح خائر النفس ضعيف الجسم تفترسه الأوهام والآلام .

(١) سورة الروم (٢١) .

(٢) سورة الروم (٢٣) .

المادية البحتة واضرارها :

اما النظرة الأخرى فقد مالت الى النظرة المادية المحضة التي تؤدي الى عمارة الأرض بالحضارة المادية فقط ، دون التفات الى الجانب الروحي ، ويكـون مهيمنا عليه الفكرة القائلة : " ان الانسان لا يأتي الحياة الدنيا الا مرة واحدة ، وأنه لا بد له من استغلال هذه الحياة في الاستمتاع بما فيها من المتع والشهوات بدون التفكير والنظر الى ما يحل ويحرم عليه ، وما يوافق الدين أو يخالفه ، وما يضاعد الاعراف والتقاليد المرعية في المجتمعات الانسانية كلها " .

فتولدت في نفسه حب الترف والتكالب على الحياة الدنيا وعدم الالتفات الى من يصادفه في طريقه من اخوانه واخواته الضعفاء والأرامل والايتم والعجزة ، ثم الاستكبار والغرور والياس والقنوط عند الشدائد التي يقع فيها بين آونه وأخرى .

وهذه النظرة القصيرة المدى والنظرة اللامسئولية في هذه الحياة ينطبق عليها قوله تعالى : ((وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين))^(١) .

الماديون في القرآن :

وقد قص الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عدداً من القمص التي بينت نفسية هذا الصنف من الناس وما كانوا عليه من الانحراف عن الطريق السوي والسلوك المشين ، حيث ظنوا أن الحياة الانسانية والسعادة انما تركزت في هذه الدنيا فقط فلم يفكروا في الحياة الاخرى ، وما فيها من النعيم المقيم ، ولم يهتموا بالحياة على أنها هي الغاية والوسيلة الموصلة الى السعادة الأخرية .

فمن هؤلاء صاحبي الجنتين . قال تعالى : ((واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعنّب وحققناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً ، كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خللها نهرها ، وكان له ثمر ، فقال لصاحبه

(١) سورة الأنعام (٢٩) .

وهو يحاوره : انا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه ابدا ، وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ...))^(١) .

فصاحب الجنتين نموذج للرجل الثري ، تذهله الثروة وتبطره النعمة ، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على اقدار الناس والحياة ، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تنفئ ، فدخل جنته وقد ابطره الغرور الذي يخيل لذوي الجاه والسلطان والمتساع والثراء ان القيم التي يعاملهم بها اهل الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى .

ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها مهشمة محطمة ، وموقف صاحبها يقلب كفيه اسفا وندما .^(٢)

ومن هؤلاء ايضا قارون . قال تعالى : ((إن قرون كان من قوم موسى فبنى عليهم وءاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولي القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين ، وابتغ فيما ءاتك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين))^(٣) .

ففي هذه القصة القرآنية مُمَيَّن مكانة المال والزينة الى جانب قيمة الايمان والصلاح مع الاعتدال والتوازن في الاستمتاع بطيبات الحياة دون علو في الأرض ولا فساد فهذا الطاغية بنى على قومه بما أعطاه الله من الخيرات واغدقه عليه من النعم ، فكان بغيه عليهم يعم الصور القبيحة كلها ، ربما بظلمهم وغصبهم ارضهم وأملاكهم ، وربما بحرمانهم حقهم في ذلك المال ، ولكنه لم يعرف حق هذا المال فلم يحسن التقبل ولم يحسن التصرف بالاحسان الى الخلق ولم يحسن الشعور بالنعمة والشكر عليها ، بل أراد الفساد في الأرض بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء ،

(١) سورة الكهف ٣٢ - ٣٦ .

(٢) في ظلال القرآن ٤/٢٢٧٠ .

(٣) سورة القصص ٧٦ - ٧٧ .

وانفاق المال في غير وجهه أو امساكه عن وجهه .

فكان من نتيجة ماديته البحتة واغتراره بالمال وبطره على النعمة ان خسف
الله^{به} وباداره الأرض وهو يتهادى فخرا بأبهى زينته امام قومه .

ولو نظرنا في عصرنا الحاضر لرأينا الحجج الواضحة على ان استغراق اوربـا
ومن تبعها في عبادتها الباطلة للمال والمادة كان زيفا وخداعا في حالها ومآلها
حيث غلبت انانيتها الاقتصادية على انبل نزعاتها الانسانية وعلاقاتها الروحية . ومثل
هذا انما يحدث حين تنفصل الاقتصاديات عن الدين الذي يستطيع وحده ان يستأنس
الوحشية الكامنة بين جوانح الانسان وتنزع من قلبه الرحمة والحنان والحب الالنفسه
ولذاته ، وها هي الشعوب الشرقية أو الغربية تجرب المادية التي لم تستطع ان تعطي
شعوبها السعادة والراحة والطمأنينة رغم كل الوعود والمطامع للوصول الى الهدف
والضالة المنشودة .

لذا فان النتيجة الحتمية لكل من آمن بالدنيا فقط ان يهتم بدنياه فقط ويحرص
عليه وان يحرز من هذه الدنيا اكبر قسط عن أي طريق مادامت هي غاية همه ومبلغ
علمه ، وهنا تتأصل جذور الانانية الفردية والمادية النفعية في المجتمع الانساني .

أمثلة المادية في السنة النبوية :

روي البخاري في كتاب أحاديث الانبياء وباب ما ذكر عن بني اسرائيل^(١) قصة
الثلاثة من بني اسرائيل وهم الابرص والاقرع والأعمى ، وكيف ان الله ابتلاهم واختبرهم
بان ارسل اليهم ملكا فمسح عليهم فشفاهم الله عز وجل واعطوا ما احبوا من الأموال
ثم جاءهم الملك يطلب منهم حق الله عز وجل ، وكيف أن الأولين جحدا نعمة الله
وما أقرا بنعمته ولا نسبا النعمة الى المنعم بها ، ولا أديا حق الله ، فحـل
عليهما السخط ، واما الأعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها الى من انعم عليه بها ،
وأدى حق الله فيها ، فاستحق الرضى من الله بقيامه بشكر النعمة وبذلها فيما يجب

(١) انظر البخاري ١٢٢٦/٣ .

بدون تردد ، فحب المادة انطبع في قلب الأولين حيث ظنا أي بذل من المال يؤدي الى النقصان مثل صاحب الجنتين ، اذ طغى حب المال على حب الدين فقسى فؤاده وتجبر وتكبر وبطر فأخذة الله اخذ عزيز مقتدر .

الرهينة والانعزال عن الدنيا :

ان هناك مغالطة شائعة تزعم ان المال يهتك استار الوقار والجلال عمن مقدسات الدين ، ويئد كل حنين الى الاتصال بالخالق ، وان الدين انما يتحقق غايته فحسب حينما يشن هجوما واسعا على الاقتصاد ويمحو كل آثاره !! وهؤلاء الذين يعملون في ظل مثل هذا الوهم المثير - وهم ليسوا بالقلائل - يؤكدون بافعالهم وسلوكهم ان لم يفصحوا بكلماتهم ، ان العالم قد خلق من اجل ان ينبذه الانسان ومؤدى دعواهم ان الله قد خلق عالم الطبيعة ثم امر مخلوقاته ان تنشد رضاه بترك العالم الذي خلقه !! ومثل هذا المنطق المعكوس لا يخلص بنا الا الى ان فعل الله في الخلق كان عبثا ، وان كل رقي وتقدم في العالم المادي يعتبر تمردا على قدرة الله ، ويعزي ترويج هذه العقيدة المغلوطة الى البوذية والمسيحية ، والعقيدة التي من هذا النوع لو ظلت على قوتها المعهودة في عهد ^{العزلة والرهينة} الأولى لتحول عالم النصرانية والبوذية الى كهوف وسرايب يقطنها رهبان خماس البطون ونسك مغبرون ما مست الماء اجسادهم ولا موسى رؤسهم .

فاعتقاد ان الدين ينكر الدنيا عقيدة عاتقة لعجلة الرقي الانساني ، فطبقة الكهان التي طالما استتمعت بالنفوذ طوال القرون دون حسيب ، تدهورت قيمة بضاعتها من اهدار الذات وقمع النفس عن الفطرة التي وضعها الله تعالى فيها وعدم تنظيمها او تهذيبها ، ثم باءت بالخسران المبين ، وانطلق اتباع الدين بالامس في طريق المادة يثأرون لانفسهم وينادون بفصل الدين عن الدولة أو بان الدين مخسدر للشعوب .

فهذه النظرة الخاطئة للمال لم تكن وليدة هذه العصور ، وانما كانت قديمة لدى بعض المسلمين وخاصة المتصوفة الذين انتشروا في اطراف العالم الاسلامي

ينشرون فلسفتهم التي اخذوها عن الفلاسفات التي دخلت مع الترجمة الى العالم الاسلامي في القرون المتقدمة .

وفي ذلك يقول الامام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الامام أبي حنيفة :
 " وقال قوم من جهال اهل التقشف **وجماعة اهل التصوف** : ان الكسب حرام لا يحل الا عند الضرورة ، وبمنزلة تناول الميتة ، وقالوا ان الكسب ينفي التوكل على الله او ينقص منه ، وقد أمرنا بالتوكل في قوله تعالى : ((وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين))^(١) .

ثم يقول : والعجب من الصوفية انهم لا يمتنعون من تناول طعام من اطعمهم من كسب يده وربح تجارته مع علمهم بذلك ، فلو كان الاكتساب حراما لكان المال الحاصل به حرام التناول ، لأن ما يتطرق اليه بارتكاب الحرام يكون حراما .. وحيث لم يمتنع احد منهم من التناول، عرفنا ان قولهم هذا نتيجة الجهل والكسل^(٢) .

ولو فهم هؤلاء الحقائق لعرفوا ان الدنيا لا تدم لذاتها ، وكيف يدم ما مسته الله تعالى به ، وما هو ضرورة في بقاء الآدمي ، وسبب في اعانته على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه .^(٣)

وكان المفهوم الخاطيء للكسب من اضر المفاهيم التي انتشرت في العالم الاسلامي حتى لقد أصبح الشائع في مفهوم الناس عن الدين والتدين الحق هو الانقطاع عن العالم والتفرغ للعبادة ، وان المتدين الحق هو الذي يتبطل فلا يعمل ، ويتقشف فلا يتمتع ، ويتبتل فلا يتزوج ويتعبد فلا يفترك ليله قائم ، ونهاره صائم ، يده في الدنيا صفر ، وحظه من الحياة خبز الشعير ، ولبس المرقع ، واتخاذ الغلوات دارا .

فالمبالغة في تأكيد اعتبار الدين شيئا خارجا عن طبيعة المجتمع وغير مرتبط

(١) سورة المائدة (٢٣) .

(٢) الكسب لمحمد بن الحسن ص ٤٤ .

(٣) تلبيس ابليس ص ١٥٠ .

بالحياة الاجتماعية نتيجة سوء الفهم يؤدي الى الرهينة الجوفاء والانقطاع عن التفاعل الى الجمود والتكاسل كما في الهندوكية والبوذية أو الى حياة الديرية الفارغة كما في رهينة المسيحية ، كما أن المبالغة في الضغط على الاقتصاديات والانقطاع والاستسلام لها كما يحدث في العصر الحاضر يؤدي في ذروته الى مادية مسعورة هائجة .

توازن الاسلام وتكامله :

ان انسانية الانسان لا يمكن أن تتم وتتوازن الا بالأخذ بالطرفين بحيث لا تطفئ جهة على أخرى ، فانسانية الانسان ليست في هذا الغمام بين الفطرة والمادة ، ولكن في تحقيق التوازن بين النزعة المادية والشوق الروحي فيه ، وفي وصل ما بين الانسان وبين الكون والحياة من وشائج وأسباب ، وفي ادراكه ان هذه الحياة هي احدى نعم الله عليه - تحتاج منه ان يعطيها من ثمار عقله وكده عمله وفيض روحه ... ومن حقه ان يتنعم بما فيها من خير وعليه أن يصبر على ما فيها من ضر .

ولا بد ان يكيف فكره وسلوكه وضميره وفق هذه العقيدة الايمانية النيــــرة الشاملة التي جعلت منه انسانا مكرما خليقا بان يكون خليفة في الأرض يعمرها بما يجب ان يعمر به من خير وحق ، وفضيلة وعدالة واخوة وتعاون .. وعمل مثمر فسي استخراج كنوزها وخيراتها ، وسعى في الانتفاع بما سخر الله له فيها من منافع مادية فيها رزقه ومتاعه وزينته . (١)

فالاسلام بتشريع المتكامل لا يقر الحرمان من متع الحياة ولا الرهنــــة والانفصال عن الأمة ولا العزلة الاجتماعية ، وفي نفس الوقت لا يقر الانسان على الانهماك في المادة وعبادة الدنيا والدرهم ونسيان حق الله عز وجل والحياة الأخرى السرمديــــة ، بل لا بد له بما يكمل انسانيته فيعطي حق الله وحق الناس وحق نفسه دون اهمال لجانب من الجوانب على خلاف الفلسفات الهندوكية والبوذية ورهنــــة المسيحية .

(١) المسألة الاجتماعية لعمر عودة الخطيب ص ٢١١ بتصرف .

فالاسلام ينشد الحياة العزيزة التي تجعل من المسلم عضوا فعلا في المجتمع يفيد امته وجماعته واسرته واخوانه بما يستطيع من الفائدة التي تؤجره ، وليس راهبا معزولا ، وناسكا يتلذذ بالتبرؤ من هذا العالم وشئونه ولعنه وانتقامه والهروب منه الى متاهات الغابات وشعاب الجبال .

ونظرة الاسلام الى الدنيا ان الله وهب الارض موارد كثيرة من اجل خير الانسان فكان لزاما على الانسان ان يكشف نعم الله ويستغلها للافادة منها ، وهو يفعل هذا باعتباره مواطنا وعضوا في مجتمع ، ومن أجل هذا يحث الله سبحانه مرة بعد مرة على الجد في السعي من اجل وسائل الحياة . قال تعالى : ((الم تر ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض واسبغ عليكم نعمه ظهرة وباطنة)) الآية . (١)

وقال : ((فإذا قضيت الملأوة فاتنشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)) (٢) .

وبهذا يجعل الحياة تستحق العيش فيها ويحس الانسان ان يعمل لما فيه خيره وخير خلق الله عز وجل .

بل ان الله سبحانه جعل التجارة والسعي وراء الرزق من فطرة الانسان وسجيتته وضرورة من ضروراته ولكن بدون افراط ولا تفريط . فقال تعالى : ((رجال لا تلهيهم تجرأة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار)) (٣) .

كما استنكر على كل من حرم على نفسه زينة الله والطيبات فقال : ((قل من حرم زينة الله/أخرج لعباده والطيبات من الرزق ..)) (٤)

ولما كان الرزق لا يتأتى الا بالسعي والكد والجهد ، فان ذلك يعتبر عبادة لله اذ ان الارزاق لا تكون رزقا الا اذا كانت حلالا ومن طريق صحيح وسليم لا غصب

(١) سورة لقمان (٢٠) .

(٢) سورة الجمعة (١٠) .

(٣) سورة النور / ٢٨ .

(٤) سورة الأعراف ٣٢ .

فيه ولا اعتداء ولا انتهاك حرمت . فقال تعالى : ((انما تعبدون من دون الله
أوثانا وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا ،
فابتغوا عند الله الرزق ...))^(١) .
وقال تعالى : ((وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ..))^(٢) .

المادة وسيلة الى أداء الحقوق :

ففي الآية الكريمة في هذه السورة امتن الله سبحانه على عباده بأفء جعل لهم
زوجات ، وجعل في ذلك سكنا لهم وراحة وطمانينة . هذه الراحة والطمأنينة التي
تنتج حفظ الانسانية من الانقراض والفناء ، وتؤدي الى التكاثر ونشر دين الله في
الأرض ومباهاة النبي صلى الله عليه وسلم الامم يوم القيامة .

وبالتالي لابد لهؤلاء الزوجات والبنين والحفدة من انفاق واطعام اذن ، قاله
تعالى أمر بالانفاق على العيال من الزوجات والأولاد والمعتدات ، ولا يتمكن من
الانفاق عليهم الا بتحصيل المال بالكسب ، وما يتوصل به الى أداء الواجب يكسون
واجبا ، والمعقول يشهد بان في الكسب نظام العالم ، والله تعالى حكم ببقاء العالم
الى حين فنائها ، وجعل سبب البقارم والنظام كسب العباد ، وفي تركه تخريب نظامه
وذلك ممنوع منه .^(٣)

فالزواج ربما كان في نظر الناس الصق الأشياء بالأرض وألصق الأشياء بالحياة
الدنيا ، ولكن حين يلتزم الانسان في زواجه بالحلال الطيب ، وحين يطلب من الله
النسل الطاهر ، فهذا عمل دنيوي يتوجه به الى الله عز وجل في الآخرة .^(٤)

فالمادة اذن هي الوسيلة الى أداء الحقوق ، وهي الوسيلة الى أداء الفرائض
بقوة البدن وفي ذلك يقول الشيباني : " وانما يحمل ذلك بالقوت عادة ، ولتحصيل

(١) سورة العنكبوت ١٧ .

(٢) سورة المزل ٢٠ .

(٣) الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني ص ٤٧ .

(٤) محمد قطب الفكر الاسلامي كبديل عن الافكار المستوردة ص ٣٨٨ .

القوت طرق هي الاكتساب أو التغالب أو الانتهاب . وبالانتهاب يستوجب العقاب . وفي التغالب فساد والله لا يحب الفساد فتعين جهة الاكتساب لتحصيل القوت ، ولأنه لا يتوصل الى اداء الملاة الا بالطهارة فلا بد لك من كوز تستقي به الماء ، أو دلو ورشاء تنزح به الماء من البئر ، وكذا لا يتوصل الى اداء الملاة الا بستر العورة ، وانما يكون ذلك بثوب ، ولا يحمل له الا بالاكتساب عادة ، وما لا ينأتي اقامة الغرض الا به يكون فرضاً في نفسه " (١)

فالسعي لحصول المال بالطريق المشروع جزء من التكامل الذي يدعو اليه الاسلام ، لأنه مما جعله الله قياماً للناس في حياتهم ومعاشهم . قال تعالى :
 ((ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً)) (٢)
 قال القرطبي : " أي ما يقيم معاشه وصلاح دينه ، فالاسلام بذلك لا يفصل بين الدين والحياة ، بل يجعلها وسيلة لثبات الدين واستقرار الحياة .

من التوازن أداء الحقوق في الجانب المادي والجانب الروحي

انه من الواجب على كل مسلم صادق أن يؤدي ما عليه من حقوق وواجبات سواء كانت هذه الحقوق من حقوق الله سبحانه عليه ، أو كانت غير ذلك من حقوق النفس وحقوق العباد ، فالاسلام لم يأمر بحق واحد بل بحقوق كثيرة مثلت التوازن لتثبيت دعائم النظام الانساني من أن يصيبه شيء من الافراط أو التفريط مما يؤدي به الى الاختلال والانحراف عن السلوك السوي المؤدي الى السعادة في الدنيا والآخرة .
 فمقابل حقوق الله عز وجل وما أوجبه على الانسان من طاعته وامتثال ما أمره به من الفرائض والواجبات وما يترتب عليها من التضحية والايثار في سبيل ارضاء خالقه سبحانه وتعالى ، فهناك حقوق على نفسه بأن لا يفعل ما يضرها ، أو يفعل ما يجلب لها الأمراض والآلام والعاهات الدائمة . مثل الخمر والمخدرات وغيرها من المسكرات وكذلك الميتة والدم ولحم الخنزير ، وكذلك العري وكشف العورات وتأمره بالستر والتزين والتجمل ، كما تأمره بالجد في كسب الرزق ، لأن فيه قوام البدن والقوة على الطاعة ، كما لا تسمح ان يكبح شهوات نفسه كل الكبح بل تأمره بالزواج لقضاء ما في نفسه من الشهوة .

(٢) النساء ٤

(١) الكسب ص ٣٤ .

(٣) تفسير القرطبي ١٦٠٢/٣ .

فالإسلام لم ينظر الى الجنس نظرة الرهينة ، ولم يحض الناس على اماتتها
أو كبتها كما فعل رجال الديانات الأخرى ، مما نتج عنه الانفجار الجنسي الذي نشأ
في اوربا وامريكا فهدم الاخلاق والنظام الاجتماعي والروابط الانسانية .

كما جعل لجسمه عليه حقا من الراحة وتلبية الدوافع الفطرية بالطريقة التي
أمر الله بها سبحانه . كما أمره بالنظافة والظهور بالمظهر الحسن الذي يدل على
النعمة لا البؤس ، والتبؤس .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدخل
الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر ، قال رجل : ان الرجل يحب ان يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنا . قال : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط
الناس) (١) .

فالإسلام ربط بين الناحية المادية والناحية الروحية . فالناحية الروحية هي
صلة الانسان بربه . والناحية المادية صلته بعمله ومعايشه . ودوافعه الفطرية .

وكذلك حرم عليه المساس بحقوق العباد والاعتداء على حرياتهم واموالهم
ودمائهم فحرم النهب والسلب والسرقة والرشوة والخيانة والتزوير والغدر وأكل
الربا .

فالإسلام اذن يوازن بين المقادير المختلفة التي يمارس بها الانسان نشاطاته
فلا يطغى فيها جانب على جانب . ان الإسلام يشمل جانب الروح الى جوار جانب
الجسد ، وفوق هذا فهو يوازن بينهما ، فلا العبادة تطغى على سعيه الى الرزق ،
ولا السعي الى الرزق يطغى على التعلم ، ولا هذا وذاك يطغيان على عمارة الأرض ،
ولا هذه كلها تطغى على وجوب تسخير الطاقات السماوية والأرضية للانسان . (٢)
نهية الرفعة والكمال ونهاية الدعوة الى التوازن الذي يحفظ الله به نظام الكون .

(١) صحيح مسلم في الايمان ٥٢/١ .

(٢) محمد قطب (ندوة قضايا الفكر المعاصر) ص ٣٩٤ .

دعوة السنة الى التوازن

ولو تأملنا مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحقيق هذا التوازن بين الدين والدنيا لرأينا في ذلك الشيء الكثير وتوضح لدينا امر القرآن الكريم بذلك ، فروى الشيخان عن انس رضي الله عنه قال : (جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فاخبروا بما يشعر بالقمص فيها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فقال أحدهم : اما أنا فاني اصلي الليل ابدا .

وقال آخر : انا اصوم الدهر ولا أفطر .

وقال آخر : اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله اني لاشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (١) .

فقاعدة التوازن يمكن ان تعبر عنها الآية : ((وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)) (٢) .

فانتشار البطالة في المجتمعات الاسلامية وشيوع محبة الفقر انما كان جهلا بسنن الله في الكون ، اذ ان الدين الذي لا مال له كيف يجهز غازيا ؟ وكيف يجهز سلاحا وعدة للجهاد ودفع العدو .

فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : (بعث الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اثنتي ، فاتيته وهو يتوضأ ، فصعد في النظر ثم طأطأه فقال : اني اريد ان ابعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك وارغب لك من المال رغبة سالحة . قال : قلت يا رسول الله ما اسلمت من اجل المال ولكني اسلمت رغبة في الاسلام وان اكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صحيح البخاري ١٩٤٩/٥ .

(٢) سورة القصص ٧٧ .

فقال : يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح (١) .

الدعوة الى التكامل والتوازن :

فالتكامل اذن تعنى ان كل جزئية في حياة الانسان ونشاطه يكمل الجزئية الاخرى حتى ينتج عنها نظام متكامل يسير بالحياة نحو الرقي الروحي والمادي في آن واحد .

والاسلام هو النظام الوحيد الذي يوازن بين هذه النشاطات بحيث لا تطغى الواحدة على الاخرى طغيانا يخرجها الى التطرف والغلو - في الدين او في الدنيا - فيخرج من قلب الانسان كل معاني الانسانية والخير المرجو منه .

لذا فان على الدعوة الى الله واجبا عظيما يدعوهم الى القيام بالدعوة ، بتحريك الناحية الروحية التي يستطيع بها الانسان ان يعود الى ربه وتوجيه المدعو الى الاهتمام بالسمو الروحي والسمو النفسي والسمو المادي وارشادهم الى تكامل الاسلام في هذه المجالات وموازنته في عدم طغيان جهة على اخرى ، وبذلك ندلهم على الهدى الالهي والطريق المستقيم . وبهذا تظهر ميزة الاسلام على الديانات الاخرى ، كما انها تفضح مادية بعض المذاهب والفلسفات المعاصرة وفشلها في اسعاد الانسان ، وكذلك فشل بعض الديانات التي تدعو الى الروحية المحضة .

وهذا واجب الدعوة نحو هذا الدين العظيم .

ويقول الشيخ ابن سعدي : " ومن اعظم النصيحة لله الذب عن الدين وتفنيد شبه المبطلين وشرح محاسن الدين الظاهرة والباطنة وخصوما في هذه الأوقات التي طغت فيها الماديات وجرقت بزخارفها وبهرجتها اكثر البشر ، وظنوا بعقولهم الفاسدة انها هي الغاية ومنتهى الحسن والكمال ، ولم يخطر بقلوب اكثرهم ان محاسن الدين ^{الاسلام} كفاقت بكمالها وجهالها كل شيء ، فسعادة الدين واضح لكل منصف ، واما سعادة الدنيا فان الأمور المادية المحضة اذا خلت من روح الدين فانها شقاء على أهلها ودمار " (٢) .

(١) مسند احمد ٤/١٩٧ .

(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الفاخرة ص ٢٨ .

الفصل الرابعدعوة المعرضين وتهيئتهم لسماع الدعوة

قال الله تعالى : ((فانك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الصم الدعاء ، اذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهد العمى عن ضلالتهم ، ان تسمع الا من يؤمن بئياتنا فهم مسلمون))^(١) .

أهمية دراسة البيئة :

لا شك أن هدف الدعوة هو الوصول بالمدعو الى الايمان بها ايماناً لا يقسف عند حد التصديق والاقناع العقلي بما تعرض من افكار ، بل يتعدى ذلك الى اطمئنان النفس الذي يحمله على العمل بمقتضى هذا الايمان وتقويم سلوكه في الحياة وفق ما يميله عليه ايمانه من قيم ومثل ، وان خالف مقتضى الاهواء والشهوات والتقاليد والعبادات .

ولما كانت للتقاليد والعبادات في النفوس اثر قوي لا يمكن مغالبتها الا لافراد قلائل ممن أوتوا ارادة صلبة وبصيرة نافذة .

لذا فلا يمكننا أن ندخل في روعه هذه الارادة الملبة الا بالتوجه الى كـل منافذ التأثير في الانسان لنصل من خلالها الى ما نريد فنغير بها النفوس قبل ان نغير السلوك .

^٨ لذا فان الدراسة الشاملة للمكان الذي يعمل فيه الداعية للناس الذين سيدعوهم امر حيوي للغاية فيجب على الداعية ان يدرس طبيعة البلاد التي سيحل فيها ويعرف موقعها ، والبلاد المحيطة بها والمؤثرات الداخلية والخارجية التي تساعد على نشر الدعوة أو تكون عقبة في طريقها لتجنبها .

كما يجب عليه أن يدرس احوال السكان الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، لأن دراسة هذه الأحوال تساعد الداعية في اتخاذ الوسائل

الناجحة لتأدية الغرض المطلوب ، ولأن الدعوة اذا وجهت للناس بعد دراسة هذه الظروف واتخاذ الوسائل المناسبة على ضوئها يكون نجاحها اقرب من فشلها . كما ان دراسة هذه الأحوال تساعد على وضع الخطط المناسبة وتمكن الداعية من اداء مهمته على الوجه المطلوب لتتجاوز دعوته الآذان الى القلوب فتحركها للخير . على ان هذه الدراسة ينبغي ان تكون موصلة للغاية التي يعمل لها الداعية لأنها مهما كانت وافية وشاملة لكن غير موصلة للهدف ، فانه لا فائدة منها ، لأن الدراسة مقدمات ، والهدف هو النتيجة ، واذا لم توصل المقدمات الى النتيجة فان الأمر يكون عبثاً وتضييعاً للوقت .^(١)

ان الداعية حين دعوته يلتقى بالانسان في قواه المختلفه ، ويتعامل معها جميعا ، فيتعامل مع العقل بما له من قوة الادراك والتمييز ، ويتعامل مع الوجدان باعتباره وعاء الاحاسيس والمشاعر التي تنشأ عن التأثير مما يسر ويؤلم . ويتعامل مع الارادة باعتبار ما تتخذه من قرارات هي النتيجة النهائية لاستجابتها أو رفضها للدعوة ، وذلك ان الصفات النفسية للانسان مرتبط بعضها ببعض ، والايمان هو حالة نفسية مرتبط بالجوانب النفسية كلها ، يتأثر بها ويؤثر فيها .

فلاية تشير في قولها " ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون " الى ان الايمان شأن من شئون الانسان خاصة ، فهو الذي يحمل الايمان بنظرة الشخص وتقديره الذاتي ، وبما يقع له من اقتناع عقلي ، واطمئنان قلبي ، حتى يصح لبننة في بناء الجماعة الاسلامية ، وعضوا في الجسد الاجتماعي الذي يجمع المسلمين جميعا .^(٢)

ولا يمكن للفرد أن يتم له هذه النظرة الشخصية والاقتناع العقلي الا بالتفكير الافرادي بعيدا عن مؤثرات بيئته الفاسدة والباطلة ، ولا يمكن أن يبعد نفسه عن هذه المؤثرات الا بدليل يدل على ذلك ويثير فيه كوامن الفطرة ألا وهو الداعية الصادق بما يضع له من تساؤلات تدله على وحدانية الخالق والتفكر في مخلوقات الله عز وجل .

(١) اسس الدعوة للوكيل ص ٤١ .

(٢) التفسير القرآني للقرآن ٥٤٣/٤ .

تفسير الآية الكريمة :

في هذه الآية الكريمة يبين الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن هؤلاء الذين لا يسمعون الى آيات الله عز وجل ولا يتأثرون بها ، انما هم " كالموتى الذين لا حياة فيهم ، صما لا سمع لهم ، عميا لا يهتدون الى طريق ، والذي ينفصل حسه عن الوجود فلا يدرك نواميسه وسننه ميت لا حياة فيه ... والذي لا يستجيب لما يسمع من آيات الله ذات السلطان النافذ في القلوب اصم ولو كانت له اذنان يسمعان ذبذبة الاصوات ، والذي لا يبصر آيات الله الماثرة في صفحات الوجود أعمى ولو كانت له عينان كالحيوان" (١)

وقال القرطبي " لا تسمع الموتى " أي : الكفار لتركهم التدبير فهم كالموتى لا حس لهم ولا عقل ، وقيل هذا فيمن علم انه لا يؤمن ((ولا تسمع الصم الدعاء)) : يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون .

((وما أنت بهد العمى عن ضللتهم)) أي : كفرهم ، أي ليس في وسعك خلق الايمان في قلوبهم .

((إن تسمع الا من يؤمن بآياتنا)) قال ابن عباس : اي الا من خلقت له للسعادة فهم مخلصون في التوحيد . (٢)

وفسر صاحب اضواء البيان هذه الآية بتفسيرين :

الأول :

ان المعنى انك لا تسمع الموتى ، أي لا تسمع الكفار الذين امات الله قلوبهم وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه اسماع هدى وانتفاع لأن الله كتب عليهم الشقاء فحتم على قلوبهم ، وعلى سمعهم ، وجعل على قلوبهم الأكنة ، وفي آذانهم الوقر ، وعلى ابصارهم الغشاوة ، فلا يسمعون الحق سماع اهتداء وانتفاع .. فالموتى هنا هم

(١) في ظلال القرآن ٢٧٧٦/٥ .

(٢) تفسير القرطبي ٤٩٤٨/٧ .

الاشقياء الذين لا يسمعون الحق سماع هدى وقبول ، والموت هو الكفر كقوله تعالى :
 ((أو من كان ميتا فأحييناه))^(١) أي بالايمان والهدى ، وهذا لا نزاع فيه ، وفيه
 اطلاق الموت وارادة الكفر بلا خلاف .

ومن أوضح الادلة على هذا المعنى ان قوله ((انك لا تسمع الموتى)) الآية .
 وما في معناها من الآيات كلها تسلية له صلى الله عليه وسلم لانه يحزنه عدم
 ايمانهم ((فلعلك باحع نفسك على ءاثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا))^(٢)
 فالنبي صلى الله عليه وسلم لا قدرة له على هدى من اضله الله ، فان الهى
 والاضلال بيده جل وعلا وحده ، وأوضح له انه نذير ، وقد اتى بما عليه فانذرهم على
 اكمل الوجوه وابلغها وان هداهم واضلالهم بيد من خلقهم .

الثاني :

ان المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل ، ولكن المراد بالسمع المنفي فسي
 هذه الآية خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به ، وان هذا مثل ضرب للكفار .
 والكفار يسمعون الصوت ، ولكن لا يسمعون سماع قبول بفقهم واتباع ، وهذا ما ذهب
 اليه العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى .^(٣)

درجات الاعراض في الآيسة :

في هذه الآية تحريض للنبي صلى الله عليه وسلم على المضي قدما في طريقه
 غير ملتفت الى أهل الخلاف من الكفار وغير آسف على ما يوردهم به هذا المراء
 والخلاف من موارد الهلاك والبلاء فانهم موتى ، اذا نودوا لا يسمعون ، وانهم صم
 لا تقع الكلمات على آذانهم الا كما تقع على الحجر الأعم .

وفي تشبيه القوم بالأموات ، وفي وصفهم بعد ذلك بالصمم اشارة الى انهم
 درجات في الاعراض عن آيات الله .

(١) سورة الانعام ١٢٢ .

(٢) سورة الكهف ٦ .

(٣) اضواء البيان ٤١٦/٦ ، ٤٢٠ .

فمنهم : من لا يستمع الى آيات الله ابدا ، ولا يدنو من صوت يرتل كلمات الله خوفا على نفسه ان يقع تحت تأثيرها ، فهو يهرب منها ، ويقيم على نفسه حجابا بينه وبينها . وهذا هو والميت سواء ، بالنسبة لما يتلوا الرسول صلى الله عليه وسلم من قرآن .

ومنهم : من يسمع القرآن لاليتدبر آياته ، ولا ليعرض ما يسمع على عقله ، وانما ليقع على كلمة يديرها على غير وجهها ، ويتخذ منها مادة للسخرية والهزو فهو بهذا أصم ، وان كان ذا اذنين يسمعان .

وقوله تعالى : ((إذا ولو مدبرين)) : شرط لافادة الحكم بعدم سماعهم أي انهم لا يسمعون ما يلقي اليهم وهم يولون مدبرين ، وقد اعطوا ظهورهم لما يتلى عليهم فلم يسمعوا شيئا .

وفي قوله تعالى : ((إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا)) : أي لا يسمع هذه الآيات الا من كان عنده استعداد لتقبل الحق والاهتداء بالهدى اذا التقى به .^(١)

الانحراف عن الحق العمى وصمم :

بعد ان عرفنا درجات الاعراض في الآيه اتضح لنا أن العمى والصمم والتولسي عن السماع امراض تؤدي بالانسان الى استمراره في الكفر واعراضه عن سماع الحق . ولكن هل لهذا العمى من اسباب ؟

ويقرر ابن الجوزي في صيد الخاطر ان الانهماك في الدنيا والميل اليها من جواذب الطبع الى الانحراف ، وانها في داخل الانسان وفي نفسه فيقول : " جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة ، ثم هي من داخل ، وذكر الآخرة امر خارج عن الطبع من خارج ، وربما ظن من لا علم له ان جواذب الآخرة اقوى ، لما يسمع من الوعيد في القرآن وليس كذلك ، لان مثل الطبع في ميله كالماء الجاري فانه يطلب الهبوط ، وانما رفعه الى فوق يحتاج الى التكلف " ^(٢)

(١) التفسير القرآني للقرآن ٢٨٨/٤ .

(٢) صيد الخاطر ص ٣٠ .

فالضغط الديني امر واقع على الافراد في كل المجتمعات بالاضافة الى احتمال وقوعه تحت اكراه مكره او اغراء مفر أو مؤثر نفسي وما أكثر ما يتهدد الانسان ضغوط المجتمعات عن سماع الحق والتصدي لكل من سولت له نفسه بالخروج عنها الى دين الاسلام ، فالضغوط الاجتماعية في المجتمعات غير الاسلامية من اكبر المعوقات التي تعيق فتح مغاليق القلوب . ومن اكبر السدود التي تحجز القبول الحق عن الوصول الى الآذان والنفوس .

فالأعمى عن الحق في هذه المجتمعات لا يمكنه الاهتداء الى الصراط السوي ، ولا يتمكن من الرؤية بوضوح الا بدليل يدلّه اليه ، لأن الشبهات التي عشت على قلبه طمسته ووضعت حاجزا سميكا بينه وبين الحق ، فلا تمكن الحق من الوصول اليه .

فالفطرة لديه اصابتها ضلالة وتيه وعماية .

فلا بد للداعية من مداراته والتقرب اليه واستدراجه واثارة الشبهات التي لا يستطيع دحضها عليه وصولا الى الاستدلال بها على وجود الله سبحانه .

فالعمى والصمم المعنوي لم يأت اذا بدون سبب وبدون بواعث بل بمؤثرات اثرت عليه وبيئة ترعرع فيها ووالدين ربياه على الباطل واقنعه به ، وثقافة اجبر على تناولها والتأثر بها .

فالناس اذاً في هذا الكون يختلفون اختلافاً بينا حسب بيئاتهم التي عاشوا فيها ، وحسب الثقافات التي تلقوها وحسب الأغذية التي تناولوها وحسب التربية التي نشأوا عليها فمن رجل متشائم الى رجل متفائل ، ورجل سريح الغضب حاد الطبع الى بارر الطبع هادئ الى مكابر معاند واناس سريع التآثر بالباطل .

فلا بد للداعية ان يكون لبقاً فطنا اربيا يحيط بما حوله ممن يقوم بالدعوة لهم فيدرس نفسياتهم وثقافتهم والدعوات التي وجهت اليهم ويستعمل الحكمة بعد ذلك في استمالتهم اليه والا فانه لا يستطيع ان يقنع الناس بالحق الذي يحمله ، وفساد الدعوات والسلوكيات التي طبعوا عليها .

فلاحسان والرفق مما يقوي التآلف ويصير العدو صديقا فالحكمة في جذب المدعويين الى سماع الحق امر مهم في الدعوة الى الله .

الفئات التي هي ضد الاسلام :

لما كان الانسان عدوا لما جهل فان الذين لم تعلمهم مزايا الاسلام وفضلسه ويكونون اعداء لهذا الدين ويقومون بجهود كبيرة للكيد له ولكنها تتفاوت فيما بينها من حيث كيدها للاسلام ، ومن حيث انتماؤها للحركات الهدامة . ومن حيث تخطيطها في خبايا الاحاد والاباحية ، فهي فئات لا نستطيع ان نقنع انفسنا بالياس منها ، والقنوط عن هدايتها الى الطريق السوي . فهذه الفئة لا توجد لها سوى وسيلة واحدة لاصلاحها وهدايتها الا وهي الاتمال الفردي بعد محاولة التعرف على العقيدة التي تسوقها وتسبب لها هذا الزيف وهذا الانحراف .

فان كانت عقيدتها التشكيك في الخالق العظيم فنبداً من ركيزة الايمان التي هي الأصل في كل ايمان غيبي واصلاح عقيدي وخلقى ... فلا بد للداعية من ازالة الغيش عن عيون المحجوبين الهائمين ليريهم الظواهر التي تدل على الله سبحانه وتعالى في قوانين العلم واسرار الطبيعة ونواميس الحياة .

وان كانت العقيدة اعتناق الشيوعية فلا بد من ان نبين لهم ما هية الشيوعية ومبادئها ، وموقفها من الأديان وكيف اصطدمت بالواقع وبفرائز الانسان ، ويزعزع من تصوره حلم السلام والعدالة والمساواة التي يحلم بها الشيوعيون ، وبشعاراته الكاذبة التي بها يتبحجون ويتشققون ، وذلك مع الملازمة وتكرار الزيارة والمتابعة .

لذا فان القرآن الكريم في خطاب المدعويين وضع منهاجا رشيدا ، فالله سبحانه هو خالقهم وهو اعلم بهم من انفسهم ، فخاطب كل صنف منهم بما يناسبه من التأثير والانفعال النفسي واثارة الوجدان وتحريك العواطف حتى ينتج عن ذلك الاستجابة لما يدعون اليه .^(١)

(١) اسس الدعوة للوكيل ص ٤٦ .

فالحوار المتكامل مع المشركين والنصارى وغيرهم في القرآن الكريم لم يأت ارتجالاً وعفواً ، وإنما أتى عن دراسة دقيقة لآحوالهم وطبائعهم ، ونزعاتهم وأهوائهم حتى لا تذهب المناقشة هباءً منثوراً وبدون فائدة ترجى .

ففي مناقشة الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً للمشركين في مكة ومع أهل الكتاب ، كان كلامه صلى الله عليه وسلم ينم عن دراسة دقيقة وافية لآحوالهم ومعرفة دقيقة لنغياتهم وسلوكياتهم لذلك لم يكن احد منهم يستطيع ان يجابه الرسول أو يستطيع الاسترسال في الجدل والمغالطة .

لذا فان دراسة البيئة والتعرف على آحوالها هي من اهم مقومات النجاح والتوفيق للداعية ومن اعظم اسباب تأثيره واصلاحه ، كما أن البلد الذي نشأ فيه الداعية وترعرع في احضانه أحق بالتبليغ ، لمنطقية البدء باصلاح قومه قبل غيرهم من ناحية ، وللاحاطة الشاملة بمعرفة آحوال بيئته من ناحية اخرى .^(١)

أهمية دراسة الجماعات المؤثرة :

وينبغي أن لا نستهيىن بالجماعة المؤثرة على الفرد فهو يواجه واقعا يحدث في طبيعته بعض التعديل ، حيث ينشط جانبه الوجداني بسبب تفاعله مع الجماعة واستهوائها له ، وسيطرة روحها العامة على ملكاته الخاصة .

ومن هنا يأتي أهمية الوسائل الخاصة للتأثير في الجماعات باعتبارها تضيى على الطبيعة صفات مميزة ، اذ ترهف المشاعر وتخدر الفكر وتطلق عنان الخيال والأوهام .

فلو تأملنا في سير الدعوة في العهد المكي نرى واضحا اثر الجماعة في الفرد وقوتها في الهيمنة على النفوس وذلك ان الفرد اذا انخرط في جماعة تلاشت ملكاته الشاعرة ونشطت ملكاته غير الشاعرة ، فيندفع بفعل التلقين والاستهواء الى اشد الأعمال بعدا عن طبيعته الخاصة .

(١) كيف يدعو الداعية لعلوان ص ٢٨ .

فعندما يتعرض الفرد لما يثير مشاعره فانه يستطيع وهو بعيد عن الجماعة ان يزن الامور بعقله ، ويدرك ما سيترتب على اندفاعه من اخطار فيكبح جماح مشاعره ، ولا يسمح لها بان تقوده الى ما يعرضه للأذى ، اما في الجماعة فانه بفعل الشعور بالقوة وبالعدوى والتلقين يفقد قدرته على السيطرة على ارادته ، وتجرف مشاعره المتأججة كل مقاومة يبديها عقله وفكره .

حكمة الله في ارسال الرسل من اقوامهم :

ان الاختلاط بالناس وبالعامّة على اختلاف طبقاتهم من اهم الطرق التي يستطيع الداعية بها من التعرف على النفوس والاحوال وخفايا الطبائع وتشخيص الداء ووصف الدواء والجرعات المناسبة .

ان الانبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا يعيشون في ابراج عاجية يتمتعون ويترفهون ويتنعمون بل كانوا يزورون الاقراء في نواديهم وبيوتهم واجتماعاتهم ، ويتعرفون على النفوس ومدخلها والاخلاق وسلوكياتها ومناقشتهم فيما هم فيه من باطل ، لذلك يقرر ابن القيم رحمه الله : " بأن مخالطة العالم للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم افضل من اعتزاله وتفريغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح " (١)

ولأهمية معرفة النفوس في توجيه الدعوة ولمكانته^{في} تشخيص الامراض وعلاجها على قدر مرضها ارسل الله سبحانه رسله من نفس الاقوام وبنفس اللغة حتى يكون ألصق بهم واعرف بدخائلهم ، واقوى في مناقشتهم ، وبهذه المعرفة الدقيقة استطاعت الرسل مناقشة اقوامهم وافحامهم عن الجواب والمجابة الى الاستسلام والايمان والاعتراف بوحدانية الله سبحانه وتعالى .

وهذا جانب مهم للداعية يستطيع بها ان يتحكم في المدعو ويوجه اليه الرسالة المناسبة فمن البلاغة ان يكون الخطاب مطابقا لمقتضى حال السامع متفقا مع عقليته واستعداده ، ملائما مع مستوى تفكيره ونفسيته منسجما مع ابعاد تقبلته واستجابته .

لذا فلا شك ان الداعية الى الله حين ينطلق في مضمار الدعوة من البيئة التي نشأ فيها والبلدة التي ترعرع في رحابها ، ورضع من لبنها ، تكون احاطت به بمعتقدات قومه اشمل ومعرفته باخلاق بني جنسه اعمق ، بل يكون عنده من الشمول والاستيعاب بمعتقدات البيئة واخلاقية البلد وعادات القوم ما لم يكن موجودا في غيره داعية آخر دخل بلدا وهو غريب عنه وجاهل باحواله واوضاعه ، .. فلا شك أن تأثير الأول أقوى ، ومعرفته باسباب علاج النفوس أفضل ، وارتياحه لنتائج الاصصلاح والتغيير اوفى وأعظم .

لذا كان اختيار الأنبياء من اقوامهم وعشائرهم لانهم استوعبوا البيئة التي نشأوا فيها ، واحسوا بها احساس احاطة وشمول ، وها هو رسول الله صلي الله عليه وسلم سرغور المجتمع الجاهلي واستوعب احوال البيئة العربية . قال تعالى :
 ((وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ...))^(١)

من اساليب تهيئة النفوس :

ان تصنيف الداعية للمدعوين ثم معرفة نفسياتهم وامراضهم المخالفة للدين امر مهم للغاية ، اذ عليها يبني الداعية اسلوب التأثير والهيمنة على أولئك المستقبلين للدعوة . ويكتشف كيف يتفاعل الناس معه ويستمعون اليه . فالتأثير في الحضور من ابرز مقومات النجاح . وبه يسلك كلامه في اسماع المستمعين ويلج من القلب الى القلب ، ثم الهداية بعد ذلك بيد الله عز وجل ، فمن وسائل التأثير على المدعوين :

أ - انزال الناس منازلهم :

وهي من الامور الهامة ، وعلى الداعية أن يراعيها وينتبه اليها ويحرص على تطبيقها وتنفيذها ، وكذلك معاملتهم على حسب اقدارهم ومخاطبتهم على قدر

(١) سورة ابراهيم ٤ .

عقولهم ومكانتهم . وما ذلك الا لتأليف قلوبهم وجذب نفوسهم ، وشدهم الى الاسلام .

وفي مسند أحمد ان شهاب بن عباد سمع بعض وفد عبد القيس وهم يقولون :
 قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد فرحهم بنا ، فلما انتهينا الى
 القوم اوسعوا لنا فقعدنا ، فرحب بنا النبي صلى الله عليه وسلم ودعا لنا ، ثم
 نظر الينا فقال : من سيدكم وزعيمكم ، فاشرنا جميعا الى المنذر بن عائد ، فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم : أهذا الأشج ؟ ، وكان اول يوم وضع عليه هذا الاسم
 بضربه لوجهه بحافر حمار - قلنا نعم يا رسول الله ، فتخلف بعد القوم فعقل
 رواحلهم ، وضم متاعهم ... ولبس من صالح ثيابه ، ثم اقبل الى النبي صلى الله
 عليه وسلم وقد بسط النبي صلى الله عليه وسلم رجله واتكأ ، فلما دنا منه الأشج
 أوسع القوم له ، وقالوا ههنا يا أشج ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم واستوى
 قاعدا وقبض رجله : ههنا يا اشج ، فقعد عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم ،
 فرحب به والطفه ، وسأله عن بلاده ، وسمى له قرية قرية - الصفا والمشقر وغير ذلك
 من قرى هجر ، فقال : بأبي وأمي يا رسول الله لأنت اعلم باسماء قرانا منا فقال اني
 قد وطمئت بلادكم وفسح لي فيها ، ثم اقبل على الانصار فقال : يا معشر الانصار اكرموا
 اخوانكم فانهم اشباهكم في الاسلام .. (١)

وفي هذا الحديث من التلطف بالمدعو الشيء العظيم ، وكذلك اكرامهم ،
 وتحبيب الاسلام اليهم بالطريقة المناسبة لجذب حبههم ومودتهم ، وتجاذب الحديث
 معهم عن بلادهم وقراها ، وهذا ما ينبغي ان يتأسى به الدعاة في سيرهم في توجيهه
 الدعوة واختيار الطريقة والاسلوب المناسب في التأثير على المدعويين .

وروت كتب السيرة ان العباس رضي الله عنه اتى النبي صلى الله عليه وسلم
 بعد ان اسلم ابو سفيان . وقال : (يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب هذا
 الفخر فاجعل له شيئا .. فقال عليه الصلاة والسلام : نعم فامر المنادي ان ينادي :
 من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه
 بابه فهو آمن) (٢) .

(١) مسند الامام احمد ٤٣٢/٣ .

(٢) سير ابن هشام ٨٦٢/٤ وعند الطبراني ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٦٧/٦) .

وفي هذا الحديث أيضا أسلوب نبوي في تأليف القلوب وجذب النفوس ،
والنأثير على المدعو بالطريقة المناسبة لحال المدعو بلا اذلال للاسلام والمسلمين
أو تعريض لحق من حقوق الله عز وجل للانتهاك .

لذا فالداعية لابد ان يكون ملما بثلاثة عناصر :

الأول : مادة الدعوة التي يريد توجيهها .

ثانيا : نفسية المدعو وعقليته وقدراته واستعداداته .

ثالثا : طريقة ايصال هذه المادة الى هذا المدعو .

فلا توجد مجموعة قط من الناس متساوين من حيث القدرة العقلية والميول والرغبات

والعواطف .

فلا بد من معاملة كل فئة ومخاطبتهم على قدر عقولهم وافهامهم وتقدير كل
فئة وعدم الاحتقار من شأنهم تأليفاً لقلوبهم ، اذ الداعي مثله كمثل الطبيب الذي
يذهب لمعالجة شخص من مرض اصابه ، فلا يكفي الطبيب معرفة اعراض المرض ،
والدواء الذي يكتبه له ، بل لابد من ان يكون عالما بوظائف الأعضاء وتركيبها
وعلاقة كل جزء بالآخر ، والا كان علاجه خرما وتخبطا .

ب- بعد الخطوة الأولى من هذه الوسائل ، لابد من قاعدة ثانية مهمة ، لا يكون
الداعي ماسكا بزمام التأثير والمبادرة الا به ، ومالكا للب محدثه وجليسه ،
الا بمعرفته ، حتى يقوم بمسئولية اصلاحه وتقويمه ، ولا يمكن تحقيق ذلك الا ان يكون
متقنا للغة اهل البلاد ، فاهما لللهجات قبائلها ، عالما بما يخاطب عوامها
أو مثقفها ، وقد بينت في الصفحات السابقة عن اهمية ارسال الرسل من اقوامهم .

ج- ومن وسائل تهيئة المدعو معرفة مشاكلهم الاجتماعية :

فلو استعرضنا قصص الأنبياء في القرآن الكريم وتتبعنا المشاكل التي قاموا بعلاجها
وضروب الأمراض التي وصفوا لها الدواء لرأينا انها عالجت مشكلة الشرك وطغيان
المال ، والانحرافات الخلقية والشذوذ ، مثل عمل قوم لوط ، ووأد البنات ، وقتل
الأولاد خوف الفقر ، وكره الفتيات على البناء ، والكبر والعجب والرياء ومخدرات

العقل ، ومذہبات صحة البدن كالخمر ونحوه ... الى غير ذلك من المشاكـل
الاجتماعية الى ما يحقق صحة الفرد والجماعة .

﴿ من اجل ذلك كان من اهم واجبات الداعي العلم بحال المدعو ، وبما هو عليه
من الأحوال المقتضية للوعظ والارشاد ، فلا يوجه دعوة الزهد في الدنيا الى جماعة
عرفت بالتواكل والكسل ، بدل توجيهها الى مستحقيها ، وهم المتكالبون على جمع
الدنيا والمنتشون بزخرفها والمتعطشون الى الاستزاده من مظاهر الثروة والجـاه
والسلطان الى حد نسيان الله ونسيان حقه ... وقد افراط دعاة حتى زينوا للناس الفقر
والعري والجوع . (١)

فكل انحراف وكل شذوذ انما سببه غلبة الجهل ، وانعدام التوجيه الصحيح ،
فعلاج حالاتهم الشاذة يحتاج الى توجيه دقيق من الدعاة ، وابحاث شاملة من خبراء
الاجتماع ، وعلماء النفس متعاونين مع الدعاة الخبراء باصلاح النفوس .

ففي قصة نوح عليه السلام نراه قد انفق حياته الطويلة كلها للعناية بناحيتين
مهمتين في قومه هي الوثنية التي كانوا عليها ، ثم عبادة المال واتباع اصحاب
الترف والكنوز ، ولكن دعوة المال والترف والفساد كان لها من الأضرار والاتباع مسا
صرفها عن الايمان بالرسالة ، فلم تفلح جهوده في ترك اوثانهم ولا في صرفهم عن
الطغيان على فقرائهم ، فاستمروا في غيهم وضلالهم ومفاسدهم حتى دعا عليهم نبيهم
وقال نوح : ((رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . انك ان تذرهم يضلوا
عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)) (٢) . وكان عاقبة امرهم ان اهلكهم الله تعالى .

من هذه القصة نستطيع ان ننبه الى قاعدة أولية هي وجوب اهتمام الداعي بحال
المدعو وتركيز دعوته على أهم ما فيه من نقط الضعف ، ومظاهر الشذوذ ، ومنأ بت
الاصلاح التي ينجح بذرها ويزكوا نبتها وتطيب ثمارها ، وهذا هو ما علمه الله
انبياءه ، فكان اهتمامهم الأعظم وجهادهم الأكبر يتخير اعظم ما في اقوامهم من مظاهر
الفساد والشذوذ ليقصدوها بالعلاج ويسعفوها بالدواء حسما لدائها ، وسعيها وراء
شفاؤها . (٣)

(١) الدعوة الى الاسلام لذكري ص ١٠٤ .

(٢) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧ (٣) الدعوة الى الاسلام لذكري ص ١٠٢ .

فاذا ما نجحت الدعوة في مرحلة العلاج الأولى ، واصبح المدعو على حال اخرى قابلة لتنمية الفضائل اعطي العلاج الثاني للمرحلة التي تليها .

ومن اجل ذلك نرى في القرآن الكريم انماطاً من الدعوة ، تتناسب وحال المدعويين وتعالج كل حال بما يليق بها .

د - ومن وسائل التهيئة عنصر الزمن :

ان مما يحز في النفس ما يتميز به الدعاة من العجلة في استخلاص النتائج في دعوتهم الى الله عز وجل ، فلو تأملنا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة نرى ان النبي صلى الله عليه وسلم استمر يدعوهم بكل الطرق والوسائل نحواً من ثلاث عشرة سنة متواصلة ليلاً ونهاراً دعوة لم يفتر فيها عن الهدف الذي وضعه نصب عينيه حتى اخرج من أهل مكة أو من اصحابهم من يؤمن بالله ويجاهد في سبيله ويقدم التضحية تلو التضحية في سبيل مرضاته .

فاريد ان أقول ان عنصر الزمن في الدعوة شيء مهم جداً في اعداد المدعو وتهيئته لقبول الدعوة ، فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم اتعب نفسه بـيـن قومه وعشيرته كل هذه المدة ، فلماذا نستعجل النتائج ونستيق الحوادث ، حال كوننا دخلاء على بلاد لم نعرفها ولم نألفها ولم نتقن لغتها ، ولم ندرس احوالها وامراضها .

فلو تابعنا زمن الدعوة نحواً مما تابعه الرسول صلى الله عليه وسلم لتوصلنا الى اعظم النتائج وأعلى الفوائد ولا نطبق علينا قوله صلى الله عليه وسلم :

(فوالله لأَنْ يَهْدِيَ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حَمْرٍ نَعَم) (١)

ان الزمن اطار عام يحكم حياة الناس ، له بصماته ، ومؤثراته التي توجه سلوك الناس توجيهها خاصاً ، وحكمة الداعية تتيح له فرصة استثمار الزمن السبذي يعيشه لانجاح دعوته . (٢)

(١) صحيح البخاري في الجهاد ١٠٧٧/٣ رقم الحديث ٢٧٨٣ .

(٢) الدعوة الى الاسلام للسيد رزق الطويل ص ٦٦ .

فمن حكمة الداعية ان يساير الزمن الذي هو فيه ولا يصادمه مصادمة النـد
للند فتتقلب الدعوة الى ما لا تحمد عقباه ، فاعداد المدعو لقبول الدعوة قـسـد
تتطلب منه سرية الدعوة في البداية فيسرهما ، وقد يرى ان الجهرية اولى فيجهرها،
فقطرة الماء قد تثقب الحجر وتؤثر فيه الأثر البالغ ، وقد يؤثر الحبل في الصخر
الصلد بكثرة امراره .

ولكن كل هذه الوسائل ينبغي ان يستعملها الداعية استعمالا مناسباً بسـدون
مداهنة كالمجاملات المحرمة ، والمديح الكاذب ، وتحسين الباطل ، أو الموافقة
على ما هم عليه على حساب الدين والخلق ، اذ يكون بذلك قد انتهك امر اللـه
وعارض ما ينبغي ان يكون عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

#####

#####

#####

الباب الثالث

مناهج الدعوة في السورة الكريمة

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : المنهج العقلي والمنهج الحسي التجريبي

الفصل الثاني : المنهج العاطفي

الفصل الثالث : النتائج والآثار

توطئةالمناهج

- (١) النهج : الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج .. ونهج الطريق سلكه .
 ونهج لي الأمر : أوضحه .
- (٢) وهو مستقيم المنهاج ، والمنهج الطريق ، والجمع المناهج . قال تعالى :
 ((ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)) (٣) .
- (٤) والمنهج والمحجة وسط الطريق ومعظمه .
- وفي اللسان : طريق نهج أي بين وواضح .. ومنهج الطريق واضحه ، والمنهاج
 الطريق الواضح . وفي حديث العباس (لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 ترككم على طريق ناهجة) أي بينة واضحة .
 والنهج الطريق المستقيم . (٥)
- فجميع تصاريف الكلمة دلت على معنى وضوح الأمر واستبانة الطريق المؤدية
 الى الغرض المطلوب . (٦)
- كما ان هذه الكلمة - منهج ومناهج - اخذت طابع العموم في كثير من مجالات
 العلوم المتفرعة مثل مناهج الدعوة ، ومناهج التربية ، ومناهج الاعلام .. الخ .
 و المنهج في الاصطلاح : هو كل خطة او نظام وضع بقصد الوصول الى غاية وهدف
 معين ، و ذلك باستعمال الاساليب و الوسائل المناسبة لذلك .

-
- (١) القاموس المحيط للفيروز آبادي ومفردات الراغب .
 (٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة .
 (٣) سورة المائدة ٤٨ .
 (٤) فقه اللغة و اسرار العربية للثعالبي
 (٥) لسان العرب ٣/٧٢٧ .
 (٦) منهج القرآن في الدعوة الى الايمان للدكتور فقيهي ص ١٠ .

وإنما عليه يصح تعريف منهج الدعوة كما يلي :

هو النظام أو الخطة التي يختارها الدعاة أو القائلون على أمر الدعوة لنشر دعوة الاسلام وشرح أصوله واحكامه ، وتعليمها للناس ، وذلك باستعمال الاساليب والوسائل التي تتناسب مع المدعويين ، وتتفق مع أحوالهم وظروفهم^(١) .

والاسلوب في اللغة : الطريق الواضح - يقال سلكت أسلوب فلان في كذا أى طريقه ومذهبه ، وجمعه أساليب .^(٢)

والاسلوب في الاصطلاح :

كيفية تطبيق المنهج . فالمناهج نظم وخطط ، والاسلوب كفاءات لتطبيق تلك المناهج والخطط .^(٣) قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل ٢٥) ويعرفه الدكتور عبد الغفار^{عزيز} بقوله : الاسلوب : هو (كل قول او فعل قصد به التوضيح والبيان وافت النظر بقصد تعليم الغير أو دعوته لتنفيذ ما شتمل عليه القول او تضمنه الفعل . وإنما عليه يكون تعريف اسلوب الدعوة : ((القول أو الفعل الذى يستعمله الدعاة لتوضيح دعوة الاسلام وبيان احكام الدين وتعاليمه ، مع لفت انظار الناس اليه ودعوتهم لتنفيذ ما شتمل عليه القول ، وما دل عليه الفعل ، امثالاً لقوله تعالى (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اني من المسلمين) فصلت ٣٣ .^(٤)

تعريف الدعوة لفظة :

الدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، واسم الفاعل منها داع ، يقول : دعاه يدعوه فهو داع . قال تعالى : ((وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً))^(٥)

- (١) دعوة نوح عليه السلام ليحيى بن علي القحطاني ص ٤٩ .
- (٢) القاموس المحيط ١ / ٨٦ .
- (٣) دعوة نوح عليه السلام ص ٤٩ نقلاً عن الدكتور ابي الفتح البيانوني .
- (٤) المرجع السابق
- (٥) سورة الاحزاب ٤٦

أي داعيا الى توحيد الله سبحانه وتعالى .

وفي القاموس : دعا دعاء دعوى ، وتداعوا عليه تجمعوا .

ودعاه : ساقه ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله ، ويطلق على المؤذن

والداعية : صرخ الخيل في الحروب ، ودعوته سميته .

والاسم : الدعوة والدعاوة ، ودعيت لغة في دعوت . (١)

وقال الراغب : " الدعاء كالنداء ، ويستعمل استعمال التسمية نحو دعوت

ابني زيدا ، أي سميته . قال تعالى : ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا)) (٢) .

ودعوته اذا سألته او استغثته . قال تعالى : ((أدع لنا ربك)) (٣) أي سله

والدعاء الى الشيء : الحث على قمده . ((قال رب السجن أحب الي مما يدعونني
اليه)) (٤) .

وقوله ((يقوم ما لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار ، تدعونني

لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار)) (٥) .

والدعوة مختمة بادعاء النسبة واصلها للحالة التي عليها الانسان نحو القعدة

والجلسة . (٦)

وعليه فيمكننا ان نقول ان المعنى الأصلي لهذه الكلمة تنصرف الى معاني :

منها : الدعاء والانتساب والامياح ، التجمع النداء ، الزعم ، السؤال ،

الاستغاثة ، الحث ، الطلب .

والدعاة : قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع .

(١) القاموس المحيط ٣٢٩/٤ .

(٢) سورة النور ٦٣ .

(٣) البقرة ٦١ .

(٤) سورة يوسف ٣٣ .

(٥) سورة غافر ٤١ - ٤٢ .

(٦) المفردات للراغب ص ١٧٢ .

(٧) لسان العرب ٩٨٦/١ .

ورجل داعية اذا كان يدعو الناس الى بدعة او دين والهاء للمبالغة . (١)

والنبي صلى الله عليه وسلم داعى الأمة الى توحيد الله وطاعته . قال تعالى :
 ((يا قومنا اجييوا داعي الله)) (٢)

وقال : ((والله يدعوا الى دار السلم)) (٣)

وقال : ((ويقوم ما لى أدعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار)) (٤)

وقال : ((لا جرم أنما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة)) (٥)

ومنه يتبين ان معانيها في اللغة هي الدعوة الى الله تعالى ، ودعوة الحق هي شهادة ألا اله الا الله ، والدعوة الى هدى او ضلالة ، وتطلق على الدعاء الى الشئ والحث على قصده .

والدعوة من الدعاء الى الشئ، بمعنى الحث على قصده (٦) . ومنه قوله تعالى :

((رب السجن احب الي مما يدعونني اليه)) (٧)

ومثلها الدعاية . وفي كتاب هرقل (ادعوك بدعاية الاسلام) (٨) أي بدعوتيه

وهي كلمة الشهادة التي يدعى اليها اهل الملة الكافرة .

فالدعوة في اللغة اذن : دعاء الناس وطلب الدخول في الدين او فهم ما غمض منه .

(١) لسان العرب ١/٩٨٦ .

(٢) سورة الاحقاق ٣١

(٣) سورة يونس ٢٥ .

(٤) سورة غافر ٤١ .

(٥) سورة غافر ٤٣

(٦) هداية المرشدين ص ١٤ .

(٧) سورة يوسف ٣٣ .

(٨) صحيح البخاري ١/٧٠١ .

(٩) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ص ٢٩

الدعوة في الاصطلاح :-

وقال الشيخ علي محفوظ : "الدعوة الاسلامية هي : حث الناس على الخير والهدى ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"

و يعني كلامه : ان عملية الدعوة ليست هي الدين نفسه ، بل هي الدلالة الى الدين كسلوك محسوس في حياة الانسان .

فالدعوة الاسلامية هي الدلالة الى تعليم الاسلام الذي انزله الله سبحانه بكل تفصيلاته في الكتاب و السنة ، و في ذلك يقول د . محمد عبدالله دراز عن الدين : " بأنه جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوى الالهيه و جملة القواعد العملية التي رسم طريق عبادتها ."

و هذا لا يمنع ان تكون الدعوة كتوجيه سلوكي ان يكون نابعا من كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم و اخلاقه و اخلاق أصحابه و وارثوا ميراثه الى يوم الدين .

لذا فان الدعوة عامة هي مطلق الطلب سواء كان حسيًا أو معنويًا خيرا أو شرا .

ولما كانت الدعوة الاسلامية دعوة الى خير الدنيا و الآخرة فان التعريف الذي اختاره هو ((العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية الى تبليغ الناس الاسلام بما حوى من عقيدة و شريعته و اخلاق / ٢ و على ذلك فانها علم كسائر العلوم له قواعده و له موضوعه المتعلق بتعليم الدعاة كافة المحاولات المركزة الهادفة الى تبليغ الاسلام (٣)

(١) هداية المرشدين ص ١٤ .

(٢) الدعوة للاسلام للدكتور/احمد احمد غلوشي ص ١٠

(٣) المرجع السابق ص ١١

أو هو الحث على فعل الخير واجتناب الشر ، والامر بالمعروف والنهي عن
النكر ، والتحييب بالفضيلة ، والتنفير عن الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل .
وبهذا التعريف تكون الدعوة هي البرنامج الكامل الذي يضم في اطوائه جميع
المعارف التي يحتاج اليها الناس ليصمروا الغاية من محياهم وليستكشفوا معالم
الطريق التي تجمعهم راشدين .
(١)

(١) مع الله ص ١٧ .

الفصل الأول

المنهج العقلي والمنهج الحملي التجريبي

ويشتمل على المباحث الآتية :

- المبحث الأول : ضرب الأمثال
- المبحث الثاني : تصوير دقائق النفس البشرية والاحاطة بدخائلها .
- المبحث الثالث : لغت الأنظار الى المظاهر الكونية .
- المبحث الرابع : لغت الانظار الى ظواهر الخلق الانساني .
- المبحث الخامس : لغت الأنظار الى سنن الله في اهلاك الأمم .
- المبحث السادس : لغت الانظار الى علوم ظواهر الحياة الدنيا .

توطئة للمنهج العقلي

معنى العقل وأهميته :

لا أحد يتردد في أن العقل ظاهرة من اعظم الظواهر الانسانية ، وانه الميزة التي ميز الله بها الانسان عن الحيوان والنبات والجماد ، فهذا العقل نستطيع أن ندرك قوانين الأشياء ، والعلاقة الثابتة التي تربط احدها بالأخرى .

فمهمة العقل في هذه الحياة مهمة عظيمة ، وهي مهمة استكشافية وعملية وعي لما يدور في هذا الكون من علاقة بين خالق الكون والكون ، وبين الموجودات وخالقها المبدع والمنظم لها ، والمحركة لها ، سواء ظاهرة / غير ظاهرة ، ومن المكابرة البالغة ان يرفض العاقل دور الارادة الالهية في تحقيق عملية الخلق المستمر . قال تعالى : ((افلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور))^(١) .

العقل في اللغة والاصطلاح :

قال الماوردي : " وسمي العقل بذلك تشبيها بعقل الناقة ، لأن العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت ، كما يمنع العقال الناقه من الشرود اذا نفرت ، ولذلك قال عامر بن عبدالقيس :

" اذا عقلك عقلك عما ينبغي فانك عاقل " ^(٢) .

وقال الراغب : " هي في اللغة قيد البعير لثلا يند ، وذلك لكونه سبيبا لتقيد الانسان به ، وكونه مقيدا له عن تعاطي ما لا يحل وكونه معتدا به من بين الحيوان " ^(٣) واما تعريفه فقال ابن الجوزي : والعقل فيه : ان العقل عنزة لا تنير نور يعرف في القلب ، فيستعد لادراك الاشياء ، فيعلم جواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، ويتلخص عواقب الأمور ^(٤)

(١) سورة الحج ٤٦ .

(٢) ادب الدنيا والدين للماوردي ص ٦ .

(٣) الذريعة الى مكارم الشريعة ص ٩٧ .

(٤) ذم الهوى لابن الجوزي ص ١٣

الاسلام يخاطب العقل :

ان الاسلام دين العقل بمعنى انه يخاطب العقل بقضاياه ومقرراته ولا يقهره بخارقة (مادية) لا مجال له فيها الا الازعان ، ويخاطب العقل بمعنى انه يصحح له منح النظر ويدعوه الى تدبر دلائل الهدى وموحيات الايمان في الأنفس والآفاق .

ويخاطب العقل بمعنى انه يكل اليه فهم مدلولات النصوص التي تحمل مقرراته ولا يفرض عليه ان يؤمن بما لا يفهم مدلوله ولا يدركه ، فاذا وصل الى مرحلة ادراك المدلولات وفهم المقررات لم يعد امامه الا التسليم بها فهو مؤمن ، او عدم التسليم بها فهو كافر وليس هو حكما في صحتها أو بطلانها وليس هو مأذونا في قبولها أو رفضها .^(١)

من مزايا الاسلام تكريم العقل :

من مميزات الاسلام اعتماده على العقل في قضاياها الاساسية ، وعدم تناقض صحيح المعقول مع صريح المنقول ، وكذلك فاننا نرى ان قضية اللوهمية في القرآن الكريم تعرض فيها بقوة الاقناع وتوجيه العقل الى التفكير والتأمل والتدبر . قال تعالى : ((ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ، علم الغيب والشهادة ، فتعالى عما يشركون))^(٢) .

اهتمام القرآن بالعقل :

ومن اهتمام القرآن بالعقل انه ذكر مشتقاته وما يتعلق به للدلالة على اهميته وفضل اعماله .

فمن مشتقاته : عقلوه ، تعقلون ، نعقل ، يعقلون في تسع وأربعين موضعا .

(١) في ظلال القرآن ٨٠٧/٢ .

(٢) سورة المؤمنون ٩١ - ٩٢ .

أولى الالباب في ستة عشر موضعا . وذكر من مشتقاته الفقه والفهم ، مثل : تفقهون ، نفقه يفقهوا ، يفقهون ، يفقهوه في عشرين موضعا .

وذكر من متعلقاته الفكر مثل : فكر ، وتفكروا ، وتتفكرون ، يتفكروا ، يتفكرون في تسعة عشر موضعا .

وذكر من متعلقاته أيضا :

تذكرون ، يتذكر ، يتذكرون ، يذكر ، ليذكروا ، يذكرون ، في ثلاثين موضعا .
ومما يلفت الانتباه أن لفظ العقل في صيغته الاسمية لم يرد في القرآن الكريم مطلقا ، لكن وردت مشتقاته في صيغته الفعلية كما ذكرت سابقا .

أما الألفاظ التي تدل على النشاط العقلي بصفة عامة مثل التفكير والتدبير والعلم والنظر والادراك والتبصر فقد وردت مئات المرات وكلها متعلقة بالعقل وباعماله ، ومن ذلك نستخلص ما يلي :

أولا : الثقة التي يوليها القرآن للحواس بحيث تكون معطياتها دائما هي منطلق التفكير والتدبير من حيث كونها دليلا على الصانع المنعم .

ثانيا : الوضوح والبساطة في عمليات التفكير والتدبير والتعقل هذه ، فكأنما هي امور لا تحتاج الى تفكير عميق او بحث غامض او تحليل معقد ، انما هي من البساطة والوضوح بمكان ، بحيث تدرك بواسطة العقل ادراكا مباشرا أشبه ما يكسون بالحدس ، وفي ذلك توجيه الى سهولة العمليات العقلية ، وضرورة تدريب العقل وترويضها حتى لا يصيبها الجمود والكلال والعجز وعدم القدرة على العمليات العقلية .

العقل اساس التكليف :

اعطى الاسلام للعقل مكانة عظيمة ، اذ جعله اساس التكليف ومناطه ، وامر الناس باعمال العقل وعدم تركه في جمود وتأخر ، والقرآن الكريم لا يذكر العقل الا في مقام التعظيم والتنبيه الى وجوب العمل به ، والرجوع اليه ، وتكرر فسي كل معرض من معارض الامر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله ، والوصول به الى ما يرضى الله ، ثم صلاح دنياه وآخرته .

يقول الله سبحانه : ((كذلك يبين الله لكم آيـلته لعلكم تعقلون)) (١) .

فتعرض العقل لما يحول بينه وبين اداء وظيفته كالمرض والنوم او المصـرر يسقط عنه التكليف بالامور الشرعية لما رواه على رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (رفع القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المصاب حتى يكشف عنه) (٢) .

ولما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مروا أولادكم بالملاة وهم ابناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) (٣)

ومن هذا يتبين أن العقل هو مناط التكليف ، فمن لم يدركه أو زال عنه . زال عنه التكليف ، فهي الدرة البهية والجوهرة المضيئة والموهبة التي لا تقدر بثمن وهو الذي فرق الله به بين الانسان والحيوان فحق علينا أن نشكر هذه النعمة بتوجيهها لما يرضيه سبحانه .

سبب تفاوت العقول :

ان سنة الله في الكون ان العقول لا تكون في الناس على درجة واحدة ، ولا على وتيرة واحدة في الفهم والادراك ، والتصرف والتجاوب والقبول والاعراض ، وسبب ذلك يعود الى ستة أشياء :

أولا : اختلاف الأمزجة ، وتفاوت الطينة ، وتغاير الخلقة لما روي عن ابي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها عن جميع الأرض فجاء بنوا آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والمسهل والحزن والخبيث والطيب) . قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح (٤) .

(١) سورة البقرة ٢٤٢ .

(٢) رواه احمد في المسند ١١٦/١ .

(٣) ابو داود ١٣٣/١ .

(٤) سنن الترمذي ١٤٠/٢ .

ثانيا : اختلاف احوال الوالدين في الملاح والفساد ، وذلك ان الانسان قد يرث من والديه آثار ما هما عليه من جميل السيرة والخلق وقبيحهما ، كما يرث مشابهنهما في خلقتهما . وقد ورد في الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من مولود الا يولد الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها مهن جدعاء)^(١) .

ثالثا : اختلافهم باختلاف ما يتغذون به من رضاع وطعام وشراب ، فان الطفل يتأثر الى حد كبير جدا باخلاق ظئره وصحتها وقد اثبت الطب اثباتا لا يحتمل الشك أن للغذاء تأثيرا كبيرا في حالة المرء خلقيا وصحيا .

الرابع : اختلاف احوالهم في تأديبهم وتلقيتهم وتطبيعهم وتعويدهم العادات الحسنة والقبيحة ، لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع)^(٢) وقد قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه .

الخامس : عشرة المخالطين والقرناء فيأخذ طريقهم بسلك محبتهم فان المرء على دين خليله وقد قال صلى الله عليه وسلم : (المرء مع من أحب)^(٣)

السادس : اختلاف الاجتهاد في تزكية النفس بالعلم النافع والعمل الصالح حين استقلال المرء بنفسه . قال تعالى : ((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون))^(٤) .

ولما كانت العقول متفاوتة كانت آراء الناس ورغباتهم متغايرة على قدر ذلك التفاوت ، فحب الفخر يدفع بعض الناس الى طلبه من كل ناحية والبحث عنه من كل

(١) صحيح البخاري في الجنائز ٤٥٦/١ رقم الحديث ١٢٩٣ .

(٢) سنن ابو داود ١٣٣/١ .

(٣) صحيح البخاري في الادب ٢٢٨٣/٥ رقم ٥٨١٦ .

(٤) سورة الزمر آية ٩ .

سبيل ، وكذلك المال حين يتمكن حبه في قلوب فئة من الخلق يسترقهم ويستعبدهم .
فهذه المتغيرات في الميول والرغبات والطبائع انما نشأت عن تباين مراتب العقول ، واختلاف قواها وعدم كونها في مستوى واحد من المعرفة والتمييز بسبب حظها من المادة العلمية غزارة ونزارة .^(١)

ولكن هل يحكم العقل على كل شيء ويمتد مداه الى ما لا نهاية ؟ بالطبع لا . لأن العقل لا يستطيع ان يدرك شيئاً حتى يحصره بين امرين : الزمان والمكان . فما لم ينحصر بينهما لم يدركه العقل بنفسه ، فالعقل لا يحكم الا في حدود الزمان والمكان ، فما كان خارجاً عنهما من مسائل الروح وامور القدر واسماء الله وصفاته فلا حكم للعقل عليه . ثم ان العقل محدود ، والمحدود لا يحكم على غير المحدود ، ولا يستطيع ان يحيط به تصور خلود الجنة مثلاً ، ان عقل المؤمن موقن بانه حقيقة وقد جاءه هذا اليقين من الخبر الصادق ، ولكن انظر هل يحيط عقلك بالخلود ؟ ركز فركز فيه تجد انك تتصور بقاءهم في الجنة قرناً وقرنين ، ومائة قرن ، ومليون والف مليون . انه لا يدرك الى لا نهاية ، واذا افترض الوصول اليها وقع في التناقض الذي يقول ببطلانه .

فالعقل يختل ميزانه ان حاول الحكم على غير المحدود ، ويقع في التناقض المستحيل ، اذا بحث فيما لا ينتهي ، فالعقل اذن لا يستطيع ان يحكم ، ولا يمح حكمه الا في الأمور المادية المحدودة ، اما ما وراء المادة أي عالم الغيب فلا حكم للعقل عليه .^(٢)

أهمية المنهج العقلي في القرآن الكريم :

ان الحكمة من انزال القرآن الكريم هو فهمه وتعقله وادراك ما فيه من معاني النصوص الشرعية والاسرار والحكم الالهية .

(١) الخلق الكامل لاحمد محمد جاد المولى ٢٤٤/١ .

(٢) تعريف عام بدين الاسلام للطنطاوي - الوعي الاسلامي عدد ٣٥ لعام ١٣٨٧ هـ .

وكذلك الكشف عن سنن الكون وما ميز الله به الانسان من انتفاع لما سخره

له من المخلوقات ، والربط بين وجود الانسان ومهمته فيها . فقال تعالى :

((انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))^(١) .

وقال : ((وكذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون))^(٢)

وقال : ((كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون))^(٣)

فهذه الآيات واشباهها نرى فيها الخطاب موجه الى العقلاء ، وهذا يقتضي

ان يكون الانسان مؤمنا بالله عاقلا عالما بأسرار احكام الله ، لكي يستفيد منها

حق الاستفادة ، حتى لا يكون ممن ذمهم الله بسبب عدم رغبته في الفهم فقال :

((وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم^{الله} بكفرهم فقليلًا ما يؤمنون))^(٤) . وقال : ((افلا

يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها))^(٥) .

وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن اهل النار يندمون اعظم الندم لعدم اعمالهم

عقولهم في ادراك ما اراده الله سبحانه وتعالى حين يقولون : ((لو كنا نسمع

أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير))^(٦) .

بل ان الله تعالى نفر اشد التنفير من عدم استعمال العقول ، ووصف الذين

لا يستعملون عقولهم باقسي وصف يوصف به انسان فقال : ((ان شر الدواب عند

الله الصم البكم الذين لا يعقلون))^(٧)

وذلك لما للعقل من أهمية في مسيرة الانسانية وضبط سيرها وكبح جماحها .

ولأن العقل ضابط من ضوابط النفس وعاصم من جموح الغرائز والنفس الامارة

بالسوء ، لأنه اذا صفا حجر صاحبه عن الزيغ والغواية .

فميزة الانسان على غيره من المخلوقات انما كان بالعقل ، ومزيتة قائمة

(١) سورة الزخرف ٣ .

(٢) سورة النور ٦١ .

(٣) سورة البقرة ٢٦٦ .

(٤) سورة البقرة ٨٨ .

(٥) سورة محمد صلى الله عليه وسلم ٢٤ .

(٦) سورة الملك ١٠ .

(٧) سورة الأنفال ٢٢ .

بالادراك ، فمن كان الأقوى من غيره في الفهم ، والادراك لما في هذا الكون من الدلالات النفسية والآفاقية والاستدلال بها على معرفة الله وطاعته وعبادته ، كان هو الأولى بخلافة الله في الأرض .

وهذا يكون الانسان قد أدرك حق العقل على نفسه بان يشغلها بفهم كتاب الله حق الفهم ، والتعقل الصحيح لما فيه من مناهج عقلية تكون اساساً لتوجيه الدعوة والدعاة في مختلف البيئات والاماكن ومختلف النفوس صحيحها وسقيمها .

ولاشك أن تعقل القرآن الكريم سمة من سمات المؤمنين الذين يرون في ظواهر الخلق اشارة الى وجود الله سبحانه وتعالى .

فتوهم بعض الناس ان التفكير في الكون ، ودراسة ظواهره بعمق بتحكيم قواعد العقل في دراسة هذه الظواهر والوصول به الى الحقائق ونبتذ الاوهام ، والقضاء على الخرافة والتمسك بالقانون الذي اوعلت اليه التجربة .

وان كل هذه المعاني ما لا يتفق مع الفكر الديني ! هو فهم لا يساير مناهج الدعوة اليوم ، لأن الحق الذي استخرج من نظام الله في الكون لا يتعارض مع الدين الحق .

فليس من المعقول أن يأمرنا الله بالبحث والعلم والنظر والمعرفة ثم يحرم علينا أن نأخذ بنتائج هذا العلم والبحث والمعرفة والاستدلال بها على احقية الاسلام وكتابة في الهيمنة على العالم لاجراج الناس من الظلمات الى النور .

تعريف الاسلوب العقلي

فالاسلوب العقلي ان هو: القول او الفعل الذي يخاطب العقل ويدعوه الى

التفكر والتدبر والاعتبار والذي يستعمله الدعاة لتوضيح دعوة الاسلام وبيان احكام الدين وتعاليمه. ومن الاساليب العقلية ومجالاته ؛

- (١) المجادلات والمناظرات .
- (٢) المحاكمات العقلية والفلسفيه والمنطقية .
- (٣) ضرب الامثال والقصص للاعتبار .
- (٤) اسلوب ازالة الشبهات واستدراج الخصم لاثبات خطئه .
- (٥) اثبات البعث .
- (٦) اثبات الوجدانيه والقدرة .

اما خصائص المنهج العقلي فيتلخص فيما يلي :-

- ١ - اعتماده على الاستنتاجات العقلية وقواعد المنطق النظري .
- ٢ - عمق التأثير ورسوخ الفكر المدعو اليها .
- ٣ - اهمام المعارض واقامة الحجة عليه .
- ٤ - انه لا يصلح مع كل الناس .
- ٥ - انه يختلف من زمان لآخر .
- ٦ - انه يتركز على العقل (١) .

فالا لساليب العقلية ان تستعمل مع من يظهر عليه الفكر كالعلماء والحكماء والمتعالون من الناس والمعجبون بعقلهم وفكرهم . وكذلك مع المنصفين من الناس المتجردين عن الأغراض .

وفي الصفحات التاليه استعرض بعض الاساليب العقلية في هذه السورة الكريمة .

(١) المنهج العاطفي في الدعوة ص ٣٥ .

المبحث الأول

ضرب الأمثال

قال الله تعالى : ((ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايما نكم من شركاء فيما رزقنكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم كذلك نفس الـ الآيات لقوم يعقلون)) (١) .

وقال : ((ولقد ضربنا^{للناس} في هذا القرءان من كل مثل ولئن جثتهم بثا يــــة ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون)) (٢) .

لا شك أن للامثال اهمية عظمية في توضيح الحقائق وجلاء الخفايا وانا رة المعمي وتقريب المقصود وتقرير القواعد الاساسية وتثبيت الامور البديهية، والله سبحانه وتعالى قرب لهم قضية وحدانيته سبحانه بطريق عقلى تقريبا لافهامهم ببراهيــــن واضحة لا يختلف فيه اثنان من العقلاء الا مكابرة وعنادا واصرارا على الباطل .

ولايضاح مافي هذه الآية الكريمة من المثل . يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : " ضرب هذا المثل لمن كانوا يتخذون من دون الله شركاء من خلقه ، وهم لا يرتضون أن يشاركهم مواليتهم في شيء مما تحت ايديهم من مال ، ولا يــــوون عبيدهم بانفسهم في شيء من الاعتبار ، فيبدوا امرهم عجبا ، يجعلون لله شركاء من عبيده وهو الخالق الرازق وحده ، ويأنفون ان يجعلوا لأنفسهم من عبيدهم شركاء في مالهم ، ويخشون في نفس الوقت ان يجوروا عليهم ، لأنهم أكفاء وانداد لهم ، فهل يقع شيء من ذلك في محيطهم القريب وشأنهم الخاص ؟؟

واذا لم يكن شيء من هذا يقع . فكيف ترضون في حق الله تعالى - وله المثل الأعلى - " (٣) ؟

فهذا مثل واضح اشد الوضوح وبسيط لا تعقيد في فهمه ، حاسم للقضية

(٢) سورة الروم ٥٨ .

(١) سورة الروم ٢٨ .
(١) في ظلال القرآن ٢٧٦٦/٥ .

الافتتاح

التي يعالجها ، مانع من الجدل والمناقشة اذ لا طريق ولا سبيل الا الافتتاح ، فهذا مثل عقلى ضربه الله لكل ذي عقل سليم لا يريد المراء والجدال والهروب من الواقع الصحيح .

ويقول ابن سعدي : " وهذا مثل ضربه الله لقبح الشرك وتهجينه مثلا ممن انفسهم لا يحتاج الى حل وترحال واعمال الجمال .

كما يدل على سفه من اتخذ شريكا مع الله ، وان ما اتخذه باطل مضمحل ، وان هذا المثل لا يعتبر به الا الذين يعقلون الحقائق ، ويعرفونها ، فاهل العقول والألباب هم الذين يساق اليهم الكلام ويوجه الخطاب . (١)

وقال الحكيم الترمذي في تفسير الآية : " هل انتم تجعلون عبيدكم شركاء فيما اعطيناكم ، فانتم فيه سواء تخافونهم ، أي تخافون من لائمة عبيدكم ان لم تشاركوهم في اموالكم كخيفتكم انفسكم ، أي كلائمة اهل الميراث من الأولاد والقربان ان لم يعطوا الميراث .

فمعنى ذلك : ان المخلوق لا يخاف من شركة عبده في ماله في حياته ، وبعد مماته كما يخاف من اهله وأولاده وقربانته ، فكذا جميع الخلائق عبيده واماؤه لا يخاف منهم الشركة في ملكه . (٢)

وقال ابو مجلز : " ان مملوكك لا تخاف ان يقاسمك مالك ، وليس له ذاك ، كذلك الله لا شريك له ، والمعنى ان احدكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون لله الانداد من خلقه " (٣) . فما لا ترونه صحيحا فيكم كيف يجوز لكم ان تروه صحيحا في حق الله تعالى ؟؟ فالمصورة التي لا تبيحونها لانفسكم كيف ترضونها في حق الله تعالى ، والحال التي لا ترضونها لانفسكم كيف ترضونها لله تعالى . (٤)

وقال بعض العلماء : هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض ونفيها عن الله تعالى .

-
- (١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦٢/٦ .
 - (٢) الامثال من الكتاب والسنة ص ٢٨ .
 - (٣) تفسير ابن كثير ٤٣١/٣ .
 - (٤) الامثال في القرآن لمحمود بن الشريف ص ١٠٢ .

فاذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم فيما يملكه السادة ، والخلق كلهم عبيد لله تعالى ، فيبطل ان يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من افعاله ، فلم يبق الا انه واجد يستحيل ان يكون له شريك ، اذ الشركة تقتضي المعاونة ، ونحن مفتقرون الى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل .^(١)

اما المراد من ضرب هذا المثل فهو نفي الاشياء الثلاثة وهي : الشركة بينهم وبين المملوكين ، والاستواء معهم ، وخوفهم اياهم ، وليس المراد ثبوت الشركسة والاستواء والخوف .

والمراد اقامة الحجة على المشركين ، فانهم لابد ان يقولوا لا نرضي بذلك فيقال لهم : فكيف تنزهون انفسكم عن مشاركة المملوكين لكم ؟ وهم امثالكم في البشرية ، وتجعلون عبيد الله شركاء له ، فاذا بطلت الشركة بين الله وبين احد من خلقه ، والخلق عبيد الله تعالى ، لم يبق الا ان الرب وحده لا شريك له .^(٢)

وهذا انكار على هؤلاء المشركين كيف سووا بين المالك الحقيقي الخالق الرازق ، والاصنام وما مائلها المملوكة له ملكا حقيقيا .

فالمثل هنا اذن يفيد وجوب توحيد الله سبحانه واستحقاق العبادة وحده ، وابطال شرك المعبودات التي عبدها المشركون من دون الله .

كما يفيد استحسان ضرب الامثال لتقريب المعاني الى الافهام وعظم فائدة المثل في هذه الآيات ، حتى قال بعضهم : فهم هذا المثل افضل من حفظ كذا مسألة فقهية .^(٣)

(١) تفسير القرطبي ٥١٠٥/٧ .
 (٢) فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق حسن خان ص ٢/٢٥١ مطبعة العاصمسة .
 بالقاهرة .
 (٢) ايسر التفاسير للجزائري ٤٨٥/٣ .

فوائد الأمثال :

قال الزركشي : " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : وذكر :
التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، الاعتبار ، والتقدير ، وترتيب المــــراد
للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس السي
الحس . وبيان تفاوت الاجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى
تفخيم الامر وتحقيره ، وعلى تحقيق أمر وابطال امر ."^(١)

واخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (ان القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ،
وامثال ، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ،
واعتبروا بالأمثال)^(٢) .

مما سبق يتضح لنا ان للامثال فوائد ظاهرة محسوسة منها :

(١) التذكير بوعده الله ووعيده ، لأن الانسان فطر على الغفلة ، فالنعمة تبطره
وتنسيه ، فلا بد من الوعظ والارشاد والحث على فعل الخير والزجر عن فعل
المنكر ، والترهيب عما لا تميل اليه النفس والترغيب فيما تميل اليه من
المضاعفة والكثرة لحال المنفق في سبيل الله . قال تعالى : ((مثل الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم))^(٣) .

(٢) تقريب المراد للعقل بتصوير القضية في صورة المحسوس الذي يللمسه الناس
لان الأمثال تصور المعاني بصورة الاشخاص وغيرهم ، فتكون اثبت في الازهان
واسهل للتذكير والاسترجاع . ولأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن الا
اذا صيغت في صورة حسية تقرب المعنى الى الأذهان .

(١) البرهان ٤٨٦/١ ، والاتقان ١٣١/٢ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن ١٣١/٢ .

(٣) سورة البقرة ٢٦١ .

- (٣) كما ضرب الله مثلا لحال المنفق رياء حيث لا يحمل على شيء من الثواب .
فقال تعالى : ((فمثلته كممثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا
لا يقدرّون على شيء مما كسبوا))^(١) .
- (٤) عرض الغائب في معرض الحاضر المشاهد مما يعطي للسامع مجالا للتخييل
الذهني حتى يتصور الصورة المسموعة في ذهنه في صورة كاملة متحركة متكاملة
فيظهر له جمال الصورة فيرغب فيها أو يظنّ له قبح الصورة فيرغب عنها .
كقوله تعالى : ((الذين يأكلون الرّبوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشیطن من المس))^(٢)
- (٥) تبكيت الخصم الشديد الخصومة وقمع لسورة الجامح الابي فقد لا يرضيه الا المثل
العقلي المحسوس ولا يوقفه عند حده الا محاصرة عقله وذهنه عن الهروب من
واقعه المنحرف ، ودعوته بعد ذلك الى التسليم والاذعان .
فالمثل ذو اهمية بالغة في الدعوة الى الله عز وجل ولا يمكن ان يستغنى عنه
الداعية ، لأن المثل يراد به التصوير وتفهم المعنى تارة ، وتارة يراد به
الدلالة على ثبوته والتصديق به ، فقياس تصور ، وقياس تصديق ، وكثيرا
ما يقصد كلاهما ، فان ضرب المثل يوضح صورة المقصود وحكمه .^(٣)
- واسلوب المثل له خطره بين فنون القول وقدرته على التأثير التي يستمدّها
من خصائصها المميزة :
- وأولها : ما يعبر عنه السيوطي في الاتقان بقوله : " ضرب الامثال يستفاد
منه امور كثيرة ، ومنها تقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس ، فإن
الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الازهان لاستعانة الذهن فيها
بالحواس ، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالمشاهد .^(٤)

(١) سورة البقرة ٢٦٤

(٢) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥٥/١٤ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن ١٣١/٢ .

ويقول الزمخشري : " ولضرب العرب الامثال ، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيثات المعاني ، ورفع الاستار عن الحقائق ، حتى يريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد ، وفيه تبيكيت للخصم الالد ، وقمع لسورة الجامح الابي .^(١)"

وثانيها : ان للامثال قدرة على الاستحواذ على المشاعر ، وايقاظ النفوس ، وتجديد نشاطها ، فالانسان يميل بطبعه الى الاستشهاد بالامثال ، لما يرى فيها من جمال حكمتها ورشاقة لفظها ، واصابتها المعنى ، وطرافتها التي تتجدد ولا تبلى مما نرى أثره في وجوه السامعين لها واقبالهم عليها وتسليمهم بحكمها .

ثالثها : ان الامثال وسيلة من وسائل الاقناع ، فان المورد للمثل انما هو في الحقيقة يقيس الامر الذي يدعيه على امر معروف عند من يخاطبه ومسلم لديه ومن ثم لزم التسوية بينهما في الحكم وتحقق الالتزام به .

اثرها في النفوس :

ان لضرب الامثال اثناء العظة اكبر الاثار في النفوس ، لأن المقصود من ضرب الأمثال انها تؤثر في العقول ما لا يؤثر في وصف الشيء ذاته ، فيتضح الأمر ويجلوا بعد خفاء ، ويحضر الغائب في صورة كأنه شاهد ، وبصير الحس مطابقا للعقل ، ويتنبه العقل الى ضربه انتباه من وعى ومن فهم ، ولكن ما سر هذا التأثير للمثل على الانسان ، وهذا ما اهتم به عبدالقاهر الجرجاني في كتابه اسرار البلاغة . فمن ذلك :

(١) فاول سبب وظهره ان انس النفوس موقوف على ان تخرجها من خفي الى جلبي واتيانها بصريح بعد مكنى ، وان تردها في الشيء تعلمها اياه الى شيء آخر هي بشأنه اعلم وثقتها به في المعرفة احكم ، نحو ان تنقلها عن العقل الى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالاضطرار والطبع .^(٢)

(١) الكشف ١٩٥/١ .

(٢) اسرار البلاغة ص ١٠٢ .

- (٢) ان العلم المستفاد من طرق الحواس ، او المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر والقوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام . (١)
- (٣) ما يوجبه تقدم الالف . اذ من المعلوم ان العلم الاول اتى النفس اولا عن طريق الحواس والطباع ثم من جهة النظر والروية ، ومثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ، ثم يكشف عنه الحجاب ويقول ها هو ذا فابصره تجده . (٢)
- (٤) اتصال الامثال والحكم بالطباع البشرية من الخير والشر والسعادة والشقاء ، والفضيلة والرذيلة ، فهي انعام لغوية صغيرة ينعكس فيها الشعور والتفكير وعادات الافراد وتقاليدهم على العموم . (٣)
- (٥) ان الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص ، فان الاشخاص والأعيان اثبتت في الازهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس بخلاف المعاني المعقولة ، فانها مجردة عن الحس . (٤)
- (٦) كون المثل المضروب معروفا مجريا عند السامع مسلما له ، لأن ابراز المعاني في معرض التمثيل ابتداء أو مجيئة في اعقاب المعاني وعلى اثرها لا يضاعفها وتقريبها أكد وقعا في القلوب وابلغ اثرا في النفوس . (٥)
- (٧) حاجة الناس لها ليتعلموا بها ، فيدركوا ما غاب عن ابصارهم واسماعهم الظاهرة ، فاذا ادركت اسماع الرؤس وابمارها ايقن به القلب واستقرت النفس واتسعت في علم ذلك وانشرح صدره بذلك . (٦)

-
- (١) اسرار البلاغة ص ١٠٢ .
 (٢) نفس المرجع ص ١٠٣ .
 (٣) مقدمة الامثال والحكم للماوردي نقلا عن الامثال العربية القديم ص ١٣ - ٤٦ .
 (٤) البرهان ٤٨٨/١ ، معترك الاقران ٤٦٨/١ .
 (٥) هدية المرشدين لعلي محفوظ ص ١٧٨ .
 (٦) الامثال من الكتاب والسنة للحكيم للترمذي ص ٣ .

لذا فان اول وسائله التأثير في الجماعات وابعدها اثرا هي الصورة الموحية التي تترك في النفس انطبعا وجدانيا ، يمثل فيها دور الشراة الأولى التي لا بد منها في احداث الحركة والانفعال. وهذا الانطباع يوقظ في النفس جذوة من الاحاسيس مناسبة له ، تسير في اتجاه ما يوحي به ، سرورا كان ذلك أو ألما ، رضا كان أو رفضا وبشاشة كان أو اكتئابا ، ترحيبا كان أو نفورا .

ومن هناك كان الاسلوب التصويري هو المتفرد بالقدرة على التأثير في المشاعر والوصول الى اعماق النفس البشرية محركا لكوامننها مؤججا لقواها .

وبذلك تنتقل النفس من الخفي الى الجلي والمعقول الى المحسوس ، وعماعلم بالفكر والروية الى ما يعلم بالاضطرار والطبع ، وذلك يوفر لها الانس بالمعنى ، ويملوها ثقة به ، واطمئنانا اليه .

ومرجع ذلك الى سببين :

الأول : ان العلم المستفاد من طريق الحواس او جهة الطبع والضرورة ، يفضل العلم المستفاد من جهة العقل والفكر ، كما قيل : ليس الخبر كالعيان ، ولا الظن كاليقين .

الثاني : ان العلم المستفاد من جهة الحواس أو من الطبع والضرورة ، أسبق الى النفس من العلم المستفاد عن طريق العقل والروية ، لان العلم يجيء اولا عن طريق الحواس والطباع ، ثم من جهة العقل والفكر ، فكل من الحسى والضروري أمس بالنفس رحما وأقوى لديها ذمما .

وهذا يدل على ان الاسلوب التصويري اقوى اثرا في النفس واسرع وصولا الى اعماق النفس .

ويقول الجرجاني : واعلم ان مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء فسي اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية الى صورته كساها ابهة وكسيها منقبة ورفع من اقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها واستثار لها من اقاصى الأفئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهى وافخم ،

وانبل في النفوس واعظم ، واهز للعطفوا سرع للإلف واجلب للفرح ، واغلب على الممتدح ،
وأوجب للشفاة للمادح ، واقضى له بعز المواهب والمنائح ، واسير على الالسن
واذكر ، واولى بان تعقله القلوب وأجدر .

وان كان ذما كان مسه اوجع ، وميسمه الذع ، ووقعه اشد ، وحده احسد ،
وان كان حجاجا كان برهنه انور وسلطانه اقهر ، وبيانه ابهر ، وان كان افتخارا كان
شأوه ابعد وشرفه اجد ، ولسانه الد ، وان كان اعتذارا كان الى القلوب اقرب ،
وللقلوب اخب ، وللسخائم اسل ولقرب الغضب اقل ، وفي عقد العقود انفت ، وعلى
حسن الرجوع ابعث " (١)

لذا فان الأمثال مما تعجب بها النفوس وتصرف اليها ، وذلك لأن يقع من
الانسان موضع الاستحسان ، ويكشف الدفين من الارتياح والقبول ، بل يزداد به
الانسان بهجة لما يقربه اليه بالصور البديعة ، فيتصور الشينين المختلفين امامه ،
وتقرب اليه الافكار البعيدة من خلال خلقة الانسان وخلق السماء والارض وبدائس
المنعة والاعجاز الالهي ، وكل ذلك يدل على اثرها العظيم في النفوس .

حاجة الداعية اليها :

لحكمة من الله العلي القدير اكثر في كتابه المبين من الأمثال المختلفة
الصور والموحدة الهدف وهو التربية المثالية للأفراد الى ما فيه صلاحهم وفوزهم في
الدنيا والآخرة . لذا فليس من المستغرب ان يكثر النبي صلى الله عليه وسلم من
الأمثال في تقريراته وعباراته ، وهذا بلا شك يدل على اهمية الأمثال وعظم تأثيرها
في الوصول الى الهدف المنشود والغاية المقصودة .

ويقول شيخ الاسلام رحمه الله : " فان من اعظم كمال القرآن تركه في امثاله
المضروبة واقيسته المنصوبة لذكر المقدمة الجليلة الواضحة المعلومة ، ثم اتباع ذلك
بالاخبار عن النتيجة التي قد علم من اول الكلام انها هي المقصود ، بل انما يكون

(١) اسرار البلاغة ص ٩٢ - ٩٥ .

ضرب المثل بذكر ما يستفاد من ذكره ، وينتفع بمعرفته ، فذلك هو البيان وهو البرهان ، واما ما لا حاجة الى ذكره فذكره عي (١) .

ثم ان الأمثال تجتمع فيه عدة خصائص منها : ايجاز اللفظ وحسن التشبيه ، واصابة المعنى . لذا كان المثل اوضح للمنطق ، آتق للسمع ، وأوسع لشعب الحديث (٢) .

لهذا كانت حكمة العرب في الجاهلية والاسلام ، وضرب من ضروب بديعها ، وجوامع كلمها ، به تستمال القلوب النافرة ، وتستصرف الابصار الطامحة ، وتورد الاهواء الشاردة ، وبمثله يتيسر النجح ، ويسهل العسير ، ويقرب البعيد ، ويذلل الصعب ، ويدرك المنيع ، ويصاب الممتنع ، ولشدة اعتنائهم به واهتمامهم بشأنه اودعه الخطباء في خطبهم ، وادرجه الشعراء في قصائدهم وما ذاك الا لروعة بيانه ، واشتماله على الحسن والجمال ، واستيلائه في الجودة على امد الكمال (٣) .

كما كانت وسيلة من اعظم الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم في اظهار حقائقه ومعانيه الخفية ، التي قررها ليهتدي بها من هداه الله الى فوزه ، وبغيتته في الدنيا والآخرة ، وتقوم الحجة على من ظل عن الهدف الذي ترمي اليه من بيانها للحقائق المستترة والمعاني الخفية (٤) .

لذا نقول بان الامثال القرآنية تعتبر من اكمل وسائل الدعوة ومن امضاها وقعا في النفوس ، واشدها تأثيرا على القلوب ، وابلغ عملا في الوعظ واكوى بلاغا فسي الزجر ، وأكوى حجة في الاقناع ، وافحم ردا للمعاندين والمكابر .

وهذه ميزات لا يمكن ان يستغنى عنها الداعية بحال من الأحوال ، ولا فسي بيئة من البيئات ولا في زمن من الأزمنة ، والا كانت دعوته قد فقدت شيئا من أهم وسائل الاقناع المثالية .

-
- (١) مجمع الفتاوى ٦٢/٤ .
 (٢) بتصرف عن فرائد اللائي ص ١٠ - ١٢ .
 (٣) الامثال في القرآن د . منصور العبدلي ص ٢١ .
 (٤) نفس المرجع ص ٥٧ .

ولا بد للداعية ان يكون حريما على توفر شروط المثل والا لم يكن له وقـع

ولا تأثير في النفوس .

فيقول الماوردي بان لها أربعة شروط وهي :

أولا : صحة التشبيه

ثانيا: ان يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا .

ثالثا: أن يسرع وصولها للفهم ، ويعجل تصورها في الوهم من غير استخراجها ، ولاكد

في استنباطها .

والرابع : ان تناسب حال السامع لتكون ابلغ تأثيرا واحسن موقعا .

فاذا اجتمعت هذه الشروط في الأمثال المضروبة كانت زينة للكلام وجـلا .

(١) للمعاني وتدبرا للافهام .

بالاضافة الى حرصه على ان يكون المثل من الامثال المناسبة لمقام المدعو ،

فلا يأتي بالامثال المرذولة ولا الساقطة التي تقلل من قدره ، وتنزل درجته وتحطم

معنويته ، فيحرم الناس من الاستفادة ويحرم نفسه من الافادة .

ثم ان المثل المضروب لا ينتظم مقصوده الا اذا كان مجربا مسلما عند السامع

والا كان المثل الذي ضربه من الواقع والبيئة لا فائدة منه البتة .

ثم ان تقريب الاحكام وتثبيتها في النفوس من الامور المهمة وخاصة للداعية .

اذ به يستطيع أن يجادل بالتي هي احسن ، ويضرب المثل في العقل لتقريب المعنى

وللاقناع .

فمن كمال الدعوة ان تقرب فيها الاحكام من النفوس ويزاح فيها ما يحـوم

بالقلوب من شبه ، وتمثيل المعقول بالمحسوس ، والمجهول بالمعلوم كثيرا مايسلك

لهذا الغرض النبيل . (٢)

فمن سنن الهدى الاسلامي مراعات النفسيات .

(١) ادب الدنيا والدين ص ١٩٦ .

(٢) الامثال في القرآن للعبدي ص ٥٧ .

فهناك نفس متينة مكينة ، ونفس هشة قمبيئة ، وثالثة كافرة فاجرة ، واخرى مارقة ماجنة ، وكلها الوان من النفسيات متباينة متغايرة لكل منها عند القرآن علاج خاص .

ومن اجل هذا كانت الأمثال في القرآن لونا من الوان الهداية التي تدفع النفوس الى الخير أو تحضها على البر ، أو تمنعها من الاثم ، أو تدفعها السيئ فضيلة .

ومن أجل هذا تناولت الامثال القرآنية مجالات عدة ، فمثلت الايمان ، ومثلت الكفر ، وفضحت النفاق ، وحضت على الانفاق ، ونادت بالخير ، ونددت بالشر ، وصورت الطيب والخبث والمالح^(١) والاطالح .

وفي الكتاب والسنة من ذلك الشيء الكثير وبمثلته يستطيع ان يسترعى الاسماع ويمتلك القلوب ، حتى يفودها الى مباشرة العمل ، ويرد النفوس الشريفة عن الغي الى الرشاد ، وبمثلته يمكنه ان يسحر الالباب حتى يدفع السامع لان يصلح نفسه بالتوبة النصوح والسيرة المرضية ، وبهذا يسهل عليه ان يقتلع من النفوس جذور الشر والفساد ، ويغرس فيها حب الخير والصلاح ، وروح الألفة والاتحاد ، وبهذا يصلح حال الناس وتنال السعادة في الآجل والعاجل .^(٢)

وللامثال من الكلام موقع في الاسماع ، وتأثير في القلوب ، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ، ولا يؤثر تأثيرها ، لان المعاني بها لانحة والشواهد بها واضحة ، والنفوس بها وامقنة ، والقلوب بها واثقة ، والعقول لها موافقة ، فلذلك ضرب الله الامثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله ، ووضح بهسا الحجة على خلقه ، لانها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة .^(٣)

(١) الامثال في القرآن لمحمود بن الشريف . المقدمة

(٢) هداية المرشدين لعلي محفوظ ص ١٨٧ .

(٣) ادب الدنيا والدين ص ١٩٦ .

المبحث الثاني

تصوير خصائص النفس البشرية والاحاطة بدخائلها

قال تعالى : ((واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون)) (١) .

وقال : ((واذا اذقنا^{الناس} رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون)) (٢) .

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة خفايا النفس البشرية وما انطوت عليه من نوازع خير او نوازع شر ، وما تمتاز به من انها سريعة التقلب وسريعة الانفعال ، تبطرها النعمة والرحمة وتشقيها وتقنطها سلبها ولو لحظة من اللحظات .

وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : " بان في الآية صورة للنفس البشرية التي لا تستمد من قيمة ثابتة ، ولا تسير على نهج واضح صورة لها ، وهي تتأرجح بين الانفعالات الطارئة والتصورات العارضة ، والاندفاعات مع الأحداث والتيارات فعند مس الضر يذكر الناس ربهم ، ويلجأون الى القوة التي لا عاصم الا اياها ، ولا نجاة الا بالانابة اليها حتى اذا انكشفت الغمة ، وانفرجت الشدة ، واذاقهم الله رحمة منه ((اذا فريق منهم بربهم يشركون)) ، ذلك أن الرخاء يرفع عنهم الاضطراب الذي الجأهم الى الله ، وينسيهم الشدة التي ردتهم اليه ، فيقودهم هذا الى الكفر بما آتاهم الله من الهدى ، وما آتاهم من الرحمة ، بدلا من الشكر والاستقامة والانابة " (٣) .

طالآية إذن صورة لتقلب الأهل البشري امام شبات السنن ووهن عقائد الشرك امام قوة الدين القيم ، وتصوير نفوس البشر في السراء

والضراء ، وهي تضرب في تقديراتها وتصوراتها .

(٢) الروم ٣٦ .

(١) الروم ٣٣ .

(٣) في ظلال القرآن ٢٧٧٠/٥ .

فالأية تصور صورة مبدعة لنموذج بشري مكرور ، وان الانسان يظل مدفوعا مع تيار الحياة ، يخطئ ، ويذنب ، ويظفي ويسرف والصحة موفورة ، والظروف مواتية ، ولا يتذكر ابان قوته ان هناك ضعفا وان هناك عجزا ، وساعات الرخاء تنسسى ، والاحساس بالفنى يظنى ، ثم يمسه الضر فاذا هو جزوع هلوع ، واذا هو كثير الدعاء عريض الرجاء ، ضيق بالشدة مستعجل للرخاء ، فاذا استجيب الدعاء وكشف الضر انطلق لا يعقب ولا يفكر ولا يتدبر .

وبمثل هذه الطبيعة ، طبيعة التذكر فقط عند الضر ، حتى اذا ارتفع عنه اندفع مع تيار الحياة دون كايح ولا زاجر .. وبمثل هذه الطبيعة استمر المسرفون في اسرافهم ، لا يحسون ما فيه من تجاوز الحدود ^(١) . قال تعالى : ((واذا مسس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره كذالك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)) ^(٢) .

فالوقوع في الضر يكشف الحقيقة الكامنة في نفس الانسان من الجأر الى الله ، والالتجاء الصادق بالخالق المعبود ، اذ تتعري النفوس من القوة الخادعة التي كان متلبسا بها ، وتتجرد من القوى الوهمية التي تحجب حقيقة الفطرة في ساعات الطمأنينة والرضا ، فاذا سقطت هذه الأعظية والحوائل استقامت الى ربها ، واتجهت الى بارئها ، ونفت عنه كل شريك .

معنى الآية الثانية :

وفي الآية الثانية يعرض الله سبحانه صفحة اخرى من صفحات النفس البشرية في حالة الفرح بالرحمة ، فرح المغرور واللامبالاة ، ثم القنوط عند الشدة واليأس من رحمة الله . قال تعالى : ((واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها ...)) . وهي كذالك صورة للنفس التي لا ترتبط بخط ثابت تقيس اليه امرها في جميع

(١) في ظلال القرآن ١٧٦٨/٣ .

(٢) سورة يونس ١٢ .

الأحوال ، وميزان دقيق لا يضطرب مع التقلبات .

والناس هنا مقصود بهم أولئك الذين لا يرتبطون بذلك الخط ولا يزنون بهذا الميزان ، فهم يفرحون بالرحمة فرح البطر الذي ينسيهم ممدرها وحكمتها فيطيطرون بها ، ويستغرقون فيها ولا يشكرون المنعم ، ولا يستيقظون الى ما في النعمة من امتحان وابتلاء ، حتى اذا شاءت ارادة الله ان تأخذهم بعملهم فتذيقهم حالة سيئة عموا كذلك عن حكمة الله في الابتلاء بالشدة ، وفقدوا كل رجاء في أن يكشف الله عنهم الغمة ، وقنطوا من رحمته ويئسوا من فرجه ، وذلك شأن القلوب المنقطعة عن الله التي لا تدرك سننه ولا تعرف حكمته ، أولئك الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم في غفلة عن الآخرة . (١)

وفي الآية انكار على الانسان من حيث هو ، الا من عصمه الله ووقفه ، ، لأنه اذا اصابته نعمة بطر في نفسه وفخر على غيره ، واذا اصابه شدة قنط وأيس ان يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . (٢)

وفي تحدث الله تعالى في الآية عن نفسية الانسان وتقلب احواله لفت النظر الى الاعتبار والاتعاط ، حتى لا يأخذه الغرور اذا ساق الله اليه مزيدا من النعم والاحسان ، لان حاله لا تستقر على حالة واحدة ، فالدنيا وما فيها الى الزوال صائر ، وكذلك لم يقتله الجزع ولم يخنقه اليأس والقنوط لانه يعلم بايمانه بالله ان تلك الأحوال لن تدوم ، وان مع العسر يسرا ، وان للضيق فرجا ، وهذا ما ينبغي ان يكون عليه المسلم .

(١) في ظلال القرآن ٢٧٢١/٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣ .

النفس في القرآن

ان كلمة النفس من الكلمات التي اخذت حيزا كبيرا من الاهتمام القرآني ودلت على اهميتها واهمية دراستها وأثرها وتأثيرها بالاضافة الى المضامين النفسية التي تبين ما في هذه النفوس من تناقضات مختلفة حسب الانفس المختلفة .

فقد وردت كلمة (نفس) مائة واربعين مرة .

وكلمة (نفوس) مرتين .

وكلمة (انفس) مائة واربع وخمسين مرة .

وبالجمع يتبين لنا ان النفس ومشتقاتها تكررت نحو من ثلثمائة مرة فسي القرآن الكريم .

واما المضامين النفسية فقد وردت في آيات كثيرة وذكرت فيها كثيرا مسن الصفات النفسية كالانفعالات المختلفة كالخوف والفرح والكره والحسد والندم والتفكير والتعلم والترغيب والترهيب الخ .

فان دل هذا على شيء فانما يدل على اهمية النفس عند الله تعالى حتى انه اقسم بها ، وجعل قسمه بها معادلا لقسمه بالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض . قال تعالى : ((والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلبها ، والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بنها ، والأرض وما طحاها ، ونفس ما سواها فالحمها فجورها وتقواها))^(١) .

ويقول صاحب اضواء البيان : " ففي هذه الآيات اقسم الله سبحانه بسبع آيات كونية هي الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض ، والنفس البشرية مع حالة لكل مقسم به ، وذلك على شيء واحد، هو فلاح من زكى تلك النفس وخيبة من دساها ومع كل آية جاء القسم بها توجيهها الى اثرها العظيم المشاهد الملموس الدال على القدرة الباهرة "^(٢)

(١) سورة الشمس آية ١ - ٨ .

(٢) اضواء البيان ٢٣٧/٩ .

النفس والروح والجسد

ولكن ما علاقة النفس بالروح وبالجسد .

وهل النفس الانسانية هي ذلك الكل المركب من الجسد والروح والذي نطلق عليه اسم (الذات) ، والنفس بهذا تحمل سمات كل من الجسم والروح ، لأن صفات الجسم وخصائصه الاساسية تشكل جزءاً من سلوك الانسان الفرد .

وقد اختلف العلماء اختلافاً بينا في ذلك .

ويقرر شيخ الاسلام ابن تيمية بأن النفس هي الروح ، وهو الذي يتبعه البصر اذا قبض ، لما ورد في الحديث (ان الروح اذا قبض تبعه البصر)^(١) فقد سمي المقبوض وقت الموت ووقت النوم روحاً ونفساً ، وسمى المعرّوج به الى السماء روحاً ونفساً ، لكن يسمى نفساً باعتبار تدبيره للبدن ، ويسمى روحاً باعتبار لطفه .^(٢)

فشيخ الاسلام لم يفرق بينهما وجعلهما اسماً لشيء واحد .

ولكن تلميذه ابن القيم يقول " واما كلمة الروح فلا تطلق على البـدـن لا بانفراده ولا مع النفس "^(٣)

لذا فهو يعرف الروح بانه : " هو ما يحصل الحياة بها ، وهو من أمر الله اخفى حقيقتها وعلمها على الخلق " .

كما يقرر ابن القيم بأن النفس هو كامل خلقة الانسان المكونة من الجسم والروح والنفس ويقول : " والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء ، معجسون فيها ولا عدو اعدى لابن آدم من نفسه "^(٤)

(١) انظر ابن ماجة في الجنايز ص ١٠٦ .

(٢) مجموع الفتاوي ٢٠٩/٩ .

(٣) الروح لابن القيم ص ٣٢٥ .

(٤) المرجع السابق

وقال صاحب اضواء البيان : " قالوا : والنفس تحمل كامل خلقته الانسان بجسمه وروحه وقواه الانسانية من تفكير وسلوك ، وقبول ورفض ، ورضى وسخط والاخذ والمنع ، فانها عالم مستقل " (١)

فقد وردت النفس على صورة متعددة فردية وجمعية ، وهي تدل اكثر ما تدل على الانسان ككائن حي ، ذي اصل واحد ، يتكاثر ويكسب ويشعر ، وينفعل أو للدلالة على طوية الانسان وجوهه . قال تعالى : ((ربكم اعلم بما في نفوسكم)) (٢) ، وقوله : ((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)) (٣) ، فالنفس في القرآن اذن تدل على ذات الانسان بمجموعها من النشاط الحيوي والدوافع ونحوهما ، فهي لفظ عام يشمل الانسان كله ، قابل للتقلب من حال الى حال بموجب المؤثرات الخارجية عامة ، وعليه فقد اختلفت الانفس في طبائعها الى نفس امارة ، ونفس لوامة ، ونفس مطمئنة ، وتجمعها كلها لفظ الانسان المكلف المسئول .

#####

النفس واحدة

ولكن هل النفس واحدة ام ثلاث ، وفي ذلك يقول ابن القيم :
" وقع في كلام كثير من الناس ان النفس ثلاث : مطمئنة ، لوامة ، امارة ،

ويحتجون بقوله تعالى : ((ياأيتها النفس المطمئنة)) (٤) وقوله : ((ولا أقسم بالنفس اللوامة)) (٥) . وقوله : ((ان النفس لأمارة بالسوء)) (٥) والتحقيق انها نفس واحدة ، ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة " (٦)

-
- (١) اضواء البيان ٢٤٣/٩ .
(٢) الاسراء ٢٥ .
(٣) البعد ١١ .
(٤) الفجر ٢٧ .
(٥) القيامة ٢ .
(٦) يوسف ٥٣ .
(٧) الروح لابن القيم ص ٣٢٨

فأنواع النفس بحسب صفاتها ثلاثة هي :

أولا : النفس اللوامية :

وهي التي تذب وتذب ، فعنها خير وشر ، ولكنها اذا فعلت الشر تابست وانابت ، فتسمى لوامية ، لأنها تلوم صاحبها على الذنوب ، ولأنها تتلوم أي تتردد بين الخير والشر . (١)

وقد فسرت كلمة اللوامية بأنها من التلوم أي التردد ، وذلك لأن النفس كثيرة التردد وكثيرة التقلب والتلون ، وهي من اعظم آيات الله ، فانها مخلوق مــــن مخلوقات تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمــــر الوانا متلونة ، فتذكر وتغفل ، وتقبل وتعرض ، وتلطف وتكشف وتنيب وتجفو وتحب وتبغض ، وتحزن وتفرح ، وترضى وتغضب ، وتطيع وتنقي وتفجر ، الى اصناف ذلك من حالاتها وتلونها .. لذا فان النفس موصوفة بهذا كله وباعتباره سميت لوامية . (٢)

وقال الفراء في هذه الآية : " ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهي تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا قالت : هلا ازددت ، وان كانت عملت سوءا ، قالت : ليتني لم أفعل " .

وقول الفراء هذا مخالف لقول الحسن : " هي والله نفس المؤمن لا يرى المؤمن الا يلوم نفسه : ما اردت بكذا ، ما اردت بكذا ، والفاجر لا يعاتب نفسه " (٣) والحقيقة ان النفس اللوامية غير مختصة بنفس فاجرة أو مؤمنة لأن الله تعالى الهم الانفس فجورها وتقوها ولا توجد نفس الا وهي تندم وتتلموم كما يقول الفراء رحمه الله .

ثانيا : النفس الأمارة بالسوء :

والتي يغلب عليها اتباع هواها بفعل الذنوب والمعاصي . والنفس الأمارة مذمومة وهي التي تأمر بكل سوء ، وهذا من طبيعتها ، الا ما وفقها الله ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه خطبة الحاجة : " ان الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور انفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، واشهد ان لا اله الا الله .. " (٤)

(١) مجموع الفتاوى ٢٩٤/٩ . (٢) الروح ص ٣٢٦ .

(٣) تفسير القرطبي ٦٨٨٤/١٠ ، وفتح القدير ٣٢٥/٥ .

(٤) سنن أبي داود في النكاح ٢٣٩/٢ .

فالشر كامن في النفس ، وهو يوجب سيئات الأعمال ، فان خلى الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها ، وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وان وفقه الله وأعانته نجاه من ذلك كله فنسأل الله العظيم ان يعيذنا من شرور انفسنا . (١)

ثالثا : النفس المطمئنة :

وهي التي تحب الخير والحسنات وتريده ، وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك ، وقد صار لها خلقا وعادة وملكة ، فهذه صفات واحوال لذات واحدة ، والا فالنفس هي واحدة ، وهذا امر يجده الانسان من نفسه . (٢)

فهذه النفس في تسويتها لتلقى معاني الخير والشر ، واستقبال الالهـام الالهي للفجور والتقوى اعظم دلالة على القدرة من تلك الجمادات التي لا تبسدى ولا تعيد ولا تملك سلبا ولا ايجابا . (٣)

منهج القرآن في معاملة النفس :

ان الله سبحانه خالق هذا الوجود ، وهو المبدع للمخلوقات على الصورة التي اقتضتها حكمته ، فخلق الانسان في احسن تقويم واجمل منظر واحسن هيئة ، ووضع في جوارحه الطبيعة البشرية المركبة من النقص دائما ، فهذا التركيب الفريد في نفس الانسان وجوارحه هو اعلم به ان خيرا أو شرا ، لا تخفى عليه خافية ولا تختلف عليه اللسن ووساوس الصدر . قال تعالى : ((وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور)) (٤) . قال تعالى : ((ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد)) (٥) .

(١) الروح ص ٣٢٨ .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٩٤/٩ .

(٣) اضواء البيان ٢٤٣/٩ .

(٤) سورة الملك ١٣ .

(٥) سورة ق ١٦ .

فهذا الكائن الحي خلقه الله مزدوج الطبيعة مزدوج الاستعداد مزدوج الاتجاه .
 أي انه بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه ، ————— مزدوج
 باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال ، فهو قادر على التمييز بين
 ما هو خير وما هو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه الى الخير والى الشر سواء
 وان هذه القدرة كاملة في كيانه ، يعبر عنها بلالهام تارة ، وبالهداية تارة اخرى ،
 قال تعالى : ((فألهمها فجورها وتقواها)) (١) . وقال : ((وهدينه النجدين)) (٢) .

فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد .. والرسالات والتوجيهات والعوامل
 الخارجية انما توظف هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك ولكنها
 لا تخلقها خلقا ، لأنها مخلوقة فطرة وكائنة طبعاً ، وكامنة الهاما . (٣)

وإذا كان علم النفس يقرر وجود هذه القدرة الجزئية في نفس الانسان حسب
 اختلافه من فرد الى آخر ، كما يقرر بان الاتجاهات المختلفة لسلوك الانسان تتفرع
 منه فانه دعا المسلم في نفس الوقت لأن ينفذ الى اعماق نفسه ويروضها ، ويجعل
 غاية هذا المركز النفسي هو ارضاء الله تعالى واعلاء كلمته بتوجيهها وترويضها
 الى ما اراده الاسلام، وترويض العمل ليكون سلوكه منبعثاً عن الايمان ، وترويض العمل
 ليكون سلوكه منبعثاً عن الايمان ، وترويضه مجتمعه ليتطهر مما لا يرضى الله من
 ظلم وفساد وتحلل .

فنظرة الاسلام الى الانسان نظرة شاملة واعية ، تعرف تكوينه وتحدد مفهومه
 ومقوماته ، نظر الى الانسان بجوهره الكامل في اعماقه من حيث هو انسان ، وخطابه
 بكل الوسائل النفسية وغير النفسية ليصل الى عقله وقلبه ، والى اعماقه .

لقد فهم القرآن النفس البشرية فهما دقيقا ، وعاملها معاملة خاصة يهدف من
 وراثتها الى اعداد الانسان الصالح .. المسلم المثالي .. لكي يصل الى هذا الهدف
 الواضح السمات .

(١) سورة الشمس ٨ .

(٢) سورة البلد ١٠ .

(٣) في ظلال القرآن ٦/٣٩١٧ .

وأمسك بزمام النفس البشرية ، فهو تارة يعدها ويمنيها .. واخرى يخوفها ويرهبها ، يفرس فيها البذور الصالحة التي يقصد الى غرسها في قرارة النفس ، ويرد الناس الى خالقهم ، ويملمهم به مباشرة . قال تعالى : ((ولقد خلقنا الانسان

ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد))^(١) . وقال تعالى :

((ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)) سورة الرعد^(٢)
 قدلت آية التغيير على أن الله لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغيير .

أي أن الله لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية ، فيزيلها عنهم ويذهبها ، حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضا ، واعتداء بعضهم على بعض ، وارتكابهم للشورور والموبقات التي تقوض نظم المجتمع وتفتك بالامم .^(٣) وفي هذا اشارة الى أن ما عليه النفس من الكفر أو الايمان ، ومن المعصية أو الطاعة قابل للتغيير .

فالقوم الذين كانوا على الايمان والطاعة لا يغير الله ما بواقعهم حتى يغيروا ما بأنفسهم الى كفر أو معصية ، وكذلك القوم الذين كانوا على الكفر والمعصية لا يغير الله ما بهم من المذلة والهوان حتى يغيروا ما بأنفسهم الى الايمان والطاعة .

فالنفس اذن قابلة للتغيير سلبا وايجابا ، فهي قابلة للتزكية ، كما أنها قابلة للتدسية ، فالتزكية هي حمل النفس على التوحيد وسلوك العمل الصالح بدلالة الانبياء عليهم السلام . قال تعالى : ((كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ، يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون))^(٤) .

مؤثرات النفس :

ان السلوك الانساني الذي يدرسه علم النفس المعاصر تابع من نفس الانسان المقصود بالدراسة .

-
- (١) سورة ق ١٦ .
 (٢) القرطبي ٢٥٢٣/٥ .
 (٣) تفسير المراغي ٧٨/٥ .
 (٤) البقرة ١٥١ .

فالنفس الانسانية مجموعة عوامل اجتمعت وتكونت خلال مرحلة العمر الماضية
بالاضافة الى التأثير البيئي والاجتماعي والعوامل الوراثية والتربية المنزلية .

فبالاضافة الى الاثر الوراثي لدى الانسان والذي يتوارثه ابا عن جد من الصفات
الظاهرة أو الباطنة مثل الطول والقصر واللون وغير ذلك من الصفات النفسية أيضا .
فهناك عوامل خارجية يتعرض لها الفرد بعد ولادته ويكون لها دور كبير
في تشكيل سلوكه .

كما أن المؤثرات الجغرافية لها دور فعال في سلوك الأفراد من حيث الموقع
والتضاريس كالساحل والسهول والجبال والمناخ من الحرارة والبرودة والجليد ووجود
ثروات طبيعية ونحوها ووجود انهار ، فكلها تؤثر في نشاط الانسان وتشكيله وبناء
شخصيته .

أما المؤثرات التاريخية فلها دور كبير في السلوك الفردي بما امتاز به
التاريخ الاسلامي من الشخصيات المثالية النادرة اول هذه الشخصيات شخصية الرسول
صلى الله عليه وسلم وحياته العامة والخاصة وكذلك حياة صحابته الكرام والبطولة
التي تعطي للفرد الروح المعنوية العالية .

فالمدونات التاريخية لكل امة تمثل النزعة السائدة لها بل تؤثر تأثيـرا
مباشرا في تكوين الأجيال المتلاحقة ، فعدم الرحمة والشفقة والاهتمام بالمادية البحتة
تورثها المجتمعات المادية لمن تليها ، وكذلك النزعات اللاأخلاقية أيضا .

حرص الاسلام على مجاهدة النفس :

ان النفس الانسانية معرضة لنواقض كثيرة **تَمَقُّض** طبيعتها ، وتسود
صفحتها ، وهذه النواقض كثيرة جدا .

منها : البيئة الاجتماعية واثرها في اجبار الفرد على اعتناق افكار محددة
وعدم الاعلان عن افكاره وهذا ما نسميه بالضغط الاجتماعي " والعادات والتقاليد
السائدة " .

ومنها التربية المنزلية واثـر الوالدين في ترسيخ افكارهما وما يعتنقانه من مبادئ غير سليمة ، وهي التربية الاولى .

ومنها السلطة الحاكمة وسيطرتها على نشر افكار أو ايدولوجيات معينة ومعاقبة كل من خرج عنها كالبلاد الشيوعية في هذا العصر .

ومنها : ضُغط الحاجة من فقر وعوز مع كثرة عيال فتجبر الانسان على اظهار اشياء تخالف الحق الذي يعتنقه .

ولا شك أن هذه الأمور انما تكمن في النفس وتصدر عنها . لذا وصم اللسه النفس بانها امارة بالسوء . قال تعالى : ((ان النفس لامارة بالسوء))^(١) ، والنفس الامارة بالسوء تدعو الانسان على عدم اطاعة اوامر الله فترزح موارد الهلاك .

فلا بد من بذل الجهد في سبيل سوقها الى ما يرضي الله سبحانه . قال تعالى : ((واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنا الجنة هي المأوى))^(٢) . وقال : ((قد افلح من زكها ، وقد خاب من دساها))^(٣) .

ثم تقوية الارادة لدى الانسان على مصارعة نزوات النفس عند ثورانها وفورانها حتى لا تخرج الى ما يهلكها وتحتاج في هذه الحالة الى ترويض لجماعها وكسـر لسطوتها وجبروتها . قال تعالى : ((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس))^(٤) . وقال صلى الله عليه وسلم : (ليس الشديد بالصرعة ، وانما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٥) .

ثم بث الثقة في النفس بالايحاء برفع المعنوية النفسية واثارة الاحساس بالوسطية والأفضلية في الدين والعقيدة وان الإصلاح والانقاذ للناس واخراجهم من الظلمات الى النور من مسئولياتهم . قال تعالى : _____ :

-
- (١) سورة يوسف ٥٣ .
 (٢) سورة النازعات ٤٠ - ٤١ .
 (٣) سورة الشمس ٩ - ١٠ .
 (٤) آل عمران ١٣٤ .
 (٥) صحيح البخارى ٢٢٦٧/٥

((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)) (١)

فالامة التي كانت مغمورة في جزيرتها ، غير مرفهة في معيشتها وغير راقية فسي حياتها وعمرانها وحضارتها ، كان الفرد منهم لا يسعه من حياته الا ان يغير على جيرانه فيتفاخر أو يقتل من القبيلة الاخرى فيعتز . ولكن الاسلام بما فيه من الايحاء بالعزة والكرامة والانفة وعدم الاحساس بالدونية والصبر والتحمل مازال يفرس فيهم هذه المعنويات حتى وصلوا الى القمم والدرجات العليا في الصفات التي كانت الحكماء ينشدونها فلا يجدونها .

#####

علاقة الدعوة بعلم النفس

لا شك أن هدف الدعوة هو الوصول بالدعوة الى الايمان بها ايماناً لا يقف عند حد التصديق والاعتناق العقلي بما تعرضه من افكار ، بل يتعدى ذلك الى اطمئنانه النفسي الذي يحمله على العمل بمقتضى هذا الايمان وتقويم سلوكه في الحياة وفق ما يمليه عليه ايمانه من قيم ومثل ، و ان خالف مقتضى الاهواء والشهوات والتقاليد والعبادات .

ومعرفة النفس البشرية ضرورة لازمة لاية دعوة تخاطب هذه النفس ، ولأي منهج يهدف الى تربيتها ، اذ ان منهج القرآن في دعوة هذه النفس منهج العليم باسرارها الخبير بما يفسدها أو يزكيها ، المطلع على مواطن القوة والضعف فيها . (٢)

ولو تأملنا في اهداف علم النفس لوجدنا انها تهدف الى فهم الظاهرة السلوكية ، وفهم الظاهرة معناها اننا نجد علاقة تربط بينها وبين الظواهر الاخرى ، وهذا الفهم يساعدنا على فهم انفسنا فهما حقيقيا من جهة ، وفهم من نتعامل معهم من جهة اخرى ، وذلك من خلال الوقوف على الدوافع الحقيقية التي تحسرك

(١) آل عمران ١١٠ .

(٢) منهج القرآن في التربية لمحمد شديد ص ٦٦ .

سلوكنا وسلوك غيرنا من الناس .

فالفهم اذن يتم بعملية الربط ، وادراك العلاقات بين الظاهرة موضوع التفسير وبين الاحداث التي تلازمها أو تسبقها .^(١)

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه " البيان القرآني " :
 " اذا كان القرآن الكريم قد أوتى الاقناع المنطقي الملزم ، فانه لا ينتج بحديثه الى الفكر وحده فيلزمه الحجة مكثفيا به عن سواه ، اذ ان فاطر السموات والأرض يعلم ان المعرفة العلمية وحده لا تكفي في الانجذاب والتأثير ، فلا بد معها من غزو لمناطق الشعور وبعث لكوامن العواطف ، حتى يتهيأ السامع اذا سمع ، والقارئ اذا تلا الى انجذاب نفسي يدفعه الى اشرف المبادئ واحكم المثل ولو كانت المعرفة وحدها كافية للهداية لكانت كتب العلوم الارضية المخلمة دليل المهتدي ، اذا قرئت ~~قرئت~~ ودرست ، ولكنك تشاهد الناس يقرؤونها مقتنعين ، ثم يحيدون عن اكثر ما تهدي اليه ، اذ ان العلم شيء ، والسلوك الانساني شيء آخر ، لذلك اتجه القرآن الى التأثير الوجداني بعد الحجة المقدمة ، ليغزوا مناطق الشعور الانساني بتصويره ، كما غزا مناطق التفكير العقلي بحجته ، فجاء التصوير البياني في القرآن الكريم آية الآيات في الروعة والاعجاز " .^(٢)

فاقرب مثال لما نهدف اليه من اثر هذا العلم في الدعوة الى الله تعالى هو استخدامه في دراسة النفوس والتخطيط للدعوة وخاصة في البلاد التي لم تتعرف بعد على محاسن الاسلام ، لأنه هو العلم الذي يدرك سلوك الكائن الحي وما وراءه من عمليات عقلية ، وكذلك دوافعه وآثاره دراسة علمية يمكن على اساسها ضبط السلوك والتخطيط له .

فدخول الافكار الغربية والافكار الالحادية ، ومحاربة الدين في بعض البلاد في العالم الاسلامي لم تأت نتيجة غزو عسكري ، وانما جاءت نتيجة دراسات نفسية

(١) علم النفس المعاصر في ضوء الاسلام ص ٥٣ .

(٢) اسلوب الدعوة القرآنية ص ٣٠ .

وتحليل للأفكار والميول والرغبات ، ثم التدرج بموجب هذه الدراسات الى بث السموم قطرة قطرة من حيث لا يشعرون .

فالغارة الثقافية على العالم الاسلامي تركض ركضا شديدا وتدخل البلاد الاسلامية بدون اذن أو رقيب بما استحدثت من وسائل تقنية حديثة .

فاذا كان الغزو العسكري يستوجب المبادرة من المسلمين لحماية ديار الاسلام ، فان الغزو الثقافي يستوجب على الدعاة أن يكونوا اولى الناس بحماية دار الاسلام من تأثيرات الثقافات الدخيلة على الاسلام .

فالدعاة عليهم واجب اسلامي في حماية بلادهم وواجب انساني لتبليغ الدعوة الاسلامية الى غيرهم من اصحاب الملل والنحل والديانات .

وكان بعض العلماء يقول : ان حل مشكلة تخلف المسلمين لن يتم الا اذا تمت السيطرة على سنن تغيير ما إلا نفس .^(١)

فالاسلام بما فيه من أوامر ونواهي ومدح لمحاسن الاخلاق الفاضلة ودم لمساوي الاخلاق السيئة ، كل هذا وذاك يؤثر في النفس البشرية فيهدبها ، ويظهر آثار ذلك في كل أفعاله واقواله وحركاته ، بل وفي كل سكناته ، فيضبطها وينظفها ليسير على منهج الخير العام ، وهذا اساس البناء النفسي للانسان فتتربي فيه الملكات الفاضلة وتطهر نفسه من الرذائل والاخلاق السيئة .^(٢)

فاذا كانت النفس الانسانية في هذه الخطورة لقابليتها لغرس الملاح أو غرس الفساد ، وقابليتها للتغيير حسنا وقبحا كما هو واقع في عالم اليوم من التخطيط لغرس الايدلوجيات المنحرفة من المادية الرأسمالية والشيوعية ، وحرصهم على افساد ابناء المسلمين بالدراسات النفسية التي يقومون بها ، فان الدعاة الى الله اولى أهل الأرض في تهذيب النفوس لعظم مسئوليتهم في هذا الكون في ايمان هذا الدين السى النفوس البشرية بعد دراسة هذه النفوس ، والتخطيط لكيفية الوصول اليها ، وكيفية

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم ص ٨٨ .

(٢) علم النفس المعاصر في ضوء الاسلام ص ٣٧ .

الاقناع ، بغرض الوصول الى الهدف المنشود التي تسعى اليها البشرية من السعادة الدائمة .

ويقول الشيخ الغزالي^(١) : " ونوصي الدعاة بدراسة هذا العلم ، لانه اهدى من الفلسفات القديمة في وصف الانسان وغرائزه وميوله ، وتحليل عواطفه واتجاهاته ، واحماء نشاطه العقلي ، وتتبع مظاهره من انتباه الى ذاكرة ، الى خيال . كما ان الفرع الاجتماعي منه يصف بعمق صلة المرء بغيره ، وما يسيطر على الجماعات من افكار ورغبات وما يلين قيادها او يعسره .

وقد امتدت بحوث علم النفس الى طوائف العمال ، والاطفال والمنظمات الانسانية المختلفة

ومن الضروري للداعية ان يتعرف على خصائصها ، وأن يجمع الوانا من الخبرات المحترمة في شئونها ، تعينه على اصابة الحق وهو يحدث الناس .

(١) مع الله للغزالي ص ٢٢٣ .

المبحث الثالث

لفت الأنظار الى المنن الكونية

ويشتمل هذا المبحث على :

خلق السموات والأرض ، خلق الجبال ، خلق البحار ، المطر ودورة المياه ،
الانبات والزرع والليل والنهار .

قال تعالى : ((اولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما
بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ، وإن كثيرا من الناس بلقاي ربهم لكفرون))^(١) .

قال تعالى : ((وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون))^(٢)

وقال تعالى : ((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم))^(٣)

وقال : ((ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله ، إن في
ذلك لآيات لقوم يسمعون))^(٤)

وقال تعالى : ((ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء
فيحي به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون))^(٥)

وقال : ((ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ، ولتجري
الفلك بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون))^(٦)

وقال : ((الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء
ويجعله كسفا فتري الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم
يستبشرون))^(٧) . ((فانظر الى آثر رحمة الله كيف يحي الارض بعد موتها ان ذلك
لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير))^(٨)

- | | |
|----------------------|---------------------|
| (١) سورة الروم (٨) . | (٢) سورة الروم ١٨ |
| (٣) سورة الروم ٢٢ | (٤) سورة الروم ٢٣ |
| (٥) سورة الروم ٢٤ | (٦) سورة الروم ٤٦ . |
| (٧) سورة الروم ٤٨ | (٨) سورة الروم ٥٠ . |

توطئة

اوجد الله سبحانه وتعالى الانسان على هذه الارض مخلوقا كاملا في مظهره كاملة اعضاءه وحواسه حتى يحس بما حوله ففتح عينيه على ظواهر ثابتة تسير على قواعد واسس لا تنخرم سيرتها ما بين ظاهرة ملموسة أو ظاهرة محسوسة أو ظاهرة مدركة بالعقل والفكر .

ولكنها في مجموعها تدل على موجد هذا الكون الرحيب للوصول الى قاعدة صلبة هي وحدانية الله سبحانه وتعالى ، وانه مصرف هذا الكون على هذا النظام الدقيق البديع ، وانه واحد لا شريك له في ملكه ، وهذا غاية خلق الانسان على ظهر هذه الأرض ، واليها تدعو التشريعات السماوية كلها ، ولكن الانسان جبل على فقد الاحساس بكثرة الامساس .

فاذا كان الوصول الى هذه الغاية من هذه الطرق التي دعا الله سبحانه وتعالى اليها الانسان فلاشك انها باب من ابواب الدعوة الى معرفة الخالق سبحانه وتعالى والطريق الموصلة الى الغاية التي تنشدها البشرية من السعادة الموصلة الى السعادة الأبدية .

اذن فالنظر في ملكوت الله سبحانه والتفكير فيه والتأمل في قوانينه ومعرفة اسرار خلق الانسان وسبر اغواره الخلقية ، والخلقية النفسية لمعرفة ثباتها وتقلباتها من الامور التي يبحث عنها العلماء على ضوء المصدرين الاساسيين (الكتاب والسنة) لانهما الاساسان الواضحان التي تعتمد عليهما كل الاساليب البليغة والطرق المؤثرة للدعوة الى الله سبحانه . وفي هذا المعنى يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى : " واذا تأملت ما دعى الله سبحانه في كتابه عباده الى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته واحسانه وبره ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه ، فبهذا تعرف الى عباده وندبهم الى التفكير في آياته " (١) .

(١) مفتاح دار السعادة ١/١٨٢ .

اذن فلا يشك انسان ان اعظم نعمة انعم الله بها على المسلم هو التفكير في اخراج الناس من الغي والانحراف والضلال الى نور المعرفة واليقين والسعادة الدائمة وهي الحكمة من التفكير في آيات الله الكونية كطريقة للوصول الى تعريف الله سبحانه للخلق والاقناع بوحدانيته في ملكوته .

ثم انه ينبغي ان نعلم ان اعظم الاديان السماوية في اثاره هذه الفكرة في النفوس هي الرسالة الخاتمة والآيات القرآنية والآحاديث الشريفة تدل دلالة واضحة عليه وتؤكد على الانسان الاهتمام به ، ولو تأملنا في الحضارات السابقة على حضارة الاسلام تأملا دقيقا لوجدنا " انه في حين كانت حضارة اليونان حضارة فلسفية ، كانت حضارة الرومان حضارة مادية تقوم على القوة العسكرية ، أو على النظم الشكلية بينما كانت الحضارة العربية اول حضارة تقوم على العلوم والحرية ، وهي التي أورثت الحضارة المعاصرة الكشوف العلمية والروح العلمي الذي استمرت به في كشف اسرار الطبيعة ، ولم تكذ تظهر رسالة الاسلام حتى تفردت العلوم الاسلامية بالوجود الانساني نحو من الف عام تهذيبه وتهديه " (١)

ولو تأملنا في آيات القرآن الكريم لوجدنا انه جعل الطبيعة الكونية مدارس للايمان بالله سبحانه ، فكلما ازداد الانسان من هذه المعارف ازداد يقينه وقويست معرفته بالله سبحانه ، ولا شك ان ذلك من انجح الوسائل في غرس الايمان وأقرب الطرق الى التعريف بعظمة الله سبحانه .

لذا فقد كان النظر في اسرار الكون واكتشاف حكمة الله عز وجل في تركيبه وابداعه في صنعه مما اهتم به العلماء المسلمون ، بل كان لهم سبق في ميادانه وكانت لهم اليد الطولى في اظهاره ، والفضل الجلي في نشره على سطح الكرة الأرضية ، مما كان لهم الفضل على العالم اجمع من جهة العلم والعرفان في مجالات العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية وعلوم الكيمياء ، والميكانيكا وعلوم موازنسة السوائل وتقدير الضغط الواقع على اوانبيها ، وعلوم الضوء والابصار .. الى غير ذلك

(١) ظلام من الغرب لمحمد الغزالي ص ٤٧ .

من العلوم الكونية الكثيرة . (١)

فاكتشاف الاسرار في هذا الكون الكبير مما يزيد الايمان رسوخا والعقل سعة
وادراكا وتفكيراً سديداً .

ولهذا امر الله سبحانه وتعالى الانسان بالتفكير في مخلوقاته الكثيرة جملة
صغيرها وكبيرها ذوات الارواح منها وغير ذوات الأرواح في هذا الكون الواسع العريض
قال تعالى : ((أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء
وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون)) (٢)

اذ لو نظروا في ملكوت السموات والأرض وما فيها من مظاهر القدرة والعلم
والحكمة لعلموا ان المستحق للعبادة هو خالق هذا الملكوت ، كما أنهم لو نظروا
فيما خلق الله من شيء من النملة الى النحلة ومن الحبة الى القبة لادركوا أن الله
هو الحق ، وان ما يدعون من دونه هو الباطل . (٣)

ويقول سيد قطب رحمه الله : " والنظر بالقلب المفتوح والعين المبصرة في
هذا الملكوت الواسع الهائل العظيم ، ويكفي وحده لانتفاض الفطرة من تحت الركام
وتفتح الكينونة البشرية لادراك الحق الكامن فيه ، والابداع الذي يشهد به ، والاعجاز
الذي يدل على الباري الواحد القدير .. والنظر الى ما خلق الله من شيء . وكم
في ملكوت السموات والأرض من شيء يدهش القلب ويحير الفكر ، ويلجئ العقل الى
البحث عن مصدر هذا كله ، وعن الارادة التي اوجدت هذا الخلق على هذا النظام
المقصود المشهود " (٤)

ان التوازن ملحوظ في ملكوت السموات والأرض جميعا ، لا في هذه الظاهرة
الحيوية وحدها ، انه ملحوظ في بناء الذرة كما هو ملحوظ في بناء المجرة ،
وملحوظ في التوازن بين الأحياء وبين الاشياء سواء .. ولو اختلف هذا التوازن شعرة

(١) الاسلام في عصر العلم لفريد وجدي ١٠٩/٢ .

(٢) سورة الاعراف ١٨٥ .

(٣) ايسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ١٠٦/٢ .

(٤) في ظلال القرآن ١٤٠٥/٣ .

ما ظل هذا الكون قائما لحظة ، فمن الذي يمسك بعجلة التوازن الكبرى في السموات والأرض جميعا . (١)

ولو تأملنا في معنى النظر لوجدنا ان النظر نوعان :

نظر بالبصر الظاهر ويشارك الانسان فيه غيره من الحيوانات ، وليس هو المقصود .

ونظر يتجاوز هذا الى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له ابواب السماء فيجول في اقطارها وملكوته . (٢) وهو المقصود .

فالنظر اذن ليس مجرد الرؤية بل هو تقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص والرؤية (٣) قال تعالى (اولم ينظروا في ملكوت السموات و الارض و ما خلق الله من شيء) (٤)

فآلية السابقة وما شابهها من الآيات فيه الحث والحض على تأمل حكمته في المخلوقات زيادة في اليقين وزيادة معرفة بالله سبحانه في دقة صنعه واحكام خلقه في مخلوقاته .

وعليه أقول : أن الدعاة الى الله سبحانه وتعالى هم اولى الناس واحقهم في ابراز هذا المجال اثباتا لوحداية الله عز وجل ، وافحاما للملحدين وابطالا للحجج الباطلة ، والاستفادة من معرفتهم بعلوم الكون في الاستدلال لنصرة الحق والفضيلة . فوجود شيء من هذه العلوم لدى الداعية تعينه بلا شك اكبر اعانة في الاقنـاع والتوجيه السليم .

فلو تأملنا بعض آيات هذه السورة الكريمة لوجدنا فيها نكاتا لطيفة لبعض المظاهر الكونية التي ان استطعنا دراستها اعطتنا مظاهر قيمة ذات اثر بالغ في نفس المدعو ، وهذا ما ينبغي ان يكون عليه الداعية الى الله ، فان الحكمة ضالته ، ودلالة الناس الى الطريق السوي غايته .

(١) في ظلال القرآن ٣/١٤٠٥ .

(٢) مفتاح دار السعادة ١/١٩٩ .

(٣) مفردات الراغب ص ٥١٨ .

(٤) الاعراف ١٨٥

فمن اكبر الظواهر المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون الكبير هي السموات والأرض وما بينهما من الظواهر الموجودة التي لا تخفى على أى انسان بما وهبه الله من الحواس التي يدرك بها هذه المحسوسات.

فمن المظاهر الكونية التي جعلها الله آية على وحدانيته وقدرته والتي دعت هذه السورة الكريمة الانسان الى النظر والتأمل فيها :

١ - خلق السموات ومن مظاهرها الافلاك .

٢ - خلق الارض ومن مظاهرها الجبال والاف الجوى والبحار

٣ - دورة الماء ومظاهرها البرق والرعد والصواعق

٤ - الليل والنهار والشمس والقمر .

٥ - النبات .

فكل هذه الظواهر من الظواهر الحسية التجريبيه التي يدركها الانسان بالحواس مع اعمال العقل .

ولهذا لا بد لنا أن نعرف المنهج الحسى و خصائصه و استعمالاته :

تعريف المنهج الحسى التجريبي :

هو المنهج الذى يعتمد على الاساليب المادية الحسية ويربط بينهما

ومين العقل كالمشاهدات والتجارب العقلية والتطبيقية وملاحظة

(١)

السنن الكونية والاختصاصات العلمية .

ومن خصائص هذا المنهج :

- ١ - سرعة التأثير وعمقه لاعتماده على الحسيات .
- ٢ - أنه يصلح مع كثير من الناس لاعتماده على الاشياء المحسوسة والمشاهدة .
- ٣ - أنه يحتاج الى خبرة واختصاص . لاسيما في المجالات العلمية .
- ٤ - انه يركز على الحواس .^(٢)

وحيث ان هذا المنهج يعتمد على المحسوسات والمشاهدات التي يشترك فيها كل الناس بمختلف طبقاتهم فقد اتسع مجاله على قدر اتساع العلوم والمشاهدة . وفي الباحث التالية أذكر : بعض هذه الأساليب في هذا المنهج . . .

(١) هذا تعريف الدكتور عبد الغفار عزيز .

(٢) ذكره في مناهج الدعوة واساليبها للدكتور محمد عبد الله البيانوني .

وقد لخس الشيخ عبد العظيم الزرقاني الحكمة من ذكر الكونيات في

القرآن في نقاط خمسة هي :

أولا : ان القرآن الكريم حين ذكر شيئا من الكونيات فانما اراد به الهداية ودلالة الخلق على الخالق .

ثانيا : ان القرآن دعا الى هذه العلوم في جملة ما دعا اليه من البحث والنظر والانتفاع بما في الكون من نعم وعبر . قال سبحانه : ((قل انظروا ماذا في السموات والأرض))^(١) .

ثالثا : ان القرآن حين عرض هذه الكونيات اشعرنا انها مربية له تعالى ومقهوره لمراده وردا لما خلق في ذهن الضالين الذين توهموها آلهة من دون الله .

رابعا : ان القرآن حين يعرض لآية كونية في معرض من معارض الهداية يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون الخبير بأسرار السموات والأرض، الذي لا تخفى عليه خافية في البر والبحر ولا في النجوم والكواكب ولا في السحاب والماء . . .

خامسا : ان اسلوب القرآن في التعبير عن آيات الله الكونية اسلوب بارع جمع بين الاجمال والبيان في نمط واحد بحيث يمر على سامعيه في كل جيل وقبيل^(٢) .

فالقرآن الكريم يجعل من الكون كله حقيقة واحدة طوى فيها خالقها دلائل وجوده وبراہين وحدانيته وآيات قدرته وعلمه وحكمته ووكل الى العقل البشري تكليفا وتشريفا الكشف عن هذه الدلائل والبراہين بما أودع فيه من قوة ادراكية عميقة ، وما امده من عون في مهتديه اليها .

(١) سورة يونس آية (١٠١) .

(٢) مناهل العرفان ٢/٢٥٠ - ٢٥٢ بتصرف .

خلق السموات والأرض وما بينهما

ان السموات والأرض عليهما تدور مدار الموجودات ، وما من شيء في هذا الكون نحس به وندرکه او لا نحس به الاتحت هذه السموات سواء كان نجما أو كوكبا او ريحا أو شهابا أو نيزكا او مذنبا او الشمس أو القمر .

وكذلك الأرض وما فيها من الظواهر الكونية الفريدة والتنظيم الدقيق السدال على القوانين الالهية التي لا تختل ولا تتبدل .

ولما كانت هذه الموجودات هي التي ينصب عليها التفكير والتدبر المؤديان الى معرفة الخالق جل وعلا فقد زخرت الآيات القرآنية بذكرهما والاشادة بعظمتهمما والامتنان على الخلق بدقة صنعهما واتقان نظامهما . وكان ذكرهما في القرآن الكريم مقترنأ أحيانا ومنفردة احيانا اخرى ، فقد ذكرت الأرض نحو ٣٦٥ مرة ، كما ذكرت السماء نحو ٣١٢ مرة وهذا الذكر دليل على أهمية التفكير فيهما والاستدلال بهما على وحدانية الله سبحانه وتعالى .

ولبيان أهمية اغراضها وأهدافها يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

" وهذا كثير في القرآن الكريم ، فالارض والبحار والهواء وكل ما تحت السموات بالاضافة الى السموات كقطرة في بحر ، ولهذا قل ان تجيء سورة في القرآن الا وفيها ذكرها : اما اخبارا عن عظمتها .

واما اقسامها بها .

واما دعاء الى النظر فيها .

واما ارشاد للعباد يستدلون بها على عظمة بانيتها ورافعها .

واما استدلالا منه سبحانه بخلقها على ما أخبرته من المعاد والقيامة .

واما استدلالا منه بروبوبيته لها على ما أخبر به من المعاد والقيامة

وانه الله الذي لا اله الا هو .

واما استدلالا منه بحسنها واستوائها والتنائم اجزائها وعدم الفطور فيها
على تمام حكمته وقدرته . (١)

فالتفكر في السموات والأرض واعمال العقل واستعمال المشاهدة المحسوسة اصل
علمي عظيم ، واصل قرآني ثابت فان الآيات التي تأمر بالمشاهدة واستعمال السمع
والبصر والعقل كثيرة في القرآن الكريم .

أ - ففي استعمال البصر مع العقل يقول تعالى :

((قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق)) (٢)

((أولم يروا الى الطير فوقهم صفت ويقبضن ما يمسكن الا الرحمن انه بكل
شيء بصير)) (٣)

((أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت)) (٤)

ب - وفي استعمال السمع والعقل . يقول تعالى :

((أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون
بها)) (٥)

ج - وفي استعمال السمع والبصر والعقل يقول :

((ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم
أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم
أضل أولئك هم الغفلون)) (٦)

((ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مستولا)) (٧)

(١) مفتاح دار السعادة ١٩٦/١ ، ١٩٧ .

(٢) سورة العنكبوت ٢٠ .

(٣) سورة تبارك ١٩ .

(٤) سورة الغاشية ١٧ .

(٥) سورة الحج ٤٦ .

(٦) سورة الأعراف ١٧٩ .

(٧) سورة الاسراء ٣٦ .

فهذه الآيات القرآنية تحض على استعمال العقل والسمع والبصر وما اليها من طرق المشاهدة الصحيحة بجميع اساليب الحس وعدم استعمال هذه المواهب فيمسا لا يرضي الله سبحانه وتعالى ، باتباع الخرص والظن والتخمين والوهم .
فلاحسان في استعمال هذه الحواس واستعمال العقل والفكر لا شك انها عبادة وطاعة لله عز وجل .

بالاضافة الى فوائد اخرى هي انماء العقل وتقويته عن طريق التجارب والمشاهدات قال تعالى : ((إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قيما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار))^(١) .

ويقول القرطبي : " عطف الله تعالى عبادة اخرى على عبادة ذكرها ، وهي الفكرة في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبير التي نبه به ليكون ذلك ازيد فسي بثمارهم .

#####

النظر في السماء

السماء في اللغة : اسم لكل ما علا وارتفع^(٢) والسماء كل شيء اعلاه . وارضه ما يقابله . قال الشاعر :

وأحمر كالديباج اما سماؤه ... فريا واما ارضه فمحمول^(٣)

فالسماء لغة هي كل ما يعلو غيره ، والارض هي كل ما يقع تحت غيره .
ويقول الامام الطبري : " وانما سميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلى سكانها ... وكل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء ، لذلك قيل لسقف

(١) سورة آل عمران ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) لسان العرب / فقه اللغة للثعالبي .

(٣) مفردات الراغب ص ٢٤٩ .

البيت سماؤه لانه فوقه مرتفع عليه " (١)

والمراد بالسماء في العلم الحديث هي الفضاء الكوني الذي تسبح فيه الاجرام السماوية ... وهو خضم لم يعرف له العلم حدودا .

ثم ان التفكير في السموات فيها ما يدرك وفيها ما لا يدرك الا بنص وهي :
أولا : السموات العلى وهي ما فوق السماء الأولى فهي بعيدة وخافية عن ادراك حواس البشر وقدرتهم الحسية والمعنوية . والله سبحانه وتعالى قد استأثر بعلم ذلك الا ما ادركه الانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام . فالواجب على المسلم عدم الخوض في علم تلك المنطقة الا على قدر ما وردت به النصوص الشرعية وظهر من المنطوق والمفهوم من الفاظها .

ثانيا : ما دون السموات العلى خاصا فيما نراه فوقنا ، بهذه المنطقة قد امرنا تعالى بالنظر اليها بالبصر والبصيرة ، والتفكر في آياتها البيّنات والازدياد من العلم بالحس والمعنى ، فهي مجال التفكير والاعتبار الى الابد .

ويقول الفلكيون بأن الاجرام السماوية تتكون مما يلي : (٢)

- (١) الشهب : وهي عبارة عن قطع من الصخر او الحديد أو النيكل تأتي من الفضاء الكوني متجهة نحو الأرض بسرعة تتراوح بين ١١ - ٥٠ كم في الثانية .
- (٢) النيازك : وهي قطع المادة المتساقطة على الارض بحيث لا تحترق كلها ، بل يسقط معظمها أو جزء منها على الارض ويظهر الجزء المحترق كانه ذنب من شرر ونار ونور خلفه .
- (٣) المذنبات : وهي اجرام تدور حول الشمس في مدارات بيضاوية .
- (٤) الكويكبات : كواكب صغيرة تدور حول الشمس في نفس الاتجاه الذي تسير فيه الكواكب السيارة .

(١) الطبري ٢٦/١ موضع الآية ٢٢ .

(٢) مبادئ الكونيات للامين محمد كعورة - ط الثالثة ١٩٢٩ عالم الكتب / بيروت ص ٦٨ - ٧٥ بتصريف .

(٥) التوابع والأقمار : وهي اجرام سماوية حجمها اقل من الكواكب وأكبر مسن الكويكبات تدور حول الكواكب السيارة دورات منتظمة متبعة قوانين الجاذبية مثل القمر حول الأرض ، والقمران حول المريخ ، واثنى عشر قمرا حول المشتري .

(٦) الكواكب وهي اجرام شبه كروية مختلفة الأحجام تدور حول الشمس في مدارات اهليلجية وهي عطارد والزهرة .

(٧) النجوم : وهي شبه كرات هائلة مكونة من مادة ملتهبة ومتوهجة مثل نجوم الشمس ونجم الشعرى ، ونجم الدبران .

(٨) المجرات : وهي مجموعة لا حصر لها من النجوم المختلفة الاشكال والاحجام وفي الكون ملايين المجرات المنتشرة في هذا الكون الفسيح .
ومجرة الطريق اللبني (أو سكة التبانة) هي اقرب مجرة اليينا وهي احدى ملايين المجرات المنتشرة في هذا الكون الفسيح ، والشمس هي احدى ملايين النجوم التي تتكون منها هذه المجرة .

ولكن هل ما ادركناه هو كل هذا الكون ؟ فهناك مجرات لم تمل اليه المراصد بعد ، فنحن في هذه الأرض جزء من مجرة واحدة هي سكة التبانة ، هذه السكة التي قطر قرصها ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية (١) . وهناك مجرات اخرى لم تكتشف الا في هذا العصر بقوة المراصد الكبيرة .

لذا فقد لوحظ ان المجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعة فائقة ، لذلك فالكون يتمدد بنفس السرعة التي تتباعد بها المجرات ، وكلما تباعدت المجرات زادت سرعتها ، ثم تدخل في الكون غير المرئي وتنقطع اخبارها عنا ، فالكون تتولد فيه مجرات جديدة من الغاز الكوني كما تولدت المجرات السابقة ، وهذا الغاز لا يفنى ولا تقل كمياته في الكون المرئي وهو دليل على ان مادته متجددة وفي خلق

(١) السنة الضوئية تساوي ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية . ويحتاج لاختراق هذا القرص سائرا على امتداد قطره ١٠٠ الف سنة ضوئية .
د . أحمد زكي ص ١٩٠ .

(١) مستمر فسبحانه الذي يقول في كتابه الكريم : ((فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون)) (٢) . وقال : ((والسماء بنيناها بأيد)) (٣) . وقال : ((ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين)) (٤) . وقال : ((ويخلق ما لا تعلمون)) (٥) .

اذن فالكون العظيم الذي نراه جزء صغير من الكون الذي لا نراه ولا نستطيع قوتنا المحدودة من ادراك ما في الكون كله .

ويقول انشائين وقد استشعر الرهبة العميقة امام الكون ودقة نظامه وترتيبته وتنسيقه البديع اعترافا بالخالق المدبر لهذا الكون اذ يقول : " ان اعظم وأجمل شعور يصدر عن النفس البشرية هو ما كان نتيجة التطلع والتفكر والتأمل في الكون وابعاده وخفائه وظلامه ، ان الذي لا يتحرك شعوره وتتموج عاطفته نتيجة هذا التأمل لهو حي كميته ، ان خفاء الكون وبعد اغواره وحالك ظلامه يخفي وراءه اشياء كثيرة منها الحكمة والجمال ، ولا تستطيع عقولنا القاصرة ان تدركها الا في صور بدائية أوليه ... تلك التي تترائى في التفاصيل الصغيرة القليلة التي تستطيع ادراكها عقولنا الضعيفة العاجزة ، وهو ايماني العاطفي بوجود قدرة عاقلة مهيمنة لهذا الكون المعجز للافهام " (٦) .

اجرام الفضاء مشدودة برياط الجاذبية :

قال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : ((و سخر لكم الشمس والقمر دائبين)) (٧) أي لا يفتران ولا يقفان الى يوم القيامة .

-
- (١) هكذا عرفت الله لمحمد احمد السباعي ص ٨٨ .
 (٢) سورة الحاقة ٢٨ - ٣٩ .
 (٣) سورة الذاريات ٤٧ .
 (٤) سورة المؤمنون ١٧ .
 (٥) سورة النحل ٨ .
 (٦) العلوم الطبيعية في القرآن ليوسف مروه ص ٢٣٥ ط اولى بيروت ١٣٨٧ .
 (٧) سورة ابراهيم ٢٢ .

ويقول : قدر الله ذلك ووقته على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس . (١)

فالشمس والقمر جرمان من اجرام الفضاء ، فهما وغيرهما من الأجرام مشدودة الى بعضها برباط الجاذبية بحيث لا يختل سيرهما ولا تتوقف حركتهما كما قال تعالى : ((لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون)) (٢)

فليس للشمس ولا للقمر ان ينفلت عن مداره ، أو ان يتيه في محيط الفضاء ، أو أن ينجذب الى جرم مثله ، فيقع التصادم ويكون الفناء .

ولو اختل حركتهما ، أو كانت لهما حركة مختلفة في كل لحظة وثانية لاختلت الحسابات ، ولتاهت العقول عن قاعدة للنظام الكوني ثابتة . قال تعالى : ((فالق الأصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)) (٣) ، ولهلك المسافرون في اسفارهم برا وبحرا تيهيا وضياعا . قال تعالى : ((وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)) (٤)

وفي تفسير المنار : ان الله سبحانه جعل الشمس والقمر حسبانا ، أي علمى حساب ، لأن طلوعهما وغروبهما ، وما يظهر من تحولاتهما واختلاف مظاهرها كسل ذلك بحساب ، أي باستعمال العدد في الأشياء والأوقات . وفضل الله تعالى في ذلك عظيم ، فان حاجة الناس الى معرفة حساب الأوقات لعباداتهم ومعاملاتهم وتواريخهم لا تخفى على احد/ في جملتهم .

فاختلاف الايام والفصول وتقدير السنين بهاتين الآيتين هو تقدير من الخالق على امره في تنظيم ملكه الذي وضع المقارير والانظمة الفلكية وغيرها بما اقتضاه واسع علمه . فهذا الابداع والنظام من آثار عزته وعلمه عز وجل . (٥)

(١) ابن كثير ٥٢٢/٣ .

(٢) سورة يس ٤٠ .

(٣) سورة الأنعام ٩٦ .

(٤) سورة الأنعام ٩٧ .

(٥) تفسير المنار ٦٣٧/٧ .

زرقة السماء :

حينما ننظر الى الاعلى نرى سماء زرقاء فيها من الجمال الذي يبهر الانسان ويريح بصره حتى انه لا يمل من النظر ، واذا نظر هذه النظرة ليلا كانت أعجيب وأحسن مما يطلق عليه الانسان من زينة الكوكب . ويقول الامام الغزالي عن السماء :
 " وجعل الله سبحانه لونها اشد الالوان موافقة للابصار وتقوية لها ، ولو كانت اشعة وانوارا لأضرت الناظر اليها ، فان النظر الى الخضرة والزرقة موافق للابصار ، وتجسد النفوس عند رؤية السماء في سعتها نعيما وراحة لاسيما اذا انفطرت نجومها وظهر نور قمرها .. وهي دلائل واضحة تدل على فاعلها ، وصنعة محكمة صمدية تدل على سعة علم بارئها ، وامور ترتبها تدل على ارادة منسبتها " (١)

ولكن ماهي هذه الزرقة التي نراها ؟ فرجال العلم الحديث يقررون بان الزرقة التي تبدو واضحة اثناء النهار لا تعدوا أن تكون احدي ظواهر الضوء التي تحدث في جو الأرض عندما تنتشت فيه اشعة الشمس وتتناثر كما تتناثر أمواج البحر الصغيرة على الصخور ، فحزمة الاشعاع الشمسي هي اغزر الطاقات التي ترسلها الشمس تبعا لطبيعة جوها ودرجة حرارة سطحها ، فانها بمجرد دخولها جو الأرض تنتشت في جميع أركانها وتغمره بكميات وفيرة من اللون الازرق بحيث يبدو الجو كقبة زرقاء من فوق رؤسنا . (٢)

وثبت في العلم الحديث ان من تجاوزتلك المنطقة الهوائية من جو الأرض يفقد تلك الزرقة . (٣)

الأرض مصدر الحياة :

اما الأرض فهي اصل وجودنا ، من ترابها ومائها خلقنا ، وعلى سطحها نشأنا

-
- (١) الحكمة في مخلوقات الله ص ١٥ - ١٦ . تحقيق د . محمد رشيد قباني . ط أولى ١٣٩٨ مطبعة فينوت - بيروت .
 (٢) الله والكون ص ٢٤٤ . د . محمد جمال الدين الفندي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٦ .
 (٣) الاجزاء الكونية بين العقل والنقل عبدالعزيز الخلف ص ٢٢٥ .

ومن نبتها ، واليهما مميّرتنا ، واليهما يعود مآلنا ترابا ثم نخرج منها تارة اخرى . قال تعالى : ((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى))^(١) . وقال تعالى : ((والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا))^(٢) .

خلقها الله تعالى لنا فراشا ومهادا ، وذلولاً للمشى في مناكبها وجعلها مستقرة ساكنة ، فبالرغم من عظمتها وكبر حجمها فانها ذلول أي لينة يسهل للانسان السلوك فيها ، والسير في مناكبها .
إنها مسخرة للانسان بكل ما عليها من مواد جامدة أو سائلة أو غازية أو نباتية أو حيوانية ، تخدم الانسان وتدله على عظمة هذا الكون وابداعه الدال على وحدانية الخالق جل وعلا .

وقد ورد ذكر الارض في القرآن الكريم أكثر من ٣٥٠ مرة دلالة على أهميتها وحضا على التفكير فيها ، وامتنانا على العباد بما أوجد فيها من نعم لا تعد ولا تحصى . فهي واسعة الأرجاء منبسطة الامتداد لا يكاد الانسان يدركها بعينه القاصرة ، ولكنها رغم ضخامتها فانها لا تساوي ذرة من هذا الكون العظيم الواسع .

فالأرض هي الكوكب الوحيد من أسرة الشمس الذي يوجد به نوع الحياة المعروفة ، والاسباب الأساسية لوجود هذا النوع من الحياة هي وجود الماء والحرارة المناسبة ، والغلاف الجوي الواقي الذي يحتوي على الاكسجين^(٣) .

فالانسان الذي سعد على سطح القمر كم كلف من مال وجهد وتفكير علماء ، الا انه لم يستطع ان يستقر عليها الا بضع ساعات فحكمة الله اقتضت ان يجعل هذه الأرض مهيأة للاستقرار وامكن فيها كل وسائل العيش والراحة . قال تعالى : ((الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ، ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العلمين))^(٤) .

(١) سورة طه ٥٥ .

(٢) سورة نوح ١٧ - ١٨ .

(٣) مبادئ الكونيات ص ٨٤ .

(٤) سورة غافر ٦٤ .

وأما محيط الأرض فيتكون من :

أ - الغلاف الجوي للأرض :

من اعظم فوائد الغلاف الجوي انه يحمي الكرة الارضية من احوال الفضاء ممثلة في الأشعة الكونية الفتاكة تارة ، ثم في الشهب والنيازك المدمرة تارة اخرى ، كما يحميها من درجات الحرارة المنخفضة التي يتميز بها الفضاء الكوني ، حيث تصل درجة الحرارة حدود ٢٧٠ ° تحت نقطة الجليد . ومن أخطر الأشعة التي يقينا شرها سقف الأرض الاشعة فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ، وهي اشعة محرقة لا يسمح غلاف الارض الجوي بأن يصل فيها الى سطح الأرض الا جزء صغير جدا يفيد في حمامات الشمس ويعالج كثيرا من الأمراض كالكساح ونحوها . (١)

ويتركب هذا الغلاف الجوي من خليط من الغازات التي لا طعم لها ولا لون ولا رائحة ، واهم هذه الغازات هي النيتروجين ويكون $\frac{4}{5}$ الهواء ، ويدخل في تركيب المواد الغذائية الضرورية لبناء أجسام الكائنات الحية ، ثم الاكسجين وهو عنصر الحياة الذي يدخل في كثير من المواد الغذائية في عملية الاحتراق التي تولد الطاقة .

وعند استنشاقه يجدد نقاء الدم في الكائنات الحية ويكسبها القدرة على العمل ، وعمليات الاحتراق يتولد منه ثاني اكسيد الكربون الذي يتكون في الجو فتمتصه النباتات ثم تعيده الى الجو اكسجيناً خالماً رحمة من الخالق سبحانه بعباده . (٢)

فكون هذه العناصر موزعة على وجه الأرض ، توزيعاً في غاية الدقة والانتقان يدل العالم به ان وراءه مديراً عالماً قديراً منزهاً عن الوهم والنقص ، ثم ان حجمها نفسه قد روعي فيه مقدار معلوم لا يمكن أن يزيد ذرة ولا أن ينقصها

(١) مجلة الوعي الاسلامي عدد ٩٥ ص ٢٠ سنة ١٣٩٢ مقال لمحمد جمال الدين الفندي

(٢) مبادئ الكونيات لكعورة ص ٨٢ ، الله والكون لمحمد جمال الدين الفندي

ويرافق الارض كوكب القمر ، له دورة محدودة تبتدي وتنتهي في ثماني عشرة سنة وثلاثة ارباع الساعة ، ولو كان حجم الأرض اكبر مما هو عليه أو أصغر ، أو كانت المسافة بينها وبين الشمس أبعد أو أقرب وكانت هذه الحالة بلا شك تؤثر تأثيرا بليغا في جميع انواع الحياة على وجه الأرض ومنها حياة الانسان . (١)

فلو كان حجم الأرض اقل منه حاليا بمعدل الربع مثلا لتغيرت جاذبيتها ونقصت الى سدس ما عليه الآن من قوة الجاذبية ، وبالتالي لانعدمت قدرتها على امسك هوائها بسبب تضاؤل جاذبيتها ، ولاصبح كل ما فوقها مجمدا بالليث . محترقا بالنهار . لان المنظم الاكبر لتوزيع درجات الحرارة فوق سطحها - وهو الهواء - يكون قد انفلت من غلافها الجوي المحيط بها (٢) .

قال تعالى الحكيم العليم : ((قل أأنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها ، وبرك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين)) (٣) . وقال تعالى: ((وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم)) (٤) .

فاذا كانت العناصر التي تتألف منها الأرض موزعة بمقادير دقيقة لا تزيد ذرة ولا تنقص ، فمن الذي قدرها قبل خلقها وعلم انها لا تصلح الا كذلك ؟ ثم خلقها وانشأها على وفق علمه وحفظ تلك المقادير محدودة بالحد الذي حده ، والنظام الذي

-
- (١) الطريق الى الله ، كريس موريسون ص ٢٥ . ترجمة د . تقي الدين الهلالي .
 (٢) المنهج الايماني للدراسات الكونية . د . عبدالعليم خضر ص ٣٩٥ .
 (٣) سورة فصلت ٩ .
 (٤) الحجر ٢١ .

ابدعه ، اليس هو الله رب العالمين ؟ وذلك لكي يدل خلقه على وحدانيته وربوبيته وتفردته في تدبير هذا الكون العظيم . قال تعالى : ((والأرض فرسها فنعم المهدون))^(١) وقال : ((والأرض بعد ذلك رُحها أخرج منها ماءها ومرعها . والجبال أرسها . متلعا لكم ولأنعمكم))^(٢) .

ومن مظاهر عظمة الأرض انها كانت جزءا واحدا مع السموات . قال تعالى : ((اولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما))^(٣) . أي كانتا متصلتين قطعة واحدة ، أي انهما من عنصر واحد .

قال البيضاوي : " كانتا رتقا أي ذات رتق أو مرتوقتين ، وهو الضم والالتحام ، أي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنوع والتمييز .^(٤) ويتبين من ذلك ان السموات والأرض كانت مجموعة واحدة متملة مرتبطتا ببعضها بعضا "

ومن ظواهر الأرض : الجبال .

الجبال من مظاهر عظمة هذه الأرض ودقة صنعها واحكام خلقها ، حيث يتضاءل الانسان امام سموها وتستكين نفسه امام عظمتها متجهة الى الله سبحانه والاعتراف بعظمته وربوبيته .

لفظ الجبال في القرآن :

ورد لفظ الجبال في القرآن الكريم اكثر من اربعين مرة ، تارة باللفظ الصريح مثل كلمة جبل وجبال ، وتارة بالمعنى الدال على لازمة من لوازمه وخصيصة من خصائصه مثل كلمة " رواسي " . وتارة بذكر اسمائها صريحة مثل (الصفا - المروة الطور - الجودي) وهو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح عليه السلام .

-
- (١) الذاريات ٤٨ .
 (٢) النازعات ٣٠ - ٣٣ .
 (٣) الانبياء ٣٠ .
 (٤) تفسير البيضاوي . موضع اية ٣٠ من سورة الانبياء .

من وظائف الجبال :^(١)

- أ - من الواضح ان كل ارتفاع في أرض يصاحبه ازدياد في برودة الجو فحين حمل الرياح للبخار ومرورها برؤس الجبال يتكاثف على سطحها الماء . بالتجمع تارة كامطار هائلة ، او التبريد تارة اخرى كثلوج تتجمع على رؤس الجبال ، وتكون في نمو مستمر ، فالثلج الذي يذوب من قاعدته ينمو من سطحه بما يحمله الهواء من بخار الماء . لذا كانت منابع الأنهار كلها من الجبال .
- ب - فكما تحتفظ الجبال بالثلوج على قممها فانها تحتفظ بالمياه في بطونها وتخرج منها أولا بأول فتكون منها عيون وانهار وبحار يرتوي بها العباد .
- ج - ومن فوائدها انها تحتزن تحتها المعادن الحاصلة من الأرض والجواهر المختلفة النفيسة من الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد .
- د - ومنها أنها تحصر مياه البحار في المناطق المنخفضة بحيث لا يطنى عليها مياه البحر في مواسم الاعاصير الشديدة .
- هـ - ومنها : انها تؤدي الى اختلاف المناخ وتقويمه مما يؤدي الى تنوع الغابات والحيوانات وتعديل الجو في المناطق الاستوائية الحارة .
- و - ومنها انها جعلت اعلاما يستدل بها المسافرون في البر والبحر .
- ز - ومنها ان الفئة القليلة الخائفة من عدوان من لا تطيقه تتخذ عليها ما يحمنهم ويؤمنهم ويمنعهم ممن يخافونه فتطمئن لذلك نفوسهم .
- قال تعالى : ((والله جعل لكم مما خلق ظللا ، وجعل لكم من الجبال اكنانا^(٢)))
أي مواضع تسكنون فيها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها .
- ومن وظيفة الجبال فيما نعلم .. انها تعمل كمصدات للرياح بما تحمل من مواد وأتربة ، وبالتالي فانها تحد من فعل عوامل تعرية سطح الأرض من المواد الناعمة .

(١) الحكمة من مخلوقات الله عز وجل لابي حامد الغزالي ص ٣٢ . احياء علوم

الدين ٨٨/٦ ، والاسلام في عصر العلم للغمراوي ص ٣٥٢ .

(٢) سورة النحل ٨١ .

ومنها : أنها تعمل على تنوع المناخ المحلي للاماكن التي تحتلها الجبال حيث انه من المعروف ان درجة الحرارة تنخفض كلما ارتفع سطح الأرض بمعدل ٦ الى ٦½ درجة مئوية لكل الف متر ، وبذلك نجد التدرج الحراري ، بالاضافة الى مياه الأمطار التي تسيل الى المناطق المجاورة للجبال من سفوح وأودية يؤدي الى توزيع مجال المطر. (١)

وبقي أن نتذكر أن الانسان مهما بلغ من القوة فانه لا يستطيع ان يبلغ قوة الجبال في صلابتها وعلوها ، ومع ذلك فان الانسان مقصر في الخشوع بعد أن خشعت الجبال وخضعت . فلو أنزل هذا القرآن على جبل لتصدع من خشية الله خوفا وفزعاً فما بال الانسان لا يتأثر امام آيات الله عز وجل .

قال تعالى : ((لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت حشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)) (٢) .

ومن ظواهر الارض : البحار

ومن مظاهر عظمة هذه الأرض هذه البحار الشاسعة الممتدة افقيا طول الأرض وعرضها ، والممتدة عمقا الى باطن الأرض ، ولا شك أن خلق هذه البحار انما هي لعظم نفعها في تنظيم هذا الكون وتسهيل الحياة عليها . وليس عبثا ان يغطي الماء أكثر سطح الأرض ، بل هو قصد وتقدير من الحكيم العليم ، فكما أن هذه المساحة العظيمة مقدره بقدر ، وكذلك فان قدر الماء على الأرض انما قدره الله بقدر معلوم لتكون مسخرة للانسان ولتعيش فيها المخلوقات من الأحياء ، ومعنى ذلك ان الذي جمعه الأرض من الماء لم يكن جزافا ، فتغطية نحو من ثلاثة أرباع الأرض والمقدرة بنحو ٧١٪ منها بالماء فيه تنظيم للغلاف الجوي وحفظ لدرجة حرارة الأرض بالتبخر الدائم (٣) . لأن التبادل الحراري بين الغلاف

(١) علوم الأرض في ظلال بعض الآيات القرآنية ص ٢١ . د . محمد احمد عبدالمطلب

(المؤتمر الدولي في الباكستان) .

(٢) سورة الحشر ٢١ .

(٣) الاسلام في عصر العلم للغمراوي ص ٣٥١ ، منار الاسلام من مقال الدكتور العبادي ،

عدد ٢ سنة ١٤٠٦ هـ .

المائي والغازي واهمها بخار الماء الذي هو من مكونات الغلاف الغازي المتغير النسبة ،
وأعظمها اثرا في نشاطه .

فالمحيطات اذن هي منظمة لدرجات الحرارة الرئيسية على سطح الأرض ، وهي
الوسيط الرئيسي والعامل الأساسي لتوزيع الحرارة التي يكتسبها سطح الأرض — من
الاشعاع الشمسي توزيعا عادلا على بقاع الأرض المختلفة .

وللماء خواص فريدة في نوعها تدل كلها على ان مبدع هذا الكون قد صممه
بما يحقق صالح مخلوقاته .

فالماء هو المادة الوحيدة المعروفة التي تقل كثافتها عندما تتجمد ، ولهذه
الخاصية اهميتها الكبيرة بالنسبة للحياة ، اذ بسببها يطفو الجليد على سطح
الماء عندما يشتد البرد ، بدلا من ان يغوص الى قاع المحيطات والبحيرات والأنهار
فيكون تدريجا كتلة صلبة لا سبيل الى اخراجها واذابتها ، والجليد الطافي على
السطح يكون طبقة عازلة تحفظ الماء الذي تحتها في درجة حرارة فوق درجة التجمد
لكي تبقى الاسماك وغيرها من الأحياء حية .

ثم ان اصل المياه العذبة هي البحار ، ولولا وجود هذه المحيطات والبحار
لخلت الأرض من المياه العذبة ، ولان هذه البحار تتبخر دائما وباستمرار لتحفظ
درجة حرارة الأرض ، وتحمل الرياح ذلك البخار فينزل مطرا باذن الله
تعالى .

فلا غرابة اذا قلنا ان هذه البحار بمثابة البنوك التي يحتفظ فيها
بارصدة عالية من الماء لناخذ منها وقت الحاجة لأنها من خزائن الله وفضله التي
لا تنفد .

الحكمة من ملوحتها :

ثم ان النظر اليسير الى ملوحة هذه البحار يدلنا على حكمة عالية ، فهذه
الخاصية هي التي حفظت الماء في البحار على مدى آلاف السنين ، وبدونها لأسن
الماء وفسد .

فنسبة الأملاح في البحار تقدر بين ٢٩ ، ٣٥ في الالف ، وهذه النسبة صالحة
 لحياة حيوانات البحر ونباتاته ، بعكس البحر الميت الذي تصل درجة الملوحة فيه
 الى ٢٧٥ في الالف مما أدى الى اختفاء جميع الكائنات الحية فيه .

وحتى تستمر هذه الأملاح دائمة قامت الأمواج بعمليات تقليب وتذويب الأملاح
 في المياه . (١)

وانه سبحانه جعل البحر المحيط بالأرض مالح الطعم مرا ، وفي هذا حكمة
 عظيمة لصحة الهواء ، اذ لو كان حلوا لانتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت
 فيه من الحيوانات فكان يؤدي الى تفاني بني آدم .

البحر اداة عقاب :

قال تعالى : ((وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا إياه . فلما
 نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا)) (٢) .

فسياق الآية تعرض مشهد الفلك في البحر نموذجا للحظات الشدة والحرَج
 لان الشعور بقدره الله في الخضم اقوى واشد حساسية حيث تضح الفلك عبارة عن
 نقطة من الخشب او المعدن تائهة في الخضم ، تتقاذفها الأمواج والتيارات ، والناس
 متشبثون بهذه النقطة على كف الرحمن . انه مشهد يحس به من كابده ، وثحس به
 القلوب الواجفة المتعلقة بكل هزه وبكل رجفة ، والتعبير يشعر الناس ان يد الله
 تزجى لهم الفلك في البحر ليبتغوا من فضله . (٣)

وهذه الآية مما يستدل بها على الرجوع الى الفطرة الصحيحة ، وقد استدل
 لكثير من الاصول بها ، كما يعلم ذلك من كلام الأئمة في مسائل شتى كمسألة
 وجود الخالق وعلوه والمعاد وغيرها ، فنيان حق الله تعالى والاسترسال فسي
 في المعاصي والشهوك وجحود فضل الله كقران وجحود . (٤)

(١) عاطف زهران ، مجلة منار الاسلام عدد ١٢ سنة ١٤٠٥ .

(٢) سورة الاسراء ٦٧ .

(٣) تفسير الآيات الكونية لعبدالله شحاته ص ١٥٤ .

(٤) تفسير العاسمي ٢٩٤٩ / ١٠ .

قال تعالى () و من آياته يريكم البرق خوفا و طمعا و ينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون () الروم ٢٤
 و قال () و من آياته ان يرسل الرياح مشرات و لذيذكم من رحمته و لتجرى الفلك بأمره و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون () الروم ٤٦

و قال () الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيسطه في السماء كيف يشاء و يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون () الروم ٤٨
 و من مظاهر التسخير ان هذا الماء جعله الله تعالى وسيلة لغايات كثيرة
 اخرى مثل الامطار وما ترتب عليها من الخيرات من احياء الموات وتقوية الاحياء ،
 والاندراج في تكوين الكائنات الحية . اذ اتضح ان الماء يكون من ٨٠% الى ٩٠%
 من وزنها، فهو لذلك عنصر اساسي في الكائن الحي . (٢)

دورة الماء :

وردت كلمة الماء في القرآن الكريم نحو من ثلاث وستين مرة ، كما وردت
 بألفاظ أخرى عبر عنها القرآن تارة بالغيث ، وتارة بالرزق وتارة بالرحمة وتارة
 بالبركات .

ولو تأملنا فيها لرأينا أن غالب ورودها انما تنحصر في الامتنان بهذه النعمة
 على الخلق لضرورتها لقيام الحياة والاحياء .

فالماء يعتبر من اهم عناصر الطبيعة الارضية ويرتبط به الحياة الانسانية
 والحياة الحيوانية والحياة النباتية .

فاذا ذكرت المياه ذكر الشجر والنبات معه ، فهما زينة الأرض وعنصر الحياة
 ووسيلة المعاش والمنفعة سواء الماديه منها أو المعنوية .

فالتمتع المادي بهما يقترن بالسرور والبهجة ، وهما من العناصر النفسانية

(١) الماء والحياة بين العلم والقرآن ص ٦٦ .

(٢) الله والعلم الحديث لنوفل ص ١١٤ .

التي تخالج الانسان اذا ما اكرم او من عليه بشيء فيه نفعه وخيره .
 وأما المنفعة المعنوية فانها تتمثل في الربط على القلوب وتثبيت الاقدام .
 وهما عنصران نفسيان لانهما يقترنان بالطمأنينة والثقة " النفسيتين " (١) .
 ثم ان اتمام الماء بالاحياء آية : فالأرض الميتة الهامدة ينزل عليها الماء
 بامر ربها ، فاذا بها تستجيب وتنبت من الاصناف ما يبهج النفوس .
 فان الحياة لا توجد في شيء ما الا اذا كان فيه نسبة معينة من الماء تختلف
 بحسب اجزاء الاجسام ، ولا يمكن ان توجد الحياة في شيء جاف مطلقا ، لأن الجفاف
 يوقف التغيرات الكيماوية التي هي شرط اساسي لتغيرات الجسم الحي ، وقوفا تاما ،
 وذلك يؤدي الى الموت حتما . (٢)

ولو تأملنا هذه الأنهار والينابيع والسيول والفيضانات لرأينا أن مصدرها هي
 الأمطار التي تنزل باسباب ومسببات قدرها الله سبحانه وتعالى على نظام معين يمكن
 دراسة اسبابه واستجلاء عظمة قدرته سبحانه مسبب الاسباب بهذه الدورة المائيسة
 التي تنزل بسببها هذه المياه باشكال مختلفة .

ويمكن تلخيص دورة الماء كما يلي :

يشير الاشعاع الحراري للشمس تبخر الماء في المحيطات وكل السطوح الأرضية
 المغطاة أو المشبعة بالماء ، يتصاعد بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو ويشكل
 سحباً عن طريق تكاثفه ، عندئذ تدخل الرياح لتؤدي دورها في نقل السحب ، بعدد
 تشكيلها الى مسافات متنوعة ، وقد تختفي السحب دون ان تعطى مطراً ، كما يمكن
 ان تلتقي كتل السحاب مع كتل اخرى لتعطي بذلك سحباً ذات كثافة كبرى ، وقد
 تتجزأ لتعطي مطراً في مرحلة من تطورها ، وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر
 الى البحار .

اما المطر الذي يحمل الى الأرض فقد يمتص جزئياً بواسطة النباتات مساهمياً

(١) الطبيعة في القرآن الكريم ص ٧٦

نشر وزارة الثقافة والاعلام العراقية عام ١٩٨٠م .

(٢) معجزة القرآن ص ٤١ .

بذلك في نموها ، وهذه بدورها تقوم من خلال ترشحها باعطاء جزء من الماء الى الجو ، اما الجزء الآخر فانه يتسلل بمقدار قد يقل أو يكثر الى التربة لينتج نحو المحيطات عبر مجاري الماء ، أو قد يتسرب في التربة ليعود نحو الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الاماكن الاخرى التي يخرج منها الماء الى السطح . ولنقارن معطيات علم الهيدرولوجيا^(١) الحديث بتلك التي نجدها في كثير من الآيات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة سنلاحظ وجود توافق رائع بين الاثنين .^(٢)

قال تعالى : ((وارسلنا الريح لواقح))^(٣) أي تلمح السحاب أي تجعلها حوامل بالماء ، وذلك ان السحاب بخار تصير باصابتها الهواء البادر حوامل للماء .^(٤) فمصدر هذه الدورة في الحقيقة ليست هي البحار فقط ، بل هي المياه التي على سطح الأرض مطلقا ، فالامطار حين تنزل على الأرض تتكون منها البحيرات والحلوة والينابيع المتفجرة والانهار الجارية والسيول الجارفة ، فهذه كلها تعتبر المصادر الاساسية لهذه الدورة ، فكل ماء على سطح الأرض حتى المياه التي نستعملها في بيوتنا فانها في النهاية تأخذ مجراها على شكل ذرات نحو أعالي الجو .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية في قوله تعالى : ((ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه))^(٥) ، فدل القرآن على ان ماء السماء تنبع من الأرض ، والاعتبار يدل على ذلك ، فانه اذا كثرت السماء كثرت الينابيع واذا قل قلت ، وماء السماء ينزل من السحاب ، والله

-
- (١) (هيدرولوجيا = عقد علم الماء) يراجع اوراق علمية لغؤاد صروف ص ٣٥٦ .
والهيدرولوجين *Hydrogene* مولد الماء ، غاز شديد الاحتراق بلالوان ولا طعم ولا رائحة يوجد في الماء وفي جميع المواد العضوية .
يراجع ملحق لسان العرب للمصطلحات العلمية والفنية . اعداد يوسف خياط ،
ونديم مرعشلي ١٨٤/٣ .
- (٢) دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاي ص ٢٠٣ .
- (٣) سورة الحجر ٢٢ .
- (٤) تفسير القاسمي ٣٧٥٣/١٠ .
- (٥) الزمر ٢١ .

ينشؤه من الهواء الذي في الجو وما يتصاعد من الابخرة ، وليس في القرآن ان جميع ما ينبع يكون من ماء السماء ، ولا هذا معلوم بالاعتبار ، فان الماء قد ينبع من بطون الجبال ويكون فيها ابخرة يخلق منها الماء والابخرة وغيرها من الأهوية .. " (١)

ولكن هل هذه المياه ودورتها غير منتظمة ، لا انها منتظمة في قانون دقيق اقتضت حكمة الله سبحانه ان لا تنزل الا بقدر معلوم يسوقها الى كل أرض بالقدر الذي قدره سبحانه لحكمة من عنده .

قال تعالى : ((وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنه في الأرض ، وانا على ذهابه لقدر)) (٢) .

فالماء الذي ينزل على الأرض لا يضيع سدى ولا يذهب هدرا ، ولكنه يتحول الى انهار وبحيرات عذبة أو مياه جوفية أو غذاء للنباتات ، فاسكان هذه الامطار في الأرض والاحتفاظ بها لاجراجه بواسطة الآبار أو الينابيع العذبة نعمة الهية لا نقدرها حق قدرها .

فقلة الأمطار في بعض المناطق تؤدي الى نضوب المياه في الآبار وفي مخازن المياه تحت الأرض فتؤدي الى جفاف الزرع وهلاك الحيوان وبالتالي الى هلاك الانسان نفسه .

فالله سبحانه يمتن على عباده بأن يتذكروا عظم هذه النعمة واثرها في هناة عيشه وراحته وطمأنينته . قال تعالى : ((قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فممن يأتيكم بماء معين)) (٣) .

الانتقام بالماء :

فكما ان الماء وسيلة رحمة واداة نعمة وهناة ، فان الله سبحانه قادر على ان يجعلها اداة غضب ووسيلة انتقام للانسان الذي يجحد قدرته وينكر فضله ،

(١) مجموع الفتاوي ١٦/١٦ - ١٧ .

(٢) سورة المؤمنون ١٨ .

(٣) سورة تبارك ٣٠ .

ويظهر ذلك في المظاهر الآتية :

(١) قلة الأمطار :

وهي نوع من انواع العقاب على الانسان حين يغفل عن الله سبحانه وتعالى ، وبالتالي تقل المياه على الأرض ، وتقل في باطن الأرض فيجف الزرع والضرع ، ويكون فيه هلاك النسل وانتشار الأمراض والأوبئة . قال تعالى : ((أفريتم الماء الذي تشربون ، أنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون))^(١) . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه كان اذا شرب الماء قال الحمد لله الذي سقناه عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا)^(٢) .

(٢) كثرة الأمطار :

فلو توالى الأمطار لأهلك ما على الأرض ولأفسدت الحبوب والثمار وجرفت المدن والقرى ، فالماء نعمة حين ينزله الله بقدر ، ولكنه اذا غضب على عباده قد ينزله بدرجة يكون ذلك عقابا لهم على ما قدمته يداه من الذنوب والآثام . قال تعالى : ((ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ..))^(٣) .

ولما زاد عتو فرعون وعناده واصرارته على الباطل أرسل الله عليهم الطوفان وهو كثرة الامطار المغرقة المتلفة للزرع والثمار ، كما روي عن ابن عباس والضحاك ابن مزاحم .^(٤)

فكانوا لا يقدررون على ان يخرجوا ولا ان يعملوا شيئا ، حتى جهدوا جوعا .

ولما انعم الله سبحانه على سبأ بالمياه الكثيرة فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن ، حتى ان المرأة كانت تمشي تحسب الأشجار وعلى رأسها مكنل أو زنبيل فيتساقط من الاشجار ما يملؤه ، فاعرضوا عن

(١) سورة الواقعة ٦٨ - ٧٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٩٦/٤ .

(٣) سورة القمر ١١ - ١٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٤٠/٢ .

توحيد الله وعبادته وشكره على ما انعم به عليهم ، وعدلوا الى عبادة الشمس من دون الله ، فعاقبهم الله بالماء الغزير ، فانساب في اسفل الوادي وخرّب ما بين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك . (١)

(٣) تحويل الماء الى مادة أخرى :

ولما تمادى فرعون في عناده ارسل الله عليهم الدم فكانوا ما استقوا من الانهار والآبار وما كان في اوعيتهم وجدوه دما عبيطا . (٢)

ولو أراد الله سبحانه ان يعاقبنا لحوله الى ملح اجاج لا يمكن للانسان ان يطعمه ولا أن يستسيفه ولو شربه الانسان لغص في حلقه ، ولالتهبت حنجرته ، ويوم القيامة يعاقب الله عز وجل الكفار بما كالمهل يشوي الوجوه .

والماء يتكون من عنصرين هي : ذرتين ايدروجين وذرة اكسجين والتي ترمز بـ (H_2O) . وقد امكن اليوم فصل ذرة الاكسجين عن ذرتي الهيدروجين التي يتكون من ثلاثتها الماء .. وعلوم البحار توصلت الآن الى انه يقع في اعماق المحيطات السحيقة ايدروجين طليق يتكون من ذرات ثقيلة .. ومن الممكن تحطيم احدي هذه الذرات بفعل ضغط كهربى من صاعقة مثلا .. أو بفعل حرارة هائلة تندلع بصسورة مفاجئة من باطن الأرض الملتهب عبر شق يحدثه انكسار في صخور القاع النارية .. اذا حدث هذا في ذرات الهيدروجين فان خاصية الاشتعال السريع التي يتمتع بها ستحول المياه جميعا في المحيطات وبعدها مياه الانهار التي تنصل بها نارا وحمما في وقت قصير . (٤)

فايقاد البحار نارا تتأجج فتهلك الكون كله ، امر الهى بين الكاف والنون ، فاذا اراد الله ذلك كان .

(١) تفسير ابن كثير ٥٣٢/٣ .

(٢) لمرجع السابق ٣٤١/٢ .

(٣) الله والعلم الحديث لنوفل ص ٢١٤ .

(٤) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ص ٧٩ .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ((والبحر المسجور))^(١) أي اضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطية باهل الموقف .^(٢)

فاذا كانت هذه البحار تحتزن تحتها هذه المواد القابلة للاشتعال في ايسة لحظة ، فأولى بالانسان ان يكون على صلة دائمة بربه غير مشرك بوحدانيته حتى يكون على امن وطمأنينة وراحة بال . ولكن هذه الامطار لا تنزل على غفلة من الناس وانما يسبقها ظواهر كونه تدل بكونها ثم نزولها في اكثر الاحيان ، ومن هذه الظواهر :
(٢) ظاهرة البرق :
على

قال تعالى : ((ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً))^(٣) .

ان ظاهرة البرق ظاهرة ناشئة من النظام الكوني ، ويعملها بعضهم بانها تنشأ من انطلاق شرارة كهربائية بين سحابتين محمليتين بالكهرباء ، أو بين سحابة وجسم ارضي كقمة جبل مثلا ، ينشأ عنها تفريغ في الهواء يتمثل في الرعد الذي يعقب البرق وفي الغالب يصاحب هذا وذلك تساقط المطر نتيجة لذلك التصادم .

فهذه الظاهرة اداة لوصول القلب البشري بالوجود وخالق الوجود وهي آية من آيات الله ان الانسان يكون امام هذه الآية في خوف من صوته ونكباته من احراق وهدم وتدمير وشعور الطمع في الخير من وراء المطر الذي يصاحب البرق في معظم الأحوال . ولذلك عقب عليه بقوله : ((وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها))^(٤) .

(٥)
وقال ابن كثير: بان البرق هو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلل السحاب . فالآية تبين أن الانسان امام هذا البرق يكون بين حالتين : حالة الخوف من آثاره المدمرة ، وآفاته المهلكة ، وبين الطمع فيما تأتي به من الخيرات أثر نزول

-
- (١) سورة الطور ٦ .
(٢) تفسير ابن كثير ٢٤٠/٤ .
(٣) سورة الروم ٢٤ .
(٤) الظلال بتصريف ص ٥/٢٢٦٤ .
(٥) تفسير ابن كثير ٥٠٤/٢ .

المطر واحياء الأرض ، بعد الجفاف والقحط ، وما يترتب على هذا الاحياء مسن نمو في جنس النبات والحيوان والانسان .

ففي آية سورة النور اشارة الى عظمة البرق وشدته ، وبلوغه من الحرارة درجة الابيضاض الناتج عن شدة التفريغ للقوى الكهربائية المشتركة في تكون هذا النسوع من سحب المزن الركامي . (١)

قال تعالى : ((ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلفه وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويمصره عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصر)) (٢)

ولكن ما سبب وجود الكهرباء في هذه السحب ؟

ويحلل الدكتور الغمراي هذه الظاهرة بما يلي : البرق قوة كهربائية هائلة

شراسته تبلغ ثلاثة اميال طولاً أو تزيد ، فالكهربائية تتولد في الهواء بسبب :

(١) النيران : فان النار فيها غازات محملة بالنوعين من الكهرباء الموجب والسالب .

(٢) الضوء : فان اشعة الشمس اذا اخترقت الهواء أَيْتَتْه فيتكون في مسار كسل شعاع عدد كبير أو صغير من الايونات .

(٣) الاشعة النفاذة الجيمية الصادرة من العناصر المشعة في القشرة الأرضية (اشعة رونتجن) .

(٤) احتكاك الماء في البحار بنلاطم الامواج بعضها ببعض أو بالساحل أو بالصخور فالبخار المتصاعد منها يحمل هذه الكهرباء وكل جزء من جزئيات هذا البخار

المكهرب كغيره من الأيونات يصلح أن يكون نواة يتكاثف عليها البخار .

فقاعدة التنافر والتدافع بين السالب والسالب والموجب والموجب من شأنه

تفريق السحاب ذي النوع الواحد ، ولكن الله قد يجمعه برغمه بواسطة الرياح فتكبير

(١) ظواهر جغرافية في ضوء القرآن الكريم للنصيرات ص ١٦٨ .

(٢) سورة النور ٤٣ .

السحابة وتكبر شحنتها الكهربائية . ثم اذا شاء الله ساق السحاب بالريح حتى يقترب السحاب الموجب من السحاب السالب قربا كافيا ، فاذا اقتربا تجاذبا عندئذ تحدث شبه شرارة عظمى كهربائية هي البرق ، والمطر نتيجة لازمة لحدوث ذلك الاتحاد الهادي او البارق .^(١)

ويعزو بعض الجغرافيين البرق الى عدة عوامل مختلفة :

منها : نشاط التيارات الماعدة الناتجة عن ارتفاع درجة الحرارة في طبقات

الغلاف الغازي السفلي كما هي الحال في المنطقة الاستوائية .

ومنها : ارتفاع الهواء الدافئ فوق الهواء البارد عندما تتقابل كتلتان

هوائيتان مختلفتان في درجة حرارتيهما ، أو نتيجة لصعود الرياح بقوة على منحدرات الجبال التي تعترض طريقها .

فالذي يحدث في مثل تلك الأحوال ارتفاع الهواء الماعد الى مستويات مرتفعة

جدا ، فيتكاثف بخار الماء العالق به بسرعة ، وتتكون منه سحب ذات سمك وكثافة وهذا ما يسمى بالسحب الركامية التي تولد البرق وتشحن بالكهرباء .^(٢)

فائدة البرق :

قد يظن كثير من الناس ان البرق ليس اكثر من وسيلة من وسائل التدمير .

ولكن التفريغ الكهربائي الناتج عن البرق يؤدي الى تكوين اكاسيد النتروجين التي

يهبط بها المطر أو الثلج الى التربة ويستفيد منها النبات .

وتقدر كمية النتروجين التي تحصل عليها التربة بهذه الطريقة في صورة نترات

بما يقرب من خمسة ارباط للقدان الواحد سنويا وهو ما يعادل ثلاثين رطلا من

نترات الصوديوم وهذه كمية تكفي لبدء نمو النبات .

ويلاحظ أن كمية النتروجين الذي يشته البرق تكون في المناطق الاستوائية

(١) الاسلام في عصر العلم للغمراوي ص ٣٩٠ ، ٣٩٨ بتصرف .

(٢) ظواهر جغرافية في القرآن ص ١٧٣ .

اكثر منها في المناطق المعتدلة الرطبة ، وهذه بدورها تزيد على الكمية التي تتكون في المناطق الصحراوية الجافة . ومن ذلك نرى ان النتروجين يوزع على المناطق الجغرافية المختلفة بصورة متفاوتة تبعا لمدى احتياج كل منطقة منها ، لهذا العنصر الهام ، فمن الذي دبر كل ذلك . (١)

انه الله سبحانه الذي قدر لكل شيء قدره وحاجته مما يصلحه .
ومن الطرق التي يدخل بها النتروجين الى الارض عن طريق عواصف الرعد، انه كلما ومض برق خلال الهواء **وهو** بين قدر قليل من الاكسجين وبين النتروجين — فيسقطه المطر الى الأرض كنتروجين مركب : أي النتروجين الذي يمكن أن تتلقاه النباتات ، أو النتراجين الذي يتكون من العنصر النتروجيني في اغذيتنا التي بدونها يموت الانسان جوعا ، وبدون ذلك لا يمكن ان ينمو أي نبات من النباتات الغذائية .
واحدى الطريقتين اللتين بهما يدخل النتروجين القابل للذوبان في التربة عن طريق نشاط جراثيم معينة تسكن في جذور النباتات البقلية مثل البرسيم والحمص والبسلة والبقول وكثير غيرها ، وهذه الجراثيم تأخذ نتروجين الهواء وتحيله الى نتروجين مركب . وحين يموت النبات يبقى بعض هذا النتروجين المركب بالأرض . (٢)

(ب) ظاهرة الرعد :

أما ظاهرة الرعد فيفسرها بعض العلماء بقوله : ان الحرارة الناشئة عن البرق تمدد الهواء بشدة وتحدث مناطق جوية عظيمة متخلخلة الضغط داخلها يعادل الضغط خارجها مادام الهواء داخل المنطقة ساخنا ، حتى اذا تشعبت حرارتها وبردت برودة كافية خف منها الضغط وصار اقل كثيرا من ضغط الطبقات الهوائية السحابية المحيطة بها ، فبحكم الفرق العظيم بين الضغطين تمددت الكتلة الهوائية المحيطة وتمددت في المنطقة المفرغة ويحدث لذلك صوت شديد وهو صوت

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٢٤ .

(٢) العلم يدعو الى الايمان ص ٧٨ .

الرعد او هديره اوقعته .

(١) . واما صوت الشرارة الكهربائية البرقية فهو بدء الرعد .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال :

((اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك)) (٢) .

وكان عبدالله بن الزبير رضي الله عنه اذا سمع الرعد ترك الحديث ، وقال

سبحان الذي يسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ثم يقول : (ان هذا الوعيد

لأهل الأرض شديد) (٣) .

وهذا لا شك وجهة نظر الاسلام عند سماع هذه الظواهر وعزوها الى الله

عز وجل مسبب الاسباب والتوبة والانابة والخوف من عذاب الله .

(ج) الصواعق :

قال تعالى : ((... ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء)) (٤) .

وقال : ((... يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله

محيط بالكافرين)) (٥)

والآية الأولى تبين ان الصاعقة جند من جنود الله ينتقم بها ممن يشاء وبينت

الآية الثانية شدتها ورهبتها في النفوس وما ترسله من الرعب على قلوب الكافرين .

وذكر الواحدي في سبب نزول آية الرعد قول قتادة : " ان رجلا انكر القرآن

وكذب النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الله صاعقة فاهلكته " (٦) .

وأورد ابن كثير في سبب نزولها قصة عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة لما

قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه أن يجعل لهما نصف الامر فأبى

(١) الاسلام في عصر العلم للغمراوي ص ٣٩٨ .

(٢) الترمذي في الدعوات عن عبدالله بن عمر ١٠٤/٢ .

(٣) موطأ الامام مالك ٢٥٥/٢ .

(٤) سورة الرعد ١٣ .

(٥) سورة البقرة ١٩ .

(٦) اسباب النزول ص ٢٧٦

عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر بن الطفيل لعنه الله : اما والله لاملأنها عليك خيلا جرذا ورجالا مردا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ياأبي الله عليك ذلك وابناء قبيلة) يعنى الانصار ثم أنهما هما بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل احدهما يخاطبه والآخر يستل سيفه ليقتله من ورائه فحماه الله تعالى منهما وعصمه ، فخرجا من المدينة فانطلقا في احياء العسرب يجمعان الناس لحربه عليه الصلاة والسلام ، فارسل الله على أريد سحابا بها صاعقة فأحرقتة ، وأما عامر بن الطفيل فأرسل الله عليه الطاعون فخرجت فيه غدة عظيمة فجعل يقول ياآل عامر غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ، حتى ماتا لهنهما الله ، وأنزل في مثل ذلك ((ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله)) (١) .

وسبب الصواعق هو حدوث التفريغ الكهربائي بين السحاب والأرض ، بدلا من السحاب والسحاب كما في البرق والرعد ، ويحدث هذا عادة اذا كان السحاب عظيم الكهربائية وقريبا من الأرض . وأكثر ما يحدث ذلك بين السحاب والأجسام المدببة على سطح الأرض من شجرة ونحوه . فيحدث حينئذ التفريغ - أي الاتحاد بين كهربائية الارض وكهربائية السحاب تدريجا ، فحينما يمتنع ذلك التفريغ الفجائي تحدث عملية الصاعقة . (٢)

والبرق والرعد والسحاب مشاهد معروفة ، وكذلك الصواعق التي تصاحبها فسي بعض الأحيان ، وهي بذاتها مشاهد ذات اشرف في النفس حتى اليوم ، وعند الذين يعرفون الكثير عن طبيعتها . وهذه الآية تذكر هذه الظواهر متتابعة لتصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والنفع والضر .

هل الصواعق نعمة :

ان ٨٠٪ من جو الكرة الارضية يتكون من الازوت (النتروجين) وهو غذاء

(١) تفسير ابن كثير ٥٠٤/٢ .

(٢) الاسلام في عصر العلم للغمراوي ص ٤٠١ .

ضروري للنبات ، وهناك حوالي ثمانية اطنان ونصف الطن من هذا الغذاء في كل كيلو متر مربع على ظهر الكرة الارضية . ولكن هذا الازوت في صورته تلك لا يملح للذوبان او الاستخدام .

وقبل أن تتمكن النباتات من اخذ الحياة منه يجب ان يمر بما يمر به الطعام في جهازنا الهضمي .. سلسلة من التفاعلات الكيماوية والصاعقة هي التي تحرك هذه السلسلة .

انها عملية غير عادية . اذ ان الصاعقة تسخن ذرات الهواء حتى تصل حرارتها الى ٢٠ الف درجة مئوية ، وفي هذه الحرارة الشديدة يتحد النتروجين (الأزوت) بالاكسجين في الجو مكونا اكسيد الازوت . وهو مادة قابلة للذوبان في الماء ، وتذيب الأمطار هذا الاكسيد وتحمله الى الأرض في صورة حامض ازوتيك مخفف . وتستطيع ان تشم رائحة هذا الحامض الحاد في الهواء المشبع بالمطر خلال العواصف الرعدية ، فاذا وصل الى الأرض تفاعل حامض الازوتيك مع المعادن الموجودة فيها ليصبح نترات تتغذى بها النباتات وتلك هي العجيبة !!

ان الصواعق التي يقدر علماء الارصاد الجوية انها تصيب الارض بمعدل اكثر من مائة مرة في الثانية . تحول الهواء العالى الى مادة مخصبة لنباتات الأرض .^(١)

ولا شك ان هذه العمليات المعقدة تدل على وجود الخالق المدبر لهذا الكون بما يصلحها ويتمم سخرها للانسان المكرم على هذه الأرض .

ظاهرة الليل والنهار :

قال تعالى : ((ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله ..))^(٢)
تشير الآية الكريمة الى ظاهرة كونية محسوسة مكررة كل يوم غفلت الناس عن كونها من اعظم نعم الله عز وجل اذ بهما نظم الله حياة الانسان من راحة السرى

(١) مجلة المختار المصرية اكتوبر ١٩٥٩ م ص ١٠٧ .

(٢) سورة الروم ٢٣ .

سعي ومن سعي الى راحة ، وفيها اشارة الى انهما من آيات اللمعز وجل الدالسة على قدرته وتصريفه للكون وفق مشيئته وارادته . فكيف اذاً يتم ذلك ؟

ففي قوله تعالى : ((يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا))^(١) .

وقوله : ((ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ))^(٢) .

وقوله : ((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ))^(٣) .

ففي الآيات الكريمة اشارة الى مظهر من مظاهر عظمة هذا الكون في تسخير " الليل والنهار " يتعاقبان وفق حركة الشمس والقمر لاصلاح ما نيظ بهما صلاحه في هذا الكون .

فخلق الله الليل ليسكن الانسان في ظلامه ويهدأ ، وخلق النهار مبصرا ليسعى فيه على رزقه وينشط لعمله ، وخلق الشمس لتكون سراجا للنهار ، ولتمد الناس والكون بالدفء والحرارة .

فالليل والنهار ظاهرتان كونيتان ، والشمس والقمر جرمان هائلان لهما علاقة وثيقة بحياة الانسان في الأرض ، وبالحياة كلها .

والتأمل في توالى الليل والنهار وفي حركة الشمس والقمر بهذه الدقة التي لا تختل مرة ، وبهذا الاطراد الذي لا يكف لحظة . جدير بان يهدي القلب الى وحدة الناموس ووحدة الارادة ووحدة الخالق المدبر القدير .

فلو اوقف الله حركة الشمس والقمر ، لسكن الظل ، ولبقيت أشعة الشمس مسلطة على جزء من الأرض ، بينما بقي الجزء الآخر ليلا ، مما يحدث اختلالا في الاتزان الحراري وبالتالي اختلال في عناصر الحياة ، وكائناتها على الأرض .

(١) سورة الاعراف ٥٤ .

(٢) سورة الحج ٦١ .

(٣) سورة الزمر ٥ .

وتتابع الليل والنهار يهيء للناس فرصة للنظر والاعتبار ، فلو استمر النهار لَضَجَّ النَّاسُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالْعَمَلِ ، وَلَوْ اسْتَمَرَ اللَّيْلُ لَتَعَطَلَتْ مَصَالِحُ النَّاسِ وَانْقَلَبَ النِّفْعُ ضَرًّا . (٢) قَالَ تَعَالَى : ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا سِوَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ أَلِهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ أَلِهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (٣) .

ففي هذه الآية دعوة الانسان الى التأمل في هاتين النعمتين الغير مقدرتين - نعمة السكن ليلا والخلود فيه الى الراحة والطمأنينة ، نعمة الليل الهاديء والسكون المطبق والنجوم المتألئة ، ثم مجيء النور شيئا فشيئا يطارد الظلام وينمر الكون بالحياة والحركة والسعي والعمل .

قَالَ تَعَالَى : ((وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ)) (٤) . فتعبير القرآن في هذه الآية تعبير فريد ، فهو يصور النهار متلبسا بالليل ، ثم ينزع الله النهار من الليل وانسلاخ النهار من الليل ، ثم ضول كل منهما وقصره درجة درجة ، انسلاخا يمكن ضبط حسابه بدقة تامة . من أعظم النعم التي انعم الله بها على خلقه ، ومن حكمته سبحانه في تدبير الشمس والقمر بحيث تسير بحسبان ونظام دقيق . وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة من نقاط البروج بانتظام ، فكأنما نور النهار ينزع ، أو ينسلخ فيحل محله الظلام ، فهو تعبير مصور للحقيقة الكونية ادق تعبير .

-
- (١) ظواهر جغرافية في القرآن ص ١٣٣ .
 (٢) تفسير الآيات الكونية لعبدالله شحاته ص ٦٩ .
 (٣) سورة القصص ٧١ - ٧٣ .
 (٤) سورة يس ٣٧ .

لما كان الليل لباسا به يتقى الانسان وبقيّة المخلوقات انخفاض الحرارة
القاتل كما هي الحال في بقيّة الكواكب .

ولما كان النهار معاشا للانسان على ظهر الأرض ، فأقصى درجات الحرارة على
الأرض تتراوح بين ٥٢ درجة تحت الصفر او ٥٢ درجة فوقه وهي درجات يستطيع
الانسان ان يلبسها ويتعايش معها . وهذا بعكس ليل الكواكب الأخرى والتي تصل
في عطارد الى ١٧٠ درجة تحت الصفر ونهاره تتجاوز حرارته ٤٢٥ درجة مئوية .
وكذلك الزهرة . (١)

فالتعاقب بين الليل والنهار وتراوحهما على فترات قصيرة يؤدي الي اعتدال
في درجة الحرارة والمناخ ، ويهيئ البيئة الصالحة للحياة والاحياء .. فلولا ذلك
التكوير لانعدمت الحياة على الأرض واصبح نصفها المواجه للسراج الوهاج مستعرا
من شدة الحرارة ، والآخر متجمدا من شدة البرودة .

وللتذكير بنعمة الليل والنهار يذكرنا الله سبحانه بعدم نسيانه في كلّ لحظة
من لحظات النهار والليل . قال تعالى : ((فسبحان الله حين تمسون وحيث
تصبحون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون)) (٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا امسى قال : (امسينا وامسى الملك لله ،
والحمد لله ولا اله الا الله وحده لا شريك له ... واذا اصبح قال : اصبحنا واصبح
الملك لله) (٣)

(١) مجلة الفكر الاسلامي عدد ١١ سنة ١٣٨٦ ص ٢٨ - ٣٩ . الدكتور / عدنان الشريف .

(٢) سورة الروم ١٧ - ١٨ .

(٣) صحيح مسلم في الدعوات عن ابن مسعود رضي الله عنه ٤٨٢/٢ .

وكان يقول : (اللهم بك امسينا وبك أصبحنا ، وبك نحيا وبك نموت واليك
النشور)^(١)

ففي الآية الكريمة والأحاديث الشريفة ارشاد الى تسبيحه وتحميده ، في هذه
الأوقات المتعاقبة ، عند المساء واقبال الليل وعند الصباح واسفار الضوء ، وهو
سبحانه المحمود ومستحق الثناء والحمد والتنزيه في جميع الأحوال والأوقات .

النظر في الانبات :

قال تعالى : ((وينزل من السماء ماء فيحي به الارض بعد موتها ان في ذلك
لأيت لقوم يعقلون))^(٢) .

صورة بديعة وعجيبة وهي تصوير الأرض في حالة موت ، كانها كائن حي يحيا
ويموت فتجدها في حالة ركود دائم ، فاذا بالمياه تنزل عليها فتدخلها السروح
وبذلك خرجت عن الموت الى الحياة ما يخرج فيها من الزروع والثمار التي تكون
وسيلة حياة لمن يمشي على الأرض وما يدب عليها من الاحياء .

فالماء يبعث في الارض الخصب ، حتى تموج صفحتها بالحياة المنبعثة في هذه
النباتات ، ومن ثم في الحيوان والانسان فحيث يكون الماء تكون الحياة .

ولا شك ان ذلك الاحياء اشارة الى البعث بعد الموت وما يترتب عليها من
الحساب والعقاب والنعيم المقيم او العذاب الاليم . قال تعالى : ((فانظر الى
اثر رحمة الله كيف يحي الارض بعد موتها إن ذلك لمحيموتى وهو على كل شيء
قدير))^(٣)

فالآية الكريمة في السورة تلفت انظارنا الى اشياء مهمة ، وهي وسيلة السى

(١) سنن الترمذي عن ابي هريرة في الدعوات . وقال حديث حسن ١٩٧/٢ .

(٢) الروم ٢٤ .

(٣) سورة الروم ٥٠ .

معرفة الله عز وجل معرفة حقيقية بمعرفة آثار القدرة الالهية الباهرة ، المعجزة
للخلق حيث يقفوا مبهورين الانفاس امام النبتة الصغيرة لا يستطيعون ان يصنعوا ورقة
واحدة منها فقط .

فلفت النظر في الآيات الكريمة الى :

- (١) اثر الماء في الاحياء وخصائصه .
- (٢) النباتات وأنواعها والوانها وخصائصها بين المخلوقات .
- (٣) اثر النبات في التوازن الكوني واخراجها بقدر معلوم .
- (٤) ارتباط الشجر بالحس والفكر

ان القرآن الكريم بين في كثير من آياته ما للنبات والماء من اثر كبير في
حياة الكون واعجازه ، واثارة البهجة والحيور بين نظاره ، والآثار النفسية الايجابية
في النظر اليه .

وكون ذلك كله من الاشياء التي تبهج النفوس وتفرح القلوب ، فلا يمكن أن
يستغني الانسان عن النبات في جميع احواله . قال تعالى : ((فلينظر الانسان الى
طعامه أنا صبينا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبطنا فيها حبا وعنباً
وقضبا وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا وفلكا وأبا متاعا لكم ولأنعمكم)) (١) .

فامتنان الله سبحانه على خلقه بهذه الثمار وهذه الاشجار دليل على كونها
نعمة من اهم النعم التي تدفع الانسان على الشكر وترده عن الكفر ، بل هي لازمة من
لوازم الانسان فهي متاع أي عيشة للانسان والحيوان الى يوم القيامة كما قال ابن كثير
رحمه الله تعالى .

واذا كان الله سبحانه قد نبهنا بالاشارة الى أهمية هذا الماء والانبات فمن
البدهي ان يكون الداعية اول من يبين هذا الفضل واسراره ودقة صنعه ودقائق عجائبه
حتى يكون ذلك وسيلة الى ارغام المنكر والملحد على الاعتراف بالحقائق الثابتة

التي لا يختلف فيها العقلاء وأولى الألباب . قال تعالى : ((هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ، ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون))^(١) . ((وهذه المخلوقات التي تنجم من الارض اذا فكر فيها علم ان معظمها ليس الا للاكل ، وان الاكل به قوام ذي الروح وان المنعم عليه يحتاج ان يعرف المنعم به ليقصده بشكر احسانه ، فهذا موضع تفكر بعث الناس عليه ليفضي بهم الى المطلوب منهم))^(٢) والدعوة الى الله سبحانه بمعرفة هذا المنهج القرآني امر مهم في هذا العصر لما له من اثر بليغ في ايمال الحق الى قرارة النفوس واثارة الفكر لما فيه بيان ان عظمة الكون ودقة نظام مخلوقاته دليل على الخالق المدبر له .

فالماء هو المادة الوحيدة الشائعة التي توجد على ثلاث حالات مختلفة : غازية وسائلة وصلبة^(٣) . فحينما يكون سائلا يعتبر من اكثر السوائل المعروفة اذابة لغيره من الاجسام . وحمل اكبر قدر ممكن من مادة الأرض الى النبات ، وهو بذلك يعتبر ذا دور كبير في العمليات الحيوية داخل النباتات حيث يحولها بدوره الى مادة صالحة لغذاء الانسان والحيوان ، وكذلك داخل الاجسام بوصفه مركبا اساسيا من مركبات الدم^(٤) . قال تعالى : ((وجعلنا من الماء كل شيء حي))^(٥) .

فهذا الماء الذي من شأنه الرسوب ، من الذي اصعده من اسفل النباتات الى اعاليها ؟؟ حتى اذا انتهى الى رؤسها نشأ فيها اوراق ذات اشكال مختلفة وثمار وطعوم واحجام انها فعلا عمليات دقيقة تدفع الانسان نحو الفطرة السليمة . ويقول الامام الغزالي : " ثم انظر الى لطافة الماء ورقته حتى ينزل من الارض ، ويتخلخل اجزاءها ، فتغذي عروق الشجر ، ويمعد بلطافته الى اعالي الشجر والنبات وهو من

(١) سورة النحل ١٠ - ١١ .

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي ص ٢٥٨ .

(٣) مقال الماء والانسان لرايموند نيس (مجلة كلية التربية جامعة الملك سعود)
١٩٨٢/٤ .

(٤) الله يتجلى في عصر العلم ص ٥٠ والانسان والكون للدكتور زغلول النجار ،
ص ٢٧ .

(٥) سورة الانبياء ٣٠ .

طبيعته الهبوط . ان الله تبارك وتعالى اراد بانزاله وتيسيره عمارة الدنيا — بما فيها من حيوان ونبات ، الى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها لمن يروم حصرها ، فسبحان المتفضل العظيم . (١)

ولو نظرنا الى العروق التي تنقل هذا الماء الى اعالي الشجرة لوجدناها خيوطا شعرية دقيقة ، ولكنها ليست صماء بل أنابيب دقيقة لها قدرة على الامتصاص عجيبة ، هذه الانابيب التي لا تكاد تراها الا في المعامل والمجاهر المكبرة مسن الذي اودع فيها هذه القدرة لتحافظ على حياتها ونماها وثمارها .

ويقول بعض الباحثين : " اذا كان للنبات عقل فلا بد ان يكون جذوره ، اذ انها تسعى وتجد في باطن الأرض متفادية العوائق والمخور ، فان لم تستطع ان تتفادها ازاحتها عن طريقها ، والا صبت عليها احماضا لتذيبها . (٢)

ولهذه الجذور فائدة اخرى هامة وهي تثبيت النبات والاحتفاظ به قائما يقاوم الرياح والاعاصير فلا يسقط ولا يقع ، وعندما ننظر الى هذه الأشجار الكبيرة الضخمة واقفة شامخة لا بد أن نتذكر ان عشرات الامتار من الجذور ذات الاحجام المختلفة تمسكها ان تقع على الأرض . فسبحان الذي الهما هذه الفطرة .

ومن حكمة الله عز وجل في هذا الكون هذا التوازن العجيب بين النباتات من جهة وبين الحيوان والانسان من جهة اخرى ، وتتمثل في عملية التمثيل الضوئي ومعناها ان اوراق الشجر هي رئات ، ولها القدرة في ضوء الشمس على تجزئة ثاني اكسيد الكربون العنيد الى كربون واوكسجين ، فيلطف الاكسجين ويحتفظ بالكربون متحدا مع هيدروجين الماء الذي يستمد من جذوره فتصنع منه سكرا وفواكه واثمارا ، وحينما يلطف النبات الاكسجين فاننا نتنسمه وبالمقابل نلفظ ثاني اكسيد الكربون فنتنسمه النباتات . ولو كانت هذه المقيضة غير قائمة فان الحياة الحيوانية أو النباتية كانت تستنفذ في النهاية كل الاكسجين او كل ثاني اكسيد الكربون ، وانقلب

(١) الحكمة في مخلوقات الله ص ٣٧ .

(٢) الله والعلم الحديث لعبدالرزاق نوفل ص ٧٣ .

(١) بذلك التوازن فدوي النبات ومات الانسان .

ويتضح من هذا ان الحياة كلها لو كانت حيوانية لكانت الآن قد استنفذت الاكسجين كله ، ولو كانت الحياة كلها نباتية لكانت قد استهلكت ثاني اكسيد الكربون كله ، وفي كلتا الحالتين كانت تنتهي هذه الحياة وتلك . (٢)

ويقرر العلم ان عملية التمثيل الضوئي (أو التمثيل الكربوني) وهو امتصاص النبات ثاني اكسيد الكربون من الجو بالاتحاد مع الضوء وتكوين مواد الغذاء منها بانها اصعب وأعجب عملية تقوم بها الحياة ، ولا يمكن لأي تركيبات أو أجهزة أن تقوم بمثل ما تقوم به ورقة خضراء في أي نبات . (٣)

ومن ذلك أيضا عملية النتج حيث تتجلى فيها قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وهي عبارة عن تبخير الماء من النبات عن طريق الاوراق ، الامر الذي يساعد على صعود العمارات من الأرض خلال الجذور ... وليست فائدة النتج مقصورة على صعود العصارة الذائبة في الماء الى النبات ، ثم تبخير الماء وبقاء الاملاح الذائبة التي يكون منها النبات موادها الغذائية فحسب ، بل هي تلتف درجة حرارة الانسجة الداخلية في النبتة وتنظمها ، بالاضافة الى تلطيف الجو في المناطق الحارة وسقوط الامطار في المناطق الاستوائية ذات الغابات الغزيرة بالاشجار الضخمة . (٤)

ولو تأملنا النبات على هذه الأرض لوجدناها انواعا كثيرة واشكالا عجيبة مما يمكن اكلها ومما لا يمكن ، ومن طويلة كالمنارات وقصيرة كالاصبع ودقيقة كالابرة ، ويقول طنطاوي جوهرى : " بأن النبات قد بلغت انواعها ٢٢٠ ألف نوع ولكل منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب تخالف الثاني ، وللانسان في كل نبات منفعة ، فمنه الدواء ومنه الغذاء ، ومنه الروائح العطرية وغير ذلك من المنافع التي لا تعد ولا تحصى " (٥) . ولكن علماء الجيولوجيا يقدرون انواعها بحوالي

(١) العلم يدعو الى الايمان ص ٧٢ .

(٢) العلم يدعو الى الايمان ص ١٠٠ .

(٣) الله والعلم الحديث لنوفل ص ٧٤ .

(٤) الله والعلم الحديث ص ٧٥ .

(٥) تفسير الجواهر ٣/١٢ .

مشاهدتها وتشرح الصدور برؤيتها وتنتعش الصدور برونق بهجتها . (١)
 وقد عبر القرآن الكريم عن التأثير الحسي والنفسي للإنسان نحو مظاهر
 هذه الأرض وما يوجد عليها ومنها النباتات بكلمة " الزينة " ، وبكلمة ذات بهجة
 وبهيج . قال تعالى : ((انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن
 عملا)) (٢) . وقال تعالى : ((وترى الأرض هامدة ، فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
 وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج)) (٣) . وقال تعالى : ((والأرض مددناها وألقينا
 فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج)) (٤) . وقال : ((وأنزل لكم من
 السماء ماء فانبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أهله مع الله
 بل هم قوم يعدلون)) (٥) .

فكلمة الزينة تدل على حسن الشيء وتحسينه ، فالزينة نقيض الشين ، يقال
 زينت الشيء تزيينا وأزینت الأرض وأزینت وازدانت اذا حسنها عشيها . (٦)

وزينة الأرض كل ما يجعلها تبدو جميلة في عين الناظرين اليها فتحدث في
 أنفسهم سرورا ، واما كلمة بهيج أو نبات بهيج ، أو روضة ذات بهجة : فهي
 الحسن والنضارة، وابهجه الامر سره . (٧)

وقال الراغب : " والبهجة حسن اللون وظهور السرور فيه ، وقد ابتهج بكذا
 أي سر سرورا بان اثره في وجهه . (٨) والابتهاج السرور من ذلك . (٩) "

فهذا الحسن والنضارة وحسن اللون في هذه النباتات انما هو للإنسان فقط ،
 لما ركبه الله سبحانه فيه من الغرائز المختلفة من سرور وحبور وكره وبغض ونحو

(١) الحكمة في مخلوقات الله عز وجل ص ١٠٥ .

(٢) الكهف ٧ .

(٣) الحج ٥ .

(٤) ق ٧ .

(٥) النمل ٦٠ .

(٦) معجم مقاييس اللغة ٤٢/٣ .

(٧) اساس البلاغة ص ٣٢ .

(٨) المفردات ص ٦١ .

(٩) معجم مقاييس اللغة ٣٠٨/١ .

ذلك ، ورغم ان هذه الحيوانات تشارك الانسان على هذه الأرض ، فانها لا تشاركه في التأثر بمظهر النبات من البهجة والنضارة وحسن اللون .
وهذا لا شك انه من تكريم الله سبحانه لهذا الانسان واعطائه الخلافة في هذه الأرض .

والملاحظ ان الآية الكريمة في هذه السورة " سورة الروم " ((فيحي به الارض بعد موتها)) ينسب الحياة والموت الى الأرض وهو يريد التنبيه الى ظاهرة انبات الزرع الاخضر من الأرض الجامدة ، فاذا الحياة تتمثل في اروع مظاهرها واجمل صورها في تلك الألوان المختلفة من الشجر والثمر والخضرة ...

والفعل يعقلون يوحي لنا انه واسطة الكشف لأن الذين لا يعقلون هم الذين لا يدركون هذه الحقائق^(١) .

فالعقل اذن هو اساس التكريم للانسان اذ يدرك به الفائدة ، والمنفعة المرجوة من مظهر النبات ومخبره ويدرك تلك الآثار النفسية والعاطفية في دخيلة نفسه ، وينظر اليها نظرة على انها جزء لا يتجزأ من عمران الأرض وزينتها فيسر به ، ويرتاح اليه حين يرى منظره المنبسط على الأرض في خشوع ، وتتأمله عينه الفاحصة فتجد فيه الوانا متباينة واشكالا مختلفة فيشعر بالبهجة والانشراح .

فحكمة الله سبحانه اقتضت ان منظر الحدائق البهيجة يبعث في القلب السرور والبهجة ، وهما نعمتان عظيمتان ، كما يدفعه الى تدبر آثار الابداع والجمسسال العجيب في الأوراق ذات الاشكال المختلفة والازهار ذات الألوان الزاهية والتمايل الساحر ، ولألوانها الموزعة بشكل مدهش ، والمتداخلة الخطوط والتنظيم ، تتقاصر دون الوصول الى امثالها كل علماء الطبيعة .

فلا احساس بالزينة والجمال من خصائص الانسان الذي اكرمه الله تعالى بهذه الفرائز ، وذلك لأن الجمال عنصر اصيل في خلق الكون ، وادراك ذلك بالعقل والحس

(١) مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة ص ٦٣ .

مما يرفع الانسان الى مدارج الرقي والشوق الى النعمة الكاملة المهيئة له والممهدة له يوم القيامة . قال تعالى : ((قل أُوْنِبْتُكُمْ بخير من ذالكم للذين اتقوا عند ربهم جنّت تجري من تحتها الأنهر خُلْدِينَ فيها ، وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد)) (١) .

ثم ان التناسق البديع في مظاهر النبات يتضمن التناسق في مختلف اجزاء النبات من الجذع الى الاغصان الى الاوراق ثم اختلاف الالوان المتناسقة والبديعة التي تجذب الانسان الى التملّى بحسنها ، والتأمل في جمالها غريزة ابدعها الله سبحانه في النفس الانسانية .

لهذا وصف الله سبحانه ما اخرج من الأرض من النبات بذات بهجة والطبيعة بجبالها وسهولها ورمالها ووديانها وغاباتها ومراعبيها تستهوي الانسان وتمتعسه بجمالها الفاتن ، فكل منظر من مناظرها لها من الجمال ما يباين المنظر الآخر ، فالصحراء برمالها، والجبال بعلوها ، والغابات بنباتاتها ، والانهار بجريانها . والاحساس بالجمال الطبيعي فطري لدى الانسان وان لم يأخذ منها الاعتبار ، فالنبات مصدر فرح وسرور للمتأملين والناظرين ومصدر استمتاع وتلذذ بما يتفكسه به من الثمار ، ومصدر رزق وفائدة للصناع والتجار ، ومصدر غذاء لما يدب على الأرض من الحيوان والانسان .

ولكن هذا التأمل والاستمتاع لا بد ان يوجد فيها طابع الاعتبار والاتعاض والتذكير بنعيم الآخرة .

لذا ينبغي توجيه هذه الغريزة كي لا تنجرف وراء الاحساس المادي بها فقط فيكون عبدا لها ويسخر نفسه في هواها ، بل لابد له من تهذيب هذه الغريزة وتوجيهها نحو ما يريده الله سبحانه من هذا التسخير الكوني ، يتذكر المانع فيوحده ويشكره ، يذكر نعيم الآخرة الدائم ويطلبه ، ويذكر تكريم الانسان وتسخير الله له هذه الأشياء فيتقوى بهذه النعم على اداء حقه سبحانه ، وهذا من اوجب واجبات الداعية في هذا العمر .

المبحث الرابعلفت الأنظار الى ظواهر الخلق الانسانيويشتمل على :

ظاهرة خلق الانسان من التراب واطوار الخلق في الأرحام ، ظاهرة تدرج الانسان من ضعف الى قوة ومن قوة الى ضعف . ظاهرة اختلاف الألسن ، واختلاف الألوان .
ظاهرة خلق المرأة وعلاقتها بالسكن . ظاهرة النوم .

قال تعالى : ((أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى ...)) (١) .

وقال تعالى : ((ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون)) (٢)

وقال تعالى : ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) (٣) .

وقال تعالى : ((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعلمين)) (٤) .

وقال تعالى : ((ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون)) (٥) .

وقال تعالى : ((الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير)) (٦)

-
- (١) سورة الروم ٨ .
(٢) سورة الروم ٢٠ .
(٣) سورة الروم ٢١ .
(٤) سورة الروم ٢٢ .
(٥) سورة الروم ٢٣ .
(٦) سورة الروم ٥٤ .

" توطئة "

ان الايمان بالله اول الاركان في الاسلام واعلاها مكانة واكثرها اهمية في الوصول الى مقاصد الاسلام والاستسلام لله عز وجل ، فاول مقصد آيات الانفس والخلق انما هي للدلالة الى الايمان بالله والاعتراف بواحدانيته سبحانه .

فالتذكير بالخلق الانساني تذكير بهوان الانسان في أصله الذي منه نشأ ، وتذكير بنهايته التي اليها يعود . وفي ذلك وصل بين العبد وربّه باعلامه بالفضل الذي ناله والكرامة التي البسها الله اياه ، فالانسان ظاهرة في الخلق عجيبة ، ولغز في نفسه وظواهره غريبة ، تدعو الانسان ايا كان داعيا ومدعوا الى التفكير والتأمل في عجائبه والاستزادة من دقائق نفسه التي بين جنبيه ، .

ففي هذه السورة الكريمة من ظواهر الخلق الانساني اشياء مهمة لا ينبغي للداعية الى الله ان تفوته ، وخاصة في هذا العصر الذي تطور فيه العلم تطورا اظهر فيه كثيرا من الحقائق القرآنية في هذا المجال ، كانت خافية على العلماء والباحثين من السلف الصالح .

فالانسان في اطوار خلقه وفي حياته وتدرج قوته الى مماته واختلاطه بالتراب مرة اخرى حكمة الهية وعبرة خلقية تدعوه ان يقف مشدوها امام اسرار هذا التنسيق والترتيب البديع ، وما اكسبه الله من مظاهر عجيبة ودقائق غريبة ، فمن هذه الظواهر التي استقيها من هذه السورة الكريمة :

أولا : الخلق من التراب واطوار الخلق الانساني في الرحم ، ثم ظاهرة الضعف في البنيان الجسمي والعقلي في أول الخلق ، ثم التدرج الى القوة والكمال ، ثم الانحدار من القوة الى الضعف والانحطاط العام في الجسم والعقل كما كان طفلا قبل ذلك .

ثم آية اختلاف الالوان والألسن ، وفي ذلك من الحكمة الالهية الشيء العظيم مع ان أصل الخلق واحد وهو التراب والأمل في التناسل من واحد وهو آدم عليه السلام .

ثانيا : ظاهرة التزاوج بين الذكر والأنثى ، وما فيه من ظواهر فطرية كالسكن والانس ، ثم المقارنة بين مكانة المرأة في الاسلام ومكانتها لدى بعض الشعوب الأخرى ، وفضل الاسلام في تنظيم غريزة الشهوة الى مافيه مصلحة الاسرة والأولاد بقاء للحياة البشرية على السنة السليمة المافية التي تربط الرجل بمسئولية التنشئة الصالحة لأسرته التي انشأها .

ثالثا : ظاهرة النوم : هذه النعمة التي يستسلم الي مقدماتها الانسان ، ثم يساق اليها سوفا كي يجدد خلاياه التي استهلكت ، وقوته التي انهكت .
ليست
ان هذه الظواهر / الا جزء من ظواهر عظيمة انعم الله بها على الانسان ومن المهم ان يستغلها الداعية في بيانها ، ونسبة النعمة الى خالقها جل وعلا والتعريف بالرب المعبود المتصرف في الخلائق سبحانه خالق كل شيء .

#####

#####

#####

خلق الانسان من التراب

قال تعالى : ((ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون)) (١)

من هو الانسان ؟

الانسان مخلوق متميز على سائر المخلوقات التي أوجدها الله في هذا الكون ، ويمتاز على غيره بوجود الشخصية الى جانب التكوين المادي العضوي ، بالإضافة الى القدرات العقلية والميول الروحية والمشاعر الانفعالية العاطفية ، في جسم متناسق وتركيب دقيق متناه في اداء وظائفه الجسمية بدون خلل أو عطب ، فسبحان اللسه المبدع وتبارك الله أحسن الخالقين .

وهو في نظر الاسلام احد المخلوقات التي اسكنها الله هذه الأرض بعد أن خلقه في أحسن تقويم وتولاه بالالهام والتعليم وحلاه بالعقل الكريم والقلب السليم ، واعده لشرف الخلافة في الأرض .

فالآية الكريمة توضح آية من آيات الله الباهرة الدالة على عظمته وكمال قدرته من تقدير وتنظيم واتزان وترتيب واحكام في هذا الانسان الذي خلقه من تراب لا حركة فيه ولا روح فسواه وصوره باعضاء متوازنة واحاسيس متباينة ، والسن مختلفة واللوان متنوعة ، ثم سيرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب ، وفاوت بينهم في العلم والجسم والفكر والحس ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر ، والسعادة والشقاء .

فالانسان يشارك هذه الأرض في كثير من صفاتها ، كما ينفرد هو بصفات خاصة به .

فهو يشارك التراب في اصل خلقته وعناصر تركيبه وتكوينه .

ويقول الكسيس كاريل في كتابه " الانسان ذلك المجهول " : " ان الانسان مخلوق حقيقة وبالمعنى الحرفي من تراب " .. يشير بذلك الى المطابقة بين تركيب

(١) سورة الروم ٢٠ .

(١) الجسم البشري الكيماوي بجميع اجزائه وتركيب التراب .
 فأول مخلوق تفرع منه الانسان هو آدم عليه السلام ، وقد خلقه الله سبحانه
 من جميع الأرض على اختلاف الوانها في جبالها ورمالها وترابها ، وصعوبة حزونها
 وسهولة سهولها .

فعن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : (ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على
 قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسهل والحسن
 والخبث والطيب) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . (٢)

التراب مادة الخلق :

وعلاقة الانسان بالتراب علاقة فرع باصل ، وتذكير له بأصله الذي يمشى عليه
 ويطؤه تحت اقدامه حتى لا يتعالى ويتكبر وحتى لا ينسى نفسه ويغفل عن مـولاه
 الذي اوجده من هذا التراب .

فالآية الكريمة تشير الى أن الأرض هي المنشأ الأول للانسان . فمنها ينبت ومن
 عناصرها يتكون في جوانبه المادية والعضوية ثم ينتهي اليها بعد الموت . قال
 تعالى : ((منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى)) (٣)
 وقال : ((والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اـخراجا)) (٤)
 فلو اخذنا قبضة من تراب الأرض وقطعة من جسم الانسان واجربنا على كل منهما
 عمليات التحليل الكيماوي لوجدنا العناصر التي يتركب منها الجسم مأخوذة من
 العناصر التي يتركب منها التراب ، مع اختلاف مقدار كل عنصر تبعا لأهميـة
 الوظيفة التي يؤديها الجسم . (٥)

(١) نظام الاسلام العقيدة والعبادة - محمد المبارك ص ٤٥ .

(٢) سنن الترمذي في التفسير ١٤٠/٢ .

(٣) سورة طه ٥٥ .

(٤) سورة نوح ١٢ - ١٨ .

(٥) البهي الخولي آدم عليه السلام ص ٢٠ .

وقد اثبت العلم الحديث ان جسم الانسان يتكون من جميع العناصر الموجودة في البيئة المحيطة بها ويشترك في تركيبه حوالي ٢٢ عنصرا كالاتي :

الاكسجين ، الهيدروجين على شكل ماء بنسبة ٦٥ - ٧٠ % ، وتكون اساس المركبات العضوية مثل السكريات والدهنيات والبروتينات والفيتامينات ، والهرمونات والخمائر ، ثم مواد جافة مقسمة على النحو التالي ، وهي سبعة مواد :

الكلور ، الكبريت ، الفسفور ، المغنسيوم ، الكالسيوم ، البوتاسيوم ، الصوديوم ، ويشكل ٦٠ - ٨٠ % من المواد الجافة ، ثم سبع مواد اخرى بنسبة أقل من المجموعة السابقة هي :

الحديد ، النحاس ، اليود ، المنغنيز ، الكوبالت ، التوتيا ، الموليبيديوم ، ثم ست عناصر اخرى بكميات قليلة هي :

(١) الفلور ، والالمنيوم ، والبور ، والايلاينيوم ، والكاديوم ، والكروم .

وهذه العناصر المعدنية نستطيع ان نكون منها مسمارا صغيرا من الحديد ، ورأس عود ثقاب من الكبريت ، وكمية من الكلس تكفي لدهن جدار بالبياض ، ولكن السر لا يكمن في نوعية المواد ، وانما يكمن في كيفية تركيب هذه المواد بعضها الى بعض كما يقول الدكتور خالص جليبي .

(٢) ومن حكمة الله عز وجل ان هذه النسب دقيقة وثابتة بين البشر ، واذا نقص احد هذه العناصر في اجسامنا نجم عن ذلك مرض معين . فنقص الكالسيوم يؤدي الى لين العظام ، ونقص الحديد يؤدي الى فقر الدم ، ونقص اليود يؤدي الى تضخم الغدة الدرقية ، ونقص الفسفور يؤدي الى تسوس الاسنان ، ونقص البروتينات يؤدي الى هزال الجسم والعضلات .

وليس هذا فحسب بل ان الزيادة ايضا تؤدي الى امراض اخرى .. فزيادة الكالسيوم يؤدي الى تصلب الشرايين وزيادة الفسفور تؤدي الى تآكل الاسنان .

(٣)

(١) د . نبيه عبدالرحمن عثمان - خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢٥ .

(٢) الطب محراب الايمان ٥٩/١ .

(٣) د . احمد شوقي الفنجري - الوعي الاسلامي عدد ٢٠٦ ١٤٠٢ هـ .

وفي هذا خير دليل على ارتباط الانسان بالأرض .

والغريب في المواد التي تدخل في تركيب الانسان انها اذا اختلفت اختلفت خواصها أو تبدلت في موضعها من مكان لآخر حصل مركب آخر مغاير للأول في خواصه وصفاته مغايرة تامة^(١) فسبحان الله احسن الخالقين .

ان القرآن الكريم حين يلفت انظارنا الى خلق الانسان من تراب وطين ، فليس من الضروري ان يكون احدنا عالما بترابية مادة الانسان لكي يؤمن بالقوة الخالقة وانما حسبه ان يلتفت الى الأرض حيث تدفن جثث موتانا في ترابها فتتحلل عناصرها ذائبة في التراب الذي يغذي الاحياء من نباته ومعادنه وباقي عناصره .. لنذكر اننا خلقنا من تراب ، والى التراب نعود ، على المشهود المنظور والواقع الحسي المدرك .^(٢)

والخلق من التراب يطبع الانسان بطابع النقص ، وهو مطالب الجسد العضوية مثل الجوع والعطش والاكل والشرب والنوم ، والبول والخوف من المجهول وغيره من المطالب الجسدية ، وان كان الجانب الروحي قد اودع فيه ايضا ليستطيع تحقيق المطالب الروحية والخلقية ، واشباعها بالايمان بالله الواحد الأحد والاتباع بما يرضي الله سبحانه ويؤدي وظيفة الخلافة على هذه الأرض ، والجانبان الجسدي والروحي لا ينفصلان لبيان الحياة النفسية الانسانية المتكاملة .

وطابع النقص الموجود في الانسان يشعره بأنه مخلوق ناقه ، اصله من تراب وسلالته من ماء مهين ، والشأن فيه وان طالته به الحياة ان يعود الى ارض العمر ، فلا يعلم - بعد علم - شيئا ، ويغلب عليه مع ذلك ان يشمخ بانفه ، ويستكبر على الرغم من ذله ، وان يخاصم ويعاند ، ويجادل ويكابر .^(٣)

قال تعالى : ((قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا))^(٤) .

-
- (١) الطب محراب الايمان ٦٠/١ .
 (٢) القرآن وقضايا الانسان ص ٣١ . للاكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)
 (٣) منهج الحضارة الانسانية في القرآن ، البوطي ص ٤٦ .
 (٤) سورة الكهف ٣٧ .

وفي قوله تعالى حكاية عن ابليس : ((قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون))^(١) .

فقد ذكر اللعين كونه عليه السلام من التراب الذي هو احس العناصر واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في احسن احواله من كونه طينا متغيرا .^(٢)

وفي هذا تذكير للانسان باصله الذي خلقه الله منه ودعوة الى الانسان بأن لا يتصف بما اتصف به اللعين من الكبر والقياس العقيم والعصيان لرب العالمين .

المساواة الانسانية

كما تشير الآية الكريمة ببيان اصل الانسان الى تساويهم في القدر والمكانة لان اصلهم واحد ، وهذا تأكيد على مبدأ المساواة الانسانية بين الناس ، فالاسلام لم يميز بينهم بسبب اللون أو اللغة أو النسب أو الطول والقصر ، كما لم يعط أي فرد فضلا على الآخرين بهذه الأسباب فلا تمايز عرقي أو عنصري أو دموي .

وتتمثل هذه المساواة في القيمة الانسانية والطبيعة البشرية وان التفاضل بين الناس انما يقوم على امور اخرى كتفاوتهم في العلم والتقوى والاخلاق . قال تعالى : ((يا أيها الناس انا خلقنكم من ذكر وانثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير))^(٣)

فتساوي الناس في طبيعتهم البشرية مبدأ اسلامي وكمال ورقي، ووصل لبنيان الانسان على اساس واحد . ويظهر سمو هذا المبدأ اذا قارناه مع الديانات الاخرى التي كانت سائدة عند كثير من الشعوب ، فكتب الهنود تقرر التفاضل بين الناس بالسمو والحقارة بحسب عناصرهم التي خلقوا منها فيكونون اشرافا او منبوذين . وكذلك كان قداماء اليونان واليهود اذ يعتبرون انفسهم انهم شعب الله المختار ولم تكن العرب في الجزيرة بأقل منهم في ذلك اذ كانوا يحتقرون كل من سواهم بل كانوا يحتقرون بعض القبائل العربية فيما بينهم .

(١) سورة الحجر ٣٣ .

(٢) ارشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي ٧٦/٥ .

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

والقرآن الكريم يكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة ليقر في خلد الانسان وحده
 اصله ونشأته من التراب ومن الماء المهبين ، وعلى هذا فليس هناك من جنس، وليس
 هناك من شعب ، هو بنشأته وعنصره أفضل من العناصر الاخرى في التكوين .

وقد قسم الله الناس الى شعوب وقبائل لا لتتفاخر أو لتتناكر ، بل لتتعارف
 وتتآلف ثم يكون افضلهم عند الله من اتقى الله واول التقوى الاسلام لله وحده .

فعنصرية البيض على السود في امريكا أو في جنوب افريقيا عمل لا انساني
 ونكران لأصل الانسان الذي خلق من تراب وتناسل من ابي البشر آدم عليه السلام .

كما تلفت الآية الكريمة انظارنا الى التراب على انه اصل الخلق ومنشأ
 الانسان وهو مادة الارض وأساس تكوينها ، وهو أول مراحل خلق آدم عليه السلام،
 وتشير الآيات القرآنية الى أن خلق الانسان تم على مراحل .

وهي : التراب ، الطين ، والحما المسنون ، والصلصال والتسوية والنفخ .
 ثم رحلة الخلق واطواره في الرحم من : نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظام ولحم
 ثم نفخ الروح ، ثم الولادة والخروج الى الدنيا

وكل هذه التطورات الخلقية الدقيقة تدل على عظمة الله ودقة صنعه وفضله على عباده ، فانه تعالى ركب بدن الانسان من اعضاء كثيرة ، وجعل العظام عمود البدن ، ولم يجعل ما في البدن عظما واحدا ، بل عظاما كثيرة للحاجة الى اختلاف الحركة ، فلو كان البدن عظما واحدا لامتنع من الحركة المختلفة ، واوصل سبحانه وله الحمد كل عظمين بجسم يسمى الرباط ، وجعل سبحانه في آخر طرف العظام زائدة نانئة ، وفي الطرف الآخر نفرة موافقة لدخول تلك الزائدة ، فالتأمت بذلك هيئة الخلقة وتسهلت الحركات . وجعل سبحانه وتعالى الدماغ مبدأ الحس والحركة وانبت منه الاعصاب لتؤدي الى كل عضو الحس والحركة ، وبعث سبحانه وله الحمد من هذه الأعصاب قسما الى العين يسمى العصب النوري به يتم البصر ، وقسما آخر الى الاذنين به يتم السمع ، وقسما آخر الى المنخرين به يتم الشم ، وقسما آخر الى اللسان به يتم الذوق ، وجعل سبحانه وتعالى حركات الأعضاء بآلات تسمى العضل وزاد سبحانه وثاق الأعضاء بآلات تسمى الوتر وحصن سبحانه وتعالى الدماغ بعظم القحف والنخاع بخرز الظهر ، كما حصن القلب والكبد بعظام الصدر . (٢)

ثم ان حكمة تحول الانسان في بطن امه حالة بعد حالة مع ان الله تعالى قادر على ان يخلقه في اقل من لمحة ولكن في التحويل فوائد منها : انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الأم فجعله أولا : نطفة لتعتاد بها مدة ، ثم علقه ، كذلك وهلم جرا ، ومنها اظهار قدرته تعالى حيث قلبه من تلك الأطوار الى كونه انسانا حسن الصورة متحليا بالعقل ، ومنها التنبيه والارشاد على كمال قدرته على الحشر والنشر ، لأن من قدر على خلق الانسان من ماء مهين ثم من علقه ثم من مضغه قادر على اعادته وحشره للحساب والجزاء . (٣)

وفي كل قسم في جسم الانسان وعضو من امضائه دعوة الى الشكر ودعوة الى الاعتراف بالفضل والتفضل عليه من قبل مالكة ومدبر أمره ، وفي ذلك لفت لنظره على القيام بحق كل عضو منسبه بحقه ، وعدم الجحود والكفران .

(١) سورة المؤمنون ١٥ .

(٢) الطب النبوي للإمام الذهبي ص ١٥٢ .

ظاهرة تدرج الانسان من ضعف الى قوة الى ضعف

قال تعالى : ((الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير))^(١)

يولد الطفل ضعيفا في حاجة الى من يرعاه ، ويعني به حتى ينمو ويكبر ، ويستمر نمو الوليد بسرعة كبيرة في الأيام الأولى من حياته ، ولكن هذه السرعة في النمو تخف تدريجيا مع تقدم العمر ، وما ان تبدأ مرحلة المراهقة حتى تتوالى على الطفل تغييرات قوية وسريعة وعضوية ونفسية ثم تبدأ سرعة هذه التغييرات في نهاية مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الرشد التي تكتمل فيها عملية النمو ، وتعود الحياة مرة أخرى الى الهدوء والاستقرار .

ومع ان الراشد قد بلغ تمام النضج في نموه الجسمي ، ونمو قدراته العقلية الا انه يستمر في تعلم خبرات جديدة وفي اكتساب معارف جديدة حتى يصل الى مرحلة الشيخوخة ، فتأخذ قوته الجسمية في الاضمحلال وقدراته العقلية في الضعف .

وقال ابن كثير : " ينبه الله تعالى على تنقل الانسان في اطوار الخلق حالا بعد حال ، فأصله من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم يصير عظاما ، ثم تكسو العظام لحما ، وينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ، ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيرا ، ثم حدثا ، ثم مراهقا ثم شابا ، وهو القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص فيكتهل ، ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشيب اللمة وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة"^(١)

ففي قوله ((من ضعف)) : اشارة الى حالة كان فيها جنينا وطفلا مولودا ، ورضيعا ومفطوما ، فهذه احوال غاية الضعف ، وقيل من اصل ضعيف وهو النطفة .

((ثم جعل من بعد ضعف قوة)) : اشارة الى حالة بلوغه وانتقاله وشبابه واكتهاله ، ثم اشارة الى ما يكون من بعد الكهولة من ظهور النقمان والشيبة وهي

تمام الضعف .^(٢)

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٩/٣ .

(٢) تفسير الرازي ١٣٧/١٣ .

وقد رتب الله عمر الانسان على ثلاث مراتب : الطفولة ، وبلوغ الاشد ،
والشيخوخة ، ولكن من الناس من لا يصل الى المرتبة الأخيرة ، ويموت قبل ذلك ،
والله سبحانه يفعل ذلك ليعقل الانسان ما في هذا التنقل في هذه الأطوار المختلفة
من فنون العبر والحكم ^(١) ، وفي ذلك اشارة الى ضعف الانسان وفنائه ، وانه لا خلود
لاحد في هذا الكون حكمة منه سبحانه في تنظيم العمران البشري . فمن الناس من
يعمر طويلا ، ومنهم من يموت كهلا ، ومنهم من يموت شابا ، ومنهم من يموت
يافعا ، ومنهم من يموت طفلا ، ومنهم من ينزل سقطا ، وكل واحد من هؤلاء قد
قدر اجله وعمره ورزقه وشقي هو أم سعيد .

قال تعالى : ((يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من
تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر
في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا اشدكم ، ومنكم
من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)) ^(٢) .

بين الله لنا حقيقة ما يشتمل عليه الانسان من ضعف في البنية الجسدية
ومن ضعف في الكيان النفسي امام النوازع والميول والشهوات ، وتعدد مظاهر هذا
العجز كثيرا ، ويقف الانسان عاجزا امام كثير من المظاهر والقوى

فالأية الكريمة تلفت نظر الانسان الى قاعدة كونية خلقية وهي : ان الضعف
مادتهم الأولى التي صيغ منها كيانهم .

انه ضعف البنية الجسدية الممثل في الخلية الصغيرة الدقيقة التي ينشأ منها
الجنين ثم في الجنين اطواره ثم الطفل والمبهي حتى يصل الى سن الفتوة وضلاءة
التكوين .

ثم ضعفا في الكيان الانساني كله ، فالشيخوخة انحدار الى الطفولة بكسل
ظواهرها ، وقد يصاحبها انحدار نفسي ناشيء من ضعف الارادة حتى ليهفوا الشيخ

(١) تفسير المراغي ٩٢/٢٤ .

(٢) سورة الحج ٥ .

أحيانا كما يهفوا الطفل أو لا يجد من ارادته عاصما ، ومع الشيخوخة الشيب .
وان هذه الاطوار التي لا يفلت منها احد من ابناء الفناء ، والتي لا تتخلف
مرة فيمن يمد له في العمر .. ان هذه الأطوار التي تتعاور تلك الخليقة البشرية
لتشهد بانها في قبضة مدبرة تخلق ما تشاء ، وتقدر ما تشاء ، وترسم لكل مخلوق
اجله واحواله واطواره وفق علم وثيق وتقدير دقيق .

وهناك ضعف الكيان النفسي امام النوازع والدوافع ، والميول والشهوات التي
لولا النفخة العلوية ، وما خلقت في تلك البنية من عزائم واستعدادات لكان هذا
الكائن اضعف من الحيوان المحكوم بالالهام .^(١)

مظاهر العجز الانساني :

ان الانسان ضعيف في تكوينه العام ، بل ان الانسان يحس في قرارة نفسه بهذا
الضعف بدءا من طفولته ، وهو عالة على غيره لضمان حياته ، ثم يشعر به هذا
الضعف في مراحل فتوته وقوته كما يظهر ذلك جليا واضحا في الارهاق الذي يصيبه
والمرض الذي يظهر عليه ، والملل والسامة التي يصاب بها والفشل في حياته
واعماله .

ان الجسم يتوقف عن النمو في مرحلة ما بعد البلوغ وينصرف الى المحافظة
على مستوى النمو الذي وصل اليه وذلك بتعويض أي تلف يحصل في الخلايا .
ولكن ملكاته العقلية تستمر في النمو ولا تتوقف لان الانسان في حاجة مستمرة
الى مزيد من النضج العقلي .

وتستمر مرحلة الاشد أو القوة حتى تبلغ قمتها في الأربعين . ثم يبدأ الانقلاب
الفسولوجي في مجموع الجسم فتصير عملية الهدم أقوى من عملية البناء والتعويض ...
ويبدو جسم الانسان وعقله وكأنما يقومان برحلة عودة ينزلان فيها بنفس المنازل التي
كانا مرا بها في الرحلة الأولى رحلة النمو والقوة . وهذا التراجع هو الذي جعل

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٧٦ .

(١) الشيخوخة مرحلة ضعف بعد قوة ، كما كانت مرحلة الاشد مرحلة قوة بعد ضعف .
قال تعالى : ((ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا)) (٢)

فلا يزال يتزايد ضعفه ، وتتناقص قوته ، وتتناقص بنيته ، ويتغير شكله وصورته ، حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك . (٣)

قال تعالى : ((ومنكم من يرد الى أرذل العمر)) (٤)

أي : يرد الى احسه واحقره ، ولا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة . (٥)

وقال : ((لكي لا يعلم من بعد علم شيئا)) (٦)

مبالغة في انتقاص علمه وانكاس حاله ، أي ليعود الى ما كان عليه فسي أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل ، وقلة الفهم ، فينسى ما علمه ، وينكسر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه . (٧)

ومن مظاهر ضعف الانسان ضعفه امام نوازغ الشهوات . قال تعالى : ((يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)) (٨)

قال ابن كثير رحمه الله : أي في امر النساء ، فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه ، وضعف عزمه وهمته (٩) ، فارادة التخفيف تتمثل في الاعتراف بدوافع الفطرة ، وتنظيم الاستجابة لها ، وتصريف طاقتها في المجال الطيب المأمون المثمر ، وفي الجو الطاهر النظيف الرفيع ، دون ان يكلف عباده عننا في كبتها بالمشقة والفتنة

(١) دليل الانفس ص ١٨٠ .

(٢) سورة الحج ٥ .

(٣) ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ١٧٧/٧ .

(٤) سورة غافر ٧٠ .

(٥) تفسير ابي السعود ١٢٦/٥ .

(٦) سورة الحج ٥ .

(٧) تفسير ابي السعود ٩٥/٦ .

(٨) سورة النساء ٢٧ .

(٩) تفسير ابن كثير ٤٧٩/١ .

ودون ان يطلقهم كذلك ينحدرون في الاستجابة لها بغير حدود ولا قيود . (١)
 ولا شك ان هذا الضعف في فطرة الانسان انما هو وسيلة ربط للانسان بخالقه
 اذ هو بحاجة في كل لحظة لأن يستمد القوة لمسيرة الحياة والقوة للكفاح والجهاد
 والدفاع عن حوزة الاسلام .

هذا الضعف هو الذي يجعله يتخذ الوسائل المختلفة لعلاج الضعف في تكوينه
 مثل الطب والدواء والدعاء والشفاء والتوسل والالتجاء والاستعانة والاستغاثة والتذلل
 والرجاء والانابة .

وبذلك يكافح الانسان ضعفه اذ يجعل ملته بالله سندا دائما ومعينا ووكيلا
 ومرجعا ورقيبا على ارادته وعقله ودوافعه فلا يقع امام هوى ، ولا يكون صريع
 شهوات ، ولا يصاب بالامراض النفسية المقضة لمضجعه في شيخوخته فلا تصيبه
 امراض الوحدة وآلامها وآثارها ، وفي ذلك تكريم للانسان من خالقه في جميع مراحل
 حياته بحمايته من الآفات في بطن امه ، وفي رعاية والديه ، وفي شبابه وفي كهولته
 وفي شيخوخته .

ظاهرة اختلاف الألسن

قال تعالى : ((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم واللغات))
 ان في ذلك لآيات للعالمين)) (٢) .

في الآية الكريمة لفت للانظار لأهمية هذه الآية العظيمة، والظاهرة المحسوسة
 هي ظاهرة اللسان واللغة .

واختلف العلماء في المراد من اللسان هل المراد به اللغة أو جنس النطق
 واشكاله .

فقال الزمخشري : " المراد بالألسنة اللغات ، او اجناس النطق واشكاله ،

(١) في ظلال القرآن ٦٣٢/٢ .

(٢) سورة الروم ٢٢ .

وانه سبحانه وتعالى خالف بينها حتى لا تكاد تسمع منطقيين متفقين في همس واحد ولا جهازة ، ولا حدة ولا رخاوة ، ولا فصاحة ولا لكنة ، ولا نظم ولا أسلوب ، ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله . (١)

فمن قال ان المراد اللغة قال : بأنه علم كل صنف لغته والهمه وضعها واقدره عليها .

ومن قال : جنس النطق واشكاله وتقطيع الاصوات انه بهما يميز بعض الأصناف والاشخاص عن بعض فلا يكاد الانسان يسمع متكلمين متساويين في الكيفية من كل وجه . (٢)

فما هي اللغة ؟

ان اللغة هي ادق اداة ملكها الانسان للتعبير عن عواطفه وافكاره . وقال ابن خلدون : بأن اللغة ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني (٣) . كما أنها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وهي احد مظاهر السلوك الانساني ، وترتبط بالانسان الى حد كبير وتميزه عن سائر المخلوقات (٤) ، وهي بهذا تعتبر سلوكا لفظيا لدى الافراد والجماعات ، بتمثيلها القدرة على فهم وادراك ما يقال ، وعلى تركيب جمل مفيدة ، وجمل جديدة .

فاللسان نقصد به اللغة كظاهرة اجتماعية ووسيلة يتم عن طريقها التفاهم بين افراد المجتمع الواحد (٥) . قال تعالى : ((وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومسه ليبين لهم)) (٦) .

وأما الفرق بين اللغة والكلام فهما في الواقع جانبان متناظران لظاهرة واحدة فاللغة تمثل السلوك الاجتماعي ، والكلام يمثل الجانب الفردي من السلوك اللفظي .

-
- (١) تفسير الكشاف ٢١٨/٣ .
 - (٢) تفسير النيسابوري على هامش الطبري ٣٢/٢٣ ، وفتح البيان لمصديق حسن خان ٢٤٦/٧ ، والبيضاوي (في مجموع التفاسير ٤٠/٥) .
 - (٣) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٤ .
 - (٤) علم اللغة النفسي لعبدالمجيد سيد منصور ص ١٤ .
 - (٥) المرجع السابق ص ٢٨ .
 - (٦) سورة ابراهيم ٤ .

واللغة اذن هي عبارة عن نظام من الرموز الصوتية المتفق عليها في البيئـة اللغوية الواحدة ، وهي حـصيلة الاستخدام المتكرر لهذه الرموز الصوتية التي تؤدي المعاني المختلفة .

(١) واما الكلام فهو الكيفية الفردية للاستخدام اللغوي .

ومن وجه كونها آية-هذا الصوت الذي به تعبر اللغة ، هذا الصوت المعقد الذي يتركب من انواع مختلفة في الشدة ، ومن درجات صوتية متباينة ، اذ ان لكل انسان صفة صوتية خاصة تميز صوته من صوت غيره من الناس .

لذا فمن الحقائق العلمية التي تدعو الى الدهشة والعجب ان علماء التشريح لم يلاحظوا اي فرق مادي بين حناجر النوع الانساني ، فحنجرة الانسان ذي الصوت الرخيم لا تكاد تختلف عن حنجرة فلاح بسيط من الناحية التشريحية (٢) . فكل واحد من الناطقين مختص بلطفية من الله في صوته ، وفي جرس لسانه ، حتى لا يكاد يرى اثنين في الدهر العظيم ، والعدد الكثير يتشابه صوتاهما ، ويلتبس كلامهما ، وهذه اللطفية لا سبيل الى وصفها حتى يتهاى وصف كل صوت بما يحصره على صاحبه ويخمه بناطقه تبارك الله احسن الخالقين . (٣)

لذا فان العملية اللغوية ليست عملية سهلة ، بل هي عملية معقدة ، ولو تفكر الانسان في كيفية اكتساب الانسان هذه اللغات لتحير كيف يكتسب وكيف يخزن هذه المعلومات وكيف يخرجها حينما يريد ، وكيف ينطقها اثناء المكالمة ؟ وهذا ما دعا بعض مدارس علم النفس الى ان تقرر : " وجود استعداد مسبق لتعلم اللغة يولد بسسه الطفل " وتتصدر هذه النظرية الدراسات اللسانية الحديثة . ومن الحكم العظيمة ان يولد الطفل باستعداد فكري لتعلم اللغة ، دون ان يولد متعلما لغة معينة ، وذلك حتى يكتسب بعد الولادة لغة بيئته التي سيحتاج الى استعمالها . (٤)

(١) علم اللغة النفسي ص ٢٩ .

(٢) الاصول اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ص ٨ .

(٣) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ص ٣٦٩ .

(٤) دليل الانفس ص ١٢٨ .

فالله سبحانه وتعالى هو الذي اودع في الانسان هذه القوة .. ومن هنا نسدرك
السر في اقتران اختلاف الالسنة والالوان بخلق السموات والأرض . (١)

القدرة على اكتساب اللغة :

القدرة على اكتساب لغة من اللغات امر يختص به الانسان دون سائر
المخلوقات .. اساسها قدرة فطرية تختص بالجنس البشري .. كما انه ليس في مقدور
سائر الكائنات تعلم لغة البشر ، وفي مقدور أي طفل أو راشد ان يتعلم اية لغة في العالم .

وهناك مظاهر تؤكد ان اللغة الخاصة بالبشر ، اساس اكتسابها يرجع الى
عوامل فطرية بيولوجية منها :

جهاز النطق عند الانسان وطبيعة تركيبته واختلافه عن مثيله عند الحيوان . اذ
يمتاز بخصائص متفوقة سواء في الرئة وعملية التنفس ، او الحنجرة ، او الاسنان
المتقاربة في الارتفاع ، وكذلك عضلات الشفتين ، وكون الفم صغير نسبيا بحيث يمكن
ان يفتح ويغلق بسرعة ، وفي هذا يساعد على نطق بعض الاصوات ، وخاصة الأصوات
التي تحدث نبرات عالية . (٢)

ويقرر كثير من العلماء الى ان النوع الانساني قد خلق مزودا بهذه المراكز
كما خلق مزودا بخصائصه الأخرى كاعتدال القامة وادراك المعاني الكلية .. وما الى
ذلك . (٣)

فمراكز اللغة شأنها في ذلك شأن اعضاء الحس واعضاء الحركة في الجسم
الانساني : تخلق مزودة بالقدرة على القيام بوظائفها . (٤)

وقد ميز الله الانسان عن بقية فصائل الحيوان باللغة الصوتية بالاضافة الى
تميزه بطائفة من المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة مثل

(١) التفسير الواضح ٢١/٣ .

(٢) علم اللغة النفسي ص ١٥٨ بتصرف .

(٣) نشأة اللغة عند الانسان والطفل ص ٤٣ على عبدالواحد وافي .

(٤) نفس المرجع ص ٤٤ .

مركز اصدار الالفاظ ، مركز الكلام ، مركز حفظ الأصوات المسموعة ، ومركز الكلمات المرئية .. الخ . (١)

” ظاهرة اختلاف الألوان ”

ومن الآيات التي امتن الله بها على عباده اختلاف الألوان / ووقفه واحدة عند الوان البشر المختلفة حرية ان تشير العجب والدهشة في قلب الانسان .. وكلهم بشر ، وكلهم من نوع واحد ومن اب واحد وام واحدة . يلتقون بالوانهم المختلفة هذه ، فالتقاؤهم وتنوعم في آن واحد يدعو الانسان الى العجب من هذه الحكمة البالغة .

قال البيضاوي : ” الوانكم أي بياض الجلد وسواده ، او تخطيطات الاعضاء والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهمسا واسبا بهما ، والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لامحالة . (٢) مع انهما تشاركا حملا في بطن واحدة .

واستدلوا بما روي عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك ، والسمل والحزن والخبيث والطيب) (٣)

واما الخطيب الاسكافي فانه لا يخمس الالوان في الآية بالسواد والبياض ، والحمرة ، وانما يعممها على الشكل الانساني بعامة وانفراد كل انسان بخلقسه منفردة حيث يقول : ” ليس المراد في الآية السواد والبياض والسمره والحمرة انما المعنى اختصاص كل واحد من الناس بخلقة وانفراده بصورة يقارنها لفظ تدبير من الله تعالى يجعله على لون ونوع من التصوير يتميز به عن سائر أمثاله حتىسى

(١) نشأة اللغة عند الانسان والطفل ص ٢٧ على عبدالواحد وافي .

(٢) تفسير البيضاوي (مجموع التفاسير ٤٠/٥) .

(٣) سنن الترمذي ١٤٠/٢ .

لا يلتبس بواحد من اشكاله ، فلا تكاد تجد في بلد تحوي من لا يحصر بعداد ، اثنين يتشابهان تشابه لبس ، بل كل مخصص بخصوصية في وجه يعرف بها من غيره ، وهو ايضا مما يعجز عنه النعت ، ولا يمكن ابانة واحد من الآخر بالوصف حتى يستغني به من المشاهد ، ويقوم من جهة الواصف له مقام الرؤية ، فهذه آيات يشترك في معرفتها الناس كلهم ، وان استمرت الغفلة بهم ، ووقع على تأمله سهو منهم ، فلذلك قال ((ان في ذلك لآيات للعالمين)) (١) .

فاختلاف الألوان مرتبط بآية خلق السموات والأرض من اختلاف الأجواء على سطح الأرض . واختلاف البيئات الناشئة من اختلاف طبيعة الارض وتضاريسها ارتفاعا وانخفاضا جبالا وسهولا ، وكثرة نزول أشعة الشمس كثرة وقلة أو مائلة وعمودية .. كل ذلك ذو علاقة باختلاف الألوان والأشكال مع ان الأصل والنشأة واحدة على هذه الأرض . فكلنا يرى هذا الاختلاف ثم يمر عليه دون ان يرى فيه القدرة البديعة ودون التأمل والدراسة الموصلة الى تمجيد الخالق المدبر لهذه الظواهر التي نراها ونحس بها . ان ضوء الشمس الشديد يكون ضارا في المناطق المدارية لمن لم يتعود عليه وقد يسبب ضربات الشمس التي تسبب الوفاة للرجل الابيض الذي لم يتعود عليه ، وذلك بسبب امتصاص الجلد للأشعة فوق البنفسجية امتصاصا فجائيا .

ولكن اذا امتص الجلد هذه الأشعة تدريجيا ، اخذ لون الجلد في السمرة ، وامكنه ان يتحمل اشعة الشمس بدون ان يصاب بسوء ، ومثل هذه السمرة التي سببها تجمع المادة الملونة تحت الجلد تقي الجسم من ضوء الشمس الشديد . وهذه المادة الملونة هي السبب في اختلاف الوان البشر . وبذلك تظهر أهمية المادة الملونة في المناطق التي يزداد فيها الاشعاع الشمسي . (٢)

(١) درة التنزيل للزبيب الاسكافى ص ٢٦٩
(١) دراسات في الجغرافية البشرية . د . فؤاد الصفار ص ٥٤ .

الحكمة في اختلاف الألسنة والألوان :

وفي اختلاف الألوان والألسن حكمة بالغة ، وفيه حث الانسان ولفت نظره الى ظاهرة التنوع في الخلق واثارة احساسه المتبلد بحكم الالف والعادة ، الى الاعجاز المحسوس في الخلق ، واثارة الى قدرته القادرة التي تبعد على غير مثال من الآيات المعجزة الظاهرة للأعين والمسموعة بالأذان .

فاختلاف الالسن والألوان على كثرة الناس وتباينهم مع ان الأصل واحد ومخارج الحروف واحدة من آيات الله الظاهرة في الخلق الانساني ، اذ لا تجد صورتين متفتقتين من كل وجه الا ونجد من الفرق بين ذلك ما يحصل به التمييز . (١)

ذلك لأن الانسان يحتاج الى التمييز بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره ، والعدو من الصديق ، ليحترز قبل وصول العدو اليه ، وليقبل على الصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه ، وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصورته ، فلو اتفقت الاصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة ، ولما عرف صاحب الحق من غيره والغريب من البعيد . (٣)

وهذا دال على كمال قدرته سبحانه ونفوذ مشيئته وعنايته بعباده ورحمته بهم لئلا يقع التشابه والاضطراب في حياتهم ويفوت كثير من المقاصد والمطالب .

وبالإضافة الى هذه الحكمة فهناك حكمة اخرى ظاهرة وهي : ان امتصاص الجلد للأشعة فوق البنفسجية تدريجيا ، يعطي الجلد لونا داكنا ، وبذلك يستطيع الجلد تحمل الحرارة الشديدة في تلك المنطقة الشديدة الحرارة ، يقول بعض الجغرافيين : " ان البشرة السوداء بها فوائد مهمة على الرغم من انها عاكس رديء للأشعة فهي تمنع احتراق الجلد ، بالإضافة الى علاقته بافرازات العرق " (٤)

(١) تفسير ابن سعدي ٦٠/٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازي ١١٢/١٣ .

(٣) تفسير الخازن (مجمع التفسير) ٤١/٥ ، وتفسير النسفي (مجمع التفسير) ٤٠/٥ .

(٤) البيئة والانسان لعبد الله ابو عياش ص ٧٩ .

استغلال الاسلام لظاهرتي اللغة واللون :

لما ذكر الله سبحانه اللون واللسان في الآية على أنهما آيتان من آيات الله عز وجل دالة على وحدانيته جعل ذلك ميزة للانسان كوسيلة للتعريف والتعارف . ولم يجعلهما وسيلة للتناكر والتخالف .

ولكن الهوى حينما يتحكم في الانسان يميل به عن الحق ، كبعض المجتمعات التي جعلت اللون ظاهرة ترابط فيما بينهم وعلامة فرقة مع غيرهم .

ومجتمعات اخرى جعلت اللغة ظاهرة ترابط فيما بينهم وعلاوة فرقة مع غيرهم . ولكن الاسلام لم يجعل هاتين الظاهرتين وسيلة تفرقة للامم والشعوب ، اذ هما في الحقيقة لا تدلان على فضيلة او مكانة ومنزلة ، وان الميزان الصحيح لتقديس الافضية هو تقوى الله سبحانه والعمل الصالح .

بذلك تجتمع جميع الأجناس البشرية ، وجميع الألوان وجميع اللغات في حمى الاسلام ، وفي ظل نظامه الاجتماعي ، وهي تحس أسرة واحدة تربط بينها جميعا ،
آصرة الانسانية . (١)

فلا حدود نسبية او لونية أو جغرافية او قومية أو لسانية لهذا المجتمع الذي يصوغه الاسلام اذ هو للبشر أجمع ((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)) (٢) .
اما المجتمعات الاخرى التي لا يصوغها الاسلام فتتخمس في قومها أو وطنها او لونها ثم يوصل على من دونهم الباب .

أما المجتمع الاسلامي فبابه مفتوح ، لا يغلق مدى الدهر ، فكل من دخله آمن بفكره وخلقه وتموره فهو اخ لجميع المؤمنين لقول النبي صلى الله عليه وسلم :
(ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه) (٣) . وقول الله صلى الله عليه وسلم : (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد

(١) نحو مجتمع اسلامي لسيد قطب ص ٩٣ .

(٢) سورة الانبياء آية ١٠٧ .

(٣) صحيح البخاري في الصلاة عن ابي موسى رضي الله عنه ١٨٢/١ رقم ٤٦٧ .

إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (١) .

لقد كان من حسن حظ البشرية ان الاسلام تبرأ من أول يوم من حواجز الجنس والأرض واللسان ، واستهدف قيام الاخوة العالمية بين المؤمنين . ولما كانت دعوة الاسلام لم تأت من البداية الى بلد بعينه ، فانها كانت خطوة نحو تحقيق ما بذلت المحاولات لتحقيقه لتوحيد المجتمع الانساني .

وبجانب عالمية الدعوة ، فان الاسلام دعا الى تلاقي المسلمين في نظام فريد لا يوجد له مثيل وهو فريضة الحج .

فلم يجعل الاسلام اللون واللغة حاجزا في سبيل الاخوة والتعاطف . لذا فقد برهن الاسلام من بدايته على ازالة الفوارق العصبية والطائفية ، ولقد اجتمع في المجتمع الاسلامي المتفوق، العربي والفارسي والشامي والمصري والمغربي والتركي والصيني والهندي والروماني والاغريقي والاندونيسي والافريقي ... الى آخر الأقسام والأجناس ، وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل متمازجة متعاونة في بناء المجتمع الاسلامي والحضارة الاسلامية منتسبين الى الاسلام على قدم المساواة ، وتجمع فيهم بينهم آصرة تتعلق بربهم الواحد وتبرز فيها انسانياتهم وحدها بلا عائق ، وهذا ما لم يجتمع قط لأي تجمع آخر على مدار التاريخ .

وفي قوله تعالى : ((ان في ذلك لآيات للعالمين)) : اشارة الى الذين يعلمون حقيقة اللوهمية على المنهج الايماني .. فتتحول المعرفة عندهم الى مشاعر وجدانية وسلوك عملي ، ويمكن أن يدخل في مفهومها رجال العلوم من أطباء ومهندسين وعلماء حياة اذا تفتحت بصيرتهم لقدرة الله المعجزة . فعلموا مسن حقيقة اللوهمية ما يجعلهم اشد خشية لله واشد امتثالا لأمره . (٢)

ففي الآية اشارة الى ظواهر يجب ان تكون موضع دراسة علمية حتى تصبح غذاء للعقيدة ، وتفهم كدليل على قدرة الله ، ودراسة الألوان واللغات علوم حديثة بلغة

(١) صحيح البخاري في الادب عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ٢٢٣٨/٥ رقم ٥٦٦٥ .

(٢) دراسات قرآنية ص ٢٣٢ (بتصرف) .

العصر الأول والذي يمكن المسلم من فهم لغات الناس والتحدث اليهم وتعليمهم او الاستفادة منهم ، فهي وسيلة من اعظم الوسائل التي يتسلح بها الدعاة في هذا العصر .

وأما الألوان فتعني ما يعرف بالجغرافيا البشرية التي تتخصص في دراسة لسون البشرة وشكل الجمجمة ومظهر الهيئة كلها ، وعن مصدر ذلك كله ، واثره فسيحي الاخلاق والطباع والميول . وفي ذلك كله اثر كبير في سلوك الداعية وتوجيهه الى الطريقة السليمة والحكمة المؤثرة .

ظاهرة التزاوج في الانسان

قال تعالى : ((ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها
وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)) (١) .

ففي هذه الآية الكريمة لفت للانظار الى عدة آيات باهرات يرشدنا الله سبحانه
الى التفكير والتأمل فيها وصولا الى حكمته ووحدانيته ومنته على خلقه .

فأولها : انه خلق لنا من انفسنا ازواجا .

ثانيا : انه جعلها سكننا لنا .

ثالثا : انه جعل بين الرجل والمرأة مودة ورحمة .

وبعونه تعالى ابدأ بالنقطة الأولى في هذه الآية الكريمة .

فالتزاوج هي فطرة الموجودات كلها ، فلا يوجد مخلوق الا وهما زوج ،
فالنباتات لا يمكن أن تزهر أو تثمر الا بالتزاوج والتلقيح ، وكذلك الحشرات فانها
لا تتناسل الا بالتزاوج والتلقيح ، وكذلك الحيوانات . فدل ذلك على أن الزوجية
قاعدة من قواعد الفطرة في هذا الكون ، فلولا ذلك لاختل نظام الكون ولانعدمت
الحياة وانقرضت البشرية بما في ذلك بقية الكائنات سواء البرية أو البحرية .

فالتزاوج اذن ما هو الا شطر سنة من سنن الله يجب ان يلتزم ليكتملا بعضهما
البعض ويسكنا قلقهما المتلفت الحيران .

انه فطرة ازلية وحنين ازلي ونزوع فطري يتجاذب به أزواج النوع الواحد بعضها
الى بعض ، فلا يكمل شوق احدهما الى الآخر ولا يسكن قلقه ويكمل امره ويخرج
ثمره الا ان يلتقي على السنة التي قرره سبحانه لأفراد نوعهما ، وهل السالب
والموجب في الكهرباء الا زوجان ينزع كل منهما الى الآخر ويرنوا الى الاتصال به ؟
فاذا لم يتصل فهو في فساد وعطل من حلية الثمر والعمل ، أما اذا اتملا فما شئت
من نار ونور وحركة وقوة وخير . (٢)

(١) سورة الروم ٢١ .

(٢) البهي الخولي .. آدم عليه السلام ص ١٦٩ .

فخلق الانثى بجانب الذكر رحمة من الله على الموجودات وحماية لها من الانقراض ، ودوام بقاء الحياة للنوع الانساني وغيره ، وهذه لا شك من البراهين القوية على وجود القصد والتدبير الدقيق في هذا الكون . فمن هنا نفهم حكمة وجود الغريزة الجنسية عند الرجل والمرأة ، ونفهم ايضا لماذا كان تلاقي الرجال بالرجال والنساء بالنساء انحرافا عن سنن الفطرة التي سنها الله لعباده ، اذن لفني البشر وانقرضت على هذه السبغراء .

ففي آيات الباب حدد الله الهدف من عقد الزواج وهو السكن والاستقرار والاطمئنان ، ولا يمكن أن يتم ذلك الا بمشاركة طبيعية - المرأة بطبيعتها والرجل بطبيعته - اذ هما طرفا عقد الزواج ، فالجانب الانساني هو الاساس الذي رمى اليه الاسلام لما فيه من الاهداف النبيلة تتجاوز حدود المتعة الجنسية الى آفاق سمو الروحي بالسكن والمودة والرحمة ، وهذه الأسس هي التي تقوم عليها الأسرة وتنتج عنها القوة والسعادة على المجتمع الذي نظمها الاسلام بنظام محكم تمنع عنها الشطط والانهيـار ، ثم انه بمقتضى الآية السابقة وبمقتضى ما استقر عليه العقلاء في المجتمع اصبح الزواج ضرورة اجتماعية ، ومن هنا حث النبي صلى الله عليه وسلم على الزواج مبينا المفسدة التي تنتج عن رفض الزواج أو عن رفض تزويج أهل الاستقامة من المفاصد والشور . فقال عليه الصلاة والسلام : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج)^(١) . وقوله صلى الله عليه وسلم : (اذا أتاكم من ترضون خلقه/فزوجوه الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)^(٢) .

ذلك ان الامتناع عن الزواج والتزويج مع الرغبة الملحة في الاشباع الجنسي المودعة لدى كل انسان مقاومة ومضادة للفطرة تدفع الشاب والفتاة الى البحث عن هذا الاشباع بطريق غير مشروع ، فاذا الرغبة الملحة مع عدم الزواج يصبح الطريق الغير المشروع اليه ميسورا وبذلك ينتشر الفساد في الأرض بسبب التمرد على سنة الله .

(١) اخرجه البخاري في النكاح ١٩٥٠/٥ رقم ٤٧٧٨ .

(٢) ابن ماجه باب النكاح ٤٦ ص ١٤٢ .

غريزة الشهوة

ان الشهوة غريزة من أقوى الغرائز البشرية ، بل هي من الغرائز الفطرية ، بل هي الدافع القوي والأساسي في الزواج في الغالب الأكثر . لذلك حرص الاسلام اشد الحرص على تنظيم هذه الغريزة على أكل وجه واتم صورة بلا دعوة الى كبت أو حرمان أو انطلاق على الغارب بلا حدود ولا قيود . وذلك باستغلال هذه الطاقة الفطرية الكامنة في تكاثر البشرية ونمائها وحفظها من الانقراض ، مع حمايتها من الشبه بالشهوة الحيوانية ، بل حتى على اطفالها بالطريقة الصحيحة التي تخدم استقرار الانسان واطمئنانه وشعوره بالسكن مع زوجته وأولاده .

لذلك حض الاسلام على الزواج وجعله من سنن النبي صلى الله عليه وسلم حيث عاتب النبي صلى الله عليه وسلم أولئك القوم الذين تقالوا عبادتهم امام عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم : (انتم الذين قلتهم كذا وكذا ؟ أما والله اني اخشاكم لله ، واتقاكم له ، ولكني اصوم وأفطر وامسّي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري .^(١)

ومن هذا يتضح ان الزواج من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه السنة تحض على استغلال هذه الفطرة الانسانية لدى الانسان ، وهذا ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يحض على التزوج بقصد العفاف ، وقصد حماية النفس من الوقوع فيما حرم الله تعالى ، وجعل الزواج بهذه النية حق على الله ان يعينهم في تحقيق غرضهم بايصالهم اليه باقرب الطرق ، وايسر السبل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح يريد العفاف)^(٢) .

وفي هذا بيان لحرص الاسلام لاستغلال هذه الغريزة الخطيرة استغلالا سليما وصحيحا لما فيه قوة الاسلام وعزة المسلم ولما فيه من حماية للانسان من الأمراض العنصرية والنفسية .

(١) صحيح البخاري ١٩٤٩/٥ رقم ٤٧٧٦ .

(٢) رواه الترمذي واللفظ له وقال حديث حسن صحيح .
وابن حبان له في صحيحه .
والحاكم وقال : صحيح الاسناد على شرط مسلم .
يراجع الترغيب والترهيب للمنذري ٤٣/٣ .

فمن مثل هذه النصوص يتبين ان الزواج في الاسلام فطرة انسانية يحمل المسلم في نفسه امانة المسؤولية الكبرى حينما يلبي نداء الفطرة واشواق الغريزة .
لذا فقد حذر الاسلام من الزنا واعتبره من الامراض الخطيرة التي تقـسـوس تماسك المجتمعات وتآلفها ، روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد احلوا بانفسهم عذاب الله) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد . (١)

وقد شدد القرآن الكريم عقوبة الزاني بالعقوبة المادية ثم المعنوية بأن لا نرأف بهما ولا نشفق عليهما ، قال تعالى : ((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين)) (٢) .

وفي الزواج تلبية مأمونة لغريزة الجنس بين الزوجين ، فهي قيد للعلاقات الجنسية منظور فيه الى مصير النسل كي تفي باشباع الغريزة متجنبة الفوضى والتدمير .
وقد ركب الله سبحانه في كيان الانسان الشهوة ثم اباح له اشباع هذه الغريزة المركبة في كيانه بالقدر النافع له المعين على أداء مهمة الخلافة في الأرض والمانعة من الانقراض في هذا الوجود .

وجعل له نقطة ابتلاء في بشريته هي (التزيين) لينظر كيف يكون تصرفه ،
ايستجيب لهذه الشهوة ويتعدى الحدود المرسومة وينزل الى مستوى الحيوان ، أم يلجأ الى عقله واراادته الضابطة فيستجيب لاوامر الله .
(٣) ((زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ...)) .

فالمرأة المتزوجة زينة امام زوجها .
وليس اهتمام المرأة الشديدة بزینتها مهما تكن درجة ثقافتها أو العمل

(١) الترغيب والترهيب ٢٧٨/٣ .

(٢) سورة النور ٢ .

(٣) سورة آل عمران ١٤ .

الذي تؤديه الا مظهرا من مظاهر هذا الأمر . ففي اعماقها رغبة شديدة في أن تبدوا جميلة على الدوام ، وهذا - في حسها - هو التعبير المباشر عن أنوثتها . (١)

ولاهمية هذه الشهوة في بقاء الحياة فقد أودع الله هذه الغريزة في الانسان مهذبة ومقيدة ، وفي الحيوان غير مهذبة وغير مقيدة ، رحمة منه وفضلا وعدلا ، ونظاما للسبرية وابداعا وحكمة .

ولما كانت هذه الغريزة قوة طاغية في بعض الاحيان ، فان الزواج يكسر من هدة الشهوة المجنونة هذه ، لأن الانسان يزهد بفطرته في الشيء الذي يملكه ، ويكسون ذلك مانعا من التفكير فيه .

فاذا اطمأن الزوج والزوجة بعد فترة التعطش الأولى الى ان كلا منهما يملك الآخر في كل لحظة يريد لها لم يعد هناك دافع الى التشهي العنيف والسعار الملهوف .

والأسرة بمشاغلها الخاصة ومطالبها الدائمة ، وعلى الاخص حين يكثُر الأولاد ويحتاجون لمزيد من الرعاية تصرفه النفس عن الشهوة الملحة وتقف بها عند الحسد المعقول الذي لا يرهق الجسم ولا يكلفه شططا .

(فمن ناحية الغريزة الجنسية ذاتها نجد الاسرة هي المنظم الطبيعي لانطلاق الشهوة ، بالصورة التي تمنع دمار الجسد وعذاب اللهفة الدائمة ، وتمنح الفرد السوي في الوقت ذاته نصيبا معقولا من المتعة الجسدية ينتهي به الى الرضا والارتواء . (٢)

فالزواج لا تقتصر ثمرته على اشباع الغريزة الجنسية وتلبيتها ، بل ان لسه وظائف نفسية وروحية واجتماعية لا يستطيع الانسان وصفها في عجلة .

(١) الانسان بين المادية والاسلام ص ١٦٩ .

(٢) الاسرة في الاسلام لمصطفى عبدالواحد ص ٢٠ .

مهانة المرأة عند الشعوب السابقة على الإسلام :

كانت المرأة في الأزمنة الغابرة محرومة من حقها الذي اعطاها الله سبحانه لها اذ كانت تعتبر شيئاً دون الانسان في المنزلة وكان على ذلك شأن العالم كله . ففي الجزيرة العربية سجل لنا القرآن الكريم حالة العربي النفسية اذا ما رزق بانثى وما كان يحس به من خزي وعار بوجودها رغم انها من صلبه ومن بين جنبهيه ، بل انه يكون في حيرة شديدة لا يدرك مداها بنفسه ، ولا يدري كيف يتخلص منها ، بالقتل أم بغيره ، وقد نعى القرآن ما هم فيه من جهالة وقسوة لهن . قال تعالى :

((وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون))^(١) .

فكانوا لا يرحبون بميلادها وينظرون على انها مجلبة للعار ، وكان الوالد في كثير من الأحيان يذهب بطفلته وهي حية فيحفر لها حفرة ثم يدفنها فيها ، ويهيل عليها التراب حتى تخمد انفاسها ، ويرى بذلك انه قد امن العار ، أو الفقـر المنتظر ، وكان الرجل اذا مات وترك زوجته اعتبرت متاعاً يورث فيرثها ابنه أو بنته .

قال النيسابوري : " كانوا مختلفين في قتل البنات ، فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان تموت ، ومنهم من يرميها من شاهق جبل ، ومنهم من يغرقها ، ومنهم من يذبحها ، وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية ، واخرى خوفاً من الفقر والغاقة ولزوم النفقة .^(٢)

وروى قتادة قال : جاء قيس بن عاصم التميمي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني وأدت ثمانى بنات في الجاهلية . قال : (فاعتق عن كل واحدة بدنة) . وعن الربيع قال : كانت العرب من افعل الناس لذلك .^(٣)

وقد اخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :

(١) سورة النحل ٥٨ - ٥٩ .

(٢) تفسير غرائب القرآن على هامش تفسير الطبري ٧٧/١٤ المطبعة الميمنية

(٣) تفسير الطبري ٣٩/٣ .

((يأيها الذين ءامنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما ءاتيتموهن)) (١) .

قال كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته ، ان شاء بعضهم تزوجها
وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها ، فهم احق بها من اهلها فنزلت . (٢)

وفي لفظ لأبي داود في هذه الآية : كان الرجل اذا مات كان اولياؤه أحق
بامرأته من ولي نفسها ، ان شاء بعضهم زوجها أو زوجوها ، وان شاؤا لم يزوجوها
فنزلت . (٣)

وقال الزمخشري : " كانوا يبيلون النساء بضروب من البلايا يظلمونهن بانواع
من الظلم فزجروا عن ذلك . وكان الرجل اذا مات له قريب عن امرأة القى ثوب عليها
وقال انا احق بها من كل احد . (٤)

ولكن الاسلام منع عنها هذه الاهانة ورد لها اعتبارها الانساني وغرس في نفسها
الثقة واعطاها حق التصرف فيما تملك ، والقى ماكانت عليه الجاهلية من نظرة
ظالمة للنساء وبذلك اهدر قاعدة الجاهلية التي كانت تقضى بحرمانها من الميراث ،
كما جعلها مساوية للرجل في التصرفات المالية .

و لم يكن حالها لدى الامم الاخرى بافضل من حالها لدى الجاهلين من العرب سواء عند
الهنود او اليونان او الرومان او اليهود او النصارى . فان هذه الشعوب لم تعط المرأة
مكانة و لم تعطها بعض ما اعطتها الاسلام من الحقوق العظيمة .

— — — — —

(١) سورة النساء ١٩ .

(٢) صحيح البخاري ١٦٧١/٤ رقم ٤٣٠٣ .

(٣) ابو داود في النكاح ٢٣١/٢ رقم ٢٠٨٩ .

(٤) الكشاف ٥١٣/١ .

الفروق الخلقية بين الرجل والمرأة

ولكن اذا كانت المرأة والرجل سواء من حيث انسانيتهما ، فان تركيب كـل واحد منهما يختلف عن الآخر ((وليس الذكر كالانثى))^(٢) فالمرأة تختلف عن الرجل في اعضائها وبشرتها وخلاياها وصوتها ومخها ، وفي افرازات بعض غددها ، والمرأة تحيض والرجل لا يحيض ، والمرأة تحمل والرجل لا يحمل ، ويبقى حملها في بطنها تسعة اشهر ، واذا ولدت فانها تقوم بالارضاع والرعاية لأن ولدها من اعجز انواع المخلوقات ، ويحتاج الى فترة رعاية اطول . وما تكاد تنتهي من ولدها الأول حتى تحمل بالثاني .

اما الرجل فهو لا يعدو ان يلقي بذارا خلال ثوان معدودات ثم تبدأ مهمة المرأة بعد ذلك^(٣) حملا وثقلا وولادة وخدمة للطفل ورعاية له ، اذ تتفرغ لمسئولية تربية الطفل ونمائه وتربط نفسها وعواطفها به رباط تلذذ به حبا وحنانا وعطفا فكان من الضروري في هذه الحالة وكان لزاما ان يتحمل معها مسئول يشاركها في حب هذه التربية التي نسميها ولدا من ناحية الانفاق والكسب بعد العمل الشاق المضني طوال اليوم ، فكان ذلك الشريك هو الزوج . لذا فقد جعل الله الزوج هو الوضع العادي الذي يجعل الرجل والمرأة يتحملان معا مسئولية الأولاد .

اذن فالاختلافات الجسمية بين الرجال والنساء نشأ عنه اختلاف فطري في الوظيفة ومجال العمل .

(١) الاسلام والمرأة المعاصرة للبهني الخولي ص ١٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣٦ .

(٣) الاسلام لسعيد حوي ٢٤/٢ .

وشعور المرأة بأنها رقيقة ، مرنة ، شديدة الحساسية ، يؤثر فيها تأثيرا كبيرا لدرجة انه يوقظ فيها الرغبة في التماس عون الرجل وحمایته ويمكن اجمال هذه العوامل فيما يلي :

أولا : قدرة الرجل العاطفية اقل من نظيرتها عند المرأة ، ومن ثم فهو أقدر منها على الصمود ومقاومة المشاعر المؤقتة .

ثانيا : قدرة الرجل على التفكير والسلوك بعيدة عن دائرة تأثير كل من الإيمرونة والحساسية الجسمية .

ثالثا : طبيعة الاشياء جعلت الرجل هو الذي يحمي المرأة طوال فترات التاريخ وهو الذي يهتم بها ، ويقوم على امرها هي وابنائها .

مساواة المرأة بالرجل في الانسانية

قال تعالى : ((ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها)) (١)

فهذه الآية الكريمة تقرر مبدأ مشاركة المرأة للرجل في الانسانية بل هي كالرجل في هذه الصفة ، فهي جزء مخلوق منه ، كما انها شريكته في بث الحياة البشرية على هذه الأرض . قال تعالى : ((يأيها الناس انا خلقناكم من ذكـر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقكم ان الله عليم خبير)) (٢) .

وقال تعالى : ((يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا)) (٣)

كما قرر القرآن الكريم استقلال المرأة عن الرجل في التكليف وانها مسئولة

(١) الروم ٢١ .

(٢) الحجرات ١٣ .

(٣) النساء ١ .

عن نفسها مسئولية مستقلة عن الرجل ، وانها تثاب على عملها الصالح ثوابا كاملا لا ينقص شيئا عن ثواب الرجل . قال تعالى : ((فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عمل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)) (١) .

لذا فان الاختلاف بين الذكر والأنثى في الوظيفة التي حددتها الارادة الالهية لكل منهما في هذه الدنيا أمر حتمي ، وضرورة فطرية . فالاسلام تخفيفا عن المرأة التي تتعرض لكثير من الأعباء من لواحق الأنوثة ووظائفها مثل الحمل والرضاعة والحضانة وما الى ذلك ، فانه بحكم تلك الأوضاع تحتاج الى رعاية خاصة مثل التخفيف عنها في حالات معينة عن اداء بعض العبادات وذلك لأن الأمومة وما يسبقها وما يلحقها في بعض الأحيان ، ومن ثم فقد أوجب الاسلام على الرجل كفالتها من كسل الوجوه التي تتعلق بالانفاق والرعاية والحماية وما الى ذلك . وذلك لأن الرجل من مختلف جوانبه الطبيعية اصلب عودا واشد بناء وتكوينا ، واقدر من المرأة على الصراع، وانه تبعاً لذلك من حيث المبدأ العام هو الذي يكافح في سبيل الكسب وتوفير اسباب الحياة والراحة للمرأة وللأبناء ، ومن أجل ذلك تصبح له اولوية طبيعية وعملية وواقعية معا ، وبالتالي تقع عليه اعباء التعرض للمهام الكبرى في الحياة مثل حماية المغرور والأوطان .

وكما كلف الاسلام الرجل اكثر مما كلفها به فانه أسقط عنها فريضة الجهاد الا في حالات قليلة وكذلك اسقط عنها الملاء فترة نفاسها وحيضها كما اخر عنها الصوم حتى تطهر .

(١) آل عمران ١٩٥ .

المساواة في الاسلام :

ثم ان الاسلام جعل اساس الحياة الزوجية هي الوحدة النفسية تآلفا وتكاملا وسكنا ومودة ورحمة ، ومتى صح هذا الاساس فغير متصور ان يكون البيت مجال صراع بين الزوجين على سيطرة وسلطة .

قال تنالسي : ((الرجال قوامون على النساء))^(١) فالقوامة على النساء ناشئة عما توافر للرجل من صفات القوة المتنوعة الضرورية من اجل الصراع في سبيل الحياة ، وعن كونه يحمل عبء الانفاق ابتداء من المهر .

وكذلك لا يصح تجاهل مافي طبيعة المرأة من رقة وما تحمله بحكم وظيفتها من واجبات ضخمة تؤديها للحياة مما يفوق بكثير من ناحية القوامة مناطها الرجولة .

والقوامة مناطها الدرجة التي للرجال على النساء ((وللرجال عليهن درجة))^(٢) بمقتضى تكليف القوامة ، ولا تنقض هذه الدرجة له من قدرها ومكانتها زوجها وامسا وربة بيت مسئولة شرعا عن رعايته ، كما لا تعطل الدرجة الأصل العام للمساواة .

وقوله تعالى : ((من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا))^(٣) .

وقوله تعالى : ((ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقنتين والقنتات والمصدقين والمصدقات والمطهرين والمطهرات والخشعين والخشعات والمتصدقين والمتصدقات والميممين والميممات والحفظيين فروعهم والحففظات والذاكرين لله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما))^(٤) .

(١) سورة النساء ٣٤ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٨ .

(٣) سورة النساء ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤) سورة الاحزاب ٣٥ .

وكما رأينا الآيات السابقة فقد قرر الاسلام لها الاستقلال التام في المسؤولية ان تكون كالرجل في درجات المثوبة على فعل الخير ودرجات العقوبة على فعل الشر .

ولم يقف القرآن الكريم بالمرأة عن حد تسويتها بالرجل في حق التعليم وحق حرية الرأي بل سوى بينهما في حق التملك ومباشرة عقود التصرفات بجميع انواعها وجعل لها ملكا خاصا وجعلها صاحبة السلطان المطلق في ادارته والتصرف فيه وحظر على الرجل ان يمد يده الى شيء منها الا باذنها ورضاها . انظر الى قوله تعالى : ((وان اردتم استبدال زوج مكان زوج، واتيمت احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وانما مينا)) (١)

ان المساواة في الانسانية بين الرجل والمرأة ، أمر طبيعي ومطلب معقول . فالمرأة والرجل هما شقا الانسانية ، اما المساواة في وظائف الحياة وطرائقها فليس من الممكن ذلك فلا يمكن لرجل ان يأخذ عن المرأة هذه الوظيفة البيولوجية من غير تكييف نفسي وجسدي خاص . (٢)

وفي مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء مبايعة مستقلة عن الرجل دلالة بينة على استقلالها بنفسها ، وان الاسلام يعتبرهن مسئولات عن انفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن مسئولية الرجل على اساس من المساواة التامة في جميع المسئوليات التي ينبغي أن ينهض بها المسلم ، فهي التي جاهدت وهاجرت وقتلت واوذيت شأنها شأن الرجل .

ومن هنا كان على المرأة المسلمة ان تتعلم شئون دينها كما يتعلم الرجل ، وان تسلك كل السبل المشروعة الممكنة بسلاح العلم والوعي والتنبيه . (٣)

وبذلك كفل لها مساواة تامة مع الرجل من حيث الجنس والحقوق الانسانية . ولم يقرر التفاضل الا في بعض الملابس المتعلقة بالاستعداد والدرية أو التبعة

(١) سورة النساء ٢٠ .

(٢) الانسان بين المادية والاسلام ص ٧٠ .

(٣) فقه السيرة للبطوني ص ٢٩٦ .

مما لا يؤثر على حقيقة الوضع الانساني للجنسين فحيثما تساوى الاستعداد والدربة والتبعة تساويا ، وحيثما اختلف شيء من ذلك كان التفاوت بحسبه . (١)

واما ايثاره للرجل ضعف نصيب المرأة في الميراث فمرده الى التبعة التسيي يظطلع بها الرجل في الحياة من اعالة زوجة واعالة اولاد وبناء اسرة . فالرجل بحكم تخلصه من تكاليف الامومة يواجه أمور المجتمع فترة أطول ، بينما تحتجر هذه التكاليف المرأة معظم ايامها وتكاليف الامومة تنمي في المرأة جانب العواطف والانفعالات بقدر ما ينمو في الرجل جانب التأمل والتفكير .

(٢) فللمرأة من حق الرعاية اكثر مما للرجل وهو الحق الذي يقابل حق القوامة .

واما ما نراه من حال المرأة في المجتمعات العربية من حيث الحصول على المساواة بالرجال في حالات عديدة ومجالات كثيرة ، فان هذه المساواة تعتبر غير حقيقية في واقع الأمر ، لانه على الرغم من كل شيء فما زالت المرأة اقل من الرجل في مجالات الحياة بالاضافة الى حاجتها الى حماية الرجل في كل لحظة .

الضوابط والضمانات للاستقرار الزوجي

لما جعل الله سبحانه الاسس التي تنبني عليها السعادة الزوجية هي السكن والموودة والرحمة ارشد كلا من الزوجين الى ضمانات وضوابط تؤدي الى استمرارياة هذه العلاقة ودوامها دواما تكفل لها الاستقرار المؤدي الى التكامل النفسي في الأسرة (زوجا واولادا) وذلك بفرض توفير اكبر قدر من الاستقرار لهذا التزاوج حتى ينشأ اطفالهما في افضل وضع وفي انسب ظرف ملائم للنمو السوي على الفطرة السليمة .

فمن هذه الضمانات ما يلي :

(١) العدالة الاجتماعية في الاسلام ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص (٥٧) بتصرف .

(١) الدين :

لانه هو الشيء الفطري الذي يهذب النفس ويحسن العلاقة بين الفرد وربه ،
 وبين الافراد فيما بينهم ، فالمرأة حينما تكون ذات دين فانها تكون اقوى دعامة
 في استمرارية الحياة الزوجية على صفاء دائم لا يتخلله شقاق ، لخيانة أو سوء
 تصرف . قال تعالى : ((فالصُّلِحَت قُنَّت حَافِظَاتٍ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ)) (١) .
 فالمرأة تكون مطلوبة من الرجل لمميزات اربع توجد فيها مجتمعة أو متفرقة وهي
 المال والجمال والحسب والدين ، وهي صفات جاذبة للرجل على اية حال ، ولكن
 الاسلام حض الانسان على اختيار اجمل هذه المميزات واعلاها قدرا واكثرها دعما
 للحياة الزوجية وللأولاد فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات
 الدين تربت يداك (٢) . فالمرأة ذات المال قد يطغىها مالها وقد يحضها ذلك
 المال على حب السيطرة على الزوج وتصريفه على وفق مشيئتها وفي ذلك من مخالفة
 الفطرة ومناهضة القاعدة الزوجية الشيء الكثير .

وقد يكون جمالها يؤدي بها الى الكبر على زوجها واحتقاره ان لم يكن جميلا
 أو وسيما فيؤدي ذلك الى نشوزها وفراقها من زوجها .
 وقد يكون حسبها مما يؤدي الى احتقار زوجها فتكون العشرة بينهما من
 اصعب الامور ويختل ميزان السكن والمودة والمحبة .
 أما ذات الدين فان دينها يدلها على العشرة العادلة والمحبة المتبادلة
 والطاعة الصادقة ، وبذلك تكون عفيفة حافظة لحقها وحق زوجها كما روي عن
 أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي النساء
 خير فقال : (الذي تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر ، ولا تخالغه فيما يكره فسي
 نفسها وماله) (٣)

(١) سورة النساء ٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ١٩٥٨/٥ رقم ٤٨٠٢ .

(٣) مسند الامام احمد ٢١٥/٢ .

فالأزوجة المحمودة هي التي تلبي مطالب الزوج جميعا ، والتي تتوفر فيها صفات الانسانية الفاضلة الى جوار اوصاف الانوثة المرغوبة ، وتلك هي الكفيلة باستقرار الأسرة واستعمائها على الزلزلة والاضطراب وهذا هو ما وجه الاسلام راغب الزواج اليه .

روى ابن ماجة عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول :
(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة سالحة ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها ابرته وان غاب عنها نصحته في نفسها وماله)^(١)

والاسلام كما يحض على اختيار ذات الدين فانه يحض في نفس الوقت على اختيار من عرف بالصلاح والتقوى ، فان ذلك ادعى الى الاستقرار الاسري وانجساب الذرية السالحة .

فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(اذا اتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)^(٢) .

وجاء رجل الى الحسن البصري فقال له : يا ابا سعيد ان لي ابنة احبها ، وقد خطبها رجل من اهل الدنيا فمن ترى ان ازوجها ؟ فقال : (زوجها من تقى فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها)^(٣) .

والزوجان المتصفان بالدين وبالتقوى يكونان اسرع أوبة الى الله في أي خلاف أو شقاق بينهما ، ولا يقومان بتدبير المكائد والخيانة والسعي الى دمار الآخر والاضرار به فيكون حياتهما اما امسك بمعروف أو تسريح باحسان .

ثانيا : اعتدال المهر وعدم التجاوز به الى التفاخر والخيلاء :

وهذه قضية من اعقد القضايا في عمرنا الحاضر أدت الى تأخر زواج الفتيان والفتيات ، ولما يترتب عليها من كثرة المهر والنفقات التابعة لوليمتها ، مما

(٣) الحسن البصري لابن الجوزي ص ١٥ .

(١) سنن ابن ماجة في النكاح ص ١٣٥ .

(٢) سنن ابن ماجة في النكاح ص ١٤٢ .

يثقل ظهر الشاب بديون لا فائدة منها وحقوق لا ثواب فيها عند الله ، بل يعسد بذلك من المسرفين .

فمن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يمسن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها) .

قال عروة : وأنا أقول من عندي : ومن شؤمها تعسير امرها وكثرة صداقها .^(١)
وعن ابي العجفاء السلمي قال : (خطبنا عمر فقال : الا لا تغلوا صداق النساء ، فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاً كم واحقكم بها محمد صلى الله عليه وسلم .. ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئاً مسن نساءه ولا انكح شيئاً من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية)^(٢)

ثالثاً : النظر الى المخطوبة :

حتى يكون على علم بشكلها وطولها وقدر حسنها وجمالها ، فلا يفاجأ اذا دخل عليها ويجدها بخلاف ما وصفت له او بخلاف ما كان يتصورها في ذهنه . فقد تحدث الفرقة بسبب ذلك وقد يكون اكثر الجهتين تضررا هي المرأة . لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم الخاطب بالنظر الى المخطوبة . فعن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه انه خطب امرأة . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي . وقال الالباني اسناده صحيح .^(٣)

ان من المندوبات الشرعية ان ينظر الرجل الى من يخطبها اذا علم ان اهلها يرضون به زوجها لابنتهم ، وحجب المرأة عن الخاطب لم يكن معروفاً عند السلف رضي الله عنهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سن ذلك وندب اليه ليعلم الخاطب حال من يريد الازدواج بها لتكون قرينة له طوال حياته .. فهذا ادعى الى الوفاق واقرب الى الوثام .

(١) مسند الامام احمد ٩١/٦ .

(٢) موارد الظمان الى زوائد ابن حبان ص ٣٠٦ . وقال الشيخ الالباني واسناده صحيح . انظر مشكاة المصابيح ٩٥٨/٢ .

(٣) مشكاة المصابيح ٩٣٣/٢ ، والترمذي ١٦١/٢ ، وابن ماجه ص ١٣٥ .

روى الإمام احمد عن ابي حميد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا خطب احدكم امرأة فلا جناح عليه ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها لخطبة وان كانت لا تعلم)^(١)

كما ينبغي للخاطب ان يبين لهم حاله لان الغش مناف للدين ومخالف لما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم .

رابعاً : المهر والنفقة :

وقد كفل الاسلام قيام الزوج بكفالة الزوجة وراحة اعصابها في الظروف العادية من جهد الكدح من اجل لقمة الخبز وذلك لكي تتفرغ لمهمتها العظمى في تنشئة الأجيال .^(٢) قال تعالى : ((وءاتوا النساء صدقتهن نحلة))^(٣) .

وقال : ((الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم))^(٤) .

وكان الاسلام اعرف باحتياجات البشرية السوية وهو يحيل القوامة للرجل داخل الاسرة . وقال : (لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاه سيجعل الله بعد عسر يسرا))^(٥) .

يقول بعض العلماء : " من أهم امورنا الزواج ، ذلكم الامر الفطري الذي ينساق اليه الانسان بطبيعته ، والذي شأنه ان يكون سهلا ميسورا لولا ما اضعناه من أشياء وأشياء جعلته صعبا بعيد المنال ، حتى حرمه كثير من الناس بسبب العوائق المقامة في سبيله .

فالعقبة الكأداء في وجوه كثير من الشباب هي غلاء المهور الذي فرضته ميول قد لا تتناسب وحال المتزوجين ... وكثيرا ما يكون الخاطب غير قادر على

(١) مسند احمد ٤٢٤/٥ .

(٢) منهج التربية الاسلامية ٩٦/٢ .

(٣) سورة النساء ٤ .

(٤) سورة النساء ٢٤ .

(٥) سورة الطلاق ٧ .

تحقيق هذه الاماني فينصرف بألم وحسرة وينصرف والد المخطوبة وقد عضل ابنته عن النكاح وعرضها وخاطبها للفتنة والفساد الكبير . فقد يردون الخاطب الصالح لفقره . ويقبلون غير الصالح لغناه غير حاسبين للمستقبل حسابا . (١)

خامسا : المعاشرة بالمعروف :

فالاسلام يوصى كلا منهما باحسان المعاملة من جانبه والحرص على هذا الرباط من ان تنغم عراه فيقول الله تعالى مخاطبا الرجال : ((وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)) (٢)

فيجعل الامل هو الغالب والصبر على المكروه هو الواجب ، فلا يسرع الرجل الى فسم تلك العلاقة لاول تغير في قلبه ، او بادرة سوء يراها منها ، ثم يضع امام المرأة الصورة الجميلة لهذه المعاشرة توجبها لها ان تحاول تحقيقها بما يحفظ للبيت استقراره وامنه .

وقد جعل الاسلام العشرة بالمعروف فريضة على الرجال حتى في حالة كراهية الزوج لزوجته : (فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (٣) كي تستمر عقدة الزوجية فلا تنغم لاول خاطر ولا تنفك لاول نزوة .

وبين النبي صلى الله عليه وسلم ان الخيرية في الرجل ان يكون حسن العشرة لها لا يضاها بسوء خلق وشراسة طبع لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي) (٤) .

فاذا كان خيار الناس هم خيارهم لسانهم فمقتضاه ان من كان على عكس ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر .

ومن حسن العشرة ان يعطيها حقها من الطعام والكسوة ولا يسمعها شيئا من الألفاظ القبيحة والكلام الفاحش البذيء .

(١) دستور الاسرة في ظلال القرآن ص ١٢٦ .

(٢) سورة النساء ١٩ .

(٣) سورة النساء ١٩ .

(٤) سنن ابن ماجه ص ١٤٣ .

ومن حسن المعاشرة الترفيه عنها في بعض الأحيان بما يدخل عليها السرور
فقد كانت عائشة رضي الله عنها تلعب في بيته وكان لها صواحب يلعبن معها .
وكذلك ~~علم~~ تتبع عثراتها وتأويل كلماتها او حركاتها تأويلا سيئا يفسد عليه
عيشه معها .

سادسا : نية الزواج ودوام العشرة :

فالاسلام امر بالزواج وجعل فيها روابط وجدانية اصيلة منها رغبة التلازم
والاستمرار لما ينتجه هذا التزاوج من الذرية وتبادل الاحساس بالسكن والمودة والرحمة
فانتفاء الرغبة انتفاء للاحساس بحاجة كل منهما للآخر .
وبذلك انتفى روح الزواج وحقيقته .

ولهذه الحكمة نهى الاسلام عن الزواج الموري (المحلل والمحلل له) لأنه
لا يعتبر زواجا شرعيا حقيقة ، لأن الزواج الشرعي يكون الرجل فيه مريدا لحقيقته
منبعثا اليه بنية الاستمرار والاستقرار وطلب السكن الى زوجة سالحة تؤنس وحشته
وتملأ فراغ نفسه .

عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أخبركم
بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال : هو المحلل .. لعن الله
المحلل والمحلل له)^(١) .

ومن أجل هذا كان عمر يقول : (لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتها)^(٢)
لذا كان لابد من نية التأييد لا التوقيت ، فاذا نوى او صرح بان يكون هذا
الزواج موقوتا بزمن لم ينعقد لان هذا الارتباط مقصود به السكن والاستقرار .

ومن هذا الوجه ايضا تحريم الاسلام لنكاح المتعة التي يقرها الشيعة ويدافعون
عنه وسبب تحريم الاسلام له انه قضاء شهوة عابرة موقوته ببداية ونهاية ، ولا يراد
به تكوين اسرة ، وتربية نسل وحماية لاختلاط الانساب . وقال القرطبي : " ولتأكيد

(١) ابن ماجة في النكاح ص ١٤٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢٨٠/١ .

حرمته ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حرمته في حجة الوداع لاجتماع الناس حتى يسمعه من لم يكن سمعه ، فاكد ذلك حتى لا تبقى شبهة لاحد يدعى تحليلها ، ولهذا حرص عمر رضي الله عنه على اعتباره في حكم الزنا فقال : (لا اوتي برجل تزوج متعة الا غيبته تحت الحجارة)^(١) "وذلك لأن القصد الشرعي من الزواج غير موجود فيه وهو : الاعفاف ، وحفظ الماء ، وحفظ النسل وهو المراد من نية الزواج والاحمان .

سابعا : الاشهار والاعلان

ولما كان عقد الزواج تلبية لرغبة فطرية يكتسب فيه الانسان اجرا ومثوبة عند الله تعالى كان لابد من الاشهاد على العقد ثم الاعلان فامر كهذا لا يمكن ان يتم في السر والخفاء كما تنتم الجريمة . وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم اعلان النكاح بالدف والصوت وجعل ذلك فصل ما بين الحلال والحرام .^(٢)

وفي ذلك حماية عظيمة للرجل وللمرأة من الظن السوء ومن الاذى والتهم ، بالاضافة الى الاحمان المشروع لكليهما ، وهذا ما اراده الاسلام منه . وبهذه الاهداف النبيلة والمقاصد السامية استطاع الاسلام ان ينظم هذه الغريزة في الجنسين بحيث يستطيع كل منهما أن يستغل هذه الغريزة في اعمار هذه الأرض بالطريقة المشروعة دون ان يترتب عليها مفسد واضرار على الفرد والمجتمع . وهذا ما لم تستطع المجتمعات الغربية الوصول اليه من انتشار الامراض المعدية وانتشار المخدرات بين الفتيات واحترافهن الدعارة ، وازدياد الاطفال الغير الشرعيين . وتحلل الاسرة وتفككها ، وعدم الاستقرار لدى الزوج على زوجته ، وخوف الزوجة على زوجها والخيانة المتبادلة ، والفضائح الاخلاقية وضياع الحقوق . وظاهرة العنف ، والانتحار ، وتجارة الجنس بجميع الوسائل المتاحة في هذا العصر من الاغلام المسموع والمقروء والمرئي .

(١) تفسير القرطبي ١٧٠٢/٣ .

(٢) الترمذي ١٦١/١ ، وابن ماجه ص ١٣٨ ، والنسائي ١٠٤/٦ .

ولما كان الاسلام بما جاء به من تنظيم لهذه الغريزة قد عالج جميع هذه المشاكل ، فقد اثبت بذلك بانه اعظم الاديان التي اتت بحلول لامراض المجتمعات ومشاكلها ، بل اخطر مشاكلها في جميع العصور وهي مشكلة الشهوة والجنس بطريقة من اعجب الطرق ، ونظام من اجمل النظم ، تميل اليها العقلاء . وذلك باقرارها بان دوافع الحياة الطبيعية كلها ليست مستقدرة في عرف الاسلام والرغبة في الحياة ليست سقوطا وانحرافا يبتعد عنه المتطهرون .

فالرغبة في امتداد الحياة تتفق مع مشيئة الله في خلق الحياة ، ومن ثم فالاسلام ينسق الدوافع الحيوية في بنية البشر مع الاشواق الروحية العميقة في الفطرة والفرائض الثابتة في النفس ويصوغ منهما وحدة لا تفريط فيها ولا افراط ، ولاصرع في داخلها ولا اصطدام ، ولا كبت ولا شقاء .

فاذا كان كل هذا الفضل العظيم في هذا الرباط الزوجي وتنظيمه ، فانه على كمال تشريعه لم يكتف بذلك ، بل جعل هناك حقوقا بين الوالدين والابناء ، فهناك حقوق للأولاد على والديهم . كما ان هناك حقوقا للوالدين على ابنائهم ، ولا بد من ان تعطى كل جهة هذه الحقوق للجهة الاخرى ، حتى لا يؤدي بهم الى العقوق ، وفي ذلك دليل على ان التشريع الاسلامي قد بلغ الكمال والغاية في ايمال الانسانية السى مدارج الرقي في هذا المجال الحيوي المهم . (١)

(١) وفي هذه المناسبة يحكي الدكتور محمد يوسف موسى فيقول : انه حين اقامته في فرنسا رأى فتاة تخدم اسرة ، وكان يظهر عليها علائم كرم الأصل ، فسأل رب الأسرة عنها قائلاً : لماذا تخدم هذه الفتاة ؟ أليس لها قريب يجنبها هذا العمل غير الكريم لكسب ما تقيم به حياتها ، فاجابت : انها من اسرة طيبة في البلدة ، ولها عم غني موفور الغنى ، ولكنه لا يعنى بها ولا يهتم بامرها ، فسألها : لماذا لا ترفع الأمر للقضاء للحكم لها عليه بالنفقة ؟؟ فدهشت المرأة من هذا القول وافهمته بان هذا لا يجوز لها قانونا . فافهمها حكم الاسلام في مثل هذا الامر . فقالت : من لنا بمثل هذا التشريع لو ان هذا جائز قانونا عندنا ، لما وجدت فتاة او سيدة تخرج من بيتها للعمل في شركة أو مصنع أو معمل .

السكن والانجذاب :

وفي قوله تعالى : ((لتسكنوا إليها))^(١) : لفتة الى الميل والانجذاب من السوجل الى الزوجة لأنها من جنسه وطبيعته ، وهذا من شأنه أن يؤلف بينهما على الانس والمودة والالفة ، اذ ان الكائن الحي ينجذب الي ما يشاكله مسن الاحياء بطبيعته ، فكل جنس يجد الطمأنينة والامن والسكن في جوار مثيله وشبيهه ، لذلك يقول ابو السعود العمادي في معنى الآية :

" أي لتألفوها وتميلوا إليها ، وتطمئنوا بها ، فان المجانسة من دواعي الستظام والتعارف ، كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتناحر "^(٢) .

وقد كشفت هذه العبارة القرآنية القصيرة النقاب عن دوافع النفس نحو الزوجة وجوازها اليها ، وهي دوافع معنوية عاطفية وحوافز غريزية تتعلق بالشهوة وبال حاجة الى بقاء الجنس .^(٣)

والسبب في هذا الانجذاب هو وجود ثغرات متخلخلة في فطرة الرجل تريد ان تسد وتحكم ولا سداد لها الا في كيان المرأة ... وهناك في كيان المرأة مثل هذه الثغرات المعنوية المتخلخلة ولا سداد لها الا في كيان الرجل ، وهناك فجوات روحية في انسانية كل من الزوجين لا يملؤها الا السر الذي يتضمنه كل منهما الى الآخر ، فاذا التقيا على ما يريد الله كمل لهما سر الانسانية وتوفرت به حقيقة أنسه وسكينته .^(٤)

فالسكن هو وجه الحكمة لهذه النعمة ، اذ تستريح النفس وتسكن المشاعر ، وتطمئن القلوب فلا نعمة أجل ولا أعظم من نعمة تفيض على الانسان الامن والسكينة ، بما فطر في المرأة من ترشيح في تكوينها لجذب الرجل وتسكينه اليها . اذ ان كلا يملأ الفراغ العاطفي للآخر بالشوق اليه والاستراحة له من عناء الدنيا .

(١) سورة الروم ٢١ .

(٢) تفسير ابي السعود ٥٦/٧ .

(٣) ماذا عن المرأة ص ٦٧ .

(٤) المرأة بين البيئته والمجتمع ص ٦٦ .

فالأزواج حين يفرغ آخر النهار من عمله ، ويركن عند المساء الى بيته ويجتمع بأهله وأولاده ، ينسى الهموم التي اعترته في نهاره ، ويتلاشى التعب الذي كابده في سعيه وجهاده ، وكذلك المرأة حين تجمع مع زوجها وتستقبل عند المساء رفيق حياتها، وهكذا يجد كل واحد منهما في ظل الآخر سكنه النفسي وسعادته الزوجية .
 وصدق الله العظيم عندما صور هذه الظاهرة بأبلغ بيان وأجمل تعبير بقوله :
 (١)
 ((لتسكنوا إليها)) .

وليس هذا السكن هو سكن العاطفة العارضة ، او الشهوة التي ألفت قضاء في هذا المهاد ، فان القرآن صريح في ان السكن حاجة مقصورة على الزوج دون الزوجة ، بينما الشهوة حاجة قائمة بكلا الزوجين . وبسبب هذه الانسنة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب النسل .

والسكن والمودة : هي التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يقرع بين نسائه لتخرج معه احدهن ، لأن النفس الصافية المشرقة هي التي ما كانت ترى لها سكناً ولا قراراً الا في ظل سنة من سنن الله التي اعدت لها . والزوج سنة من تلك السنن وسره مركز في فطرة كل نفس ، فاذا وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه حنيناً الى الزوج في البيت والى الزوج في السفر والى الزوج حيثما كان ، فهو البشر المثالي الذي تجاوزت خصائص نفسه مع سنن الله في هذا الوجود تجاوب مسرة ، والف وركون الى جمالها ، والى هذا المعنى الدقيق يشير قوله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حبيب الي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الملاة) (٢) .

وينبغي ان نعلم ان اساس السكن هو تغاير الطبيعة بين الرجل والمرأة ، اذ ان الانجذاب المؤدي الى السكن لا يمكن ان يتم بين رجل ورجل او امرأة وامرأة لوجود التشابه في الوظيفة الاساسية بين الجنس الواحد .

(١) تربية الاولاد في الاسلام ١/٣٦ .

(٢) مسند احمد ٣/١٢٨ والنسائي في عشرة النساء ٣/١٢٨ .

فالانجذاب والتوافق بين الزوجين لا يكون في العادة متعمداً أو مدركاً بيسن الزوجين .. فالناس يفاجئون احياناً عندما يدركون التغيرات التي حدثت بعلاقاتهم الزوجية خلال العشرة الزوجية من التوافق العجيب ، فهم يتوافقون مع بعضهم البعض دون ان يشعروا بهذه الحقيقة (١)

كيف يتحقق السكن ؟

فالله سبحانه وتعالى حينما خلق المرأة خلق معها خصائص توافق أنثويتها من رقة وحنان وحب للزينة وتحب وتضعف وتودد لقربنها الرجل .

فالسكن لا يمكن ان يتحقق الا بالتجاذب الفطري بين الرجل والمرأة . وهذا التجاذب لا يمكن ان يتم الا اذا تحقق في المرأة خصائصها التي فطرها الله سبحانه عليها وخصها بها من رقة وحياء ولين وتعطف وحنو حتى يجد الرجل فيها حصناً يحصنه من الانحراف وسكناً تطمئن به نفسه وتستقر بها شهوته ويستريح جسده .

ولا يمكن كذلك ان يتم السكن من الزوجة الى الرجل الا اذا توفرت في الرجل الخصائص التي فطره الله عليها وخصه بها مما يرضي المرأة ويستثير عزتها به ، وتحس بالاطمئنان والراحة بجانبه من رجولة وشهامة وقوة وقدرة على توفير أسباب العيش والامن والحماية والارضاء الجنسي .

وحتى لا تنقلب الفطرة الانسانية حرم الاسلام تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ضماناً للتجاذب الفطري .

هذا الميل الذي يحس به الرجل اعظم احساس ، ويتضح ذلك في قوله : ((لتسكنوا اليها)) أي جعلها على حال تعظم المسرة بها ، ويطمئن القلب اليها ، فاذا فكر الانسان في خلقها ونعمة الله على الرجال بها ، سوى انها أوعية للأولاد الذين اذا برؤا فمن اكبر نعم الله على العباد .

(١) الزواج والعلاقات الاسرية لسناء الخولي ص ٢١١ .

فالفكر في ذلك وفي المعاني التي لها خلقن يؤدي الى العلم بفادر عليهم
وصانع حكيم ، وواحد قديم لا يقدر احد كقدرته ولا يعرف حكيم حدا لحكمته ،
فحثنا بالتفكر على العلم بهذا كله . (١)

المودة والرحمة :

ان الله سبحانه حفظ المجتمع الانساني بعوامل منها الاخاء الرحمي الذي قام
على الوحدة النوعية في الدم والتوالد وهذه الوحدة ثمرة لوحدة المنبع الاصيل الذي
انسابت منه السلالات الانسانية بصورة موحدة المنشأ لم تخلف منذ آلاف السنين
والاحقاب . فحافظ بذلك على المجتمع الانساني من التفتت والانحلال ، فتوعد من
قطعه ولم يمله .

وثاني العوامل هو السكن والمودة والرحمة ، فالسكن حيث جعلها من جنسه ،
والرحمة والمودة جعلهما مادة لبناء اول مجتمع يقوم عليه صرح المجتمع الانساني
وثالث العوامل هو التعارف العام بين فصائل الانسان يقرب به تباعد التوالسسد
والاستيطان ، فاذا انحرف المجتمع عنها تخطفته عوامل الانفرادية وتحكمت فيسه
الانانية .. فيهوى متفتتا مأخوذا بعدل الله وسلطان السنن الالهية .

ويقول الاسكافي : والمودة والرحمة هما ميل نفس بالمجانسة ، ورقة قلب
تبعث على التعاطف لينكامل سرور كل منهما بصاحبه وذلك من فضل الله تعالى
ونظره لخلقه . (٢)

الروم ٢١

وفي قوله تعالى : ((وجعل بينكم مودة ورحمة))^١ اشارة الى ان المودة
والرحمة امران يتوالدان من الالفة والسكن ، وانه لولا السكن والائتلاف ما قامت مودة
ورحمة ، لهذا جاء النظم القرآني مفرقا بين الامرين ، فجعل المشاكلة في الطبيعة
البشرية بين الناس - ذكورا واناثا - في اصل الخلقة ، على حين جعل المودة

(١) دورة التنزيل للخطيب الاسكافي ص ٣٦٩ . (٢) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق

والرحمة عرضاً من اعراض هذه الطبيعة وثمرتها من ثمراتها (١) ، وان الانسان ليحس في الألفاظ حنوا ورفقا يستروح من خلالها نداوة وظلا ظليلا . كي يشفق كل منهما على صاحبه ويخاف عليه من أي مكروه ، فاذا بهما - وهما القريبين - يتقاربان حتى يختلطا روحا ونفسا ويتحابان محبة تجعل كل منهما اقرب الى الآخر من والديه . ان الآبة الكريمة تعبر عن حقيقة الصلة التي يفترضها الاسلام ، لذلك الرباط الانساني الوثيق الذي نسميه (الاسرة) فاذا لم تكن هذه الخلية التي تعتبر لبنة من لبنات بناء المجتمع سليمة صحيحة ، واللينة قوة متماسكة ، فانه لا ينتظر من الجسم ان يقوى ولا من البنيان ان يتماسك ويستقيم " فالود في اللغة محبة الشيء وتمني كونه " (٢) ، وذلك شيء اكبر مما ينموره الانسان من وجود اللفة والمحبة بين الزوجين ، فهي تدعو الزوجين ليظهرا بالمظهر الذي يؤدي الى ذلك ، كما يبطننا لبعضهما جميع وجوه الخير .

قال ابن سيده : " الود الحب ، ويكون في جميع مداخل الخير " (٣)

فالمودة اذن هي الميل النفسى الى القربين ميلا يعبر عن المحبة ويقود سلوكه الى جميع مداخل الخير بينهما ، وهي السبيل لتوطئة البيئة الزوجية للألفة ، واستمرار العلاقة الصحيحة المافية كي يميل القربين الى مصاحبة قريته بالمعاشرة الطيبة والتلطف في المعاملة واحترام المشاعر والاحاسيس .

فمن مقتضى المودة تجاوز الأزواج بانتباههم الحياة المادية الغريزية الى احترام هذه الصلة بكل التدابير الحسية والعاطفية التي تؤدي الى نماء الحب من امتداح ومناصحة وبمباشرة وملاعبة ... وقل ان يثمر زواج بلا مودة خيرا . (٤)

واما الرحمة المتبادلة بين الزوجين فهي ضرورة لحياة الانسان الطيبة بالمتاعب والامراض والاحزان ، ولولا هذه الرحمة ما عطف الزوج على زوجته أو عاونها فسي

(١) التفسير القرآن ٤٩٧/٤ .

(٢) مفردات الراغب

(٣) لسان العرب ٨٩٦/٣ .

(٤) الاسرة المثلى في ضوء القرآن لعمارة نجيب ص ٣٢ .

منها الآخر

متاعب الحياة ، ولما حوم كل / وحننا عليه في مرضه ومحنته ، فهذه الرحمة وهذه المودة
(١) نعمة من الله على الانسان ، وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها ١٤٨ مرة في القرآن .

فالرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم .. وهي رقة وتعطف في الآدميين ركزه
الله في طبائع الناس . واسترحمته استعطفته . (٢)

من هذا نعلم ان الرحمة عاطفة وجدانية تنزع بماحبها الى الرفق بالآخرين .
والعطف عليهم ، وتقدير ظروفهم واحترام مشاعرهم (٣) ، واذا وجدت هذه الصفة في
نفس الانسان فانها ترفق نفسه وتهذب جوانحه ، وتلطف عباراته وتقربه من قرينه
بما يظهر عليه من حنان وعطف وكان عليه الملاحة والسلام اذا رأى احدا من اصحابه
لا يرحم اولاده يزجره ويوجهه الى ما فيه صلاح البيت والاسرة والاولاد .

فقد روى البخاري في الادب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : (جاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتقبلون صبيانكم فما نقبلهم ؟ فسال
النبي صلى الله عليه وسلم أوأملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة) (٤)

فالقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة يتمف صاحبه بالفظاظة العاتية والغلظة
اللثيمة القاسية ، ولا يخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف
الاولاد وفي تخبطهم في احوال الشذوذ ومستنقعات الجهل والشقاء . (٥)

وقد حض الرسول صلى الله عليه وسلم على تنمية هذه المودة وهذه الرحمة
بين الزوجين ودعا الى تكوينها واظهار علاماتها ولو بالامر اليسير كالنظرة الراحمة
المتوددة ، واللقمة يرفعها الى فمها وحسن الخلق والمعاشرة الطيبة .

اخرج البخاري عن ابي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(اذا انفق المسلم نفقة على اهله وهو يحتسبها كانت له صدقة) البخاري . (٦)

(١) المعجم المفهرس للقرآن الكريم

(٢) المفردات للراغب ص ١٩٦ .

(٣) الاسرة المثلى في ضوء القرآن ص ٣٣ .

(٤) الادب المفرد ص ٣٥ .

(٥) تربية الاولاد في الاسلام ١/٥٤ .

(٦) البخاري في النفقات ٥/٢٠٤٨ رقم ٥٠٣٦ .

وفي حديث آخر (ومهما انفقت فهو لك صدقة ، حتى اللقمة ترفعها في فسي
امراتك)^(١) .

ومثل هذه المؤيدات للمودة والرحمة تشد ازر الرابطة بينهما ، فياتي الرجل
الى بيته فيجد زوجته بانتظاره مقبلة عليه ، قائمة بشئونه تريحه ويسكن اليها ،
مطمئنا ان قلبها له وجسمها له .

وبذلك يتحقق وجود هذا الشعور الذي يجذب كل منهما للاخر فينجذب كل
منهما الى الآخر انجذابا فطريا لا يمكن تصويره والاحاطة بدقة لنفسية كل منهما من
الفرحة الغامرة والطمأنينة التي اخذت بمجامع قلوبهما واسترسالهما في تنميتها
تحقيقا للغرض الفطري من هذا الاجتماع .

فدعوة الزوجين الى ان يديرا تفكيرهما الى هذه الآية من آيات الله ((ان في
ذلك لايت لقوم يتفكرون)) دعوة لهما الى ان يحققا الثمر المرجو من الزواج .

فان لم يحقق لهما ذلك كان عليهما ان يراجعا نفسيهما ، وان يصححا الوضع
الذي هما عليه حتى يجيء الثمر المطلوب من هذا التزاوج وهو المودة والرحمة
بعد السكن .

وختم الآية بالتفكر لأن الفكر يؤدي الى الوقوف على المعاني التي خلقن لها
من التانس والتجانس وسكون كل واحد منهما الى الآخر .^(٢)

(١) البخاري في النفقات ج ٥ ص ٢٠٤٨ رقم الحديث ٥٠٣٩ -

(٢) اسرار التكرار في القرآن للكرماني ص ١٦٧ .

* ظاهرة النوم *

قال الله تعالى :

" ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواؤكم من فضله ان في ذلك

لايات لقوم يسمعون (الروم ٢٣) .

ان النوم آية من آيات الله عز وجل ، وضرورة ملحة للاحياء انسانا وحيوانا ونباتا ، وهو مظهر من مظاهر الخلق الانساني الدال على نقصه ان الكمال لله عز وجل الذي لا تأخذه سنة ولا نوم (١) .

وقد جعل الله سبحانه النوم نعمة عظيمة للمخلوقات ، واعداد اجسامها وروحيا وفكريا لمعاودة الاعمال الفكرية والعملية بل الحياة المعيشية ايضا . بل هو كالأكل والشرب لانه يقدم فترة زمنية مناسبة للجسم لترميم خلاياه المتهدمة وتجديد نشاطه .

فالا انسان اكمل المخلوقات على هذه الارض في حاجة شديدة الى النوم فلا يحيا بدونه ولا يمكن ان يعيش زمنا طويلا من غير ان يأخذ حظه من النوم حسب حاجته التي اعتاد عليها في أغلب الاحوال فان كانت هذه الظاهرة واضحة فسي الانسان والحيوان فانها غير خافية لدى العلماء بل لدى كثير من الناس كظاهرة نباتية ايضا " فبعض النباتات قد ترتبط حركتها وسكونها بساعات معينة من النهار والليل ، فتسير بدقة متناهية لا تخطئ فيها وعلى نظام لا يتقدم ولا يتأخر ويقول احد علماء النبات عن نبتة الصويا " ان هذا النبات يتصرف كما لو كان آلة حاسبة فهو لا يزهر الا اذا تعرض لغترات من الضوء والظلام (٢) .

بل حدثت قصة طريفة في منتصف هذا القرن كشفت عن حقيقة ادق لم تكن معروفة ، فقد اقامت احدى الشركات اعلانا مضيئا لها وسط مرزعة ارز في اليابان .

(١) قال تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة

فلاحظ صاحب المزرعة ان ارزه يذبل ولا يؤتى محصوله الذى كان من قبل ، فرفع قضية على الشركة صاحبة الاعلان يطالبها بالتعويض عن الخسارة التى لحقت به فدخل النزاع فى مرحلة البحوث العلمية لاثبات الدعوى او نفيها ، فتقدمت الدوائر العلمية لاجراء البحوث ، وكانت النتيجة العجيبة * ان هذا الاعلان المضى قد اقلق راحة النبات بالفعل ، لانه يؤرقه بالليل ، وهو فترة راحته (١) فاذا كانت النباتات فى حاجة الى ما يريحها فى الليل وتسكن فيه فان الانسان لا شك بأنه من احوج المخلوقات لهذه الراحة والسكن لتعطيه استراحة لقواه النفسانية وقوة لقواه الطبيعية كما يقول ابو السعود العمادى رحمه الله (٢) .

ويقول عبد الكريم الخطيب :

وفى تقديم النوم على اليقظة التى يدل عليها قوله (وابتغواؤكم من فضله) لغت نظر الانسان الى نعمة النوم التى قل ان يلتفت اليها كثير من الناس. ان كان فى النوم عزل للانسان عن الحياة ، وقطع للصلة بينه وبين ذاته ، حتى كانه قد فقد وجوده

ومن هنا كان نظرة كثير من الناس الى النوم على انه عارض دخيل على الانسان أشبه بالآفات التى تعرض للجسد ولا شك ان هذا فهم خاطئ لهذه النعمة العظيمة التى تضيفها يد الرحمة الالهية على الانسان (٣) .

فالانسان الذى يقوم طوال النهار بالعمل والتفكير والنشاط والحركة فى الكسب ابتغاء فضل الله عز وجل فانه بالنوم يستعيد ما بذله من قوى وما فقد من بدنه فى سبيل العمل والسعى للعيش وتعود التغيرات الكيماوية الى ما كانت عليه قبل الحركة .

(١) دراسات قرآنية لمحمد قطب ص ١٤٥ .

(٢) تفسير ابي السعود ٥٧/٧ .

(٣) التفسير القرآنى للقرآن ٤٩٩/٤ .

* تعريف النوم وظواهره *

يقول الجرجاني عن النوم :

بانه حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب ترقى البخارات الى الدماغ (١) .

ويقول الراغب الاصفهاني :

هو استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه ، وهو ان يتوفى

النفس من غير موت .

وقيل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل (٢) .

ويحرفه علاء الدين الكحال :

بان النوم الطبيعي هو امسك القوى النفسانية عن افعالها وهي قسوى

الحس والحركة الارادية ، ومتى امسكت هذه القوى عن تحريك البدن استرخى ،

واجتمعت الرطوبات والابخة التي تتحلل وتتفرق بالحركات واليقظة - في الدماغ

الذي هو مبدأ هذه القوى ، فيتخدر ويسترخى (٣) .

ويحرفها بعض الأطباء :

بانه عملية توقف نسبي في تفاعل الانسان وحركته وادراكه مع ما يحيط به مسن

مختلف انواع المؤثرات عموماً (٤) .

وهذه تعريفات تدل على ان تعطل قوى الانسان تكون جزئية فقط ولا تشمل

جميع اجزاء الدماغ وهو بذلك يختلف عن الغيبوبة لان النائم يمكن ايقاظه بسهولة

وبمنبهات بسيطة كاللمس والصوت وهذا مالا يمكن في الغيبوبة ولكن كيف يحدث النوم ؟ .

وضعت عدة نظريات تحاول تفسير ظاهرة النوم ، وكيف تتم فقالوا ان اليقظة

(١) التعريفات ص ١٢٩ .

(٢) المفردات للراغب ص ٥٣١ .

(٣) الاحكام النبوية في الصناعة الطبية ص ١١٢ .

(٤) خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢٣٠ .

تولد مواد سامة تؤثر على الجهاز العصبي فيحدث النوم ، وقيل بوجود هرمون خاص بالنوم .

ولكن ثبت حديثا عكس هذه النظريات وهي وجود مناطق خاصة في المخ تسيطر على النوم واليقظة . ولها علاقة بالتعب والراحة حين تتأثر في حالة التعب والمجهود الفكرى فتؤدي الى حدوث حالة من الوسن او النوم او دخول الانسان في غيبوبة (١) .

ولكن هذه النظريات ايضا في حدوث النوم ليست يقينية وثابتة فقد تأتى الايام باكتشافات في هذه الظاهرة بما هو ادق لذلك يقول د . عبد المحسن صالح بان كثيرا من البحوث اجريت على ظاهرة النوم ، ولكن احدا لم يتوصل الى جوهر حقيقتها ، وكل التفسيرات والنظريات التي قدمها العلماء لم تتفق على رأى واحد ، لكنهم اتفقوا جميعا على ان النوم هو اعظم منح الله في استعادة النشاط للابدان المنهكة .

ولكن النوم كظاهرة فانه يعتمد على أنشطة عصبية وكيميائية وفسولوجية (٢) ، في اجسامنا بنظام ويتنسيق بديم بين تلك الأنشطة (٣) .

ويكاد العلماء يتفقون على ظواهر للنوم معروفة منها :

ان الجهاز العصبي يكون خلالها في حالة من الراحة . وان الوعي يكسبون متوقفا تقريبا لعدم نشاط الادراك والشعور ، وبالتالي يتوقف التفاعل الحسى والحركى مع البيئة الخارجية ، ويرافق ذلك عضلات مسترخية ، وعينان مفلقتان ، وهدوء في التنفس ، وبطء في الدورة الدموية والنبض (٤) وانخفاض في درجة حرارة الجسم (٥)

(١) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢١٥ ، ٢١٧ .

(٢) فسيولوجيا : علم يبحث في ظواهر الاعضاء في الاحياء اى في وظائف اعضائها

(انظر : المصطلحات العلمية والفنية ليوستف خياط ونديم مرعشلى) .

(٣) من اسرار الحياة والسكون ص ٢٠٥ - ٢١٥ .

(٤) النوم اسراره وخفاياه ص ٦٤ للدكتور انور حمدى .

(٥) النوم والاراق للدكتور احمد فؤاد الالهوانى ص ٥١ .

مع بقاء المخ مسيطرا على المراكز الحيوية (اللا ارادية) لحياة الانسان ، مثل القلب ، والسيطرة على الامعاء للقيام بالهضم والامتصاص ، والسيطرة على عضلات المستقيم والمثانة ، فلا تسمح بخروج البول ، والبراز اثناء النوم (١) فسبحان الله احسن الخالقين واحكم الحاكمين .

(١) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢١٥ .

* انواع النوم *

ويقسم علماء النفس النوم الى نوعين :

أولا : النوم الاستسلامي المنفعل وهو النوم الذى يحدث نتيجة لتهيئة الظروف البيئية المحيطة ، الملائمة والمناسبة ، وذلك عن طريق اقضاء وابعاد اكبر قدر ممكن من المنبهات والمثيرات الخارجية ، او ازالتها كليا اذا امكن . وكذلك ايضا المنبهات والمثيرات الداخلية . . . فتلاشى اثر هذه المثيرات والمنبهات فى قشر المخ وبشكل غريزي فسيولوجى الى توقف عملية الاثارة عن العمل ، فتحل محلها عملية الكف التى تكون موضعية ومحدودة فى البداية ، ثم تأخذ فى الانتشار تدريجيا فى جميع انحاء قشر المخ ، ومنه الى الاجزاء الاسفل منه بالتأثير حتى تصل الى اجزاء الجسم ، دون ان تجد فى طريقها اى عائق مؤدية بذلك الى النوم .

وهذا النوم يمكن احداه بازالة المنبهات والمثيرات .

ثانيا : النوم النشط الفاعل وهو النوم الذى يحدث بفعل الارهاق والتعب وذلك بصرف النظر عن العوامل والبيئة الخارجية ، وهو يعبر عن حاجة فسيولوجية واحدة . . . هى الحاجة الى الراحة وهو مهم لحماية الكائن ، وحماية جملته العصبية ولا سيما الدماغ ويرتبط بتعب وارهاق ، فيرفع عنها التعب والنصب ويمنحها الراحة والسكينة ويعد عنها شبح التحطيم ، ويهيئ لها فرصة وفترة للاستراحة والوقاية والترميم لتستعيد نشاطها وتستأنف عملها .

وبذلك يغشى النوم الجملة العصبية وهى منهكة متعبة ، ويتركها وهى نشطة

مستريحة مترمة (١) .

(١) النوم اسراره وخفاياه ص ١٤٠ - ١٤٤ بتصرف .

* درجات النوم *

ان النوم واليقظة حالتان مختلفتان ، والانتقال من الاولى الى الثانية لا يتم بشكل فوري في اغلب الاحيان ، بل ان الشخص المستيقظ يمر بمراحل تدريجية انتقالية تنتهي به الى ان يستغرق في النوم .

بالاضافة الى انهما حالتان متعاقبتان في حياة الانسان ان يقضى الانسان نحواً من ثلث عمره في النوم على وتيرة مختلفة متعلقة بسن الانسان وعمره وقوته وصحته ونمط المعيشة والحياة . وفيها لفت نظر الى حكمة الله عز وجل حيث جعل احتياج الجسم الى النوم مرتبطاً باختلاف السن فالطفل محتاج الى النوم مدة اطول مما يحتاج اليها غيره لان نومه متعدد التوتيرة اى سريع النوم وسريع الاستيقاظ بعكس الكبير فيغدو نومه وحيد التوتيرة اى ينام في الليل غالباً ويعمل بالنهار الا من اضطرت احوال المعيشة الى تبديل ذلك .

" ومن جملة الاسرار ان يصل منحى شدة النوم الى اقصى عمق في الساعة الاولى من ابتداء النوم ثم يقل عمق النوم بعد ذلك (١) وتعتبر هذه الساعة الاولى هي فترة اول الليل لا يدري فيها النائم اى شئ يدور حوله ، ثم يأخذ في التقلب والحركة وقد يتنبه لا يسمع الاصوات .

" ويحدد بعضهم النوم العميق للانسان البالغ بنسبة ١٠٪ فقط والباقي ٨٠٪

نوم سطحي او خفيف بعكس الطفل فانه يحتاج الى نوم اعق ليوفر طاقة اكثر فكلان له ٥٠٪ نوما عميقا و ٥٠٪ نوما سطحي (٢) .

من هنا يتضح لنا تأكيد الاحاديث الكثيرة في شد انتباه المسلم على قيام الثلث الاخير من الليل ، لان الانسان قد عاد اليه القوة وذهب عنه الارهاق الشديد وانمحو عن ذهنه الكلل وعدم التركيز نتيجة التعب .

(١) علم النفس الفسيولوجي د . كاظم اغا ص ٢٢١ .

(٢) من اسرار الحياة والكون ص ٢١١ .

* من مقدمات النوم (النعاس) *

ذكر الله سبحانه النعاس في القرآن الكريم في موضعين ذكرنا يظهر فيه وجه كونه نعمة امتانا عليهم في هاتين الموقعتين الكبيرتين في حياة الاسلام المصيرية - في وقعتي بدر وأحد حيث أعز الاسلام ونصر القلة المؤمنة الخائفة القليلة الاعداد والاستعداد ، على الكثرة المطمئنة في نفسها والمتوكله على عدد هـا وعدد هـا .

قال تعالى في معرض سياق غزوة بدر الكبرى :

(ان يفشيكم النعاس امانة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) (١)

وقال في معرض سياق غزوة أحد :

(ثم انزل عليكم من بعد الغم امانة نعاसा يفشى طائفة منكم وطائفة قد اهتمهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء . . .) (٢) .

يقول محمد رشيد رضا :

والنعاس فتور في الحواس واعصاب الرأس يعقبه النوم فهو يضعف الادراك ولا يزيله كله فمتى زال كان نوما لذا قال بعضهم هو اول النوم (٣) .

ويقول الراغب :

النعاس النوم القليل وقيل النعاس هنا عبارة عن الهدوء والسكون (٤) .

ويقول المنطوي جوهري :

النعاس النوم الخفيف (٥) .

(١) سورة الأنفال ١١ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٤ .

(٣) تفسير المنار ٦١٠/٩ .

(٤) المفردات ص ٥٢٠ .

(٥) الجواهر ٣٦/٥ .

فاذا كان النعاس هو النوم القليل او النوم الخفيف فانه في الحقيقة بداية النوم وقبل الاستغراق فيه كاملا فقد كان نومهم في بدر في الليلة التي سبقت المعركة واما في أحد فالا حاد يث تدل على انهم بعد المعركة مباشرة وانهم كانوا يحسون بما حولهم وان كان السيف لا يتماسك في ايديهم (١) .

ان قصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة في بدر هي قصة حالة نفسية عجيبة ، لا تكون الا بامر الله وقدره وتدبيره ، لقد فزع المسلمون وهم يرون انفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ، ولم يتخذوا عدته فاذا النعاس يغشاهم ثم يصحون منه والسكينة تغمرهم والطمأنينة تفيض على قلوبهم . لقد كانت هذه الغشية وهذه الطمأنينة مددا من امداد الله للعصبة المسلمة بسوم بدر (٢) .

ولو تأملنا في حال الصحابة رضی الله عنهم في هذه الغزوة لرأيناهم في قلة عدد هم امام مواجهة عسكرية لم يكونوا يتوقعونها ، فهي أول مواجهة مع صناديد قريش وفرسانها وهم المشهورون بالشدة والراس في الحروب ، وبين قلة مؤمنة لا يملكون ما تملكه تلك الفئة الكافرة من السلاح والعتاد والطعام والمراكب القوية التي تحملهم .

كان الموقف في بدر من اخرج المواقف على العصاة المؤمنة فجميع الاثار الخارجية تشد على نفوسهم واذهانهم واعصابهم والانهاك الذي يترتب على التركيز الذهني يتعب الجسم مع ما يصاحبه من خوف وقلق يحطم قواهم ان لم يتدراكهم الله بلطفه الخفي . فالنعاس المريح ابعده ما يكون عن الخائف ذلك ان الخائف على نفسه لا يأخذ النوم قطعيا فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف ، وكان ذلك نعمة في حقهم ، لانه كان خفيفا بحيث لو قصد هم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم ، وكان كالمعجزة

(١) انظر : تفسير ابن كثير في موضع سورة آل عمران آية ١٥٤ .

(٢) في ظلال القرآن ١٤٨٤/٣ .

لا سيما اذا كان ذلك النعاس وقع دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم . فحصل
النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة ، وكان
هذا هو الامن المزيل للخوف (١) .

وروى ابو يعلى عن علي كرم الله وجهه قال : (ما كان فينا فارس يوم بدر
غير المقداد ، ولقد رأيتنا ما فينا قائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلح
تحت شجرة ويبكى حتى اصبح (٢) .

فكان نعاسهم كالغاشية تستر الشئ وتغطيه تأمينا لهم من الخوف الذى
يساورهم من الفرق العظيم بينهم وبين عدوهم فى العدد والعدد وغير ذلك (٣)
فكان من مقتضى العادة ان ناموا ان يناموا على بساط الارق يفكرون ما سيلاقون
فى غد هم من الشدة والبأس ، ولكن الله رحمهم بما انزل عليهم من النعاس الذى
غشيهم فناموا واثقين بالله تعالى واصبحوا فى همة ونشاط فى لقاء عدوهم (٤)
فالموقف فى بدر كان عصيبا بما فيه من اثاره وانهاك للجمله العصبية الرقيقة فى جسم
الانسان وعقله حتى اتت عليهم عناية الله ورحمته . بنوم فاعل نشط لحماية للخلايا
العقلية من التلف والاثارة القوية المتعبة .

وكذلك كان الحال فى غزوة احد . فلقد اعقب هول الهزيمة وذعرها
وهرجها ومرجها سكون عجيب ، سكون فى نفوس المؤمنين الذين ثابوا الى ربهم
وعادوا الى نبيهم ، لقد شملهم نعاس لطيف يستسلمون اليه مطمئنين ، والتعبير
عن هذه الظاهرة العجيبة يشف ويرق وينعم ، حتى يصور بجرسه وظله ذلك الجو
المطمئن الوديع (ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) (٥) وهى ظاهرة

(١) الجواهر ٣٦/٥ .

(٢) مسند ابو يعلى ٢٤٢/١ .

(٣) تفسير النار ٦١٠/٩ .

(٤) المرجع السابق ١٨٦/٤ .

(٥) سورة آل عمران ١٥٤ .

عجيبة ، تشفى برحمة الله التي تحف بعباده المؤمنين فالنعاس حين يلم بالمجهدين المرهقين المفزعين ، ولو لحظة واحدة يفعل في كيانهم فعل السحر ، ويرد هم خلقنا جديدا ويسكب في قلوبهم الطمأنينة كما يسكب في كيانهم الراحة (١) .

وكان هذا امتنانا من الله عليهم فيما انزل من السكينة والامنة وهو النعاس الذي غشيهم وهم مشتعلون السلاح في حال همهم وغمهم ، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الامان وقال البخاري عن انس عن ابي طلحة رضى الله عنه قال : كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا ، يسقط وآخذه يسقط فأخذه ، هكذا رواه في المغازي (٢) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه (والنعاس في القتال أمانة من الله تعالى (٣) وذلك لخلو القتال منه وهو مقدمة النوم ، فمن باب أولى ان لا يأتيه النوم فكان ذلك وجه نعمة لا ضفاء الطمأنينة على النفس استعدادا للمعركة .

(١) في ظلال القرآن ٤٩٥/١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤١٨/١ والحديث في صحيح البخاري في المغازي ١٤٩٢/٤

رقم الحديث ٣٨٤١ .

(٣) ارشاد الساري للقسطلاني ٢٤٤/٦ .

* النوم الطبيعي ظرفه وحالته * -----

ولما كان النوم نعمة جليلة ، فان الله سبحانه وتعالى جعل الليل هو
الظرف الطبيعي للنوم قال تعالى " قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى
يوم القيامة من آله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون (١)
فالليل ستار يفضي الكائنات الحية ، ومنها الانسان فيسلمها ذلك الى السكن
والنوم . كما جعل الليل سلطانا قاهرا كسلطان النهار على الاحياء ، هذا للنوم ،
وذاك لليقظة . . . ذلك للموت وهذا للبعث (٢) قال تعالى (وهو الذى يتوفىكم
بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) (٣) وافضل اوقات النوم هي الليل حيث تسود السكينة
ويعم الهدوء وتسكن الحركة ويعطى الانسان وقته فيه لاهله واولاده ثم نوم القيلولة
بالنهار عند اشتداد حر الهجير فلا بأس به ولا ضرر منه . وخصوصا ان شدة الحر
في هذا الوقت تضنى الجسد .

فالليل هو الظرف الطبيعي للنوم . . وفى عطف النهار على الليل تقرير لتلك
الحقيقة الواقعة ، وهي ان الليل وان كان هو الظرف الطبيعي للنوم فان ذلك لا يمنع
ان يكون النهار ظرفا للنوم ايضا . . ولهذا قدم الليل على النهار في هذا المقام ،
وكذلك فان النهار هو الظرف الطبيعي لليقظة للسعى والعمل ولكن ذلك لا يمنع
من ان يكون الليل ظرفا للسعى والعمل كما هو واقع الحياة (٤) .

ويقول علاء الدين الكحال : ونوم النهار ردى يورث الامراض الرطوبية والنوازل
ويفسد اللون ، ويورث الطحال ، ويرخي العصب ، ويكسل ، ويضعف الشهوة فيجب أن
يتجنب الا في الصيف وقت الهاجرة (٥) .

(١) سورة القصص ٧١ .

(٢) التفسير القرآنى للقرآن ٥٠٢ / ٤ .

(٣) سورة الانعام ٦٠ .

(٤) التفسير القرآنى ٥٠٤ / ٤ .

(٥) الاحكام النبوية في الصناعة الطبية ص ١١٤ .

وعلماء النفس يقررون ايضاً ان النوم الصحى المفيد المنعش هو النوم العميق والمتواصل فى الوقت الطبيعى وهو الليل ويعكس النوم المتقطع والسطحى والقليل فانه لا يقدم للجسم راحته الضرورية فى نشاطه الفكرى والحركى (١) .

وقد وردت فى القرآن آيات كثيرة تدل على ان الليل هو الوقت الطبيعى للنوم والراحة ، وان النهار هو وقت السعى والمعاش والحركة .

ويقول ابن سعدى فى تفسير قوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً) (٢) اى من رحمته بكم ولطفه ان جعل لكم الليل بمنزلة اللباس الذى يفسدكم حتى تستقروا فيه وتهدأوا بالنوم ، وتسبت حركاتكم ، اى تنقطع عند النوم فلولا الليل لما سكن العباد ولا استمروا فى تصرفهم ولضرهم ذلك غاية الضرر (٣) .

وكذلك فى سورة النبأ (وجعلنا الليل لباساً وجعلنا النهار معاشاً) (٤) .

واما انسب الاوقات للنوم ليلاً فهو نصف الليل الاول كما ورد فى الاحاديث ومن هذه الاحاديث ماورد عن صلاة داود عليه السلام فى حديث عبد الله بن عمرو قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم " احب الصيام الى الله صيام داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه " (٥) .

وكذلك حديث النزول الى سما الدنيا فى الثلث الاخير من الليل عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا ، حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فاستجب له ، ومن يسألنى فاعطيه ، ومن يستغفرنى فاغفر له " (٦) .

(١) لمحات نفسية فى القرآن الكريم ص ٢١٠ .

(٢) سورة الفرقان ٤٧ .

(٣) تفسير الكريم الرحمن ٢٣٧/٥ .

(٤) سورة النبأ ١١/١٠ .

(٥) صحيح البخارى ١٢٥٢/٣ .

(٦) صحيح مسلم ٣٠٤/١ فى الدعاء .

وفى امثال هذه الاحاديث دعوة الى تنظيم الحياة والنوم فالاسلام يحض على تربية المسلم الى ما فيه النشاط والحيوية وتقوية قلبه ونفسه واعصابه فى اتزان وصحة جيدة .

وبما ان قانون الاتزان يسرى على اعضاء البدن . كذلك فانه يسرى فى النوم لذا فان الزيادة فيه تؤدى الى المزيد من النعاس ، والنقص فيه يؤدى الى الضجر وعدم الراحة (١) والنوم المعتدل ممكن للقوى الطبيعية من افعالها ، مريح للقوى النفسانية ، مكثر من جوهر حاملها (٢) .

فكثرة النوم كثرة تخرجه عن النوم المعتاد بحيث يفوت عليه حقوق الله تعالى فانه يكون من الشيطان الحريص على هذا الهدف السيئ . لما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا هونام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فانا استهبط فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان " (٣) .

ولشبهت ضرر كثرة النوم على النفس والبدن فقد اعتبره العلماء من مفسدات القلب ، (فانه يميل القلب ، ويثقل البدن ، ويضيع الوقت ، ويورث كثرة الغفلة والكسل وبالجملة فاعدل النوم وانغمه : نوم نصف الليل الاول ، وسدسه الاخير ، وهو مقدار ثمان ساعات ، وهذا اعدل النوم عند اطباء وما زاد عليه او نقص منه ، اثر عندهم فى الطبيعة انحرافا بحسبه) (٤) كما ان الاكثار من النوم يؤدى الى البدانة ، وان البدانة بحد ذاتها مدعاة للنوم والخمول ، لان البطننة تجلب الكسل والنعاس (٥) .

(٣) صحيح البخارى ١/٣٨٣ رقم ١٠٩١ .

(٤) مدارج السالكين ١/٤٥٩ .

(٥) وفى الصلاة صحة ووقاية ص ١٧٦ .

(٦) الطب محراب الايمان ١/١٤٨ .

(٧) الاحكام النبوية فى الصناعة الطبية ص ١١٤ .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الكلام بعد العشاء .

روى البخارى عن ابي هريرة الاسلمى رضى الله ^{عنه} ان رسول الله كان يكره النوم قبل

العشاء والحديث بعد ها (١) .

وفى ذلك حض على النوم المبكر لما يترتب عليه من الراحة وفى رسالة جامعة

قدمت لجامعة جنيف توصلت الباحثة ستانسلوا الى عدة نتائج منها :

- ان النوم المبكر يساعد على النوم الهادئ .

- وان التعب الجسماني او العقلي اذا كان يسيرا افضى الى اضطراب النائم

واذا كان شديدا نام نوما هادئا (٢) .

واما الطريقة المثلى للنوم فهى النوم على الجانب الايمن وهو اصح وضع للنوم

... ومن الضرر النوم على الصدر لانه يسبب انثنا فقرات الرقبة ، لان النائم فى

هذا الوضع لا بد له من لى رقبته الى احد الجانبين (٣) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينام على جانبه الايمن واضعا راحته تحست

خده .

وفى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

" اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل

اللهم اسلمت نفسى اليك وفوضت امرى اليك ... " (٤) .

وقد أيد الطب الحديث النوم على الشق الايمن حين اكتشاف ان لذلك فوائد

منها :

١ - ان النوم على الجانب الايمن يمنع ضغط الكبد على المعدة ويساعد ها على

تفريغ محتوياتها .

(١) متفق عليه والبخارى فى المواقيت ٢٠٨ / ١ رقم الحديث ٥٤٣ والمقصود هو السهر الذى لا فائدة منه .

(٢) النوم والارق لاحمد قواد الاهدانى ص ٦٠ .

(٣) الاسلام والعلم د . محمد الخطيب ص ٩٤ .

(٤) البخارى - الوضوء ٩٧ / ١ رقم الحديث ٢٤٤ .

٢ - كما يسهل عمل القلب فيمنع ضغط المعدة والحجاب الحاجز عليه (١) .

أما التأثيرات الفسيولوجية اثناء النوم فيتلخص فيما يلي :

(أ) يؤثر على الجهاز العصبى فترتخى العضلات ويقل عمل الخلايا العصبية تقريبا الى الصفر .

(ب) يقل الضغط الدموى حيث تقل نبضات القلب ، وتقل الحركات النفسية وتبقى حاسة السمع ضعيفة ، فتزداد افرازات الغدد الجلدية (٢) .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى :

وكما أن كثرة النوم مورثة لبعض الآفات ، فدافعه وهجره ، مورث لآفات اخرى عظام : من سوء المزاج وبيسه ، وانحراف النفس ، وجفاف الرطوبات المعينة على الفهم والعمل ، ويورث امراضا متلفة لا ينتفع صاحبها بقلبه ولا بدنه معها ، وما قام الوجود الا بالعدل . فمن اعتصم به فقد أخذ بحظه من محامع الخير . وبالله المستعان (٣) .

(١) د . هشام الخطيب مجلة الأمة ص ٩٦ جمدى الاولى ١٤٠٢ هـ .

(٢) د . هشام الخطيب مجلة الأمة القطرية جمدى الاولى ١٤٠٢ هـ .

(٣) مدارج السالكين ١ / ٤٦٠ .

* فائدة النوم *

ثبت في الدراسات النفسية ان النوم ليست ظاهرة سلبية يتم بها تناقص الحس والحركة والوعي الشعوري فقط، او انه مرحلة ترميمية لبعض الخلايا لكنه ظاهرة ايجابية ايضا مرتبطة كل الارتباط بالحياة الواقعية وما تتضمنه من شعور وادراك وانفعال وسلوك . وما فطر الله الانسان عليه وجعله فطرة وسجية اصيلة فيه الا لمصلحة عبده الذي خلقه .

فالنوم يمثل حاجة البدن كالطعام والشراب والفرجة الجنسية لذا فانه يقضى ما يقرب من ثلث عمره في النوم كما تقدم . وتكون بذلك فترة زمنية مناسبة لترميم الخلايا المتهدمة وتجديد النشاط ، ومتابعة النمو التكويني المتوازن بالاضافة الى السعادة والراحة والطمأنينة التي تغشى الانسان فيه .

ويقول الدكتور انور حمدى :

بان النوم يصفى الدم من السموم ، والنفايات المهلكة للبشرة كما يريح البشرة نفسها ، كما تحدث عمليات ترميم وتجديد في خلاياها ، حيث ان خلايا الجلد تتضاعف بسرعة انقسامها اثناء النوم (١) لذلك ينصح الطب الحديث بالنوم في بعض الامراض كالا نفلونزا والاضطرابات العصبية والقلق (٢) .

فما النوم اذن الا تجديد يعيد الى الجسم قوته ونشاطه كما يعيد الى عقل الانسان صفاءه وقدرته ، فكل حي لا يتحمل استمرار الحياة بلا راحة فيها ، بل لابد له ان يكف عنها حينما بالموت الوقتى وهو النوم، ليستطيع ان يحيا ويعمل ويفكر ثانياً وذلك دليل على الضعف واحتياج كل حي الى الراحة (٣) .

بالاضافة الى ذلك فان الانسان في رحلة النوم يصادف رؤى واحلاما ، حيث تنطلق قوى الانسان الخفية وتسيح في عوالمها وتحقق قليلا او كثيرا من مطالبها التي امسكتها عنها يقظة الجسد وقيدتها ونها جوارحه (٤) .

(١) النوم اسراره وخفاياه ص ١٨٩ .

(٢) د . هشام الخطيب مجلة الامة جماد الاول ١٤٠٢ هـ .

(٣) معجزة القرآن ص ١٨٦ .

(٤) التفسير القرآنى للقرآن ٤/٤٩٩ .

* الرؤيا *

ففى رحلة النوم يسبح الانسان بعقله وروحه فيما وراء هذا العالم المادى حيث لا قيود ولا حدود ، وحيث يحقق الانسان فى هذا العالم ما عجز عن تحقيقه فى عالمه المادى ، فيجد فى هذا ما يجد الجوعان بعد الشبع والظمان بعد الرى .
فكم من محروم من شئ ناله فى نومه من طعام او نوال او وصال او حل لمعضلة .
اننا فى عالم النوم نجنى من الثمرات العقلية والروحية والنفسية مالا نحصل عليه فى يقظتنا بمدركاتنا وحواسنا .

ذلك لان النوم اذا قطع صلتنا بعالم الحس وصلنا بعالم الروح فالنوم ليسر الا حيسا للجسد واطلاقا للروح فى فترة معينة واما انطلاق الروح النهائى فذلك بعد الموت حين تخلصت تخلصا تاما من الجسد ، وخرجت بوجودها كلية من سجنه المطبق عليها (١) .

فقوة التصور وسعة الخيال من اسرار الروح العجيبة ، لذا فان سلطان الروح عند النوم يكون اقوى منه فى اليقظة فلذلك تتجسد الخيالات والافكار ، ويتراى ببصر البصيرة ، وليس كل ما يراه النائم من بنات فكره ، فهناك أمور يلقيها الله تعالى اليه ويريه اياها ، لا حيلة له فى ادراكها بالفكر ، ومنها الامور المغيبة التى يراها النائم فتقع كما يراها ، وهذا شئ محقق ثابت متواتر عند الناس لا يمتري فيه الا المادى الجاهل الذى انحصر علمه فيما يدرك بالحواس الخمس كالعجاوات (٢) .

وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا الى ثلاثة اقسام بشرى من الله ، وحدث النفس ، وتخويف من الشيطان (٣) وعن عوف بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الرؤيا ثلاث منها اهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم - ومنها ما يهيم به الرجل فى يقظته فيراه فى منامه ، ومنها جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة (٤) .

(١) التفسير القرآنى للقرآن ٥٠٢/٤ .

(٢) الدكتور تقى الدين الهلالى (الطريق الى الله) ص ١٤٣ .

(٣) ابن ماجة ص ٢٨٧ عن ابى هريرة . (٤) المرجع السابق .

والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في النوم من الاشياء ، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبح ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان) (١) وهذا الاستعمال والتفريق بينهما انما كان من الاصطلاحات الشرعية التي لم يضعها حليم ، ولم يهتد اليها حكيم ، بل سنها صاحب الشرع للفصل بين الحق والباطل ، كانه كره ان يسمى ما كان من الله وما كان^{منه} الشيطان باسم واحد (٢) .

وقال الحكم الترمذى : بان الرؤيا اصله حق ، جاء من عند الحق . . . وهو من الله تعالى تأييد لعبده بشرى ونذارة ومعاتبة ، ثم ضرب لكل منها مثلا من مرائى الصحابة رضى الله عنهم (٣) .

وأما الحلم او الاضغاث وهى التى لا تنذريشئ وهى انواع :

الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى انه قطع رأسه وهو يتبعه .

والثانى : ان يرى ان بعض الملائكة تأمره ان يفعل المحرمات مثلا ونحوها من المحال عقلا .

الثالث : ان يرى ما تتحدث به نفسه او يتمناه ، فيراه كما هو في المنام ونحو ذلك (٤) .

وقد علمنا النبى صلى الله عليه وسلم وهو طبيب القلوب والارواح علاجا ناجعا يقينا شر الاحلام ويعرفنا بما ينفعنا من رؤيا المنام وهو ان الانسان اذا رأى ما يكره فليبصق عن يساره ويستعدن بالله منه فلن يضره (٥) .

وفى ذلك حماية للمسلم من الوسوس الشيطانية ومن الاعتماد على الرؤيا فى الاتيان باعمال تخالف الشرع والدين او تسبب الفتنة فى نفسه واهله وماله كاتيسان العرافين ونحوهم ممن يدعون الغيب باضغاث الاحلام .

(١) صحيح مسلم فى الرؤيا ٣٠٤/٢

(٢) ارشاد السارى ١١٨/١٠ .

(٣) نوادر الاصول ص ١١٦ .

(٤) دعوة الرسل للعدوى ص ٧٦ .

(٥) صحيح البخارى فى الرؤيا .

* الحرمان من النوم *

يعتبر النوم من اهم العمليات الفطرية في الكائن الحي ، ولولا النوم لـمـا استطاع اى كائن حي ان يستمر مواصلا مسيرة الحياة .

كما لا يستطيع اى انسان ان يبقى بدون نوم اكثر من ايام قليلة لان الحرمان من النوم لون من ألوان العذاب المضمئ وشقاء نفسى يكاد ينزع روح الانسان من بين جنبهه ، وتضيق عليه الدنيا على سمعتها ، ويحس في نفسه بأنه في عنق زحاجسة يعيش ، وهذا مالا يمكن ان يتحملة انسان .

واذا منع الانسان من النوم لايام متواصلة فان ذلك يؤدي الى هلوسات بصرية ، ثم سرحان وعدم تذكر وهزال ، ثم هذيان فكري ، مع انهيار جسمى وعقلى عام ينتهى به الى الموت يفقد بعدها القدرة على ضبط الاوامر ويصاب بالآلام صعبة معذبة (١) .

وقد اجريت عدة تجارب وابحاث بحرمان اناس من النوم من مختلف الاعمار تبين منها ان الحرمان من النوم يفقد القدرة على التفكير السليم وعلى التركيز ، ويصيب الانسان بالتوتر وسرعة التهيج وانحراف المزاج وسوءه (٢) .

كما يؤدي بعد فترة من زيادة الشهية الى فقد الرغبة في الطعام والشراب فينقص الوزن ، وتنحل العضلات ، وتغيض نضارة الجسم ورونق الجلد وسهاؤه ، وتقل كمية العمل ونوعيته ودقته ، وتتبدل كثير من وظائف الجسم وتتغير كثير من مكونات البدن ثم تظهر في النهاية هذيان وجنون ثم نهاية المأساة بالموت وثبت ان الحرمان من النوم عذاب . . . لا يطيق استمراره بشرأ وحيوان .

فاذا كان النوم نعمة كبرى ، وراحة عظمى للانسان في مختلف مراحل حياته .
ليجدد نشاطه من خلال تجديد خلاياه المتهدمة .

(١) معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن ص ٢١٢ .

(٢) النوم اسراره وخفاياه ص ١٨٣ .

وإذا كانت عناية عظمى يخصص بها بعض عباد الله ليخرجهم من الخوف والقلق ويدخلهم في رحمة الطمأنينة ، كما أنزلها على أهل بدر وأحد وخفف به من وقعها الشديد في نفوسهم حتى لا يزيد انهابهم .

وإذا كان ما حصل لأهل بدر وأحد من النعاس لا يمتنع حصوله لجنود الله عز وجل في مختلف الأزمنة والأمكنة . فهو من المواهب الإلهية التي تتطلب من الإنسان الشكر إن كم من مسلم وقع في شدة ومرت عليه لحظات من الضيق المكتوم والتوجس والقلق ، ثم أدركته سنة من النوم لا تتعدى الدقائق ثم قام من نومه إنساناً جديداً غير الذي كان بالأمس ، ساكن النفس مطمئن القلب قد ألبسه الله سرى الطمأنينة إن إن الحرمان منه عذاب وألم يقض مضجع الإنسان ويقلبه على الجمر بانعدام الراحة ، وفي ذلك يقول بعض العلماء بان في قوله تعالى (يسمعون) إشارة إلى إن من سمع إن النوم من صنع الله الحكيم وإنه لا يقدر أحد على اجتلابه إذا امتنع ، ولا على دفعه إذا ورد ، تيقن إن له صناعاً مدبراً (١) .

وإذا كان النوم مدداً وجنوداً من جنود الله يرسلها للمؤمنين في مختلف المواقف ويرسلها لمن يشاء عذاباً ونكالا يقض مضجعه فيقلب على فراشه كما يتقلب على الجمر ، فما أحوج المسلمين إلى معرفة الأسرار الربانية والعظمة الإلهية التي تزيد إيمانهم رسوخاً ويقينهم قوة .

وباعتبارنا نتكلم في الدعوة إلى الله في سورة الروم فما أحوج الدعاء إلى تنبيه المدعويين إلى هذه النعمة وتذكيرهم بالله الذي أودع هذه الظاهرة في الإنسان وجعلها راحة لا استعادة النشاط الإنساني للقيام بعبادة الله وحده وسندل الجهد في عمران الأرض .

(١) أسرار التكرار في القرآن ص ١٦٨ .

(المبحث الخامس)

* لغت الانظار الى سنن الله في الهلاك *

قال تعالى : (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساءوا السواى أن كذبوا بما أمسرت الله وكانوا بها يستهزؤن) الروم ٩ - ١٠ .

وقال : قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) الروم ٤٢ .

ان القرآن الكريم حين يذكر قصص الامم السابقة يلغى انظار الخلق الى الاعتبار من الحوادث التي اودت بهم واهلكتهم . . فانه ينتقى ابرز حوادثهم واشدها صلة بالعبرة المقصودة واكثرها لغتا لانظارهم وابلغها اثارا لشعورهم واشدها قرعا لنفوس تعبت في احلام من الهوى يهيمن فيها ويحسبون انهم في ذلك الحال يستمرون ، وفي غيبهم وانحرافاتهم يسدرون .

(فمن الادلة العقلية : ما ابقاه الله تعالى من آثار عقوبات اهل الشرك ، وآثار ديارهم ، وما حل بهم وما وقع بهم من انواع العقوبات ، ثم ما ابقاه من نصر اهل التوحيد واعزازهم ، وجعل العقوبة لهم . فكان صدور هذا الهلاك عن عزته ، وذلك الإنجاء عن رحمته سبحانه ، ومن هذا يتبين ان دلالة القرآن سمعية عقلية) (١)

ففي الآية الكريمة تقرير لسيرهم في البلاد ، ونظرهم الى آثار المدمرين من الاقوام التي اهلكها الله تعالى من الامم العاتية .

(فهو لا اذا لم يكن لهم نظر في انفسهم او كان لهم نظر ولكنه لم يكشف لهم واقع الحق فيما رأوا منها ، افما كان لهم نظر الى ما بين ايديهم وتحت ابصارهم من بقايا هذه الامم التي كانت تعمر تلك الاطلال البالية وهذه القرى الغارقة في احضان البلى ؟ ثم ألا رأوا في هذه المخلفات ما كان عليه اهلها من حياة عامرة زاخرة وما كان

لهم من قوة وبأس شديد ؟ ثم الا اعادوا النظر مرة اخرى فرأوا كيف تبدلت الحال وكيف ساء المصير ؟ لقد كفروا بآيات الله وكذبوا رسله فوقع الله بهم عقابه ، واخذهم ببأسه ، فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ، وكانت السوء ، عاقبة الذين اساؤا ، فجزاهم سوءا لفعلمهم السيء (١) .

وفى قوله (كانوا اشد منهم قوة) اخبار عما كانوا عليه قبل الهلاك ، والتقدير فينظروا كيف أهلكوا وكانوا اشد منهم قوة (٢) .

كما تبين الآية اعتماد اولئك الهالكين الى قوتهم ظنا منهم ان تلك القوة تمنعهم من عذاب الله وأخذه لهم بالعقاب ، وبذلك تجاوزوا حدود العبودية وبدأوا بتكذيب آيت الله والاستهزاء به .

(واثاروا الارض) وقلبوا وجهها لاستنباط المياه ، واستخراج المعادن ، وزرع البذور وغيرها وعمروا الارض اكثر مما عمروها اهل مكة . . . وفيه تهكم باهل مكة حيث انهم مفتخرون بالدنيا مفتخرون بها ، وهم اضعف حالا فيها ، ان مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء وملجئون الى واد لا نفع له (٣) .

فالآية الكريمة تبين ما احرزت تلك الأمم من عناصر مادية ، وكان غرضهم من ذلك هو السيطرة على وراثه الارض بالاعتصام بالقوة المادية وظنوا انهم بذلك هم الخالدون اعتمادا على ما يتخذون من مصانع وما ينحتون من بيوت (اتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) (٤) .

ولا بد من تقرير ان سنة الله في الاهلاك وثيقة الصلة بكسب العباد (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث عملوا ما اوجب تدبيرهم (٥) .

-
- (١) التفسير القرآني للقرآن ٤ / ٤٨٧ .
 (٢) درة التنزيل للخطيب الاسكافي ص ٣٦٧ .
 (٣) تفسير البيضاوي (مجموع التفاسير ٥ / ٣٦) .
 (٤) سورة الشعراء ١٢٨ - ١٢٩ .
 (٥) تفسير النسفي (مجموع التفاسير ٥ / ٣٦) .

فهو لا أقوام عاشوا قبل جيل المشركين في مكة (كانوا اشد منهم قسوة)
 (واثاروا الارض) فحرقوها وشقوا عن باطنها ، وكشفوا عن ذخايرها (وعروها
 اكثر مما عروها) فقد كانوا اكثر حضارة من العرب ، واقدر منهم على عمارة الأرض .
 ثم وقفوا عند ظاهر الحياة الدنيا لا يتجاوزونه الى ما وراءه .

ولما ارسل اليهم الرسل لم تفتح بصائرهم لهذه البينات ، ولم يؤمنوا
 فتتصل ضمائرهم بالنور الذي يكشف الطريق ، فمضت فيهم سنة الله في المكذبيين
 ولم تنفعهم قوتهم ، ولم يخن عنهم علمهم ولا حضارتهم ، ولقوا جزاءهم العادل
 الذي يستحقونه .

ثم كان عاقبة الذين اساؤا السواى ، وهى العاقبة التى لقيها المسيئون
 وكانت جزاءً وفاقا على تكذيبهم بآيات الله واستهزاءهم بها .

والقرآن الكريم يدعو المكذبين المستهزئين بآيات الله بان يسيروا فى الارض
 فلا ينعزلوا فى مكانهم كالقوقعة ، وان يتدبروا عاقبة اولئك المكذبين المستهزئين
 ويتوقعوا مثلها . وان يدركو ان سنة الله واحدة وانها لا تحابى احدا وان يوسعوا
 آفاق تفكيرهم فيدركوا وحدة البشرية ، ووحدة الدعوة ، ووحدة العاقبة فى اجيال
 البشرية جميعا .

وهذا هو التصور الذى يحرض الاسلام على ان يطبع به قلب المؤمن وعقله به (١) .

منهج السير فى الارض :

اذا كان للكون سننه المضطربة وقوانينه الثابتة التى تحكم سيرته وتضبط عوالمه
 من الذره الى المجرة كقوانين الجاذبية والطفو والحرارة والبرودة وغيرها فـان
 للمجتمعات الانسانية قوانين عامة كذلك تضبط مسيرتها وتبين عوامل تقدمها وتقهقرها
 وبقائها وفنائها ، هذه القوانين تتلخص فى ان الله جعل بقا الام ونمائها فى التحلى
 بالفضائل والعفة عن الشهوات والالتزام بتعاليم الانبياء وجعل هلاكها ودمارها

فى التخلّى عنها سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الامم ولا تتبدل بتبدل الاجيال كسئنه
تعالى فى الخلق والاحياء ، تقدير الرزاق وتحديد الآجال (١) .

فالآية الكريمة تلفت الانظار الى منهج فريد من مناهج الاصلاح الاجتماعى
فى المجتمعات الانسانية ، منهج ان دام عليه الانسان كانت حياته واخراه فلاحا وفوزا .
(ويعتمد هذا المنهج الفريد على اعمال العقل والاستدلال به فيما ابقاه
الله تعالى من آثار عقوبات أهل الشرك وآثار ديارهم ، وما حل بهم وما ابقاه من
نصراهل التوحيد واعزازهم ، وجعل العقاب لهم (٢) .

ان السير فى الارض منهج قرآنى فريد فى التذكير والدعوة تميز به القرآن الكريم
ويقوم على ركائز اساسية ما طبعت عليه النفس الانسانية ، فالنفس الانسانية تنتابها
الغفلة ويطويها احيانا النسيان ، وهى لهذا فى حاجة الى التذكير والتحذير واشارة
الانتباه الى آيات الله فى الارض والسماوات والنفس الانسانية تشدها التجربة ويستهبها
الواقع الحى ، كما تتأثر كثيرا بحوادث التاريخ ، وسير الماضى ومصارع السابقين .
ومنهج السير فى الارض يحرك النفس خطوات نحو الحق وشطر الصواب وله وسائل
شتى (٣) .

فالآية الكريمة تلفت انظارنا الى التأمل فى مصائر الغابرين ، وهم ناس ممن
الناس ، وخلق من خلق الله ، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية ،
فسنة الله هى سنة الله فى الجميع ثابت يقوم عليه هذا الوجود فهى دعوة الى ادراك
حقيقة هذه الحياة وروابطها على مدار الزمان وحقيقة هذه الانسانية الموحدة المنشأ
والمصير على مدار القرون ، كى لا ينعزل جيل من الناس بنفسه وحياته ، وقيمه وتصوراته
ويغفل عن الصلة الوثيقة بين اجيال البشر جميعا ، وعن وحدة السنة التى تحكم

(١) تاريخ الدعوة جمعة الخولى ص ١٢ .

(٢) مدارج السالكين ٤٩٢/٣ .

(٣) الدعوة فى الاسلام د . السيد رزق الطويل ص ١٠٨ .

هذه الاجيال جميعا ، ووحدة القيم الثابتة فى حياة الاجيال جميعا (١) .

فمن ثمرات السير فى الأرض :

فتح نوافذ الرؤية امام البصائر الواعية على حقائق الايمان الصحيح حتى يبقى الانسان متذكرا فى جميع احواله مصائر السابقين من الامم ، هذا التذكر الذى يقف سدا منيعا امام شطط النفس وانحرافها او استجلابها وواعى الهلاك وسنن الله فى الاقوام اللاهية الغافلة ، ان يضع امامها صورة الائمة ومنظرا يراه ويتصوره لما عسى ان تنتهى اليها لو استمرت على الطريق التى تسير عليه . لان هلاك الامم مرتبط بالانسان نفسه ، ومدى انحرافه عن جادة الحق والطريق السوى ، هذا الانحراف الذى يتمكن فى نفسه التى بين جنبيه وقلبه فى عمله وفى سلوكه المؤدى الى العناد والمكابرة .

ومن أعظم ثمرات السير فى الارض معرفة ان الشرك نقيض التوحيد وان اتخاذه الشفعاء والوسطاء ابتغاء الزلفى آفة عظيمة لدى الشعوب .

كيفية السير فى الارض :

ان القرآن الكريم حينما جعل السير فى الارض منهاجا من مناهج الاصلاح الاجتماعى والفردى فى النفس والسلوك لم يجعله للعبث او اللهو فلابد للسير من اهداف يحققه وغايات يوصل اليه وسلوك يعد له ونفسيات يسويها .

ولو تأملنا حالة العرب قبل الاسلام لوجدناهم يسيرون فى الارض وينتقلون فى ارجائها ، رحلة فى الشتاء ورحلة فى الصيف ، لكنه كان سيرا متعلقا بالعيش والتجارة وبالصيد والرعى ونحو ذلك من مصالحهم التى يسعون لاجلها .

ولما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم عارضوا دعوته وناصروه العداء ، ولم يفكروا جديا فى الاهداف البعيدة عن عمى الجاهلية وقصر نظرها ، فنبههم القرآن الكريم الى تعدد اهداف السير ، وقدم لهم مع المنهج الفكرى هذا طريقة استعماله وكيفية

الانتفاع به ، ودعاهم الى البحث في حقائق التاريخ والكشف عن الضربات القاصمة التي كانت جزاء المارقين من السابقين الذين يبرون عليهم مصبحين وممسين ، ولكن بعين مفتوحة وحس متوفر ، وينظر تدبر في الآثار الباقية من الامم التي تعرضت للتدمير لانهم اشركوا بالله ولم يقدروه قدره . لان الحوادث شاخصة في آثارهم ، واذ تأملوا فيها رأوا جبروت السالفين وكيف دمر الله عليهم وللكافرين امثالها .

فالنظر والدراسة والتحليل للحوادث التاريخية هو المنهج القرآني المطلوب من الانسان في جميع العصور ، لانه السبيل الوحيد الذي ينبه الفرد من مساوئ الهلاك ومهبط السلوك الى ذرى الاخلاق والفضيلة .

قال تعالى : " اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون " الروم آية ٩ .

فالاية الكريمة تلفت الانظار الى السير مع الفكر والفكر مع الاعتبار ، اذا ان الله اهلك اولئك رغم قوتهم الجسمية وقوتهم العلمية في ظاهر الحياة الدنيوية واستغلال ثروات الارض في سبيل المادة فقط ، وفي ذلك بيان عجزهم امام قوة اولئك ، وضعف علمهم امام علم اولئك ولكن الله لا يعجزه من اخذهم اخذ عزيز مقتدر . وكما دارت الدائرة على اولئك فانهم لن يتمكنوا من النجاة ان اراد الله اهلاكهم .

كيفية النظر والتفكير :

ان التفكير فى مصائر الامم تحتاج من الانسان التفكير الصحيح السليم البعيد عن المؤثرات والاهواء وبعيدا عن سيطرة الملام وظلمهم وكبتهم لافراد الشعوب .
(فالتفكير وسط الازدحام على الاغلب فيه تشويش على الخاطر ، وتعويق للفهم وتخليط فى الكلام) (١) .

وذلك لان التفكير مع الجماعة مقيد بافكارهم، والمسيطر عليهم فقد يكون بيمس الجماعة منحرف يخشاه الفرد ، وقد تكون الجماعة متخلفة عن الفرد فتنهمه بعيب (٢) وهذا ما اشار اليه القرآن الكريم " قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٣) .

قال ابن كثير رحمه الله " اى تقوموا قياما خالصا لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية (٤) معرضا عن المراء والتقليد ، متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ، فان الازدحام يشوش الخواطر ويخلط القول (٥) اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر الصدق والانصاف حتى يؤد بهما النظر الصحيح الى الحق . وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفه ويعرض فكره على عقله . ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع ما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ويمنع من الروية ويقل الانصاف فيه ، ويكثر الاعتساف ويشور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب (٦) .

(١) تفسير روح المعانى ١٥٤/٢٢ .

(٢) الدعوة الاسلامية فى عهد ها المكي ص ١٦٥ .

(٣) سورة سبأ ٤٦ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٤٣/٣ .

(٥) تفسير البيضاوى (مجموع التفاسير ١٦٩/٥) .

(٦) المرجع السابق ١٦٩/٥ .

وفى هذا دعوة الى التعامل مع الواقع البسيط ، لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ؛
دعوة الى منطوق الفطرة الهادئ بعيدا عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة
والغش الذى يحجب صفاً الحقيقة ، هى واحدة ان تحققت صح المنهج واستقسام
الطريق ، القيام لله . . . لا بفرض ولهوى ، ولا لمصلحة ، ثم التفكير والتدبر بلا
مؤثر خارج عن الواقع الذى يواجهه القائمون لله المتجردون (١) وبذلك يتضح فسى
ذهنهم امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الهدى والاصلاح وتهذيب الاخلاق ،
ورفع النفس عن عبادة ما هو احط منها من الاوثان الى عبادة فاطر السموات .

لقد كرم الانسان وميزه على الحيوان فى مجالات نفسية عديدة ، فدافسح
الانسان اكثر تنوعا ، وملاحظته اشد . وهو اسرع تعليما واحدا ذكاه ، بيد ان
الوظيفة النفسية الاساسية التى توجد عند الانسان دون سائر الحيوان انما هى
التفكير .

والتفكير هو استخدام الوظائف النفسية لحل مشكلة من المشكلات فتصاغ لها
الحلول فى احكام ، ثم يحاكمها العقل للفوز فى الحل النهائى .

اختلاف التفكير باختلاف غرض المفكر :

يختلف استخدام العقل لاحد الاساليب التى زودها الله بها للتفكير باختلاف
غرض المفكر ، فاذا كان هدفه الحصول على المعرفة ومعرفة السبب ، استخدم احد
اساليب التعليل ، واذا كان هدفه الحصول على معرفة القانون او السنة الكونية التى
سنها الله واجرى بموجبها بعض حوادث الكون ، لجأ الى الرصد والتتبع والاستقراء
ليصل من تتبع الحوادث الجزئية الى تلك القوانين او السنن التى اودعها الله فسى
الكون ونظمه على منوالها ولا يحصل ذلك الا بالتدبير والتفكير والنظر (٢) .

ولقد حث الله تعالى الانسان على التفكير فى الكون ، والنظر فى الظواهر

(١) فى ظلال القرآن ٢٩١٤/٥ .

(٢) بحوث فى علم النفس العام ١١٢/١ .

الكونية المختلفة . وتأمل بد يبع صنعه ، ومحكم نظامه ، كما حثه على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة ، ونحن نجد هذه الدعوة التي الملاحظة والتفكير والبحث والتحصيل العلمي ظاهرا في القرآن الكريم .

فالتفكير هو المطلوب الاول المؤدى الى صحة العقل بعد غفوته ليتضح ما كان خافيا عنه ، ولكن العقل قد تقيد به اغلال التقليد الاعى فلا يملك الحرية الواجبة للتفكير .

وحددت الآية الكريمة ان يكون الانسان قائما لله تعالى خالصا وقد جرد نفسه من الميول والاهواء والنزعات ، لان ميول الانسان ودوافعه وانفعالاته وعواطفه فسى تفكيره تجعله يقع في اخطاء التحيز .

ويمدنا القرآن الكريم بمثال واضح للخطوات التي يتتبعها التفكير في حل المشكلات نجده في فقه ابراهيم عليه السلام وفي الطريقة التي اتبعها في التفكير للوصول الى معرفة الله سبحانه الذى خلق هذا الكون .

اهمية جمع البيانات :

فاذا كان القرآن الكريم قد دعا الانسان الى طريقة التفكير السليم حال كونهم مشى وفرادى ، فانه من المهم ان يتتبع الانسان المعلومات التي توصله الى الحقيقة ، ولا يمكن ان يصل بتفكيره الى نتيجة سليمة دون ان تتجمع لديه الادلة والبراهين الكافية التي تؤيد صحة ما يصل اليه من نتيجة . فكثيرا ما يتعجل الانسان في اصدار الاحكام دون ان تتجمع لديه الادلة الموصلة الى الحقيقة ، فعدم توافر البيانات والمعلومات الكافية من العوامل الهامة لكثير من اخطاء التفكير الشائعة بين الناس . وقد حرص القرآن الكريم على ان لا يكون الانسان كعاطب ليل يتلقف كل رأى وكل شائعة ، كما نهى عن الكلام وابدأى الرأى فيما ليس له به علم ودون ان تتضح له الادلة والبراهين على صحتها، كما حمل الانسان مسئولية حمل أو ترديد او نشر

كل ما يسمع او كل ما يرى ، فهذه الحواس تكون مسئولة عند الله ان لم تحرص على الطريق الموصلة الى الحق في استعمالها المختلفة قال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم - ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) (١) . فقدم استعمال هذه الحواس استعمالا صحيحا لا يؤدي به الى الظن العنهي عنه والظن ليس طريقا سليما للوصول الى الحقيقة .

لهذا فقد كان جمع البيانات عن طريق الملاحظة الدقيقة ، والبحث العلمى المنظم من اهم العوامل التى تعين الانسان للوصول الى الحقيقة .

سبب الاعراض عن سنن الله :

ان الاعراض عن الاستفادة من احداث التاريخ مرض اجتماعى خطير يصيب عقول الناس فيعطلها ، وعواطفهم فيبلدها فيمرون على العبر - وهى تترى - لاهية قلوبهم غافلة نفوسهم .

ومصدر تلك الاخطار هى البيئة الملوثة بالامراض الفكرية المتوطنة القديمة منها والطارئة .

فالاغراض عن الآيات نتيجة حتمية لعوامل كثيرة ارتبطت بنفسية الانسان من ميول ودوافع وانفعالات وهذا ما نسميه (التحيز الانفعالى والعاطفى) .

وقد بينت بعض الدراسات التجريبية الحديثة فى علم النفس حدوث اخطاء فى التفكير نتيجة لهذا التحيز ثم الوقوع فى الخطأ فيما يصدره من احكام فيضل الانسان سبيله ويحجز عن التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين الهدى والضلال (٢) .

قال تعالى : (بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم) (٣) وقال (وكأين من آية فى السموات والارض يمررون عليها وهم عنها معرضون) (٤) .

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦ .

(٢) القرآن وعلم النفس ص ١٤٢ .

(٣) سورة الروم ٢٩ .

(٤) سورة يوسف ١٠٥ .

فالمعروف على مكان العبر بدون اعتبار اعراض عن سنن الله تعالى في الامم
وانشغال بالدنيا فقط ، وما اعرض معرض عن الله الا لغفلة ، ولا غفلة الا وراءها
لعب ولهو تؤدي اليه نتجة وخيمة مظلمة وتسوق اليه الهلاك والدمار ، وتنزل معه
صواعق العذاب التي تدمر كل شئ اتت عليه . فعقبى الاعراض عن الحق ، والفرور
بالخلال ثابتة ، وما اصاب الاولين لن يفوت الآخريين .

والعطالة التي تصيب العقل عند الانسان لها مصدر اساسي تسمى العقيدة
العبيثية في الوجود والكون ، او اعتقاد العبيث واللعب في الوجود قال تعالى: (وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين) (١) ، وقال (افحسبتم انما خلقناكم
عبثا . . .) (٢) .

فعدم رؤية النظام وعدم رؤية السنن وعلاقة الطاقة المفكرة الانسانية بسنن
الكون ، فالذي لا يرى هذه العلاقة وهذا الارتباط لا يمكن ان يقدر المسؤولية
الاجتماعية ولا المسؤولية الفردية (٣) .

ولو تأملنا نظرة الكفار للكون لوجدناها نظرة مادية لا اعتبار فيها ولا تأمل
في نظام الكون الدقيق او في آثار الامم البائدة .

قال تعالى (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) (٤)
ولا شك ان سبب هذه النظرة الفاسدة هي اعتقاد العبيث في الخلق الكوني والانساني
وقد ولدت هذه النظرة آفات كثيرة لديهم منها :

(أ) آفة التكذيب وافتراءه :

وهو امر متعلق بالنفس نتيجة للمفاهيم والافكار والمعتقدات الفاسدة قال
تعالى : (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته) (٥) .

(١) سورة الدخان ٣٨ .

(٢) سورة المؤمنون ١١٥ .

(٣) جودة سعيد (حتى يغيروا ما بانفسهم ص ١٦٤ .

(٤) سورة الحاشية ٢٤ .

(٥) سورة الانعام ٢١ .

(وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتب المنيرة) (١) .

وقد اهلك الله القرى التي كذبت رسلها كعاد وشمود وسبأ ومدين ، وقرى قوم لوط .

ولقد نوع الله في آياته، لعل المكذبين يرجعون الى ربهم ويشوبون، ولكنهم مضوا في ضلالهم فاخذهم العذاب الاليم الوانا وانواعا تتحدث بهم الاجيال من بعدهم ويعرفها الخلف من ورائهم ويرون آثارها غادين راثحين .

فالتكذيب بآيات الله عز وجل شر وجالب للهلاك)) كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس ، وشمود وعاد وفرعون واخوان لوط ، واصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد) (٢) .

وهذا التكذيب هو اول البلايا والامراض التي اصيبت بها الاقوام الهالكه حيث كذبوا المرسلين وتبعه تكذيب ماجاؤا به من الحساب والبعث .

قال تعالى :

- كذبت قوم نوح المرسلين (الشعراء ١٠٥) .
- كذبت عاد المرسلين (الشعراء ١٢٣) .
- كذبت شمود المرسلين (الشعراء ١٤١) .
- كذبت قوم لوط المرسلين (الشعراء ١٦٠) .
- كذبت اصحاب الايكة المرسلين (الشعراء ١٧٦) .

ولما كانت دعوة هؤلاء الرسل واحدة مكرورة على اختلاف ازمانهم وبيئاتهم ولغاتهم كان التكذيب هو الاساس الذي يدور حوله العصيان والمكابرة والاستهزاء

(١) سورة فاطر ٢٥ .

(٢) سورة ق ١٣ - ١٤ .

قال تعالى (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ، اتواصوا به بل هم قوم طاغون) (١) .

فالتكذيب ادى بهم الى الاعراض والالتهام والتشهير والتهديد قولا وفعلًا ، والسر في هذا الموقف الواحد المكرر الذى تقفه الجاهلية من رسلها هو مدلول (لا اله الا الله) وهو ان العبادة والولاء والطاعة لله وحده ولكن الملائمة لا يريد ذلك الا له وحده (٢) .

(ب) ومن الآفات الغفلة عن سنن الله فى احقاق الحق وابطال الباطل والأخذ على ايدى الظالمين ونصر المستضعفين .

قال تعالى (ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون) (٣) .

ويتكرر التذكير بالقرى الكثيرة التى اهلكها حين بغوا على امتداد التاريخ مع لغت النظر الى ما يترتب على الغفلة من امعان فى الضلالة والصدود قال تعالى : (فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها ويتر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعى الابصار ولكن تعى القلوب التى فى الصدور) (٤) .

وهذه الغفلة اما ان تكون غفلة غير مقصودة ، مثل غفلة بعض الكفار فى اغلب العصور ، حيث اطمأنوا الى ما هم عليه ، وغفلوا عن آيات الله وسننه الماضية فيهم ، والجارية عليهم وان تأخرت .

او تكون غفلة فى صورة الامل الخادع من وسوسة الشيطان ، والمعنى على الوهم كما فى غفلة صناديد قريش حيث يرون وفور حظهم فى الدنيا ، وقلة حظوظ المسلمين ،

(١) سورة الذاريات ٥٢-٥٣

(٢) دراسات قرآنية لمحمد قطب ص ١٧٩-١٨٠ وحتى يغيروا ما بأنفسهم ص ١٦٤

(٣) سورة يونس ٧ .

(٤) سورة الحج ٤٥ / ٤٦ .

فلما سمعوا بذكر الآخرة وما يعطى للمسلمين فيها قالوا :

ان صح ما يزعم محمد لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هو في الدنيا فرد الله عليهم هذا الظن المبني على الغفلة والوهم قال تعالى : (افجعل المسلمين كالمجرمين . . .) (١) .

وكانت الكفار تأمل ان يكون لها في الآخرة نعيما يشبه نعيمهم في الدنيا قالوا (ولكن رجعت الي ربى ان لى عنده للحسنى) (٢) .

وصورة الامل الطهيس صورة انسانية حية ، فالامل البراق ما يزال يخايل لهذا الانسان وهو يجرى وراءه ، وينشغل به ويستغرق فيه ، حتى يجاوز المنطقة المأمونة وحتى يغفل عن الله ، وعن القدر وعن الاجل وحتى ينسى ان هنالك واجبا ، وان هنالك محظورا ، بل حتى ينسى ان هنالك الها ، وان هنالك موتا ، وان هنالك نشورا . . . وهذا هو الامل القاتل . . . حيث لا ينفع العلم بعد فوات الاوان (٣) . يرى علم النفس الاسلامى ان الغفلة باب لنسيان الحق ومنبع للانانية والشره ، وقسوة القلب فاذا زادت الغفلة . . . غلب على الطبع النسيان ، وضعف استلهمام الانسان للحقائق فلا يسمع ولا يرى ، وعدم رؤية الحق يبعد الانسان عن الخير فينقاد الى الهوا* ويقع في التهلكة والضلال (٤) .

وقد يستغرق الغافل في ذهول مطبق سادرا فيما حوله من الراحة والطمأنينة غافلا عن الحق فاذا نادىته لم يصل اليه الصوت الا خافت النبرة ضاع المعنى ، فكانه على مسافة ميل منك رغم قربه قال تعالى : (. . . والذين لا يؤمنون فآذانبهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد) (٥) .

(١) فتح القدير للشوكانى ٢٦٦/٥ والآية في سورة القلم ٣٥ .

(٢) سورة فصلت ٥٠ .

(٣) في ظلال القرآن ٢١٢٦/٤ .

(٤) نحو علم نفس اسلامى لحسن الشرقاوى ص ٨٢ .

(٥) سورة فصلت ٤٤ .

وقال بعض الحكماء " اذا لم يستعمل القلب فيما خلق له من الفكر فسي
اجتلاب المصالح واجتتاب المفاسد تعطل ، فاستترت جوهريته ، فاذا اضيف الي
ذلك فعل ما يزيد ظلمته كشراب الخمر وكثرة الغفلة صار كالحديد الذي يغطاه
الصدأ فيفسده (١) .

والغفلة تؤدي بالانسان الي نكران النعم وعدم الاعتبار بمصارع الغابريين
حتى يتحول الي نسية كل شيء الي نفسه تكبرا أو غرورا ، ان بميزان نفسه المنحرفة
يزن الامور فيختل عنده التقييم .

كما يؤدي به الامل الملهي الي تأخير التوبة فيترك الندم والاستغفار،
وينسى رعاية حقوق الله سبحانه فيأخذه الله بالعذاب علي غفلة قال تعالى :
(سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) (٢) .

وقال تعالى : (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ، ما يأتيهم من
ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم . . .) (٣) .

(ح) آفة اتباع الهوى :

وهي من الآفات الكبرى والانسان الذي لا يهتدي بسنن الله ، ولا يهتدي
بالعلم والهدى الذي جاء من عند الله يميل به هواه لانه فقد الميزان الذي
به يزن الحق من الباطل .

قال تعالى : (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) (٤) .

قال ابن الجوزي : والنفس مجبولة علي حب الهوى . . . ومتى لم تزجر عن
الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شفقت به ، فاستأنست بالأراء الفاسدة والاطماع
الكاذبة والاماني المعجبية (٥) .

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ص ٦١ .

(٢) سورة القلم ٤٤ .

(٣) سورة الانبياء ١ - ٣ .

(٤) سورة القصص ٥٠ .

(٥) ذم الهوى لابن الجوزي ص ٣٦ .

وهذا ما جعل الهوى والعقل في تجاذب فمتى انتصر الهوى ذهب العقل

فمن غلبه هواه توارى عنه عقله (١) .

والهوى اذا غلب الانسان ملك عليه كل طريق وصار اسيرا مقادا يعبد ه ويطيعه

اذ تنفلت النفس من كل المعايير الثابتة والمقاييس المعلومة والموازن المضبوطة ،

وتخضع لهواها ولحكم شهواتها وتعبد ذاتها فلا تخضع لميزان ، ولا تعترف بحد

ولا تقنع بمنطق .

(د) آفة اتباع الآباء :

ان التمسك بالا فكار القديمة ، وبما جرى عليه العرف والتقاليد من العوامل

الهامة التي تسبب جمود التفكير وعدم تقبله لما يعرض عليه من افكار تمسكا

بمادرج عليه والفه ، وتخليه عن تلك الافكار يحتاج الى قدر من الجهد

والعزم ، كما يتطلب منه القدرة على النظر الى الامور نظرة تحليلية محايدة

تمكنه من التمييز بين الحق والباطل ، وهذا مالم يستطع كثير من المشركين

من تقبله والتحلى به ولم يكن من السهل عليهم التخلي عن تلك الافكار .

قال الشيخ دروزه :

آيات كثيرة نزلت في صدر محااجة الذين كفروا بالرسالة النبوية ، واصموا

آذانهم عن الدعوة تمسكا بما ورثوه عن آباءهم من عقائد وتقاليد ، تلبسوها روحا

ومضمونا وتلقينا استمروا عليها آمادا طويلة المدى حتى صار لديهم انه هو الصحيح

الذي لا يمكن قبول ما يخالفه .

ولكن القرآن الكريم وضع ضوابط عامة لكل عقيدة او عادة او تقليد وهو ان يكون

حقا وخيرا وعدلا ومتفقا مع المصلحة العامة الصحيحة . لذا فقد كانت الدعوة

النبوية هي دعوة الى الصالح العام ونبذ الباطل القديم ، وان كل ما لقيه النبي

(١) ذم الهوى لابن الجوزى ص ٣١ .

صلى الله عليه وسلم من قومه انما كان لهذا السبب (١) .

فكان احلال الآباء محل آيات الله وسننه امر اغتر به اقوام فاهلكهم الله تعالى فاتباع الآباء في عبادة الله وحده وتوحيده وعدم الاشراك فضل من الله قال تعالى :
(واتبعتم ملة آباء ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شئ) (٢) .

واما اتباع الآباء في الباطل فامر يجلب عقاب الله قال تعالى : (اذ ا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) (٣) .

(فمن اكبر الموانع في سبيل العقل عبادة السلف التي تسمى بالعسرف ، والا سلام لا يقبل من المسلم ان يلغى عقله ليجرى على سنة آباءه واجداده ولا يقبل منه ان يلغى عقله خضوعا لمن يسخره باسم الدين ولا يقبل منه ان يلغى عقله رهبة من بطش الاقوياء وطغيان الاشداء) (٤) .

فالا سلام يريد من الانسان ان يفتح عينيه ، ولا ينقاد لما يوقفه مغمض العينين ولا يرضى ان يكون ضحية مستسلمة لجهالة الآباء التي درجوا عليها .

وهذا ما حرص عليه الاسلام من تسفيه احلام الآباء والاجداد في معرض الرد على المشركين . وتشديد النكير على احلاس التقليد وصرعى كل عرف غبى ودعوتهم الى تحرير التفكير من القيود التي تكبله والتحرر من الاوهام والخرافات التي يتمسكون بها بدون تفكير او وعى .

فالداعية في حاجة ماسة الى معرفة سنن الله في اهلاك الامم ولا بد له من أن يثرى مادته بما يقف عليه في قصص الانبياء عليهم السلام في القرآن الكريم والسنة

(١) الدستور القرآني لدروزه ٢/٣٠٥ بتصرف .

(٢) سورة يوسف ٣٨ .

(٣) سورة البقرة ١٢٠ .

(٤) التفكير فريضة اسلامية للعقاد ص ٢٢ .

النبوية وكتب الادب من حوار وعظات، ومواقف الدعاة الى الله وتقابله مواقف المعاندين والمكابرين والمجاهرين بالعداوة والبغضاء لدعوة الحق ورجال الحق . فالام التي اهلكها الله تعالى ابتليت بأفات كثيرة تمارت عليها ، وسارت على نهجها ، واصرت على الاستمرار في طريقها ولا بد للداعية من بيان اسباب الهلاك ودواعي اخذ العزيز القادر لهم بين عشية وضحاها . ولا بد من الايضاح والبيان لاقامة الحجة عليهم وتحميلهم المسئولية بعد ذلك .

انواع المهلكات :

يلاحظ في القرآن الكريم ان عقوبة الاهلاك في الدنيا تأتي بأشكال متعددة وصور مختلفة تأكيداً على ان مصارع العتاة من الكفرة والظلمة والفسقة على مسدى القرون مستمرة لا تنقطع فما اغنى عنهم^{ما} كانوا يشركون .

وقد ذكر الله سبحانه بعض انواع العذاب اصاب بها من أهلكم يا وجسز العبارات ويعرض سريع لها فقال : (فكلما اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حـــــــــــــــــاصبا ، ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان^{الله} ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (١) .

من ذلك نعلم ان العقوبة الالهية تظهر بمظاهر متعددة ، وكلها مستورة بعالم الاسباب (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشسف صدور قوم مؤمنين) (٢) .

وقد تكون العقوبة غرقا ، وقد تكون صاعقة ، وقد تكون مرضا ، وقد تكون زلزالا ، وقد تكون غير ذلك ، والكافر اعى البصر والبصيرة ، لا يرى الا ظواهر الاشياء ، ولا يعرف حقائقها ، وهو دائما يعذب ويشقى جسدا ونفسيا وهو لا يحس ان ذلك بسبب بعده عن طريق الله ودينه وشريعته الاسلامية ، ولكن المصيبة^{المسلم} قد لا تكون عقوبة بل تربية وامتحانا او مغفرة ورفعة . قال تعالى (وتبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون) (٣)

(١) سورة العنكبوت ٤٠ .

(٢) سورة التوبة ١٥ .

(٣) سورة الانبياء ٣٥ .

فمعرفة مصائر الغابرين من الامم والاطلاع على آثارهم ومدى ما اصابهم من الهلاك والدمار بعد قوتهم وجبروتهم فيه العبر والدلالة على كيفية انتقام سنسن الله في المجتمعات . وفيه النظر الى كيفية ترقى الامم وهبوطها وحياة الحضارات وانهارها ونجاح القادة وفشلهم ونوم القلوب وصحوها .

فدراسة تاريخ اولئك اصدق شاهد على ما يدعو اليه الدين من قيم ومفاهيم كالمرآة المصقولة التي تتجلى فيها عاقبة الايمان والتقوى ، ونهاية الكفر والفجور وحزاء الشاكرين لانعم الله وعقوبة الكافرين بها .

فالداعية يحتاج الى ان يستشهد للمعاني والقيم التي يدعو اليها باحداث التاريخ واحوال الامم لان ذلك اعون على تثبيتها في العقول والقلوب .

ويجعل وقائع هلاك الامم خادمة لدعوته الى الله يعمق بها فكرته ويقدم بها شواهد حية على اقواله ومواعظه وخطبه ولا مانع ان يراجع في ذلك بعض المصادر الاثرية والاكتشافات في مواقع الامم الهالكة ما يزيد معنى الآية وضوحا والعبارة تأثرا وبيانا لان كشف النقاط الخفية والعبر الدقيقة من الامور التي يصل اليها الداعية بالتأمل والمراجعات ويكون بذلك قد استخدم هذا المجال في الدعوة الى الله وجعلها وسيلة للاقناع واستدلالا على الفهم السليم ، فلغت الانظار التي احوال الامم المتقدمة التي كان لها في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية شأن عظيم وذاقت حلوى الزمان ومره فلما انحرفت عن حادة الحق جعلها الله اجدر الامم بأن يتعظ بها ، حتى لا يصيبنا ما اصابهم .

فاليهود والنصارى حينما اتتهم الكتب للعمل بها خالفوا ماجاء فيها واستدبروا سننه ، بل غفلوا عن سنن الكون التي لا تتوقف عن الظالمين فانزل بهم البلاء .

فالاعتباط والاعتبار من اهم العوامل التي تعمر الارض وتمهد سبيل الحق في هذا الكون الفسيح فاثارة النفوس اليهما من اقوى عوامل التربية ، واحسن الطرق التي يتخذها الداعية في توجيه دعوته ، فالتفكير الاجتماعي ناشئ عن التفكير الاخلاقي .

ويقول الدكتور جمعة الخولى :

ومن خصائص سنن الا هلاك :

أولا : الثبات والدوام فلا تختلف من زمن لزمان ولا من مكان الى مكان لانها ليست من صنع ظروف المناخ في الدولة ولا هي ناتجة عن البيئة الجغرافية أو الاقتصادية وانما هي خاضعة لارادة الله المطلقة التي تخضع لها نواويس الكون والوجود .

ثانيا : الاضطراب يعنى انها ذات طابع عالمي فهي تنطبق على ام الارض جميعا

مسلمهم وكافرهم ، غنيهم وفقيرهم (١) .

وينبغي ان يعلم ان انتقام الله من المجرمين رغم انها اخذت اشكالا متعددة ووسائل متنوعة ، فانها ليست هي الوسائل التي يعاقب الله بها المنحرفين عن الحق . فكل ما في الكون جند من جنود الله ، تأمر اذا امرها الله ، وتنتهي اذا نهاها الله . فالريح دمرت قوم عاد وساكنهم مثلا لتطبيق سنة جارية ، وقدر مطرد فسى المجرمين .

فالعبرة الا يخرت ذوقه بقوته ، وذو مال بماله ، وذو علم بعلمه فكل قسوى الكون مسخرة لتنفيذ اوامر الله جل جلاله ، يسلطها على من تكبر وتجبر من اصحاب القوة والمال والعلم والمتاع ، ممن لا يسخرون هذه النعم لطاعة الله وحده . فتدمر عليهم كل شيء ، وتتركهم لا ترى الامساكنهم شاهدة على عتسوهم وعنادهم .

(١) تاريخ الدعوة للدكتور جمعة الخولى ١٤/١ .

* المبحث السادس *

(لغت الانظار الى علوم الظواهر الدينوية) -

قال تعالى : (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ،

يعلمون ظهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غفلون) الروم ٧ / ٨ .

وقال : (أولم يتفكروا فو أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما

الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس يلقائ ربهم لكفرون) الروم ٨ .

لغت الآية الكريمة انظارنا الى قاعدة مطردة في هذه الحياة وهى ان

اكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ، وبذلك نفى عنهم العلم الصالح الهادى الى

الخير وبالتالي لم ينف عنهم العلم بظواهر الحياة الدنيا بل جعله ما يميلون اليه

ويحرصون عليه لما فيه من مصالح ظاهرة لكل انسان بادية لكل عيان .

فكان هذا النفي للعلم الحقيقى عنهم نما معنويا لما علموه من ظواهر

الحياة الدنيا ، وذلك بسبب عدم اقتران علمهم بالعلم الحقيقى الموصل الى

العظة والعبرة والنجاة في الدنيا والآخرة من العذاب .

ففى كتاب العلم من احياء علوم الدين يقول الغزالي " اما القسم المحمود

الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وسننه فى خلقه

وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا ، فان هذا علم مطلوب لذاته (١) .

فالذى غفل عنه هو " الكفار اذن ما يلى :

١- عدم معرفتهم بالله تعالى وصفاته .

٢- عدم معرفتهم بسنن الله فى خلقه .

٣- عدم معرفتهم بحكمة الله فى ترتيب الآخرة على الدنيا .

فلتوفرت لديهم هذه العناصر لكان علمهم هذا الذى علموه من علوم الدنيا

غير مذموم قطعا . فكل علم يوصل الانسان الى معرفة الله وتعظيمه ومعرفة سننسه

وحكمته كان علما محمودا تبعا للاصل .

كما لفتت الآية الكريمة الى ان للدنيا ظاهرا وباطنا :

أ - فظاهرها هو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتمتع بملانها وامر معاشهم وتحصيل فوائدهم الدنيوية (١) من زراعة وصناعة وتجارة . . . (٢) ، وكذلك احسان مساكنهم وتنمية متاجرهم وتصرفهم في مزارعهم^{على} النحو السدي يجعلها تزدهر وتفي بحاجة المجتمع (المراجعى ٢١ / ٢٩) .

ثم ان التنكير للكلمة (ظاهرا) يفيد أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها (٣) ان من العلم بظواهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها ، وكيفية صدورها منها ، وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر (ظاهرا) (٤) .

وقال الحسن البصرى :

والله انه ليبلغ احد هم بدنياه انه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه

وما يحسن ان يصل .

وقال ابن عباس :

يعرفون عمران الدنيا وهم فى امر الآخرة جهال (٥) .

لذا فقد كان علمهم هذا مذموما سوا^١ كان ظاهرا واحدا أو ظواهر متعددة لتشعب

معارفهم فى امور الدنيا ، فان علمهم سطحى يتعلق بظواهر الحياة ولا يتعمق فى

سننها الثابتة ، وقوانينها الاصلية ولا يدرك نواحيها الكبرى ، وارتباطاتها الوثيقة

كما انهم لا يتجاوزون هذا الظاهر ، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه (٦) .

لذا فقد كان علمهم هذا يساوى الجهل فى المكانة والمنزلة .

ب- وبالمنظر انما مجاز الى الآخرة ، يتزود منها بالطاعة والاعمال الصالحة . (٧)

(١) فتح البيان ٢٣٨/٧ ، الكشاف ٢١٤/٣ ، فتح القدير ٢١٤/٢١٤ / اضا^١ البيان ٤٧٨/٦ .

(٢) أيسر التفاسير ٤٧٢/٣ .

(٣) فتح البيان ٢٣٨/٧ .

(٤) البيضاوى (مجموع التفاسير ٣٤/٥ .

(٥) ابن كثير ٤٢٧/٣ .

(٦) فى ظلال القرآن ٢٧٥٨/٥ . (٧) فتح البيان لصديق حسنه ٢٣٨/٧

وفى وصفهم بالغفلة عن الآخرة لفت نظر الدعاة الى الله عز وجل الى اهمية العلم بها والدعوة اليها . وان كل علم لا يمهد للآخرة فهو علم لا فائدة منه بل هو وبال ونكال فى الدنيا بما يصاب الانسان بسببه من الغفلة عن الحق تبارك وتعالى وقد اوضح جل وعلا فى هذه الآية الكريمة ان اكثر الناس لا يعلمون ويدخل فيهم اصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولا اوليا ، فقد نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل ، لأنهم لا يعلمون شيئا عن خلقهم ، فأبرزهم من عدم الى الوجود ، ورزقهم وسوف يميتهم ، ثم يحييهم ، ثم يجازيهم على اعمالهم ، ولم يعلموا شيئا عن مصيرهم الأخير الذى يقيمون فيه اقامة أبدية فى عذاب فظيع دائم ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودا من جنس من يعلم كما دلت عليه الآيات القرآنية المذكورة ، ثم لما نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل أثبت لهم نوعا من العلم فى غاية الحقارة بالنسبة الى غيره (١) .

فحقارة هذه العلوم انما هى بالنسبة الى ما غفل عنه اصحابها الكفار، ومن تعلمها مطابقا لما امر الله به من التوصل به الى الآخرة التى هى حلقة فى سلسلة النشأة ، وصفحة من صفحات الوجود الكثيرة ، والذين لا يدركون حكمة النشأة ولا يدركون ناموس الوجود يغفلون عن الآخرة ، ولا يقدرونها قدرها ولا يحسبون حسابها ، ولا يعرفون انها نقطة فى خط سير الوجود ، لا تتخلف مطلقا ولا تحيد . (والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل ، وتؤرجح فسى اكفهم ميزان القيم فلا يملكون تصور الحياة واحداثها تصورا صحيحا ، ويظل علمهم بها ظاهرا سطحيا ناقصا ، لأن حساب الآخرة والايمان بها فى ضمير الانسان يغير نظرتة لكل ما يقع فى هذه الارض) (٢) .

ومن ثم لا يلتقى انسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها ، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها ، لا يلتقى هذا وذاك فى تقدير أمر واحد

(١) اضواء البيان ٤٧٧/٦ .

(٢) فى ظلال القرآن ٢٧٥٨/٥ .

من أمور هذه الحياة ، ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة ، ولا يتفقان في حكم واحد على حادث او حالة أو شأن من الشؤون . فلكل منهما ميزان ، ولكل منهما زاوية للنظر ، ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال . . . هذا يرى ظاهرا من الحياة الدنيا ، وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن ، ونواميس شاملة للظاهر والباطن ، والغميب والشهادة والدنيا والآخرة ، والموت والحياة ، والماضي والحاضر والمستقبل ، وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء . . . وهذا هو الأفق البعيد الواسع الشامل الذي ينقلنا الاسلام البشرية اليه ، ويرفعها فيه الى المكان الكريم اللائق بالانسان الخليفة في الارض ، المستخلف بحكم ما في كيانه من روح الله (١) .

العلم وسيلة الى قوة المسلمين :

فالقُرآن الكريم حض الى كل علم فيه بيان لعظمة الله سبحانه وقد رتبته واتقانه لهذه المخلوقات فأمر بالتفكير والنظر في الارض والسماوات والاجنة والثمار والاشجار والشمس والقمر والليل والنهار، والاستفادة من دقة تنظيمها ونظامها فيما ينفع المسلمين، واستخراج كنوز الأرض وتقوية المسلمين امام اعدائهم .

ولعل ذلك اعظم الادلة على ان الاسلام قد دعا المسلمين الى علوم الدنيا ودعوتهم اياهم الى علوم الدين فعلم ظاهرا الحياة الدنيا لم توصم بالحقارة الا حينما غفل عنها أصحابها الكفار ولعل ذلك لا يخرج عن قوله تعالى :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٢) .

وقد كان المسلمون قديما يعملون ما يغيظ الكفار ويحرق اكيادهم من هذه القوة لان ذلك مما يدعوهم الى احترام المسلمين والخوف من قوتهم ، فابن نوح اليوم من استخدام هذه العلوم فما من امة من الامم الكافرة الا وهى تصنع للمسلمين ما يحتاجون اليها ، والمسلمون غافلون لاهون يستخدمون ما يصنع لهم في رفاهية

(١) في ظلال القرآن ٥/٢٧٥٨

(٢) سورة الانفال ٦٠ .

لا هية قلوبهم عن كل ما يطورهم او يظهرهم امام الاعداء* بمظهر القوة فما مسن
عصر من العصور الاسلامية الا وكان المسلمون لهم سبق الحضارى والعلمى
امام الامم الاخرى بامتثالهم لكتابهم الكريم وسنة نبيهم محمد صلى الله عليه
وسلم .

فينبغي على الداعية تنبيه الناس الى اهمية ذلك وكما ينبغي للداعية
ان يكون لديه مبادئ من هذه العلوم حتى يستطيع مواجهة العقلاانيين ويكون
لديه نبذة عن تقدم المسلمين في هذه المجالات يستطيع ان يفهم المعاديين
والمكابريين .

قال تعالى :

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي
للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (١) .

وتنطوى الآية على حث المسلمين على النشاط والعمل والجد في سبيل
تحقيق وعد الله تعالى لهم عنه ، وليس من اساءة لفهم القرآن وتعاليمه وتوجيهاته
اشد من تناسي مثل هذا الوعد ، او عدم الاهتمام والانتباه ، لما يتناوله معناه
ومؤداه ، وفيها دعوة للمسلم الى عدم جعل الدنيا اكبر همه ، وعدم استغراق فسى
متعها وشهواتها استغراقا ينسيه واجباته نحو الله والناس ، ويحمله على الاستهتار
بكل مبدأ من مبادئ الدين والاخلاق والآداب أو النظر الى هذه الواجبات
والآداب نظر العايب الساخر بسبيل تطمين انانيته وأثرته واشباع شهواته
ونزواته .

وفي ذلك حث على الايمان بالله والعمل الصالح والاقدام على كل ما فيه اعلاء
كلمة الله وارغام البغاة دون خوف ولا توان ، وكل هذا ما تقتضيه مصلحة
المجتمع عامة وخير المسلمين وصلاحهم ، خاصة في هذه الحياة .

قال تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (١) .

ففي الآية وعد للمسلمين المتقين بالتمكين والمبوء الحسن في الدنيا على احد القولين (٢) فالصلاح لا يفهم منه العزلة عن المجتمع والبعد عن الاختلاط والانقطاع بالعبادة في برية او مكان منقطع . فلا بد من النزول الى مجال الحياة ابتغاء الخير والحق ، ولا بد من التضحيات لمكافحة الظلم والظالمين واعداد القوة المعقضية لذلك فالمسلم له الحق في الاستمتاع والحياة والجد فيها والضرب في الأرض والتمكن فيها والانتفاع بما سخره الله من قوى هذا الكون .

واما موقف الاسلام من الحضارة الغربية فينحصر في اربعة اقسام لا خامس (٣)

لها حصرا عقليا لا شك فيه :

الأول : ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها .

الثاني : اخذها كلها ضارها ونافعها .

الثالث : اخذ ضارها وترك نافعها .

الرابع : اخذ نافعها وترك ضارها .

فاذا رجعنا الى هذه الاقسام الاربعة نجد ان الثلاثة منها باطلة بلا شك . اما تركها كلها ووجه بطلانه واضح ، لان عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي الى الضعف الدائم والتواكل والتكاسل ، ويخالف الامر السماوي في قوله تعالى (واعسدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٤) .

والقسم الثاني : اخذها كلها وهذا باطل ايضا لان ما فيها من الانحطاط

الخلقي وضياع القيم الروحية والمثل العليا للانسان واضحة لا تحتاج الى بيان .

ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء وعدم طاعة خالق هذا

(١) سورة الانبياء ١٠٥ .

(٢) قال الشوكاني والظاهر ان هذا تشير لامة محمد صلى الله عليه وسلم بوراثة

ارض الكافرين وعليه اكثر المفسرين (فتح القدير ٣ / ٤٣٠) .

(٣) اضواء البيان ٤ / ٤١٣ - ٤١٥ .

(٤) سورة الانفال ٦٠ .

الكون جل وعلا .

والقسم الثالث هو اخذ الضار وترك النافع وهذا باطل لا يفعله من لدينه

ادنى تمييز .

فتعينت صحة القسم الرابع وهو اخذ النافع وترك الضار ، وهكذا كان صلى

الله عليه وسلم يفعل .

فقد انتفع بحفر الخندق مع ان ذلك خطة عسكرية كانت للفرس ، ولم يمنعه

من ذلك ان اصلها للكفار .

ولما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمنع وطء النساء المراضع خوفا

على اولادهن لان العرب كانوا يظنون ان ذلك يؤدي الى ضعف الولد ، فلما

اخبر بان فارس والروم يفعلون ذلك ولا يضر اولادهم ، فأخذ صلى الله عليه وسلم

تلك الخطة الطبية ولم يمنعه من ذلك ان اصلها من الكفار (١) .

فاتضح من ذلك ان الموقف الطبيعي للاسلام والمسلمين من الحضارة الغربية

هو أن يجتهدوا في تحصيل ما انتجته من النواحي المادية ، ويحذروا ما جنته من

التمرد على خالق الكون جل وعلا فتصلح لهم الدنيا والآخرة .

(وما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ، واقبح الكفر والافلاس بالرجل)

وقد عرف في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه - انهم كانوا يسعون في التقسّم

في جميع الميادين مع المحافظة على طاعة خالق السموات والارض جل وعلا (٢) . لما

يستعان بها على اعلاء كلمة الله ومرضاته واصلاح الدنيا والآخرة فالعمل في اعداد

المستطاع من القوة امثال لامر الله واعلاء لكلمته ، وليس من جنس علم الكفار الغافلين

عن الآخرة (٣) .

(١) مراجع سنن ابن ماجه ص ١٤٦ في النكاح .

(٢) بتصرف اذوا البيان ٤١٣/٤ - ٤١٥ .

(٣) المرجع السابق ٤٧٩/٦ .

وقد نبه الشيخ^{السنقيطي} رحمه الله تعالى على خطأ شائع بين المأخوذين والمنبهرين بحضارة الغرب وهو ظنهم ان شدة اتقان الافرنج لأعمال الحياة الدنيا ومهارتهم فيها على كثرتها مع عجز المسلمين عنها دليل ان كل من قدر على تلك الاعمال انسه على الحق ، وان من عجز عنها متخلف وليس على الحق . وان في هذه الآيسنة الكريمة ايضاح لهذه الفتنة وتخفيف لشأنها انزلها الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة ، فسبحان الحكيم الخبير ما اعلمه وما اعظمه وما احسن تعليمه (١) .

فنتائج العلوم المادية المحضة التي لا تصطبغ بعقائد اصحابها ولا بافكارهم ينبغى على المسلمين اقتباسها لانها قوانين كونية عامة يدين بها المؤمن والكافر ويضع لسنتها البر والفاجر ومن هنا لم يجد المسلمون حرجا في اقتباس العلوم الكونية من الطب والكيمياء والبصريات والرياضيات وغيرها من ام الحضارات القديمة كالليونان والفرس والروم .

وهذا بخلاف الدراسات التي تتصل بالدين والقيم وتؤدي بدارسها الى التمرد على الله عز وجل ، فلو نظرنا الى حياة الانسان وجدناها حياة روحية وحياة مادية ولا يمكن ان تنفصل الحياتان عن بعضهما في جميع ما يؤديه الانسان من اعمال .

ان عادة الله سبحانه يتطلب منا تهيئة الجو المناسب لهذه العبادة وحماية الامم التي تنضم الى المجتمع الاسلامي بالتوكيد على الصلات الدنيوية بين الفرد وبيئته الاجتماعية .

فليس من المعقول ان نقول ان الكمال الانساني يدرك بالعزلة او باماتسة النفس او بالزهد عن الحياة وملاذها .

ولا يمكن ان نقول ان العزة والقوة والمنعة للامة الاسلامية تدرك بـسادء الصلوات فقط فليست هناك انفصالية بين الدين والدنيا فالانسان المسلم يمكنه

(١) المرجع السابق ٤٧٧/٦ .

بلوغ الكمال في حياته الدنيا الفردية ان استفاد استفادة تامة من وجوه التسخير الذي
مكنه الله منه في هذه الحياة .

فاذا كان الشارع قد حث على رباط الخيل والا اهتمام بها في الدفاع عمن
الدعوة الاسلامية وعن ديار الاسلام ، ثم تغير الزمن واصبح الناس يركبون الدبابات
والمدركات فلا بد للمسلمين توجيه اهتمامهم بهذه الاسلحة وعدم الوقوف عند رباط
الخيل تحقيقا للمقصد الاساسي من رباط الخيل .

العلم يهدى الى الايمان :

ومن الواضح الجلي ان العلم يهدى الى الايمان ، وكثير من العلماء
الراسخين المنصفين هداهم علمهم الى ان وراء هذا الكون قوة عليا تدبره وتنظمه
وترعى كل شئ فيه بميزان وحساب ومقدار ، ذلك ان العالم اقدر من غيره على
استبانة ما في هذا الكون من ترابط وتناسق واحكام يتجلى في كل خلية وفي كل ذرة ،
وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وفي تصريف الرياح بين السماء
والارض .

فاذا كان العلم بظواهر الحياة الدنيا يهدى العالم المنصف الى الحق فمن
باب اولي ان نحض العلماء المسلمين لمعرفة هذه الظواهر بقدر الضرورة وخاصة
الدعاة الى الله عزوجل حتى يستطيعوا توجيه اولئك للتفكر في الحق واخراجهم من
المادية البحتة ليروا في آيات الله الظاهرة في الكون مالا يراه غيرهم .

فعلماء التشريح يرون الابداع والاتقان في الخلق ويرون هذه الحكمة العظيمة
الحكيمة في صنع الله تعالى فيخرون للانقان سجدا له وحده، وكذلك فان علماء الفلك
يرون هذه السعة الشاسعة في الكون كما يرون تنظيمه وتنسيقه ودقة جريان افلاكه
فيزدادون ايمانا على ايمانهم ويرفرفون في سمو ايمانهم عميق وشعور بعظمة الخالق
لا يوصف .

فظواهر الحياة الدنيا امور حسية غالبا وهي متعلقة بالفضاء حيننا والبحار
حيننا والكواكب حيننا وبالارض حيننا .

فالقرآن الكريم اوجب علينا ان نسخر كل ذلك فى سبيل قوة الانسان المسلم ،
والله سبحانه وتعالى امتن علينا بان سخر لنا الأرض والكواكب والقمر فذكر كل
ذلك صراحة .

وسخر لنا ما بين السموات والأرض ، فاذا اردنا الاستجابة لله تعالى فيجب
أن نكون اول المسخرين للأرض والسماء وما بينهما ، ويجب ان نكون من المكتشفين
والمسخرين لهذه القوى التى تدفع بالمسلمين الى القوة والمنعة والعزة والكرامة .
والا فنحن آثمون فى حق الاسلام والمسلمين ، وفى حق انفسنا باعتبارنا امة من الامم
على هذه الأرض . مع الحرص على سد كل منابع الالحاد والفساد من نظريات
ودعاوى تؤثر على عقيدتنا الاسلامية .

الخلاصة :

لقد وجد فى التاريخ جماعات وأفراد كان كل همهم هو اشباع المظهر
المادى فى الانسانية فقط ، وعمارة الجانب المادى فى الحياة دون التفات الى الجانب
الاخرى .

فكانت هذه النزعة غلوا فى المادية واعطاءً للعالم المادى قيمة اكثر من حقها فادى بهم
ذلك الى الطفيلان والتكالب على الحياة الدنيا ونسيان حق الله تعالى وعدم
الاعتراف بحقه سبحانه فى الاخذ والعطاء .

وفى الطرف المقابل لهذه النزعة وجد اخرون من الافراد والجماعات نظروا
الى الدنيا نظرة احتقار وعداوة فحرموا على انفسهم طيبات الحياة وزينتها وعطلوا
قواهم من عمارتها ، والاسهاب فى تنميتها وترقيتها واكتشاف ما اودع الله فيها
فانقطعوا عن عمران الأرض عمراننا يتصل بحماية الدين وتأسيس اركانه .

واتخذوا الغلوات دارا ولبس المرقع مظهرها وقوت مالا يموت طعاما .
ولاشك انه كلما انظرنا الى غير صحيحة ، اذ انه الاسلام يدعو الى اجزها معا بدون
تكالب وافراط فى طلب الدنيا ، وبدون غلو ومقادة للدين .

اعمار الارض :

قال تعالى " اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عقبه الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها ، وجاهت^٢هم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون " الروم ٩ .

وقال تعالى " ومن آيتيه ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون آروم (١) .
فى الآيه الاولى حكى الله سبحانه حياة ام كانوا اشد قوة من قريش واثاروا الارض فحراثوها وشقوا عن باطنها ، وكشفوا عن ذخائرها ، وعمروها اكثر مما عمروها . . . فقد كانوا اكثر حضارة ، واقدر منهم على عمارة الارض ، ثم وقفوا عند ظاهر الحياة الدنيا لا يتجاوزونه الى ما وراءه . . . فمضت فيهم سنة الله فى المكذبين ولم تنفعهم قوتهم ، ولم يخن عنهم علمهم ولا حضارتهم ، ولقوا جزاءهم العادل الذى يستحقونه . (١)

فدم الله سبحانه لهذه الامم لم تكن منحصرة على عمارة الارض واثارة مسا بداخلها من ثروات وكنوز وصنائع اتقنوها وحضارة مادية برعوا فيها . فذلك كله امر مركوز فى الانسان وجزء من انسانيته وكيانه البشرى ، ان بين ضمير الانسان وحقائق الكون وشائج الغة وموائمة فطرية ، وتجانس لا تنفصم عراها وتعاطف متعلق بالتوطن فى هذا الكون الكبير . ولكن الذم كان عند وقفهم عند ظاهرة الحياة وما يتبها . وعدم تجاوزها الى الغاية المطلوبة من هذا التمكين والتسخير .

واما فى الآيه الثانية فقد ذكر الله فيها بد^٢ خلق الانسان وعمارته للارض وبقائه فيها . ان خلقهم من تراب يابس لا حياة فيه ولا نمو ولا حركة ، ثم مسح هذا كله اذا هم بشر احيا^٢ عقلا^٢ مفكرون يتصرفون فى قوام معاشهم ، وعمارة ارضهم ، واستخدام قوى الطبيعة لخدمتهم ، اليس الله القادر على هذا كله بقادر على ان يحيى الموتى ؟ بلى انه الواحد الاحد القادر المنفرد بالالوهية (٢) .

(١) فى ظلال القرآن ٢٧٦٠/٥ .

(٢) التفسير الواضح ٢٠/٣ .

وكلمة البشر عبر به القرآن عن الانسان (١) وهم آدم وذريته حيث يتصرفون فيما فيه معاشهم (٢) بما وهبهم الله من العقل والنطق والتصرف .

وانتشار الانسان في الارض كان انتشارا ملاً للسيطرة وشمل الكرة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته ، حتى آل به الحال الى ان صار يبني المدائن والحصون ويسافر في اقطار الاقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور اقطار الارض ، ويكسب ويجمع الاموال وله فكرة وغور ، ودهاء ، ومكر ، ورأى وعلم ، واتساع في امور الدنيا والآخرة كل بحسبه ، فسبحان من اقدرهم وسيهرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعاش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكرة ، والحسن والقبح ، والغنى والفقر والسعادة والشقاوة . (٣)

لذا فمن حكمة الله سبحانه ان خلق الانسان من عنصرين : عنصر ارضي يتمثل في جسمه الذي يطلب حظه ما خرج من الارض من متاع وزينة .

وعنصر سماوي يتمثل في روحه التي تتطلع الى هداها ما نزل من السماء وبذلك تكون هذه الطبيعة متفقة مع الرسالة التي كلف القيام بها ، وهي الخلافة في الارض .

فهو بعنصره الطيني المادي ، قادر على ان يسعى في الارض ويعمرها ويحضرها ويكشف ما اودع الله فيها من كنوز ونعم ويسخر قواها المتنوعة باذن الله لمنفعته والنهوض بمهمته ، فالجسم المادي في الانسان اوجدت لديه الدوافع التي تحفزه على استخدام المادة ، والمشى في مناكب الارض والكشف عن مكنونها والعمل على تعميمها ، وبعنصره الروحي السماوي يتطلع الى حياة ارقى وابقى .

وبذلك يسخر المادة التي خلقها الله له ولا تسخره ، ويستخدم ما على الارض من ثروات وخيرات دون ان تستخدمه وتستعبده .

قال تعالى (هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها) (٤) .

(١) مفردات الراغب .

(٢) تفسير النسفي (مجموع التفاسير) ٤٠ / ٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤٢٩ / ٣ .

(٤) سورة هود ٦٠ .

قال ابن سعدى رحمه الله اى استخلفكم فيها وانعم عليكم بالنعمة الظاهرة والباطنة ومكنكم فى الارض تبون وتغرسون وتزرعون وتحشون ما شئتم ، وتنتفعون بمنافعها ، وتستغلون مصالحها (١) بما خلق فيكم من قدرة على اعمارها .

خلافة الانسان فى الارض :

فعينما خلق الله الانسان اول ما خلقه قرر ان يجعل هذا الانسان اكرم المخلوقات وارقاها بما وهبه من مميزات ميزته على بقية الاحياء ، وجعله خليفة نسي الارض ولكن الملائكة خشيت ان يكون هذا الانسان مفسدا غير مصلح والفساد لا يكون اعمارا لهذه الارض او اصلاحا لها . قال تعالى :

(وان قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى اعلم ما لا تعلمون) (٢) .

قال ابن كثير رحمه الله وكان محمد ابن اسحاق يقول فى قوله " انى جاعل فى الارض خليفة اى ساكنا وعمارا يحمرها ، ويسكنها خلقا ليس منكم (٣) .

وفى الآية بيان لمدى تكريم الله لآدم وبنيه وباختياره خليفة ، وتعلمه ما لا تعلمه الملائكة وخلافته ان يقوم بعمارتها وسكناها ، ويقوم بعضهم بالزعامة والتوجيه وتنفيذ الاحكام حتى يعمر الكون (٤) فمقتضى هذه الخلافة ان يستمر الانسان فى تعمير ما استخلف^{فيه} والمحافظة على ما فيها محافظة استثمار ومحافظة قيم باقامة العدل فيما بينهم والحكم بالحق ، وبذلك يتحقق مزية الاستخلاف . (٥)

فانتشار الانسان فى الارض ليس انتشار الحيوانات العجما والدواب البهائم ، انتشاراً لملء البطون ، والاخلاق الى النوم والراحة . ولكنه انتشار لتحقيق الاستخلاف فى الارض والتي منها تعمير الارض واستصلاحها لما فيه خير البشرية ، لما فيه رقى

(١) تيسير الكريم المنان ٣/٢٠٤

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

(٣) تفسير ابن كثير ١/٧٠ .

(٥) تيسير الكريم المنان ٣/٢٠٥ .

(٤) التفسير الواضح ١/٢٨ .

المسلمين واشاعة الرهبة في نفوس اعدائهم وبذلك يتحقق الغرض من الاستخلاف في الارض بما يقوم به من جعلها صالحة لقوامة حياته من الاستغلال الصحيح لعناصرها السائلة والجامدة واقامة شرع الله تعالى في امن لا يخافون الا الله سبحانه .

لذا فان خلافة الانسان على الارض لا تتم الا بعنصرين اساسيين :

الأول : مقومات جانبه الحسى هي جوارح بدنه ومواهبه الرياضية وادراكه الحسى وهي المقومات الخاصة للاتصال بعالم الطبيعة وقوانينه وطاقاته لانشاء وصنع وانجاز ما تقتضيه الخلافة من شتى المرافق ومطالب العمارة . وبهذه المادة المحسوسة يشيد المدن والحصون ، والقلاع والابراج والعمائر والصروح ، وينشئ الترع والجسور والقناطر والسدود ، والخزانات ، ويقيم المؤسسات النافعة والمصانع ، فاذا الآلات التي تصعد او تهبط او تجر او تحمل او تدور او تطير .

فهذه امكانات جعلها الله تعالى لتكون/للانسان لتحقيق مطالب خلافته ^{عدة} في الارض .

الثاني : الجانب الروحي وهو الوحي او القيم على امكانات الجانب الحسى ومواهبه ليشغلها بما يرسم لها من غايات الحق وسبل الخير ، ويعصمها ان تكون في ولاية الاهواء الفاسدة المدمرة .

وهي خاصية لا تسعد ولا تقر لمجرد حصولها على ما تريد ، فان نجاح سعادتها ان تعيد تصدير هذه المادة - مادة الحق - الى افاق حسنا الدينوى في صورة اعمال نبتفى بها وجه الله وطاعته .

وكذلك لا تكتغل بهجة الروح ولا تسعد اشواقها الا ان تصدر حصيلة مالدتها من المعارف والقيم والمثل الى افاق حسنا الدينوى ، تحقيقا لمهمتنا ذات الشأن ، ولذا كان العمل في الاسلام هو الصورة الحميمة لحقائق الايمان (١) .

(١) آدم عليه السلام للبهى الخولى ص ١٥١ - ١٥٤ بتصرف .

صلة الانسان بالكون :

ان الموقع الذى وضع الاسلام فيه الانسان بالنسبة الى هذا الكون هو موقع المسلط على الكون والمكلف بالعمل فيه واستثماره والمهيمن عليه بحكم الله الخالق له وللكون ، كما ان الكون من جهة اخرى مسخر مذل ومهيا لهذا الاستثمار .

ومن هنا نقول ان صلة الانسان بالكون يتفرع الى فرعين :

- صلة الاستثمار والانتفاع والتسخير لمنافعه ومصلحه .
- وصلة الاعتبار والتأمل والتفكير فى الكون وما فيه .

تسخير الكون :

اعتبر الاسلام الكون المخلوق مسخرا للانسان ، طبيعة له بما فطرها الله من نواميس خاصة بها . وما خلق من طبيعة العقل الانسانى بحيث ينسجم ويتجاوب مع نواميس الكون .

فالخالق الحكيم جانس بين قدرة الانسان وطاقاته العقلية والنفسية والجسمية وبين طبيعة هذا الكون بحيث يمكنه فهم طبيعة المادة حوله وكشف اسرارها وقوانينها وتسخيرها لخيره هو فى مجال الحياة لاعمارها .

والتسخير هو توجيه المادة بعد كشف قوانينها وتوجيهها للخير والاعمار وتطويرها للوجهة السليمة بحيث لا يخرج عن افق الاعمار والبناء والخير الانسانى .
(صلة الاستثمار والانتفاع مع الانسان الى اقصى حدود الامكان واعتبار ما فى الارض نعماء مقدمة من الله ينتفع ويتمتع بها ، فهذا الاتجاه فى تاريخ الحضارة وفى تاريخ الاديان كانت له نتائج عملية عظيمة جدا فى الحضارة الاسلامية اولا وفى الحضارة الانسانية عامة) (١) .

فالا سلام وجه طاقات الانسان الفطرية كلها للاعمار وهو تكيف البيئة الطبيعية لحاجات البشرية ، فنعمرها ولا ندعها قاعا صفصفا ، ولا بلقعا هملا .

(١) نظام الاسلام العقيدة والعبادة لمحمد المبارك ص ٥٠ .

فرسالة المؤمن في الحياة : اسلام وعقل وتفتح ويقظة واعمار للارض وخير
للانسانية فكانت من اكبر الميزات في الاسلام انه جعل التفكير عبادة وطاعة لله
عز وجل .

من هذا نفهم ان اعمار الارض هد ف يسعى اليه الانسان كهدف مرحلي
للآخرة قال تعالى :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (١)

فخض الاسلام على الاعمار لا يعدله حض حتى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ^{حض} من بيده فسيلة أن يفرسها حتى لو ادرك حال قيام الساعة (٢) .

فاستخراج كنوز الارض والاستثمار والانتفاع بالطاقات الكامنة فيها عمارة
للارض وفيها من القوة للام الاسلامية مالا يخفى ، وفيها من الهيبة في نفوس
اعدائها ما اثبتته التتبع التاريخي ، فمن الهوان للامة المسلمة ان تقعد عن سبب
من اسباب القوة يدخل في طاقتها فهم مكفون بان يكونوا ذا قوة ، بل ان يحشدوا
اسبابها ليكونوا مرهبي الجانب ، ولتكون كلمة الله هي العليا اداء للأمانة التي
في اعناقهم .

وفي ذلك تحقيق لا هداف التسخير والتمكين لهم في الارض قال تعالى :

(ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) (٣) .

وقال تعالى :

(الله الذي خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من

الشمات رزقا لكم وسخر لكم الغلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم

الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) (٤) .

(١) سورة القصص ٧٧ .

(٢) مسند احمد ٣ / ١٩١ عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم " ان قامت الساعة وبيد احدكم فسيلة فان استطاع ان لا يقوم حتى يفرسها
فليفعل " .

(٣) سورة الاعراف ١٠ .

(٤) سورة ابراهيم ٣٢ .

وهذه دعوة تحتاج الى اجابة كوطلب يحتاج الى تحقيق لما دعى اليه والاستفادة من كل ما سخر الله له في هذا الكون والسعى به الى الاصلاح وعدم الافساد قال تعالى : (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) (١) .

واما صلة الاعتبار والتأمل فقد وردت آيات كثيرة تحض على النظر والتفكر والبصر والسمع ودعا الانسان الى التأمل فيها والنظر اليها وملاحظتها والتفكير في مشاهد الكون وجريان حوادثه ، فامور الزراعة وما يشبهها من الامور الكونية والاعمال المتعلقة بالطبيعة ومعرفة حقائقها ومعالجة صناعتها موكل امرها للانسان وتجربته وعقله وهكذا تجلت خلافة الانسان في الارض في قدرته على استثمارها والانتفاع بما فيها ونفسى قدرته على التأمل والنظر والتفكر في حوادثها وآياتها وسننها واسرارها بما اعطاه الله له من الصفات والقوة التي تمكنه من ممارسة هذه الخلافة وجعله بعد ذلك مكلفا مسئولاً يترتب على عمله الجزاء (٢) .

فحبس روح الانسان عن النظر في دلالات الكون التي تتجاوز مدى ما تدركه الحواس توقعه في حيرة وبليلة في الرد على اسئلة الفطرة عن الخالق وعن مهمة الانسان في الارض وعن مصيره بعد الموت .

وهذا ما ينبغي على الداعية ان يتنبه اليه ويدعو الناس على ضوئه فذلك اجدى وابقى اثرا في النفوس لان الحق الابليج والدليل الواضح يكون مؤسدا بذاته .

(١) سورة الاعراف ٥٦ -

(٢) نظام الاسلام العقيدة والعبادة ص ٥٠ .

* الاعمار الزم بالمؤمن من غيره *

ان الدوافع الفطرية فى الانسان قوية متأصلة ، وهى التى تدفعه الى العمل والنشاط والانتاج وتدفعه لعمارة الارض وهو جزء من عملية الخلافة التى خلق من اجلها الانسان .

فلو كانت هذه الدوافع ضعيفة بحيث يمكن اسكتها او التغاضى عن الحاجتها بسهولة لوقفت العقبات الكثيره فى الارض بين الانسان وبين القيام بمهمة العمارة والاستخلاف .

وهذه الدوافع اذا تركت وشأنها بغير ضابط فانها تنقلب الى شهوات جامحة لا يمكن ان توقف او ترد . وتسلب من نفس الانسان كل المعانى والقيم ، فبدلا من ان تكون عوننا على عمارة الارض فانما تصبح قييدا يحوق عن الانطلاق .

فانما كان الاعمار فى الحقيقة تحقيق للخلافة . فان الخلافة فى الاصل هسى للانسان كله ، ولكن الانسان المؤمن وحده هو الذى يقوم بهذه العمارة بمقتضى المنهج الربانى فيهبز جهده الثمرة المباركة قال تعالى :

" والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون " (١) .

لان الانسان المؤمن هو الذى يستطيع ان يتقدم التقدم المادى مع الالتزام بالجانب الروحى ، ان لا يفصل بين الدنيا والآخرة وهو الذى لا ينسى التحضر والرقى الهدف الاساسى من هذه الحياة وهو عبادة الله سبحانه . بالاضافة الى احساسه بالمسئولية المطلقة على عاتقه تجاه الانسانية جمعاء فيقدم على العمل وهو يحس بتلك المسئولية فى عمله الحر أو المقيد .

ويدفعه ذلك الى العمل والاتقان فيه ، استعدادا للمحاسبة فى النهاية عن عمله اثناء وجوده فيها ، والذى يجرى قدر الله فيها بمقتضى عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر .

فالمسلم له دور يؤد به بوصفه الخليفة في الارض والمكلف بعمارتهما والسعى في
مناكبها والحامل للامانة فيها ، ومن الامانة توصلهم الى التقدم في جميع ميادين
العلم وان يقوموا بتسخير طاقات السموات والارض ليقوموا بعمارة الارض والخلافة
فيها مع الاحتفاظ بانسانيته التي كرمه الله بها في كل مجال من مجالات الانسانية .
ولزومه للمؤمن لان عمارة الارض ليست غاية في الحقيقة وانما هي وسيلة
لتأمين الدعوة الاسلامية وحمايتها وحماية المؤمنين بها على هذه الارض وعدم
صلاحية غيرهم مثلهم انما يتركز في صرفها عن طريقها الصحيح الى جعلها غاية
فتؤدى بهم الى التنازع والكيد والاختلاف، وفي التاريخ شواهد كثيرة وفي انهار
الحضارات شواهد كثيرة بان اضعلالها لم تكن الا باسباب الانحراف بالعمران الى
المادية البحتة وايقار الاعراض القريبة الغانية على الباقية كما من امة تكون كذلك
ولو كانوا مسلمين الا وكان في ذلك فناءهم المحقق واندحارهم الاكيد ، ويكون
الخاسر في ذلك هو المبدأ الصحيح والدعوة .

وفي عصرنا الحاضر من الدلائل والشواهد من الامم التي انفلتت من حراسة
الدين كيف استباححت ان تدمر وتخرب وتقتل وتجرب المآسى على بنى البشر،
بما توصلت اليه من وسائل العمران والتقدم المادى الملموس ولو توفر لهؤلاء الدين
الحق لقد مت لبنى الانسان السعادة التي يحلم بها ، وتتطلع اليها اجيال
البشر جيلا بعد جيل .

ومن عجب ان يدعى اصحاب الحضارة المادية ان الاسلام قد عوق اهله
عن النهضة وقد اغراهم بهذا ما عليه حال المسلمين من تأخر وانحطاط ، فاتخذوا
من واقع المسلمين دليلا يضمنون به الاسلام نفسه ، والا سلام من دعواهم ومن حال
اهله برئ .

* كيفية الاعمار وعلاقتها بالدعوة *

حينمالقى الله سبحانه الى الانسان عبء عمارة الارض كانت المواهب التسي وهبها اياه هي مناط التكليف له ، ولا تكليف لمن لا مواهب له . وهذه المواهب انما هي امر كونى يحدد للانسان اتجاهه في هذه الارض ويجعل عمارتها بعض مالقى اليه من تكاليف .

وفي القرآن الكريم (هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها) (١) .

قال القرطبي : قال بعض الشافعية :

الاستعمار طلب العمارة ، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب ، فقوله تعالى (استعمركم فيها) اي خلقكم لعمارتها (٢) .

وقال الحصاص :

(وفيه الدلالة على وجوب عمارة الارض للزراعة والغراس والابنية) (٣) .

على ان العمارة ليست فقط فيما ذكره هؤلاء السلف رحمهم الله تعالى وانما يتعداه الى المصنوعات المستحدثة المختلفة والوسائل الميسرة من النقل والتبادل قال تعالى :

(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (٤) .

فالمنفعة الحاصلة من الحديد غير منحصرة فيما عرفه المسلمون الاوائل فلا بسد من النشاط في استخراجها والتنافس في صناعاته حتى يحصل العمران المنشود للامة الاسلامية .

وللدعاة الى الله مجال عظيم في هذا الباب ببيان حقيقة العمارة واساليبها وكونها وسيلة الى الطاعة والعبادة .

(١) سورة هود ٦١ .

(٢) تفسير القرطبي ٣٢٨٤/٥ .

(٣) احكام القرآن للحصاص ٢٣/٣ .

(٤) سورة الحديد ٢٥ .

فهذه الارض حين اوجدها الله وخلقها خلقها غنية في جميع جوانبها ففسى البر بنباتاتها وحيواناتها وكنوزها وطاقاتها ومعادنها وفي البحر باسماكها وكنوزها وطاقاتها ، وفي الجو بطيرها وطاقاتها الشمسية والكهربية .

فاستغلال هذه الجوانب اعطت للام حجا ومكانة دينوية وقوة على قدر تكيفها وكشوفها لهذه القوانين المادية ، وحسب مدى التضحية والبذل وصدق النية والعزم في تحقيق اسرار هذه المجالات .

وكما ان المسلم يجتهد في العبادة فانه يجتهد في طلب رزقه ، وفي اعمار وطنه وبناء امته ، ان العمل بنية الطاعة لله والافادة من المال في مجال الخير والتعمير وسيلة لا غاية . فالمسلم بعمله الدؤب متوج برضوان الله عز وجل وطاق لله ورسوله بنيته الصحيحة وقد ورد في الحديث الشريف ما يدل على البناء والعمل بدون تهاون او يأس :

(ان قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فان استطاع ان لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) (١) .

وقد حدد الاسلام بعد ذلك هدف المال ومجال انفاقه والتحذير من استغلاله في الهدم قال تعالى :

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين) (٢) .

فالامكانيات المالية وتنظيمها على اسس صحيحة من ابواب الاعمار البشرية واعمار لأيدى الافراد الذين يقومون بعماران الارض بالحياة كما يحمرونها بالعدل والامن والحق .

وينبغي ان نعلم ان الناس في هذا الكون ينقسمون الى قسمين :

(١) مسند احمد ٣ / ١٩١ .

(٢) سورة القصص ٧٧ .

قسم على حق ، وقسم على باطل ، وبينهما من التدافع والمجاهدات والمعارضات
الشيء الكثير .

فالإنسان الذي على الحق عليه واجب باعتباره خلق لاقامة سلطان الله فى
الارض ، وهذا يقتضى ان يجعل وقته ومواهبه وسيلة لاستخراج الثروات التى خلقها
الله فى الارض ويجعلها اداة لنشر رسالة الله وبيانه للناس ، وهذا ما تشير اليه
الآية فى قوله تعالى :

(لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوى عزيز) (١) .

فرسل الله هم المصلحون الذين يقتدى بهم الناس حيث انزل الله معهم
الكتاب والميزان وهو العدل وانزل الحديد اعانة لهم على نشر الحق واثباته .
قال ابن كثير رحمه الله :

" وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه " .
ومن هنا يتضح لنا ان الحديد نوع واحد من المعادن التى وضعها الله
تعالى فى هذه الارض ^{ركلها} وسيلة ذات اهمية بالغة فى اعمار الارض واقامة الحق عليه .
فالدعوة الى استغلال هذه الكنوز المسخرة للاعمار بالصناعات المختلفة مطلب
الهِى لانها الوسيلة التى تعطى القوة والرغبة للاسلام والمسلمين .

وانا اردنا بعد ذلك ان نحمل العمران المنشود عمران خير وبركة فلا بد
من ايجاد الانسان الذى يكون ذا مواهب وخبرة وعلم واستخراج لهذه العلوم لان
كل العلوم الصناعية والعمرانية تكون ناقصة ولا يزال الفكر يخرج اصنافها ومركباتها
من القوة الى الفعل بالاستنباط شيئا فشيئا على التدرج حتى تكتمل لانه ليس فى

الامكان حصول ذلك دفعة واحدة وانما يحصل في ازمان واجيال كما يقرر ذلك ابن خلدون (١) .

والاساس الثاني وهو ان يكون الانسان عارفا ان الملكية الحقيقية لله تعالى وان الله خلقه ليحقق مشيئة الله في عمارة الارض باقامة احكامه فيها .

والاساس الثالث ان يكون الاعمار الذى يقوم به بنية العبادة وهذه النية هى التى تدفعه الى التحسين والانتاج والاخلاق والحرص على الوقت والجهد والمال .

والله نسأل ان يوفقنا لما يحبه ويرضاه . . .

(١) المقدمة انظر : ص ٣٨٣ و ص ٤٠٠ .

الفصل الثاني: المنهج العاطفي

ويشتمل على مبحثين :

- المبحث الاول : اسلوب الترغيب والترهيب .
- المبحث الثاني : علاقة الرزق في تثبيت الداعية .

الفصل الثاني : المنهج العاطفي

قال تعالى ((ليكفروا بما آتيتهم فتمتعوا فسوف تعلمون)) السورم ٣٤ ،
 وقال ((ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءهم وهم بالبينت فانتقمنا
 من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) السورم ٤٧ .
 توطئه :

يعتبر المنهج العاطفي من أهم المناهج في الدعوة الى الله تعالى لأنه
 يرتبط بمشاعر الانسان وأحاسيسه التي تتبع من نفسه خيرا أو شرا .
 وقد عرف الدكتور عبد الغفار عزيز الاسلوب العاطفي بأنه " هو القول أو الفعل
 الذي يحرك القلب ويستثير الشعور والعاطفه ، والذي يستعمله الدعاة لتوضيح
 دعوة الاسلام وبيان احكام الدين وتعاليمه .^(١)
 فالانسان تتركز فيه نقائص عجيبة من الأحوال المختلفة ولا يكاد انسان
 على هذه الحياة يخلو من هذه النقائص النفسية الفطرية التي خلقت معه
 مع تكوينه الأساسي مثل الفرح والحزن ، والرضا والغضب ، والحسب
 والبغض ، والشجاعة والجبن ، والعزيمة والتردد . . . الخ .

فحينما توجد هذه النوازع في نفس الانسان وفي تكوينه فانه لابد وأن يكون لها
 تأثيرا كبيرا على سلوكه وطباعه وأخلاقه واقدامه وتردده وتفكيره

(١) دعوة نوح عليه السلام ليحيى بن علي القحطاني ص . ٥

وتحليله بصفه عامه ، فالانفعال لدى الانسان يرتبط بالسلوك الغريزي

لديه فنوع الانفعال يتوقف على نوع العوامل الدافعه في لحظه ما أو دافع ما .

لذا فقد تميز هذا المنهج بلطف الاسلوب ، وسرعة التاثير والاستجابة

وهذا ما جعل هذا الاسلوب لا يستعمل في جميع الحالات وفي لاجميع الطبقات

على وانما يستعمل في :-

١ - حالة ضعف الداعي والدعوة .

٢ - في حالة جهل المدعويين .

٣ - مع اصحاب القلوب الرقيقة .

(١)

٤ - في حالة الحث على فصل الطاعة وترك المعصية .

لذا فان هذا المنهج لاهميته يتطلب معرفة أحوال الانسان المدعو ومدى

اقباله على الدعوى ومدى تقبله لها ، ومعرفة المقاييس التي يبنى عليها

القبول والرد في نفسه ، ومدى صحة هذا الميزان لديه والذي يعتمد

عليه في سلوكياته أمام الدعوة الى الله عز وجل ، لأن العاطفه السائدة

في نفسه هي التي تغلب على سلوكه وتوجهه اتجاهها معيناً وتكون لها

السيطرة على غيرها من العواطف .

ومن هذا الجانب تبدوا أهمية هذا المنهج في هذا العصر الذي طغى

فيه الاعلام الموجه المدروس على العالم كله ، وخاصة دون العالم الثالث

(١) المنهج العاطفي في الدعوى لفهد بن عوض المغذوي ص ٥٥ .

الذى تنتشر فيه الفاقة والحاجة الى أهم الحاجات الأساسية والضرورية ، ويقسم علماء النفس العاطفة من حيث النشأة الى عاطفتين أساسيتين منها تتفرع جميع العواطف هي :-

١ - عاطفة الحب : وهي العاطفة التى تدعو صاحبها الى الاقدام على موضوعها .

٢ - عاطفة الكراهية : وهي التى تدعو صاحبها الى الاحجام عن موضوعها والنفور منه .^(١)

والعاطفة السائدة هي التى تغلب على سلوك الفرد وتوجهه اتجاهاً معيناً ، وتكون لها السيطرة على غيرها من العواطف .^(٢)

ثم ان هذه العاطفة لا تتجه الى شيء واحد من حيث الموضوع فقد تتجه الى جماعة معينة ، وقد تتجه الى شخص معين ، وقد تتجه نحو المثل العليا كحب العدل وكراهية الظلم ، ومن هذه الناحية يتبين لنا أهمية هذا المنهج فى جذب الأفراد واستمالتهم بمعرفة العاطفة السائدة لدى المجتمعات أو لدى الأفراد .

وواجب الداعية دائماً هو توجيه هذه العاطفة نحو الخير واثارة دوافع الخير لدى الأفراد بما يضمن بقاء السلوكيات الصالحة لربط المجتمعات برباط التقوى وابعادها عن السلوكيات التى تؤدى الى اثاره العواطف الغير محمودة المؤدية الى الكراهية والفرقة .

ان رد الانسان الى الخالق جل وعلا هو محور العقيدة الاسلامية وأساسه التى يحرس عليه ، وهو الهدف الذى سارت عليه جميع التشريعات الالهية والتوجيهات السماوية ، ومنه تسمير الحياة الانسانية على نهجها القويم .

(١) علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام : ١٩٤

(٢) أصول علم النفس فى ضوء الاسلام : ٢١٠

ولوتأملنا بتدبير وامعان في آيات القرآن العظام نجد أن القرآن يهتم
بهذا المنهج اهتماما بالغا ، ويعد من وسائله النفسية المهمة التي تتجه
الى النفس البشرية هي الترغيب والترهيب ، وبهما يؤثر تأثيرا قويا على كسل
أنشطتها .

والمقصود بالترغيب كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقبول الحق والثبات
عليه ، والأمل فيه أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة
، والمقصود بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض
الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله ، ويكون بالتخوف من غضب الله وعذابه
في الآخرة . (١)

القرآن الكريم والمنهج العبادي :

فالقرآن الكريم في دعوته يراعى الطبيعة البشرية وما جبلت عليه من ميول ،
ويتحرى أن يصل الى النفس البشرية من منافذ التأثير فيها ، فأسلوب الترغيب
والترهيب يتخذ طريقه الى النفس من خلال ماركب فيها من غريزة الخوف التي
تدفع الانسان الى توقي الخطر والبهمة عما يعرضه له .

((فالخوف والرهبة بقوتيهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كسبه
في أعماقه ، يوجهان في الواقع اتجاه الانسان في الحياة ويحددان أهدافه
وسلوكه ومشاعره وأفكاره ، فعلى قدر ما يخاف ، ونوع ما يخاف ، وعلى قدر ما
يرجو ونوع ما يرجو يتخذ لنفسه منهج حياته ، ويوفق بين سلوكه وبين ما يخاف
ويرجو .)) (٢)

لذا فان استخدام القرآن الكريم للأسلوبين في التوجيه والارشاد منتهى
الحكمة في طريقة الدعوة الى الله عز وجل .

ويقول الزمخشري ((من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهب

(١) دراسات في طرق الدعوة الاسلامية لمحمد عبدالسميع جاد : ١٧٣

أسسول الدعوة لعبدالكريم زيدان : ٤٢١ .

(٢) دراسات في النفس الانسانية لمحمد قطب : ٧٦ .

ويشجع البشارة بالانذار ، اراد التنشيط لاكتساب ما يزلف ، والتثبيط عن اقرار
 ما يثلف)) (١) .

واستعمال هذا الجانب للداعية من أهم الضرورات في توجيه الدعوة ان يسسه
 يستطيع تشويقهم الى المحمود وتنفيرهم من المذموم ، لأن الاسلام دين علم وعمل
 يشمل به المسلم في حركته وسكونه ونطقه وسكوته .

((وقد اعتمد الاسلام في منهجة التربوي اعتمادا كبيرا على طريق الترغيب والترهيب
 بعد اعتماد ، على الهداية التي هي أقوم ، بنسيلة التعليم والاقناع الكفري (٢) ، ويدل
 على ذلك قوله تعالى ((ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشّر
 المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
 أعتدنا لهم عذابا أليما)) (٣) .

ووسائل هذا المنهج في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة ولا تخفى على من تأمل
 ودقق واستتبطن وقد ذكر احد الباحثين منها ثمانية عشر أسلوب وهي :

اسلوب الترغيب والترهيب ، واسلوب مشاركة الآخرين في المناسبات .

واسلوب تقديم المساعدات (المادية والبدنية) .

واسلوب المدح (الثناء) ، واسلوب التقريع (التوبيخ) .

واسلوب الاستعطاف ، واسلوب اللين .

واسلوب الموعظة الحسنه .

واسلوب الرحمة والشفقة .

واسلوب التواضع ، اسلوب التدرج ، واسلوب الدعاء .

واسلوب الاقتصاد في الموعظة ، واسلوب حسن المعاملة .

واسلوب سماحة النفس ، واسلوب الاعتراف بالفضل

(١) الكشف : ٢٥٣ / ١

(٢) الأخلاق الاسلامية وأسسها : ١٩٤ / ١

(٣) الاسراء : ٩ - ١٠

٤٥٠

واسلوب العفو والعفح (١).

ومن اساليبه ايضا - الموعظة الحسنة ، والبشارة ، والوعد ، والوعيد ، والشواب

والعقاب ، والقصة (٢).

وقد ذكرت في هذا البحث بعض الأساليب لأكملها منها :-

اسلوب الترغيب والترهيب

اسلوب الشكر.

اسلوب الجزاء.

ومن المهم أن يكون الداعى الى الله عز وجل حليما فسى
عرضه لهذه الاساليب بحيث يكون أسدوه موافقا لمقتضى حال المدعو
ونفسيته ، اذا أن هناك نفوس مشرقة قوية الاستعداد لقبول الحق
شديد الانجذاب نحو المبادئ السليمة ، وهناك أناس تدور حياتهم
حول ما توارثوه من عادات وما نشأوا فيه من تقاليد وقيم ، ولا تتطلع
نفوسهم الى أفضل ما هم عليه ، فلا يبد من توجيه ما يترقق
قلوبهم ترغيبا وترهيبا ، ومنهم أصحاب

(١) المنهج العاطفي في الدعوة لفهد بن عوض المغذوى ص ٩٠

(٢) دعوة نوح عليه السلام ليحيى بن على القحطاني ص ١٠٠ .

اللدود والخصومة والجدال والمعاندة ممن لا ينفع فيهم هذين الأسلوبين .
فالنفوس كثيرة التعقيد تحتاج الى من يقوم بدراستها وتوجيه الدعوة بما
يناسب حالها ويوافق ميولها .

ويعتمد المنهج العاطفي أول ما يعتمد على اشارة كوامن النفس الانسانية
واثارة الانفعال الداخلى وتأجج العاطفة ، فقبل توجيه الأسلوب لابد من
معرفة المدعو الذى أمامك ، وماهية نفسه ، هل هى أمانة أم لوامة ، أم
مطمئنة ، فهذه أنواع ، وكل نوع يحتاج الى اطار معين ولون متميز
، فمعرفة الشخص ، ومعرفة نوعية العاطفة المستتكة فى داخله هو السبب
يوجه على أساسه كوامن النفس وابرار العاطفة . (١)

واما مظاهر العاطفة فهى الحواس الظاهرة لدى الانسان وهى : الكلام والسمع والبصر واليد ،
فالكلام شدة ورقة وسهولة دليل على عاطفة المتكلم ، وكذلك حسن الاصغاء ، وكذلك دمع العين
وحركة اليد دليل على رقة العاطفة او هدو النفس وتقلبها .

المبحث الاول : الترغيب والترهيب .

والترغيب على أنسب منها : (٢)

الأول : ترغيب فى جنس الطاعات بما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم مثل وعد الله تعالى لمن آمن وعمل صالحا بالاستخلاف فى الأرض
والأمن من الخوف كما سيأتى .

الثانى : الترغيب فى أنواع الطاعات كالصلاة والصدقة ، والصوم ، والحج ،
والجهاد ، واعلاء كلمة الله ، وبر الوالدين ، واصلاح ذات البين .

(١) مناهج الدعوة محاضرات للدكتور محمد العدوى : ٧

(٢) مناهج الدعوة محاضرات للدكتور محمد العدوى : ٦

(٣) هداية المرشدين لعلى محفوظ : ١٩٢ - ١٩٩ - بتصرف .

أوبترغيب الناس في أنواع الفضائل النفيسة ، كالشجاعة والعفة والصدق والوفاء ، والأمانة والاخلاص ، والحلم والتواضع وحب الخير للناس ، وكذلك ترغيبهم في اتقان الصناعات الوطنية لما فيها من ترقى الشعوب ، ورفع عزتها وكرامتها لدى الأمم والشعوب .

وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة وضحت هذا المنهج توضحاً دقيقاً من ذلك :-

الترغيب بما أعد الله للمؤمنين في الدنيا :

مثال ذلك قوله تعالى ((وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بسى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)) (١) .

وفي الآية الكريمة يعد الله الجماعة المؤمنة بالنصر والتمكين ، وانقضاء أيام الفزع والرهبية والموع فجر السيادة في الأرض والأمانينة عليها . يقول ابن كثير رحمه الله :-

((فأنا هو الله نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح ، ثم إن الله قبض نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقوا فيما وقعوا فيه فأدخل الله عليهم الخوف فاتخذوا الحجة والشرا)) (٢) .

وفي الآية ترغيب لما يحققه الله تعالى للمؤمنين وهو وعد معلق بشرط ((يعبدوننى لا يشركون بسى شيئاً)) ، فهذه العدة الجميلة لاشك بأنها من أسباب البقاء وتحمل مشاق الرسالة .

والدعاة الذين يرغبون العمامة والخامسة باتباع الدين لا يسأمون من تكرار

(١) سورة النور : ٥٥

(٢) تفسير ابن كثير : ٣٠١/٣

هذه الجوائز والحوافز التي أعدها الله لهم ، وترغيبهم بهذا الأسلوب المشوق لأنها ما تشتاق إليها النفوس وتحن .

ومن ذلك أينما الترغيب فيما أعد الله للمؤمنين في الآخرة ، مثال ذلك قوله تعالى . ((والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها ، اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ، ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار ، وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)) (١) .

فصحت الآية الكريمة على أن الجنة هي جزاء الايمان ، والعمل الصالح ابراز لهدف الآيات ، وهو الدعوة الى التوحيد والعمل بمقتضاه ، والترغيب في ذلك المشهد الحسى للجنة ولحالتهم النفسية المستقرة فيها بعد حياة دنيوية صالحة انتهى بهم المطاف الى هذا النعيم المقيم .

وقد امارد في القرآن الكريم نعت الجنة بما يجعلها أمنية المتقين ومستقر الركب المؤمن بعد السفر الطويل .

ولعل أكبر ما يحفز الراجي الى الاقدام بثقة في ثبوت الجزاء المنشود ، وأجر الآخرة في ذلك حافز فعال لأنه في اعتقاد المؤمن وعد حق ، لا يخلف الله وعده ، ولا يضيع لأحد أجرا .

وذلك لأن أشد المؤثرات الدافعة للاجتهاد أن يؤمن الفرد بأجر نفسى الآخرة ثابت يصيب صاحب الجهد ذاته ، لا يضيع ولا يتفرق من حوله . (٢)

— وترغيب الداعية بهذا الأسلوب مما تجذب النفوس الى قبوله والرضا بمكافئه الحق ، واحتمال تكاليف الايمان بما قد ينتظرهم هناك في الدار الآخرة من الخير العميم الذى يفرض المؤمن على الاستزادة من الزاد المقرب اليها ،

(١) سورة الأعراف : ٤٢

(٢) الايمان للدكتور حسن الترابي ص ٨٦ .

وقد أسهب القرآن الكريم في وصف ما تحفل به الجنة من ألمايب ونعيم
ولا سيما في السور المكية لتكون اللذة الصافية الدائمة فيها شوقا للمؤمنين .

ومن أنواع الترهيب :-

الترهيب بالعقوبة في الدنيا :

مثال ذلك قوله تعالى : ((لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان
عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور
فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العمر وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكمل
خمل وأثل وشى من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نُجازى
الا الكفور)) ١٥ - ١٦ سبأ .

ففي هذه الآية ترهيب للكفار وتهديد لهم بعذاب الدنيا قبل الآخرة
بعرض قصة أمة من الأمم التى أهلكها الله تعالى حين أعرضوا عن الشكر
وكفروا بأنعم الله تعالى وأرسل عليهم سيلا جارفا أغرق أموالهم وخرب
بلادهم .

وبمثل هذه الآيات يستطيع الداعية أن يستعمل أسلوب الترهيب ببيان
سنة الله تعالى في تعجيل العقوبة في الدنيا على الذنوب ، قرب انسان
يتساهل في أمر الآخرة ويستخفه ، ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر
لفرط جهله ، فينبغى أن يخوف به .

ومن الأهمية بمكان بأن الجزاء كلما كان مباشرا في سببه بعين الفسرد
كان وقعه أقوى وأكد ، ومن ذلك : الترهيب بأهوال الآخرة .

مثال ذلك قوله تعالى : ((فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان

شياسا السما منطربه ، كان وعده مفعولا)) المزل ١٧ .

ففي الآية ترهيب عن الكفر بذكر الآخرة وعذاب يوم القيامة وما فى جهنم

من عذاب شديد ومهانة بالغة .

فالجوء الى الترهيب بالعاقبة في الآخرة وسيلة للتبليغ مؤثرة وطريقة لسرد

المنحرفين الى جادة السواب ، لأن الخوف من العقاب قوة عظيمة للنفوس رادعة .

((وذلك لأن الله سبحانه قد جبل عباده على الميل الى الأفراح واللذات ، والنفور من الغموم والمؤامات ، ووعده من عصي هواه وأطاع مولاة بما أعدده في الجنان من المشوبة والرضوان ترغيبا في الطاعات ليتحملوا مكارهها ومشاقها ، وتوعده من عصي مولاة ، وأطاع هواه ، بما أعدده في النيران من العقوبة والهوان زجرا لهم عن المخالفات ، ومدح الطائعين ترغيبا في الدخول في حمده ومدحته ، وذم العصاة تنفييرا من الدخول في لومه ومذمته))^(١)

فاستعمال هذا المنهج بشقيه الترغيبى والترهيبى غاية في الأهمية وخاصة في هذا العصر الذى حرمى فيه الشرق والغرب على قطع المسلمين عن ماضيهم العريق بالظعن في كتابهم وأنه لا يساير العصر ، ولا يستطيع أن يكسب أمة الاسلام الرقى والتقدم وخاصة في البلاد التى غلبوا عليها وفرنوا سيطرتهم عليها احتلالا واستعمارا ، كما غيروا أحرفهم العربية الى أحرف أخرى لا صلة لها بكتاب الله عز وجل .

لذا فان أكبر ما يهون على المرء احتمال الضيم والذل هو جهله لنفسه ، ونسيانه شرف أسلافه وأجداده ، فتخفى عليه سيرتهم الحسنة وأعمالهم الجليلة الخالدة ، وأخلاقهم الكريمة ، وبعده هذا عن هذه المثل لا يخجل عن السقوط في حماة الرذيلة ، ولا يستحي من اتیان النقائص ، فواجب الدعاة الى الله هو استخدام هذا المنهج بتنبيه الأمة الى ما مضى أسلافها الصالحين ومحاسن الدين ليعلم السلم وغيره أن المحاسن فى دينه وللسلفه كثيرة وجديرة بالحفظ والعناية .

وهذا استعمال لهذا المنهج العاطفى فى توجيههم نحو خير الأعمال ، وحميد الخصال ، والدفع بهم الى جليل الأفعال باخراج ما فى أنفسهم من الغفلة .

(١) قواعد الأحكام فى مصالح الأنام للعزبن عبد السلام السلمى : ١٤ / ١ .

فتذكيرها بشرفها السالف ، ومجدها الرفيع ، يدعوها بلا شك الى حـسب
التأسى بأولئك الشرفاء فيما كان لهم السيرة العطرة ، وفي ذلك أعظم ترغيب
لهم في التأسى وحسن الاتباع ، وأحسن زاجر عن مخالفة أولئك الذين أثبتوا
العز والقوة والمنعة للإسلام بقوة تمسكهم والتزامهم للدين الحق السني
ارتضاه الله لعباده ، وفي ذلك ترهيب لهم عن الوقوع في سنن المهسلاك
المترتبة على الابتداع والانحراف عن الحق .

المبحث الثاني

علاقة الرزق فى تشييت الداعية

قال تعالى :

(أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك
لآيات لقوم يؤمنون) (١)

ان القرآن الكريم يكثر من عرض حقيقة الرزق لما له من صلة وثيقة
بحياة المخلوقات على هذه الأرض ، ولأن الانسان هو المخلوق المدرك
لحقيقته وميزته وأثره فى حياة البشرية .

والرزق من الاشياء التى اختص الله منحه للناس ، ليتخذ منها
برهاناً على ضرورة افراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والطاعة والخضوع
فان الخالق الرازق هو المتكفل وحده به ، وهو الحقيق بأن تكون له
الربوبية والالوهية والسلطان فى هذا الكون وهذا ما ينبغى ان يدركه
الانسان بما ميزه الله من العقل والفهم والادراك .

مفهوم الرزق وصفته :

الرزق اسم لما يسوقه الله الى الحيوان فيأكله ، فيكون متناولاً
للحلال والحرام وبكده وبغير كده فى طلبه . (٢)

وفى مختصر لوامع الانوار البهية :

والرزق ما ينتفع المرتزق بحصوله له سواء كان ذلك المنتفع به من
حلال - وهو ما انجلت عنه التبعات - أو حرام وهو ما منع منه شرعاً
اما لصفة فى ذاته ظاهرة كالسم والخمر ، أو خفية كالربا ، واما لخلل

(١) سورة الروم (٣٧) .

(٢) التعريفات (ص ٥٨) .

فى تحصيله كالغصب ، فكل ذلك رزق ، لان الله تعالى يسوقه للحيوان
فيتناوله ويتغذى به . (١)

وصفة الرزق وسعته قسمان :

الأول : الرزق المطلق وهو ما استمر نفعه فى الدنيا والآخرة ،
وهو رزق القلوب العلم والايمان والرزق الحلال .

الثانى : مطلق الرزق العام لسائر الخلق برهم وفاجرهم ،
والبهائم وغيرها ، وهو اىصال القوت الى كل مخلوق وهذا يكون من
الحلال والحرام والله رازقه . (٢)

والرزق يفهمه أغلب الناس على انه المال الذى يجده احدهم فى
يده مما يحصل عليه بتعب ونصب أو بدونه ، ولكن الرزق اوسع مدلولاً
مما يتبادر فى اذهان الناس من هذه الكلمة .

فالرزق انما هو كل ما أودعه الله هذه الارض من اسباب الرزق
ومكوناته ، وهى فى الاصل ترجع الى طبيعة تكوين الارض من عناصرها
التي تكونت منها ، وطبيعة تقسيم هذه العناصر بنسب دقيقة وهى التى
وجدتها الانسان واستغلها واستثمرها ثم القدرة التى اوجدها الله سبحانه
وتعالى فى النبات والحيوان — ومنه الانسان — على الانتفاع بهذه
العناصر .

مصادر الرزق :

فالشهوة او المال الذى يتحصل عليه الانسان اختلفت مصادره
من انسان لانسان ، فأناس رزقهم فى الماء وما يحتويه من الاحياء وغير الاحياء

(١) مختصر لوامع الانوار البهية للسفارينى (ص ٦٤) للشيخ حسن

الشطى الحنبلى ت ١٢١٨

(٢) الاسئلة والأجوبة الاصولية (ص ٨٩) .

واناس فى الأرض وما يحتويه من المعادن الجامدة أو السائلة ، وأناس فى النباتات المختلفة المثمرة منها وغير المثمرة ، وأناس فى بيع ما ينتجـه اولئك كلهم من مصنوعات ومستهلكات .

ومن يتأمل فى انشغال الناس فى حركة دائبة فى هذا الكون بالسعى فى طلب الرزق ونواله له ، يتضح ان لكل مخلوق رزقا لا بد أن يناله قل أو أكثر ، وهذا الرزق مقسم وموجود ، ومقدر من الله سبحانه فى سننه التى ترتب النتائج على الجهد ، فالقعود عن السعى فى الارض يخالف سنن الله الكونية إذ ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

فالله سبحانه يحيط بخلقه ، ويرزقهم بحيث لا يترك احدا منهم بدون رزق ، وهذه نكتة بليغة للانسان حتى تكون صلتهم بالخالق وثيقة الرباط ، ولتكون العبودية الخالصة للخالق الرازق المحيط علمه لكل شىء

فعن عبد الله حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق " أن احدكم يجمع خلقه فى بطن أمه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث ملكا ثم ينفخ فيه الروح فيؤمر بأربع كلمات ويقال له : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد " . (١)

وقال تعالى :

(وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتب مبين) . (٢)

(١) البخارى فى بدء الخلق (١١٧٤ / ٣) رقم الحديث ٣٠٣٦

(٢) سورة هود (٦) .

٤٦.

ويقول سيد قطب رحمه الله :

فكل ما تحرك على هذه الارض من انسان وحيوان وزاحفة وغيرها
 مما تملأ وجه البسيطة او تكمن فى باطنها ومما لا يحيط بها حصر أو احصاء
 الا وعند الله علمها ، وعليه رزقها ، وهو يعلم اين تستقر واين تكمن ومن
 اين تجىء واين تذهب .

انها صورة مفصلة للعلم الالهى لهذه المخلوقات ويزيد على مجرد
 العلم تقدير الرزق لكل فرد من افراد هذا الحشد الذى يعجز عن تصوره
 الخيال وكيف اودع هذه الارض القدرة على تلبية حاجات هذه المخلوقات
 جميعا فى شتى الصور والاحوال . (١)

فأمر الله سبحانه لخلقه بأن يأكلوا مما فى الارض حلالا طيبا
 لا يقتصر فحواه على انه مجرد دعوة الى ان نأكل ونشرب مما فى الارض ،
 لأن ضرورة الانسان تدعوه وتضطره الى ذلك ، انما يتضمن الامر الى
 معنى الدعوة الى حقيقة وسنة من سنن الله فى تنظيم حياة البشرية الى
 ما فيه صلاحها واصلاحها لهذه الارض من ذلك :

أولا : تقرير افتقار حياة الانسان وفطرته الحسية الى ما فى
 الأرض من عناصر ، وتلك حقيقة كونية مهمة جدا .

والثانية : تقرير الملائمة بين عناصر الارض وفطرة الانسان وهى
 سنة كونية اخرى .

فاذا خرج الانسان عن هذه الارض الى اى من الكواكب الأخرى
 اخذ معه من هذه الارض الهواء الذى يتنشقه والطعام الذى يأكله ،
 والملابس التى يلبسها .

(١) فى ظلال القرآن (٤ / ١٨٥٦) .

ومن هنا يتضح أهمية الرزق باعتبار ارتباط فطرة الانسان الى ما فى الأرض من عناصر ، وشدة ملائحته لهذه الارض .

قال ابن كثير رحمه الله فى قوله تعالى :
(واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون) . (١)

هذا انكار على الانسان من حيث هو الا من عصمه الله ووفقه ، فان الانسان اذا اصابته نعمة بطر ، وان اصابته شدة قنط وايس ان يحصل له بعد ذلك خير بالكلية . (٢)

ثم وجه الخطاب الى من انكر عليهم صنيعهم ذلك من البطر أو القنوط قائلاً لهم :

" انسوا ولم تعلموا ان الله يبسط الرزق ويوسعه لمن يشاء بقطع النظر عن الكفر والمعصية والذنب ، ويقتل الرزق على من يشاء بصرف النظر عن الايمان وصالح الاعمال " . (٣)

فهو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله ، فيوسع على قوم ويضيق على آخرين . (٤)
قال تعالى : (اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) الآية (٥)

فالرؤية هنا بصرية وعلمية معا . . اى انها رؤية بالنظر فى وجوه الحياة واحوال الناس ، ومن هذه الرؤية يجىء العلم الذى يرى منه المبصرون ان الله سبحانه لم يجعل الناس على سوا فيما قدر لهم من رزاق فى هذه الدنيا كما يقول سبحانه .

-
- (١) سورة الروم (٣٦) .
(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٤ / ٣) .
(٣) التفسير الواضح لحجازى (٢٧ / ٣) .
(٤) تفسير ابن كثير (٤٣٤ / ٣) .
(٥) سورة الروم (٣٧)

(نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوۃ الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضهم درجات) (١)

فهذا العلم الذى يجىء به النظر فى احوال الناس ، وفسى اختلاف ارزاقهم يدل على ان ذلك لم يكن الا بارادة عليا ، وعن تقدير لملك الملك المتصرف فى العباد ، فيبسط الله الرزق ويوسعه لبعض الناس وبضيقة ويقدره لآخرين بحكمة وتقدير . . فالارزاق بيد الله يعطى منها ما يشاء لمن يشاء ، ذلك ما يعرفه المؤمنون بالله ويرضون بما قسم الله لهم ، فلا يبطل المؤمن اذا اصابته نعمة ، ولا يبأس او يحزن اذا قدر الله عليه رزقه (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) (٢)

فالناس يتفاوتون فى الارزاق ، ويفضل بعضهم على بعض درجات ولكن الهدف من هذا التفاوت هو ابتلاء الله لمن انعم عليهم بها ، وليس لأن يستعلى احدهم او يطغى بما يتميز به من مال على الآخر .

والقصد من هذا التفاوت هو الابتلاء والاختبار فيما اعطى المالك من مال : هل سيتصرف فيه طبقا لتوجيه الله فى كتابه فيخرج زكاته ولا يستخدمه فى اثم أو عبث ، هل سيشح فيه ويعبده من دون الله هل سيرى فى ملكية المال انه مفوض فقط من جانب الله فى انماه وتثميره وصرفه .

فتفاضل الناس فى الارزاق ظاهرة طبيعية بين افراد المجتمع لا يلغىها تساوى الناس فى كونهم جميعا من ذكر وانثى ، الناس متساوون فى الاعتبار البشرى ، ولكنهم متفاوتون فى الطاقات والاستعدادات البشرية

(١) سورة الزخرف (٣٢) .

(٢) التفسير القرآنى (٤ / ٥٢٣) .

والتفاوت فى الطاقات والاستعدادات هو اساس التفاوت فى الايمان ودرجات الملكية للمال ولكن قد يصدق الله الرزق على أهل الشر استدرأجا لهم ليزدادوا سوءا وبطرا وفسادا ويتضاعف رصيدهم من الاثم والجريمة ثم يأخذهم فى الدنيا او فى الآخرة وفق حكمته وتقديره وقد يحرمهم فيزدادوا شرا وفسوقا وضيقا ويأسا من رحمة الله .

وقد يصدق الله الرزق على اهل الخير ليتمكنهم من اعمال سالحة كثيرة ما كانوا بالغيبها لو لم يبسط لهم فى الرزق ، وليشكروا نعمة الله عليهم بالقلب واللسان والفعل الجميل، وقد يحرمهم ليبلوا صبرهم وثقتهم بربهم ورجاءهم فيه ، واطمئنانهم الى قدره واهم شىء فى حياة المنعم عليه والمبسوط له فى رزقه هو حسن التصرف فيما رزق فيه من المال والاولاد ،

اذ ان هذه الاشياء ليس بذاتها تقربهم من الله . (١)

علاقة الرزق بالدعوة الى الله :

ان السعى فى سبيل الحصول على الرزق يأخذ حيزا كبيرا من عمر الانسان فى حياته على الارض ، وهذا ما جعل الرزق من اكبر ما يشغل الانسان همه فى هذا الكون .

لذا فقد جعل الله الرزق مما تكفل به لعباده ، وومما تفرد باعطائه وهبته ، لا رازق سواه ، ولا معطى غيره ، وما من دابة فى السماء والارض الا على الله رزقها ، قال تعالى :

(٢) (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها . . .)

(٣) (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

(١) فى ظلال القرآن (٥ / ٢٩١٠) (بتصرف) .

(٢) سورة هود (٦) .

(٣) سورة الذاريات (٥٨) .

ومن قوته الكاملة وقدرته التامة انه اوصل رزقه الى جميع العالم حتى اكتسبت الارض الحياة وال عمران .

ولو تأملنا فى صنوف الازاق وانواعها ووجوهها فى هذه الحياة وجدنا ان الله حينما نشر رزقه فى جميع جهات الحياة على خلقه ريسط الوجود كله بعضه ببعض ربطا نفعيا بحيث يكون كل انسان فى حاجة الى الآخر ودل ذلك على الاختلاف الذى جعله الله فى الناس من مواهب الحياة ومواهب الانتفاع من الرزق .

وقال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى : ان الله سبحانه قدر للانسان المعاش بأسباب فيها حكمة بالغة : يعنى أن كل احد لا يتمكن من تعلم جميع ما يحتاج اليه فى عمره فلو اشتغل بذلك فى عمره قبل أن يتعلم ، وما لا يتعلم لا يمكن أن يحصله لنفسه وقد تعلق بهذا مصالح المعيشة لهم ، فيسر الله على كل واحد منهم تعلم نوع من ذلك حتى يتوصل الى ما يحتاج اليه من ذلك النوع بعمله ، ويتوصل غيره الى ما يحتاج اليه من ذلك بعلمه ايضا . . . ثم كل واحد منهم يقيم من العمل ما يكون معيناً لغيره فيكون ذلك قرينة وطاعة فان التمكن من اقامة القرينة بهذا يحصل . (١)
قال تعالى :

(فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (٢)

فاذا لم يضرب الناس فى الارض بالحركة ، واقتصروا على ما تأتيتهم الارض من خيراتها فانهم يكونوا قد قصروا فى منهج الله سبحانه فحركة الانسان مهما كانت لم تخلق الرزق ولكنها اوصلت الى الرزق الموجود فى الارض ، والله هو الذى جاء لك بالرزق (فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) (٣)

(١) الكسب لمحمد بن الحسن الشيبانى (ص ٢٥) .

(٢) سورة الجمعة (١٠) .

(٣) سورة الملك (١٥) .

قال صلى الله عليه وسلم : " ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده " (١) كما ينبغي ان لا يصيبه الغرور بما وسع الله عليه من الرزق الوفير وينسى نفسه ، وحق الله عليه فيتوهم انها من كسبه وفى طوقه كالعمل والابداع والانتاج فانها متوقفة على هبة الله للأفراد والامم من جهة اخرى ، فإى نفس يتنفسه العامل ، وإى حركة يتحركها الا من رزق الله الذى انشأه ، ومنحه المقدرة والطاقة ، وإى جهد عقلى يبذله مخترع الا وهو من رزق الله الذى منحه القدرة على التفكير والابداع ، وإى انتاج نتيجة عامل ومبدع الا فى مادة هى من صنع الله ابتداءً .

فالا سلام لا يقر الحرمان بحيث يتوقع الانسان على نفسه ومنتظر من يأتية بالطعام والقوت ، ولا يقر الرهينة والانعزال التام عن الحياة الاجتماعية والفرار من الناس اينما كانوا الى المغارات والكهوف، ولا ان ينهمك فى بهرج هذه الحياة الفانية ويغرق فيها الى اذنيه بالتكالب على الدنيا والحرص على جمع المال والانغماس فى الشهوات وبذل اقصى الجهد فى مسابقة الناس على الدنيا كل ذلك يؤدى الى الانصراف عن الحق الذى هو مهمة الدعاة ، والتشبث بالباطل الذى يتشبثون به .

اذن لا يكون حافز المؤمن للعمل وبذل الجهد فى الخلافة هو الحرص على تحصيل الرزق بل يكون الحافز هو تحقيق معنى العبادة ، الذى يتحقق ببذل اقصى الجهد والطاقة ، ومن ثم يصبح قلب الانسان معلقا بتحقيق معنى العبادة فى الجهد طليقا من التعلق بنتائج الجهد .

(١) صحيح البخارى فى كتاب البيوع (٢ / ٧٣٠) .

وإذا كانت البشرية لا تدرك هذه المشاعر ولا تتذوقها فذلك لأنها لم تعيش كما عاش جيل المسلمين الأول في ظلال القرآن ، ولم تستمد قواعد حياتها من ذلك الدستور العظيم . (١)

لذا ينبغي على الداعية ان يتعفف عما في ايدي الناس ويزهد في اموالهم، والزهد هو عدم التطلع الى ما في ايدي الناس والاقتناع بما قسم الله من الرزق وعدم تعليق القلب بالدنيا وزخارفها .

ولان تعليق القلب بالدنيا والاشتغال بتحصيلها يحول بين الداعية وبين الناس ، فلا يجتمع عليه احد ، ولا يكون في قلبه مكان لدعوته حيث استحوذت الدنيا على قلبه وملكت عليه حواسه ، ومن استولت الدنيا على قلبه سخرته لخدمتها .

كما لا ينبغي له ان يعتمد على الكسل والخمول باعتقاد ان الرزق مقسوم فيقعده عن الكسب وطلب المعاش ، وبذلك يحفظ نفسه عن الحاجة الى الغير ، ويحفظ ما وجهه عن التذلل والخنوع ، كي يظل عزيزا مرفوع الرأس قادرا على ان يقول ما يريد ، وان يبلغ ما يلزم ابلاغه .

وبقدر ما يستطيع الداعية ان يحقق في نفسه من العفة والسورع بقدر ما يكتب من تقدير وقدرة وامكانية في دعوته .

وينبغي ان يعلم المسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخف على امته من الفقر ، وانما خاف عليهم انهما كسهم في حب المال وتفانيهم في الحصول عليه ، وتنافسهم في الازدياد منه فالحصول على الرزق بجميع الوانه واصنافه انما هو وسيلة للعبادة وللطاعة وليس غاية

(١) في ظلال القرآن (٦ / ٣٣٨٨) .

ينشده الانسان فى حياته كحال المعسكرين الكبيرين اليوم اذ تكالبت على
المادة وقدستها وانهكت انفسها فى الحصول عليها .

وامتنا الاسلامية اليوم تقف على حافة الهاوية ، بانتقال العدوى

اليها من الشرق والغرب .

وواجبنا ان نعيد الى مجتمعا^{الاسلامى} استقامته ورشده ، وان نضع

المال موضعه الحق ، وان نجعل للمبادئ والاخلاق قيمتها الاصلية ،

وان نبرز امام الناشئة والمتقبلين للدعوة والتوجيه غاية الحياة الحققة ونعالج

فيهم ادواء النفس المدمرة ، والصراع الذى ينشر القلق ويشقى الحياة .

الفصل الرابع : في النتائج والآثار للمناهج

ويشتمل على :

المبحث الأول : الشكر والحمد

المبحث الثاني : الجزاء

المبحث الثالث : اثبات البعث

المبحث الرابع : الوحدانية والقدرة

المبحث الأول : الحمد والشكر

قال الله تعالى ((وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون))

الروم ١٨ .

وقال تعالى : ((ومن آيته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم

من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)) الروم ٤٦

ان الشكر والحمد من مظاهر الايمان بالله تعالى ، ومن مظاهر الاعتصاف

بوجودانيته وألوهيته ، وربوبيته ، جللت عظمته وقدرته .

فالشاكرون أطيب الناس نفوسا ، وأشرحهم صدورا ، وأقربهم عيوننا

، فان قلوبهم ملأنة من حمده ، والاعتراف بنعمه ، والاعتباط بكرمه ، والابتهاج

باحسانه ، وألسنتهم رطبة فى كل وقت بشكره ، وذكره ، وذلك أساس

الحياة الطيبة ونعيم الأرواح ، وحصول جميع اللذائذ والأفراح .

فالشكر مقرون بالمزيد ، وكفران النعم مقرون بالمحق والعذاب الشديد .

تعريف الشكر :

فالشكر فى اللغة مقابلة النعمة والاحسان ، بالشناء والعرفان . . .

وشكر الناس لله فى اصطلاح الشرع عبارة عن صرف نعمة فيما خلقت

لأجله من الحق والعدل والاحسان والبر وال عمران ، وكلاهما لا يظهر بالنسبة

الى الله تعالى اذ لا يمكن أن يكون لأحد عنده يد أو يناله من أحد نعمه

لشكرها له بهذا المعنى . (١)

ولا يكون الشكر كاملا الا اذا توفرت فيه أضرب الشكر الثلاثة وهى :-

- شكر القلب وهو تصور النعمة .

- شكر اللسان وهو الشناء على المنعم .

(١) تفسير المنار : ٤٦/٢ ، والوحي المحمدى ص ٢٩٤ .

- وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه (١).

ولذلك كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول :

الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لخالق الخلائق فى السر والعلانية (٢).

فمعرفة العبد بأن هذه النعمة منه وأداء فرائضه ، وحفظ جوارحه
عن مساخطه شكر لله تعالى ، والتكلم بالحمد اتمام الشكر ، فانه اعتراف
بأن هذه النعمة منه (٣).

ويقول الشيخ المراغى :

وكلمة الشكر من الكلم الجوامع التى تنتظم كل خير ، وتشمل كل ما يصلح به
قلب الانسان ولسانه وجوارحه ، فالذى لا يحب الله ولا يشهد قلبه
بأن مافيه من النعم انما هو من الله فضلا واحسانا ليس بشاكر ، والذى لا يثنى
على ربه ولا يحمده بلسانه ويخوض فى الباطل ويشتغل لسانه بلفو القبول
ولهو الحديث ليس بشاكر ، والذى يعطيه من المال ما يستعين به على
طاعته بصرفه فى وجوه الخير والبر ويبخل به أو يصرفه فى معاصى الله ليس
بشاكر (٤).

الفرق بين الشكر والحمد :

قال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

وقد اختلف العلماء فى الحمد والشكر ، فقال قوم وهم الجمهور : الحمد
هو ذكر مافى الانسان من مآثر الحسنة والصفات المستحسنة ، والشكر ثناء يقصد
به مجازاة المنعم ، ثم يقول : والذى أختاره أن الحمد أعم من الشكر ، فاذا

(١) مفردات الراغب ص ٢٧٢

(٢) كشف السرائر فى معنى الوجوه والأشياء والنظائر ص ١٧٩

(٣) نوارى الأصول للحكيم الترمذى ص ١٩٥

(٤) روح الدين الاسلامى لطبارة ص ١٤٤ .

حمدت أحدا ، ونويت بالحمد الشكر له على ما أسدى اليك من الانعام
والاحسان ، كان هذا الحمد هو الشكر لأنه مجازاة لصنيع ومكافأة لاحسان
، وهذا أعلى درجات الشكر والذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله ((الحمد رأس الشكر)) فهذا الحمد يطلق على الشكر ، ويطلق
الشكر عليه .

وان أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة الكاملة التي خلقه
الله عليها فهذا أخو المدح وهو أعلاه (١)

وقال القرطبي : والحمد أم من الشكر ، لأن الحمد يقع على الثناء
، وعلى التحميد وعلى الشكر ، فصار الحمد أم ، لأنه يزيد على الشكر
... ولأن الحمد يوضع موضع الشكر ، ولا يوضع الشكر موضع
الحمد . (٢)

فالحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة ، وهو أخص من المدح وأعم من
الشكر ، والشكر لا يقال الا في مقابلة نعمة خلافا للحمد فإنه يكسب
في مقابلة النعمة وغيرها ، فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكر . (٣)

وشكر المنعم في الجملة واجب بالعقل كما هو بالشرع ، وأوجبها شكر الباري
تعالى ، ثم شكر من جعله سببا لوصول خير اليك على يده ، ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)) . (٤)

(١) الفوائد المشوق الى علوم القرآن ص ١٩٤

(٢) تفسير القرطبي : ١١٧/١

(٣) مفردات الراغب ص ١٣٠ ، وكشف السرائر لابن العماد ص ١٧٩ .

(٤) الذريعة في مكارم الشريعة ص ١٨٠ ، والحديث أخرجه أبو داود عن

أبي هريرة : ٢٥٥/٤ .

أقسام الحمد والشكر :

والحمد لله تعالى على نوعين :

حمد هو شكر ، وذلك لا يكون الا على نعمة .

وحمد هو مدح وثناء عليه ، ومحبته له وهو ما يستحقه لنفسه سبحانه .^(١)

وينقسم الشكر الى قسمين :-

القسم الأول : شكر عام : مطلوب من العبد لله تعالى ، وهو العبادة

، وأعظم العبادة الصلاة ، لاشتمالها على الذكر والشكر .

والقرآن الكريم كثيرا ما يعبر عن العبادة بالشكر وانها كذلك . فلن

يشكر قلب لله حق شكره حتى يكون قد عبده حق عبادته ، ولن يعبده حق

عبادته حتى يكون قد شكره على كل نعمة أنعمها عليه ويقول الامام

ابن القيم رحمه الله تعالى :

((فالدين مبنى على قاعدتين الذكر والشكر ، وذكره يتضمن ذكر أسمائه

وصفاته وذكر أمره ونهيه ، وذكره بكلامه ، وذلك يستلزم معرفته

والايمان به ، وبصفات كماله ونعوت جلاله ، والثناء عليه ، بأنواع المدح ،

وذلك لا يتم الا بتوحيده ، وذكر نعمه وآلائه واحسانه الى خلقه . .

وأما الشكر فهو القيام له بطاعته ، والتقرب اليه بأنواع محابه ظاهرها

وباطنها فذكره مستلزم لمعرفته ، وشكره متضمن لطاعته . وهو سبحانه

ذاكر لمن ذكره ، شاكر لمن شكره))^(١) .

فهناك مئات وألوف من الطاعات هي الشكر على نعمة الله ، وفي النهاية

يصبح الشكر هو العبادة الحقة ، وهو اتباع ما أنزل الله .

فالله سبحانه وتعالى غنى عن عبادة العباد وعن شكرهم ، ومن تولى عس

العبادة والشكر فلن يضر الله شيئا ، ومن أقبل عليه شاكرا وهابدا فلن

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٢٧ .

يفيد الله شيئاً ، قال تعالى : ((ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون))
الذاريات ٥٧ .

والقسم الثانى : شكر خاص على نعمة من النعم تحصل للعبد فهو مجموع
ثلاثة أمور :-

- ١ - الاعتراف بالنعمة للمنعم عز وجل ، بذكرها منسوبة اليه .
- ٢ - حمده عليها باللسان ، والثناء عليه بها ، مادامت ثابتة له بنعم
بها بين الناس .
- ٣ - صرفها فى مرضاته ، والاستعانة بها على طاعته سبحانه وتعالى .

فمجموع هذه الأمور الثلاثة هى شكر النعم الخاصة ..

أصناف الشاكرين :

ما لاشك فيه أن نعم الله تعالى لا يحصيتها عد ، وأنها لا تتوقف عند حد
، يقول الله تعالى ((واتكمن كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانس لظلمون كفار)) (١) .

وفى هذه الآية الكريمة لفت القرآن الكريم الأنظار الى فضل الله عليهم
وما سخروا لهم ما فى السموات والأرض .
والناس أمام هذه النعم صنفان :

١ - صنف يدرك أثر النعمة ، وهو يرى مظاهر بر الله ورحمته ، ويحس
بها فى نفسه وفى بيئته ، وفى الكون من حوله ، فيتوجه بشكر الله وحسنه
والثناء عليه .

- وان منحه ربه علما صان به نفسه ، وقوى يقينه ، وبذله لخدمة دينه
ووطنه وهداية من حوله .

- وان رزقه أولادا نشأهم على الفضيلة ، وصانهم من خطر الفتنة والرذيلة ورباهم في جو اسلامي رشيد .

- وان آتاه الله مالا ، أعطى واتقى ، ومدق بالحسن ، يحمي بـه عرضه ووطنه ولا يجمعه الا بالوسائل المشروعة ، والكسب الشريف .

- وان آتاه الله جاهها وسلطانا يسع الناس بأخلاقه وعدله ، فلا يأخذ ماله بفساد ، ولا يجحد ما عليه ، ولا يتورط في خيانة أو ظلم وانما يراقب الله في كل أمره .

هذه النماذج المؤمنة تزيدها النعم تقربا الى الله ، وترجم عن شكرها له بمالح الأعمال وشرف السلوك ، وصفاء النفوس ، وتقوى القلوب ، دون أن يكون أسلوب الشكر قاصرا على كلمات الحمد والثناء ، وتحريك اللسان بالتضرع والدعاء ، ولكنهم بجانب ذلك تفيض قلوبهم ايمانا بالله ورحمته بخلقه ، وتغطين أعينهم ما حرم الله ، وتنسبط أيديهم باغاثة ملهوف ، أو مواساة محروم .

هذا الصنف من الناس تسعد بهم الحياة ، ويفوزون بحسب الله والناس وأولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . .

٢ - أما الصنف الثاني فقليل ما يلتفت الى نعمة الله وهي تحيط به وتفمسه في كل لحظة من لحظات عمره ، فلا يحس بنعمة الصحة الا حين يصيبه المرض ولا يعرف قيمة المال الا اذا سلب منه ، يغفل عن تربية أولاده ، ولا يعنى بشئون بيته وأهله ، مهما تعرضوا للتمزق والقلق والضياع ، وانما تعلم دعا بعلمه الى الفجوة والاثم ، أو استعمله في محاربة الفضيلة ، والأخلاق الكريمة .

وأمام نعمة المال يحبس عن وجوه الخير ولا يبذل منه حق الله والناس غير حاسب لله حسابا ، أو ناظر الى غضبه أو رضاه ، يدور به حول نفسه ، حول شهواته ، ونزواته ، حول جسده وتوفير مطالبه كالأنعام

همها اشباع الجانب الحيوانى المحض ، هذا الصنف من الناس فى حياته
يعيش معزولا عن المجتمع ، ويتجنبه الناس اتقاء شره ، وان مات لا يحس
بفقدته أحد . .

فعدم شكران النعمة وكفرانها يترتب عليها عدم الانتفاع بها وسلبها
منه ، والحساب عليها فى الآخرة .

وقد أخبر القرآن الكريم بأن خراب الأمم كان سبب كفران النعم وعدم
الشكر لله ، قال تعالى ((وضرب الله مثلا قرية كانت ^{أمنة مطمئنة}
يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع
والخوف بما كانوا يصنعون)) النحل ١١٢ .

وذكر القرآن قصة سبأ ((لقد كان لسبأ فى مسكنهم ^{أية} جنتان عن يمين
وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا
عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى ^{أكل} ^{خبط} وأشسل
وشى ^{من} سدر قليل ، ذلك جزينهم بما كفروا وهل ^{نجزى} ^{الا} الكفور)) ،
سبأ ١٥- ١٧ .

فالشكر من الدعائم لسعادة الأمم ، والتكبر عنه لا يجلب الا الدمار
والخراب ، وحبذا لو فهمته الشعوب ، وعلمت به لتحصل على السعادة
التي تنشدها وهى عنه غافلة .

مظاهر كفران النعمة :

وأما الكفر بالنعمة فقد يكون بعدم شكرها ، أو بانكار أن الله واهبها
أو بنسبتها الى علمه وخبرته ، ومعرفته بوجوه المكاسب ، والكذب الشخصى
، أو بنسبتها الى وجاهته ، وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر ، والكبر على
الناس ، واستغلالها للشهوات ، والفساد ، وكل ذلك كفر بنعمة الله يترتب
عليه آثار سيئة فى الدنيا والآخرة ، من نقم وبلايا وعذاب شديد ، وقسود

يتضمن محق النعمة عينا بذهابها أو سحق آثارها الطيبة والتمتع بها ففى شعور الانسان ، فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها وتكون عذابا ووبالا تقضى مضجعه ليلا ونهارا .

أو قد تكون عذابا مؤجلا الى أجله فى الدنيا والآخرة ، فالكفر بأنعم الله جزاء ووبال على الانسان المنصف به .

مظاهر الشكر وأثره فى المجتمع :

الشكر والايان صنوان ، والكفر وعدم الشكر صنوان .

وليس الشكر كلمة تقال باللسان : شكرا لك يارب ، كما أن الايمان ليس

كلمة تقال باللسان ، أشهد أن لا اله الا الله .

كلا ، ان الشكر سلوك عملى ، كما أن الايمان سلوك عملى ، ((اعملوا

ال داود شكرا وقليل من عبادى الشكور)) سبأ ١٣ .

ومنفعة الشكر لا تعود على الله سبحانه ، فانه لا ينتفع بشكر الشاكرين

، ولا يتضرر بكفر الكافرين ، وانما منفعة الشكر عائدة على الشاكر ، فهو

يطهر النفوس ويقربها من الله ، ويوجه ارادتها الى الوجهة الصالحة

فى انفاق النعم فى وجوهها المشروعة .

فالشكر على النعم تحتاج الى شكر ، فمن كرمه سبحانه أن سمسى

احسانه على العاملين شكرا لهم ، مع أن عطيم لا يجلب له نفعا ولا يدفع

عنه ضرا ، وهذا انعام منه عليه ، وفضلا منه اليه .

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى :

ان شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس فى النفس البشرية ، فالخير

يشكر ، لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعى فى الفطرة المستقيمة .

ثم ان النفس التى تشكر الله على نعمته ، تراقبه فى التصرف بهسذ

النعمة ، بلا بطر ولا استعلاء على الخلق ، وبلا استخدام للنعمة فى

الأذى ، والشر ، والدنس ، والعناد .

وهذه وتلك ما يركى النفس ، ويدفعها للعمل الصالح وللتصرف الصالح
فى النعمة بما ينميها ، ويبارك فيها ويرضى الناس عنها ، وعن صاحبها
، فيكونون له عوناً ، ويصلح روابط المجتمع فتتم فيه الثروات فى أمان .^(١)

إن شكر النعمة والمكافأة على المعروف من أركان العمران ، وترك الشكر
والمكافأة مفسدة لا تضاهيها مفسدة ، إذ هى مدعاة ترك المعروف
، كما أن الشكر مدعاة المزيد ، ولذلك أوجب الله علينا شكره ، وجمع
ذلك فى مصلحتنا ومنفعتنا ، لأن كفران نعمة باهمالها ، أو بعدم استعمالها
فيما خلقت لأجله ، أو بعدم ملاحظته أنها من فضله وكرمه تعالى . . كل
ذلك من أسباب الشقاء والبلاء .^(٢)

وأما تركنا شكر الناس وتقدير أعمالهم قدرها سواء كان عطيم النافع موجهها
الينا أو الى غيرنا من الخلق ، فهو جناية منا على الناس ، وعلى أنفسنا
لأن صانع المعروف إذا لم يلق الا الكفران ، فإن الناس يتركون عمل
المعروف فى الغالب ، فنحرم منه ، ونقع مع الأكثرين فى ضده فنكسون
من الخاسرين .

والشكر فى الغالب يؤثر فى همة المخلصين وفى أعمال الذين لا يريدون جزاء
ولا شكورا ، ذلك أنهم يرون عطيم نافعاً ، فيزيدون منه ، كما أنهم
إذا رأوه ضائعاً يهون عنه .^(٣)

علاقة الشكر بالدعوة الى الله تعالى :

ان الله سبحانه وتعالى منح الانسان جسداً ، ومنحه عقلاً مفكراً ، ومنحه
بصراً وسمعا ، ومنحه مالا ، ونعماً لا تحصى ، كل واحدة منها تستحق

(١) فى ظلال القرآن : ٢٠٨٩/٤

(٢) تفسير المنار : ٤٧/٢

(٣) تفسير المنار : ٤٧/٢

الشكر المستقل لكل نعمة ، كما أوجب على العباد شكره وحمده على هذه
النعم ، التي لا تحصى ، ونهاهم عن كفرانها فليس الشكر هولفظ
الشكر كما سبق ، بل إضافة السلوك العظمى على اللفظ ، فإذا كان
الشكر الكامل قد أوجبه الله على عباده كلهم ، فأولى الناس بتطبيق ذلك
وأخذه مأخذ الجد هم الدعاة إلى الله تعالى عزوجل ، بحمل أنفسهم
عليه ، وتوجيه الناس إليه وتعريفهم به فينبغى للداعية أن يكون عارفا
بحقيقة الشكر فيؤديه لأنه أكثر مسئولية عند الله من غيره ، فيؤدي حقوق
النعم التي أنعم الله بها عليه ، ويدل عباد الله إليه .

ولهذا نجد القرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى التفكير والتعرف على نعم
الله التي لا تعد ولا تحصى ، ويوجهنا إلى أن نقدرها قدرها ، ونشعر
بفضل الله علينا ، ونقوم بواجب الحمد والشكر له على ما أنعم ، فما أجدرنا
أن نقف عند هذه الآيات وقفة تدبر لنزداد شعورا بفضل الله وكرمه ، وتقصيرنا
في واجب الشكر ، وضرورة استعمال هذه النعم في طاعته والبعد به
عن معصيته .

فأعظم النعم هي نعمة الاسلام ، قال تعالى ((ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)) آل عمران ، ٨٥ .

فأكثر المسلمين ورثوا الاسلام دون جهد منهم ، ولم يحاولوا التعرف
على ما يحققه لهم من خير في دنياهم وآخرتهم ، فنعمة الاسلام هي كل شيء
، وما عداها لا شيء ، وما أحوجنا أن نردد دائما حمدنا لله على هذه
النعمة بقوله تعالى ((الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله)) الأعراف ٤٣ .

ومن هذه النعم نعمة الأخوة في الله وما يتبعها من البر والتناصح والتذكير
بالخير والتكافل والمودة والرحمة ، فحياة الأمم التي يملأ قلوبها الحقد
والقتل والشحناء والبغضاء حياة لا تطاق وكلها هم وغم وكره والعيان بالله .

ومن هذه النعم نعمة العقل والسمع والبصر والنطق واللسان والأيدى والأرجل والراحة والنوم والزوجة والأولاد ، فلو فقد احداها الانسان أو تصـور فقد انـها ، أى تغير سيطراً على حياته فى عمله ، فى سلوكه ، فى علاقاته ؟ ، وهذه النعم التى يحتاجها الجسم من غذاً وماً وهواً ، ونباتات وحيوانات ، ولو فقدت وحرمتنا الله منها لتعرضنا الى الموت والهلاك .

فسرد نعم الله تعالى علينا ما لا يمكن حصره ، فالانسان فى نعمة فى سكونه ، وفى حركته ، وفى مسكنه ، وفى سوقه .

وهذا كله يدل على فضل الله علينا وجميل احسانه ومدى فقرنا اليه سبحانه . وهذا يدفعنا الى تعظيم الله واجلاله وطاعته وحمده وشكره وحسن عبادته وعدم الجراة على استعمال نعمه علينا فى معصيته ، ولو أمسك الله رحمته عن انسان لتحولت هذه النعم الى نقم يشقى بها ويأثم بسببها .

ومن ذلك النظر فى الكون ، وما فيه من عجائب قدرة الله ، وفى ذلك تحريك للوجدان لشكر الله تعالى ، لأن الاعتراف بالمنعم شكره وايمان به ، وبذلك يتحول الانسان وينتقل أمام نفسه من حالة الجهل الى حالة العلم ، وبذلك يحس بقدر النعمة أكثر من ذى قبل احساساً بقيمة التعممة الربانية التى لا تعد ولا تحصى .

فينبغى على الدعاة الى الله عز وجل دعوة الناس الى الايمان بموجد هذا الوجود وبانعامه وأفضاله التى ترى بالعين المجردة وبالعقل الواعى لأن الغفلة شىء ملازم للانسان ، فاذا ذكر فسرعان ما يرجع اليه عقله الواعى ويتراجع عن غيه وسدره فى الغفلة .

المبحث الثالث الجزء الاخرى

قال تعالى :

(الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ، ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون ، ولم يكن لهم من شركاءهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم
(١)
كافرين)

وقال تعالى :

(٢) (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) .

وقال تعالى :

(٣) (فاما الذين آمنوا وعملوا الصلحت فهم فى روضة يحبرون)

وقال : (واما الذين كفروا وكذبوا بايتنا ولقاى الآخرة فأولئك
فى العذاب محضرون) . (٤)

ان أعمال الانسان محصاة ومسجلة عليه ، وأنه سوف يواجه بها
يوم القيامة فيؤاخذ به الله بما قدمت يداه فاما الى الجنة واما الى النار .

فما من حركة يتحركها الانسان ، او قولة يتلفظ بها ، او فكر يمر
فى خاطره الا وله رد فعل سار ومبهج او مؤلم ومحزن ، نافع أو ضار
أو بالاحرى ثواب وعقاب . فكل مخالفة للفطرة السليمة فانها تؤدى
بالانسان المخالف الى الحسرة والالام ، كمن يقذف بنفسه من شاهق
أو يرتقى تحت عجلات قطار أو يشرب سما ، أو يحرق نفسه بالنار .

(١) الروم (١١ - ١٣)

(٢) الروم (١٤) .

(٣) الروم (١٥) .

(٤) الروم (١٦) .

فى الوقت الذى يؤدى فيه التوافق مع سنن الفطرة والالتزام بالسنن
الالهية الى قواعد الصحة والغبطة والمسرة ، وطول العمر فمن الاصول
الاعتقادية فى الاسلام ، الايمان بالجزاء فى اليوم الآخر ، وأن الدنيا
مزرعة الآخرة وأنها دار مرر وفيها توفى كل نفس ما كسبت ، وتجزى بما
عملت وكذلك الايمان بأن هناك داراً لمثوبة الابرار ، فيها من النعم
— المادى والروحى — ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
(فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) (١)

وهذه هى الجنة . ودارا اخرى لعقوبة الفجار فيها من العذاب الحسى
والمعنوى ما لا يقدر عليه الا الله ، وهذه هى النار التى اعدت للكافرين
وحذر الله منها عباده المؤمنين ، قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس
والحجارة) . (٢)

وكان شداد بن أوس رضى الله عنه يقول : " انكم لم تتروا من
الخير الا اسبابه ، ولم تتروا من الشر الا اسبابه ، الخير كله بحذافيه فى
الجنة ، والشر كله بحذافيه فى النار وان الدنيا عرض حاضر ، ياكل
منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، لكل بنون
فكونوا من ابناء الآخرة ، ولا تكونوا من ابناء الدنيا " . (٣)

والقرآن الكريم كثرت فيه الآيات التى تقر ان الانسان محاسب
على اعماله ونياته باللون شتى من طرق العرض الكثيرة ، فمن صور القرآن

(١) سورة السجدة (١٧)

(٢) سورة التحريم (٦) .

(٣) القصاصى والمذكرين لابن الجوزى (ص ٦٩) .

والذى يعرض موقف الحساب والجزاء ، قوله تعالى :

(اذا زلزلت الارض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال
الانسان مالها ، يومئذ تحدث اخبارها بأن ربك أوحى لها ، يومئذ
يصدر الناس أشثاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره) . (١)

لذا فان من اصول العقائد التى اجمعت عليها الشرائع السماوية
بعث الناس وجزاؤهم على ما قدموا فى هذه الحياة .

وقد كان النزاع فى ذلك الاصل كبيرا ، ولا يزال فريق من الناس
ينكرون ان لهم حياة وراء هذه الحياة ، وقد اكثر القرآن الكريم من الرد
على هذه الطائفة التى تنكر البعث واقام عليهم الحجة تلو الحجة واراها
انهم يشاهدون عملية البعث تتكرر على مرأى منهم كل يوم اذ يرينا ان من
آيات الله ان ترى الارض خاشعة يابسة ، فاذا انزل الله عليها الماء
اهتزت وربت وان ذلك حياة لها بعد الموت وان الذى احيها هو الذى
يحي الموتى . (٢)

فاصلاح القرآن لهذه العقيدة ما فعل فعله العاجل فى شعب
كبير الا بتكرار التذكير بها فى القرآن بالاساليب العجيبة التى فيها من
حسن البيان وتقريب البعيد من الاذهان ، تارة بالحجة والبرهان
وتارة بضرب الامثال . (٣) قال تعالى : ((ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ، ولم
يكن لهم من شركائهم شفعوا وكانوا شركائهم كافرين . ويوم تقوم الساعة يتفرقون
فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا
بنايتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون)) . (٤)

-
- (١) سورة الزلزلة
(٢) دعوة الرسل للشيخ محمد العدوى (ص ٣٨٣) .
(٣) الوحي المحمدى لرشيد رضا (ص ١٧٨) .
(٤) سورة الروم (١٢ - ١٦) .

فى الآفة مشهد المجرمين تبغتهم الساعة فىسكتون سكوت الفاءس
الذى فحسان لا فائفة لحدفئه ، ولا جدوى لمحاولة ، ثم لا ففدون من
شركائهم الذفن عبدهم فى الدنيا شفعا؁ بل ففكر بهم شركاءهم وفنكفرون
صلتهم بهم انكار الجحود ، ثم فففرق الناس فرققن الذفن آمنوا فى روفة
تملأنفوسهم ووجوههم بشرا وحبورا ، والذفن كفروا فحضرون الى العذاب
احضارا على كره منهم واضطرا . (١)

فالآفاء فىها لفت الانظار الى اساس الجرفة التى اسحقوا بها
العذاب؁ من ذلك الكذب على الله والتكذفب بآفاءه .

فافتراؤهم على الله الكذب انهم اتخذوا شركاء لله وشفعا؁ وهى
الكاذفب مفتراة على الله بففر علم ، وهى تصدر عن لون من الاجرام فبفث
فسحق عليه اصحابه اشد العذاب .

واما تكذفبهم بآفاء الله فذلك صادر عن تكذفبهم للآفاء الكونفة
ففى ففقطعونها عن دلالتها ، وفباعدون بفنفا وبن نتائجها وفقفون
منها موقف الجمود والاستكبار وعدم الاعتبار بالاضافة الى تكذفبهم بالآفاء
القولفة ، كما كانوا فقولون عن الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن .

وفى الآفة تصوفر حال الذى سقق فىه الظالمون المكذبون ، ولكنها
تمضى فى لون آخر من التوفوف وتحررك النفوس عن طرفق الموازنة بففن
احوالهم واحوال المؤمنن بالدعوة العاملن بمقتضى الايمان .

واول ما نراه فى هذه الموازنة هو اختلاف مصفر المؤمنن ومصفر

الكافرفن .

(١) مشاهد القفامة فى القرآن لسفد قطب (ص ١٩٦) .

والمؤمنون مصيرهم الى الجنة ، ذلك المأوى العظيم المزود بكل
اسباب النعيم والترف والرفاهية ، والصفاء الروحي والفرح والسرور والحبور
مقابل مآل الكافرين المتصفين بالصفات الكريهة من الكفر والكذب

وانكار لقاء الآخرة فهؤلاء معذبون فى جهنم .

فالقرآن بذلك يبرز هذين الموقفين :

موقف الكافرين المكذبين بالآيات ولقاء الآخرة .

وموقف المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات عن طريق الموازنة
والمقابلة ، لما فيه من اثاره العوامل النفسية التى ترجع الى حب الانسان
نفسه وحرصه على أن يفوز بالخير ، وينجو من الشر ، وان يكون فى صف
السعداء الفائزين ، لا فى صف الاشقياء الخاسرين .

وهكذا يرفع المؤمنون باعمالهم ، ويكرمون بذكرها واحتسابها
لهم ، ويخفض الكافرون باعمالهم ويهانون ويقرعون باحتسابها عليهم
واذاقتهم العذاب بسببها .

وفى ذلك زيادة تبكيت للكافرين وايقاع الحسرة فى قلوبهم
اذقاتهم ذلك الجزاء العظيم مع انه كان فى وسعهم ادراك ما فعله
المؤمنون ولكنهم لم يفعلوه .

فى الآيه الكريمة اذن صورتان متقابلتان ، صورة المؤمن الذى
تجاوز الخطر وادخل النعيم ، والكافر الذى وقع فى الخطر فنج به فى
النار/كلتاها صورة حية شاخصة حافلة بالحركة والحياة .

وفى رسم صورهم هم انفسهم فى العذاب يوم القيامة طريقة مفرعة
لهم ، تتجاوز اذهانهم المنكرة ، لا تخاطبها اصلا ، ولا تدخل فى
جدل معها ، انما تقتحم عليها انكارهم ومن اصر على انكاره فلينظر

ماذا يفعل بامثاله .

فان الانسان بطبعه يعقد بين نفسه وبين بطل القصة المعروضة مقارنة خفية — واعية او غير واعية — فان ناله خير تمنى ان يكون مكانه وان ناله شر تمنى ان يكون هو فى نجوة منه .

ومن هنا يدخل التأثير فى قلوب اولئك المعاندين حين يسرون امثالهم يعذبون فى نار جهنم ، ويرون المؤمنين ناجين فى النعيم فتقفو قلوبهم الى المشاركة فى ذلك النعيم ، والفرار من ذلك الجحيم وينسون فى غمرة التأثير انكارهم للبعث او على الاقل يهتز موقفهم منه فتلين قلوبهم للتسليم . (١)

وفى عرض صور المكذبين وصور المؤمنين يوم القيامة على المتفرجين هنا فى الدنيا ، ليرى المكذبون صور امثالهم فى عذاب جهنم ، بل صورهم هم على الحقيقة .

وجمعت الآية كذلك بين مشهد العذاب ومشهد النعيم فى سياق واحد، دعوة للمؤمنين لمشاهدة تلك النماذج العجيبة من البشر ويتعجبوا من انطماش بصيرتها . . . فيزيدهم ذلك تثبتا وايمانا بقضية البعث .

والهدف المقصود من هذا التعبير هو ان يبرز للناس وهم يقرأون القرآن مصيرهم يوم القيامة مجسما واضحا بحيث يستيقنون من هذا المصير ، فيؤثر ذلك فى سلوكهم الحاضر فيؤمنون ويعملون الصالحات وينعموا بهذا النعيم الذى يرونه مجسما امامهم ، ويتركون ما يجر عليهم العذاب الذى يشاهدونه مجسما كذلك .

(١) دراسات قرآنية لمحمد قطب (ص ٧٤) .

الايان بالجزاء واثره فى حياة المسلم

ان الايمان بالجزاء من اكبر شعب العقيدة خطرا ، واشدها اثرا فى حياة الناس ، لأن الآخرة دار الجزاء الاوفى والابقى ، وان رجاء الآخرة وأجرها العظيم لهو سر امتياز المؤمنين من دون سائر الناس بالاستعداد للبذل والعطاء ، وهو سرفاعلية الايمان فى تجديد طاقات البشر وتعبئتها بصورة هائلة . لان أشد المؤثرات الدافعة للاجتهاد هو ان يؤمن الفرد باجر فى الآخرة ثابت يصيب صاحب الجهد ذاته لا يضيع ولا يتفرق من حوله . (١)

الايان بالجزاء ضرورة بشرية

لا يكاد البشر ينبعث بشيء الا رجاء منفعة يلتذ بها ويسعد ، ولا يكاد ينكف دون حاجته الا خوفا من ضرر يؤلمه ويشقيه ، ذلك حسب تقديره وترجيحه لاحتمالات وقوع النفع او الضرر .
فالفرء فى حركته وانضباطه وسلوكه يدور بين الرجاء والخوف يتمثلان فى مواقف متعددة نحو مختلف الرغائب والمخاطر الحسية والمعنوية اوفى التزامه بمبدأ اشمل يهدى الى الوجهه العامة لمقاصده .
اما الجماعة فتتخذ كذلك مواقف لجلب المصالح المرغوبة ، ولدرء المفاسد المخوفة فى تقويمها الغالب ، كما تضع سياسات شاملة تتوخى تحقيق المصالح العامة ، وتوفيق مصالح الافراد ، ثم تفرض على افرادها مراعاة تلك المواقف والسياسات بان تقرنها باجراءات ترغب الطائعين بالمكافأة ، وتردع الخارجين بالغرم والعقاب فحاصل الامران الجزاء .

(١) الايمان للترايبى (ص ٨٤-٨٥-٨٦) بتصرف .

هو العامل الاساسى الذى يحكم سلوك الانسان دافعا ووارعا مما يثير فى نفسه من ترجى السعادة أو تخوف الشقاء . (١)

وإذا كانت الحياة عاجلها وآجلها خطأ فان اولى المراحل تختص اساسا بالعمل ، ولا يستوفى الجزاء كاملا الا فى الدار الآخرة .

فالجزاء الربانى فى الدنيا لا يغنى عنها جزاء الآخرة فى التأشير بالخوف والرجاء على سلوك الناس وتجنيد قدراتهم للارتقاء بالحياة ، وذلك :

اولا : لان الجزاء قد لا يقع فى الدنيا بالغا قدره الوافى والا اضطربت شئون الحياة الدنيا التى هيأها الله لتكون مرحلة ابتلاء (٢) قال تعالى :

(ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) (٣)

فقد يكون الجزاء فى الدنيا جزئيا ناقصا ، ومشوبا لا خالصا ، ولا يكون عاما كاملا مطردا لقصر اعمار الافراد ، وهذا من ادلة البعث وجزاء الآخرة الذى يظهر فيه عدله تعالى كاملا شاملا ، كما دل على أن الحكمة الربانية تقتضى ان يكون فى حياة ثانية بعد هذه الحياة الدنيا فكل ما يدل على ربوبيته تعالى وحكمته وعدله يدل على البعث والجزاء لأنه من لوازمها . (٤)

ثم ان الحكمة ايضا تقتضى ان يكون للناس حياة ينتصف فيها المظلوم من الظالم ، والضعيف الذى استغل ضعفه فى هذه الحياة

-
- (١) الايمان للترايبى (ص ٧٣) .
 (٢) الايمان للترايبى (ص ٨٢) .
 (٣) سورة النحل (٦١) .
 (٤) تفسير المنار (٢١٤ / ١٢) .

الدنيا من القوى الذى ناله شيء من اذاه ، والله تعالى يريدنا ان ترك
الناس بلا بعث ولا نشور هو ضرب من السفه الذى يتنزّه الله عنه ، فكان
من الواجب بمقتضى حكمة الله وعدله ان ينشر اجسام الناس من قبورهم
ويعيد اليهم حياتهم ، ليحصدوا فى تلك الحياة ما زرعوا فى الدنيا ،
ويجنوا ثمار ما قدموا . (١)

(اِحْسَبِ الْاِنْسَانَ اَنْ يَتْرَكَ سُدًى ٣٦ الْم يَك نَطْفَةً مِنْ مَنًى
يَمْنًى ٣٧ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوًى ٣٨ فَجَعَلَ مِنَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ
وَالْاُنْثَى ٤ . اَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلًى اَنْ يَحْيِيَ الْمَوْتَى) (٢)

ثانياً : ان جزاء الآخرة اوفى وابقى واشد هولاً من كل ماتعهده
الناس من صور الالم فى الدنيا ونعيمه فوق ما يخطر لهم على بال . (٣)
قال تعالى :

(فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضَ اِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ اِنْ رَبُّكَ فَعَّالٌ لَمَّا يُرِيدُ
وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ففى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضَ اِلَّا
مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ) (٤)

لذا فقد اجمع على الاخبار به جميع الانبياء وانه يكون فيها
الحساب والجزاء ، والنعيم والعذاب والسعادة والشقاء ويكفى هذا
الطريق وحده لاذعان العقل وتصديقه بهذه الحقيقة الكبرى التى التقت
عندها النبوات والديانات السماوية .

-
- (١) دعوة الرسل للعدوى (ص ٣٨٣) .
(٢) سورة القيامة (٣٦ - ٤١) .
(٣) الايمان للترابى (ص ٨٢) .
(٤) سورة هود (١٠٦ - ١٠٨) .

ويقول الشوكانى : " والحاصل أن المعاد الجسمانى واثبات
تنعم الاجساد فيه بالمطعم والمشرب والمنكح وغير ذلك ، او تعذيبها
بما اشتمل عليه القرآن من تلك الانواع المذكورة امر اتفقت عليه الشرائع ،
ونطقت به كتب الله عز وجل سابقها ولاحقها ، وتطابقت عليه الرسائل
اولهم واخرهم ولم يخالف فيه احد منهم وهكذا اتفق على ذلك جميع اتباع
الانبياء من اهل الملل ولم يسمع عن احد منهم انه انكر ذلك قط " . (١)

الاثـر النفسى للايمان بالجزاء :

ان لعقيدة الانسان فى مصيره اثرا كبيرا فى تحديد سلوكه
فهو اشبه براكب سفينة يريد الوصول الى بر الامان ، يختلف سلوكه وتصرفه
داخل السفينة حسب ما يعتقد من الجزاء فى حياة آخرة ، أو حسب
ما يعتقد به بأن ليس وراء الموت شىء وانما الفناء المطلق .

ان اعتقاد الانسان بالجزاء ، واستحضاره الدائم له وتصوره
المستمر للمصير والجزاء ، وللنعيم والشقاء الابديين اثر كبير فى سلوكه
واستقامة طريقته ، سواء فى نفسه أو مع الناس او فيما بينه وبين ربه وخالقه
المنعم عليه .

ولذلك فان فكرة رعاية الآخرة ، والاستعداد للحساب والجزاء ،
تقترن فى القرآن مع كل امر أو نهى ، ومع كل حكم من احكام الشريعة
وكل توجيه اخلاقى (٢) بالاضافة الى التشويق الذى يصوره القرآن لنعيم
المتقين ، وسعادة المؤمنين ، فيحس المرء برد الراحة يدخل اليه ،

(١) ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع والمعاد والنبوات للشوكانى
(ص ١٤ - ١٩) .

(٢) نظام الاسلام - العقيدة والعبادة لمحمد المبارك (ص ١٣٥) .

ويشعر بالغبطة والسرور تملأ جنبه وبالسعادة تسرى فتحل اخطار نفسه
فتفعمه طربا ونشوة وروحا .

ثم تصويره للشقاء الذى سيحل بالطغاة والعذاب الذى اعدده الله
للعصاة والمذنبين ، فتترعد الفرائص وتضطرب المفاصل وتختلج الاعضاء
ويزائل النفوس ما يسكنها من طمأنينة ووقار واتزان .

ومن ذا الذى يسمع هذه الآيات ثم لا يشعر بالراحة والنعيم
المقيم أولا ، ثم لا يستحضر الشقاء المقض والعذاب المنمض آخرا ،
وما ذاك الا للبراعة الآخذة بمجامع القلوب ، والتصوير الدقيق بين الرغبة
والرهبة .

والاثر النفسى للايمان بالجزاء لا يمكن حصوله الا بمفهومين :

الأول : مفهوم الفوز والفلاح :

لأن لهذا المفهوم وما ترتب عليه من ميزان اثر خطير جدا فى
واقع المسلمين ، ولأن هذا المفهوم فى نظر الاسلام أكبر من الحصول على
شىء من اغراض الدنيا ومتاعها القليل ، انه النجاة من عذاب الله والظفر
بالجنة حيث النعيم الدائم المقيم (كل نفس ذآئقة الموت ، وانما توفون
اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة
الدنيا الا متع الغرور) (١)

ان هذا الفوز هو الفوز الحقيقى فى ميزان الاسلام وفى ميزان
العقل وميزان الحساب ، اذ لا يستطيع عاقل ان يكابر فى هذه الحقيقة
ويقلب الموازين الفطرية فى الانسان ، وما قيمة ما يحوزه الانسان فى عمره
القصير من نعيم الدنيا القليل بالنسبة الى ما ينتظر الفائز من نعيم دائم
مقيم . فتبيان هذا الفوز الحقيقى وبيان وسائله وترغيب الناس اليه وتشويقهم

الى الحرص عليه واجب العلماء والدعاة الى الله .

ثانيا : مفهوم الخسران :

ومفهومه عند الناس هو انتقاص رأس المال فى المقتنيات الخارجة
كالمال والجاه فى الدنيا وهو الاكثر .

ولكنه فى المقتنيات النفسية اولى والصق كالصحة والسلامة والعقل
والايمان والثواب وهو الذى جعله الله الخسران المبين . (١)
قال تعالى :

(الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا ذلك هو
الخسران المبين) (٢)

وقال : (ومن يكفر به فأولئك هم الخسرون) (٣)

قال ابن منظور :

والخسارة : الضلال والهلاك ، وقال الفراء فى قوله تعالى
(والعصران الانسان لفى خسر) اى لفى عقوبة بذنبه وان يخسر
أهله ومنزله فى الجنة . (٤)

وأعظم أبواب الخسران الاشرار بالله تعالى والتكذيب بالرسال ،
فتبع ذلك كل الموبقات والمهلكات وعلى رأسها جحد الحق من انكار
البعث والحساب والجزاء على الاعمال .

وقد وردت آيات فى القرآن كثيرة بأن العذاب يوم القيامة

(١) مفردات الراغب (ص ١٤٨) .

(٢) سورة الزمر (١٥) .

(٣) سورة البقرة (١٢١) .

(٤) لسان العرب (١ / ٨٢٩) .

تكون بالنار وقد اطلق القرآن على النار سبعة اسماء وهى : جهنم ،
الهاوية ، الجحيم ، سعير ، سقر ، لظى ، الحطمة (١)

ولقد كان اعظم آيات الجزاء تأثيرا فى نفس العرب وصف نعيم
الجنة وعذاب النار ببلاغته العجيبة فى المبالغة التى امتازت بها لغتهم ،
وفيهما ما يدل على انها غيبية مخالفة للمعهود فى الدنيا . (٢)

فالجزاء الأخرى بالنسبة للكافرين هو النار .

وبصور الله شدة عذاب الآخرة بصورة تقشعر منها الابدان فهو
عذاب لا تتحمله النفس ولا تطيقه فاحرى بالمؤمن ان يسعى الى اجتنابه
باطاعة اوامر الله واجتناب سخطه ، هذا العذاب الذى يصوره الله
فى قوله (ان الذين كفروا بما آتينا سوف نصليهم نارا ، كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) (٣)

هذه الآية تبين بأن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلودا
غيرها ، والسبب فى ذلك ان اعصاب الالم هى فى الطبقة الجلدية ، وأما
الأنسجة والعضلات والاعضاء الداخلية فالاحساس فيها ضعيف ، ولذلك
يعلم الطبيب ان الحرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث الماشديدا
بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد الى الانسجة لانه مع شدته
وخطره لا يحدث الما كثيرا ، وهنا تظهر حكمة الله قبل ان يعرفها
الانسان وكان الله عزيزا حكيما . (٤)

(١) روح الدين الاسلامى لطبارة (ص ٩٠) .

(٢) الوحي المحمدى (ص ١٨٣) .

(٣) سورة النساء (٥٦) .

(٤) روح الدين الاسلامى (ص ٩١) .

فاذا كان هذا العذاب ظاهرا فى جلودهم فقد اعد الله لهم
 عذابا فى اجوافهم ايضا اذ يسقون الشراب المحرق، ويطعمون الضريع والزقوم
 ولا يمكن ان يوصف ما يصاب اجوافهم من الالم فالنار بمفهومها
 وهمومها تقابلها رؤية هؤلاء لأهل الجنة فى نعيمهم وسرورهم وهذا هو
 العذاب الذى يقاسيه الكافرون والذين يطلبون المخرج باى ثمن ويصف
 الله سبحانه هذا الشعور لديهم بقوله :

(ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه
 ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم) . (١)

المبحث الثالث

اثبات البعث

قال تعالى :

(وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل

الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) (٢٧ الروم) .

قال تعالى :

(الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون) (١١ الروم) .

(فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك

لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير) (٥٠ الروم) .

البعث لغة :

التحرك والاثارة .

وشرعياً :

اعادة الابدان وبعث الارواح فيخرجون من الاجداث احياء

مهطعين .

والاعادة بعد الممات : هو أن يعيد الله الخلق بعد ما استحالت اجسامهم

الى غيرها ، فيعيدها من تلك الاجزاء التى انقلبت واستحالت اليها ،

خلقة كاملة مخلوقة للبقاء ، لان النشأة الأولى خلقة فساد وفناء^(١) .

والبعث بعد الموت من الأمور الغيبية التى لا يمكن للعقل ابتداء

أن يتوصل الى معرفته الا بعد رسوخ الايمان بالله تعالى وبرسوله .

ومن رحمته سبحانه وتعالى ان بعث الى خلقه رسلا مؤيدين بما يشر

اليقين فى النفس بصدقهم ، ثم تصديقهم فى كل ما جاؤا به ، وانه من عند

الله تعالى .

(١) الكواشف الجلية عن معانى الواسطية (ص ٤٩) .

ومن جملة ما أخبروا به البعث بعد الموت وما يتبعه من الحساب والجزاء .

وهذا ما اتفقت دعوة الرسل جميعا على ان هناك حياة أخرى غير هذه الحياة وان الله قد جعل دار الجزاء على الاعمال الصالحة والاعمال السيئة .

وتهدف آيات البعث فى القرآن الكريم الى هدفين :

الأول : دعوة المشركين الى الايمان ، والاستدلال على قدرة الخالق سبحانه وتعالى عليه وازالة استبعادهم له ، ثم تقريبه الى ادراكهم بضرب الامثال له .

الثانى : لتذكير المؤمنين به ترغيبا وترهيبا .

وعنى القرآن بهذه العقيدة لانها اصل عظيم من اصول الصلاح والاصلاح فى العالم فلو أن الناس جميعا قد استقرت فيهم هذه العقيدة وآمنوا بها ايماناً لا يخامرهم شك لاستقامت امورهم وكثر فيهم الخير والاحسان وقل بينهم الشر والفساد ، ولكن البشر فى كل عصر تغلب عليهم الحياة الدنيا ، وتخليبهم بزخارفها ومتاعها ، وكثير منهم يعترتهم الشك فسى البعث ودار الجزاء فلا يصدق انه سيبعث بعد الموت وانه سيعرض للحساب ، وانكار البعث والشك فيه يرجع فى ذهن الشاك او المنكر الى احد هذه الأمور الآتية أو جميعها :

أولا : كونه امرا تدعوا اليه حاجة الناس وليس وراءه مصلحة

ترجى .

ثانيا : استبعاده واستعظام امره فان الاحياء قد الفوا أن يروا

اجساد الاموات تتفرق وتتحلل وتفسد وتنفى فى الارض فلا تكاد عقولهم

تسلم فى سهولة امر عودتها وصيرورتها جسما حيا يسعى ويدرك .

ثالثاً : مخالفته لما الف من السنن الطبيعية حيث لم يعهد
الاحياء ان ميتا بعث من رمسه وعادت اليه الحياة كرة أخرى .

وقد عالج القرآن ذلك ورد على كل فريق من هؤلاء بما يناسبهم
في مواطن كثيرة . (١)

ولما كان التكذيب بالبعث آفة اصابته البشرية في كل العصور فقد
اتفقت عليها الامم المكذبة لانبيائها باستبعاد وقوعها وعدم امكانها لفساد
الاجساد وتحلل الاجسام وقد بين القرآن الكريم هذا التوافق في الامم
السابقة .

قال الله تعالى :

(بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا اذا متنا وكنا ترابا وعظماً
أنا لمبعوثون ، لقد وعدنا نحن وءابؤنا هذا من قبل ، ان هذا الا
اسطير الأولين) (٢)

وقد كان منشأ استبعادهم للبعث هو ما يرونه من حالة الانسان
بعد الموت كيف يصبح رمّة ، ثم يرجع هذا الرميم الى الحياة
مرة أخرى ، قال تعالى :

(وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظم وهى رميم) (٣)

قال الواحدى : قال المفسرون : أن أبى بن خلف أتى النبى
صلى الله عليه وسلم بعظم حائل قد بلى فقال : يا محمد اترى الله
يحيى هذا بعد ما قدرم ؟ فقال : نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله
هذه الآيات . (٤)

-
- (١) روح الدين الاسلام لطبارة (ص ٧٥) .
(٢) سورة المؤمنون (٨٠-٨٣) .
(٣) سورة يس (٧٨) .
(٤) اسباب نزول القرآن (ص ٣٨٥) .

ونقل ابن كثير عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة ان القائل ابي بن خلف ثم قال : " وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في ابي بن خلف او العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من انكر البعث ، والالف واللام في قوله تعالى (او لم ير الانسان) للجنس يعم كل منكر للبعث " . (١)

ومما ينبغي ان يعلم ان الامور التي ذكرناها في ذهن الشاك في البعث ليست حجة لانكار البعث او الشك في وقوعه ، اية حجة يستندون اليها في انكارهم الا الاستبعاد المستند الى الوهم والظن ، قال تعالى :
(وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) (٢)

اذ ليس هناك علم يقيني بامتناع البعث بعد الموت ، وعدم امكانه ، وانما هناك ظن ووهم ناتج عن تكذيبهم بالحق الذي جاءهم من الله تعالى ، فالله هو الحق ، وقوله الحق ، وليس بعد الحق الا الضلال المبين ، ولذلك فان المكذب بالحق مضطرب ليس لديه اساس متين يستند اليه . (٣)

قال الله تعالى :

(بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) (٤)

ولو تأملنا الآيات التي تجادل المكذبين بالبعث في السور

المكية وجدنا صورا ثلاثة :

الطريقة الأولى : انه يورد الدليل العقلي الذي قواه أن الله الذي

خلق السموات والارض اول مرة والذي يحيي الارض الموات فتزخر بالحياة

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٥٨١) .

(٢) سورة الجن آية (٧) .

(٣) منهج القرآن في الدعوة الى الايمان للدكتور الفقيهى (ص ٢٠٢)

(٤) سورة ق (٥) .

والاحياء بعد أن كانت مقفرة والذي خلق هذا الانسان المعقد التكوين اشد التعقيد من النطفة البسيطة قادر على ان يعيد الحياة للعظام وهى رميم ، ويبعث الناس من رقدتهم مرة أخرى، ولكنه لا يورده قضية منطقية جافة ولا يحصره فى محيط الذهن ، انما يثير معه الوجدان بالتوقيع على أوتار القلب الفطرية فينفعل الوجدان ويقتنع الذهن جميعا فى آن واحد . (١)

ومن هذه الطريقة فى القرآن الشئ الكثير من ذلك :

(أ) ان فى الوجود مخلوقات لها دورات متعاقبة : فالنبات يظهر وينمو ويذبل ويموت حتى يصبح ذرات متفرقة تختلط بالتراب ، فاذا نزلت عليها الامطار استقت الارض وظهر نباتا مخضرا مرة اخرى فلمساذا لا يكون شأن البشر كذلك ، قال تعالى :

(وترى الأرض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحي الموتى وانه على كل شئ قدير) (٢)

(ب) لقد خلق الله الانسان من تراب ثم تدرج فى مراحل عديدة ومتعاقبة من النطفة الى الشيخوخة ثم مات فالذى بدأ بالخلق من أول مرة لا يعجزه ان يخلقه مرة أخرى ويجعله فى مرحلة من تلك المراحل ابتداء . قال تعالى :

(وهو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) . (٣)

وقال : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحي العظام

وهى رميم قل يحيها الذى انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم) . (٤)

(١) دراسات قرآنية لمحمد قطب (ص ٧٣) .

(٢) سورة الحج آية (٥ - ٦)

(٣) سورة الروم آية (٢٧) .

(٤) سورة يس آية (٧٨) .

قال شارح الطحاوية :

فاحتج بالابداء على الاعادة ، وبالنشأة الاولى على النشأة الأخرى
اذ كل عاقل يعلم ضروريا أن من قدر على هذه قدر على هذه ، وانه لو
كان عاجزا عن الثانيه لكان عن الاولى اعجز واعجز . (١)

وكذلك فى خلقه اطوارا ومراحل :

فان من نقله من النطفة الى العلقه ، ثم الى المضغة ، ثم شق سمعه
وبصره وركب فيها الحواس والقوى ، والعظام والمنافع ، والاعصاب
والرباطات التى هى اشده ، واحكم خلقه غاية الاحكام واخرجه على هذا
الشكل والصورة التى هى اتم صورة واحسن الاشكال ، كيف يعجز عن
اعادته وانشائه مرة ثانية ام كيف تقتضى حكمته وعنايته ان يترك سدى ،
فلا يليق ذلك بحكمته ، ولا تعجز عنه قدرته . (٢)

(ج) رد القرآن على الذين يعتقدون عبثيته الحياة وعدم

الرجعة الى الحياة مرة اخرى ، وانه لا مسئولية ولا حساب .
قال تعالى :

(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليئالا ترجعون) (٣)

الطريقة الثانية : فى مواجهتهم : فهى رسم صورهم هم

انفسهم فى العذاب يوم القيامة ، وهى طريقة مفرعة لهم ، تتجاوز

اذ هانهم المنكرة وتعرض عليهم صورهم وهم فى نار جهنم لتنفعل وجدانهم

بصرف النظر عن اذ هانهم — فتقتنع اقتناعا وجدانيا بحقيقة البعث (٤)

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٩٨) .

(٢) المرجع السابق (ص ٤٠٠) .

(٣) المؤمنون (١١٥) .

(٤) دراسات قرآنية (ص ٧٢) .

قال تعالى :

(يوم يدعون الى نار جهنم دعا : هذه النار التي كنتم بهـا تكذبون ، أفسحـر هذا أم انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواهـم عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون) . (١)

الطريقة الثالثة : أن تعرض صورهم يوم القيامة فى جهنم ، وصور

المؤمنين فى الجنة ولكن بغير خطاب مباشر للمنكرين لحقيقة البعث ، وتعرض عليهم الحقائق قائمة بذاتها ، وهى طريقة من طرق التأثير الوجدانى القوى المفعول ، اذ يرون امثالهم يعذبون فى نار جهنم ، ويرون المؤمنين ناجين فى النعيم ، فتهدفوا قلوبهم الى المشاركة فى ذلك النعيم والفرار من ذلك الجحيم . (٢)

فآليات الكريمة التى صدرت بها هذا المبحث تلفت النظر الى نوع من انواع الاستدلال القرآنى للبعث وهو بدء خلق الانسان ، وقد كان عدما ، على امكان الاعداء ، اذ ان من قدر على الخلق ابتداءً قدر على الاعداء من باب اولى .

" فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلا على ما يخفى من اعادته استدلالا بالشاهد على الغائب " . (٣)

وتعتبر هذه شهادة تجريبية تثبت الحياة بعد الموت، ويقول

وحيد الدين خان فى ذلك :

ان اول دليل على الحياة الثانية هى حياتنا الاولى فى حد ذاتها

-
- (١) الطور (١٣ - ١٦) .
 (٢) دراسات قرآنية (ص ٧٥) .
 (٣) تفسير القرطبي (٧ / ٣ / ٥١٠) .

فان الذين ينكرون الحياة الثانية يقولون بداهة الحياة الاولى - والحياة - تلك التى ظهرت مرة واحدة ، كيف تعجز عن اعادة نفس العملية مرة أخرى ؟ هذه التجربة التى نعيشها نحن اليوم كيف يستحيل حدوثها ثانية ، انه لا شىء اكثر عداءً للمنطق والعقل الانسانى من أن نسلم بوقوع حادث فى الحال وننكره فى المستقبل . (١)

وفى الآية الكريمة استدلال على البعث باستدلال من نوع آخر وهو لفت النظر الى ظواهر أخرى هى أكبر واعظم من خلق الانسان وهو احياء الارض بعد موتها واخراج الخيرات الكثيرة التى لم تكن تخطر على بال أحد ممن انكر البعث ، لأنه برهان حى يتجدد بين يدي الناس دائماً ويشاهدون فيه آثار قدرة الله سبحانه فى الاحياء المتجدد بالثمار والزروع واشتات النبات .

وفى الآيات الكريمة لفت النظر الى أنه سبحانه لا غيره هو الذى يحيى الموتى بقدرته جل جلاله ، وفى القرآن آيات دالة على الاحياء فى الدنيا كدليل على الاحياء فى الآخرة ، قال تعالى :

(واذا قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ، ثم اجعل على كل جيل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا ، واعلم ان الله عزيز حكيم) . (٢)

فالذى احيا هذه الطيور بعد اماتها وتقطيعها وتفريق اجزائها هو القادر على احياء كل كائن حى - اوجده الله من العدم ثم نسزع

(١) الاسلام يتحدى (ص ١٠٠) .

(٢) سورة البقرة (٢٦٠) .

منه الحياه مرة أخرى .

وقوله تعالى :

(واذ قتلتم نفساً فادركتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون ،
فقلنا أضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم
تعقلون) (١)

وفى هذه القصة - قصة القتل الذى لم يعرف قاتله - البرهان

على البعث حيث جعل ما شاهدوه من احياء القتل حجة على المعاد .

تأثير انكار البعث على السلوك :

ان منكري البعث موجودون في كل عصر ، ولا يخلو الكون من الاحاد نتيجة
لعوامل كثيرة صارفة عن الفطرة السليمة ، ولو تأملنا في كفر هؤلاء لوجدنا أن من
لوازم الكفر بالجزاء احتقاره لنفسه باعتقاده انه خلق عبثا لا لحكمة بالغة ، وان
وجوده على الأرض محدود موقوت بهذا العمر القصير المنغص بالهموم والمصائب
والظلم والبغي والآثام ، وان الانسان متروك سدى لا يجزي ظالم بظلمه ولا عادل
بعده .

وفوق هذا فان الانسان اذا كانت اخلاقه واعماله قائمة على هذه العقيدة فانها

لا تخلو من احدى حالتين :

اذا كانت ظروفه واحواله غير مرضية له فلا بد أن تصيبه هذه العقيدة بنوع
من اليأس والقنوط والتفاس ، وخور العزيمة لأنه عندما لا يرى في حياته نتيجة
لما يؤدي فيها من اعمال البر والصالح والخير تبرد

(١) سورة البقرة (٧٢ - ١٧٣) .

فيه قوة العمل والجد والنشاط ، وهو عندما يرى الظالمين والفاستقين فى هذه الدنيا يترفلون فى النعيم ، ويستمتعون بلذات الحياة ومباهجها ، ويحرزون فيها الرقى والتقدم ، ويجمعون فيها اسباب البذخ والترف والقوة والبطش ، يحسان الشر له الحكم النافذ والكلمة السموعة فى عالم الحياة وان ليس فيه الخير الا ليكون ذليلا مغلوبا على امره .

وعلى العكس من هذا اذا كانت ظروفه واحواله مرضية له جارية على هواه ، فانه لا بد ان ينقلب الى حيوان نهم ، يعبد هواه لتأثير هذه العقيدة فيه ، وانه اذا بقى محروما من لذة من لذات الدنيا ونعمة من نعمها ، فلا حياة له بعد هذه الحياة ليتداركها فيها ، فلا ان يقوم بعد ذلك بظلم الناس ، وهضم حقوقهم ، وسفك دماهم ، ونهبش اعراضهم ، وقطع ارحامهم ، ولا يخشى فى اعماله الخبيثة الا العمل الذى يرجع عليه بعقوبة دنيوية أو مضرة جسدية ، أو خسارة مادية . (١)

فالمجتمع الذى يطغى فيه امثال هؤلاء تنمحي فيه التصورات الصحيحة للحياة وتفسد فيه الاخلاق ويظهر فيه الانانية وحب الذات والفسق والفجور والظلم والاعتداء ، لانه لا يخاف فى مستقبل عقابها ولا يرجو من مثيب ثوابا ، ولا يطمح الا فى العاجلة من الثواب والقريبة من النتائج ، وهذا مجتمع وحشى دنيء فى احط درجات البهائم والوحوش . (٢)

فالايمان بالله عادل رحيم ، يعيد التوازن المفقود فى عالم آخر يقول للمحسن احسنت ، وللمسىء اسأت ، وهذا مما يسبغ

(١) الاسلام لسعيد حوى (١٢٤ / ٤) .

(٢) الاسلام لسعيد حوى (١٢٤ / ٤) .

على نوا ميس الحياة معنى ، ويبقى الاحساس بالخير والشر ، والصواب والخطأ قائما حيا فى النفوس مؤثرا فى تصرفات الناس .

فالجزاء اثر طبيعى للعمل النفسى والبدنى ، وهذا هو الحق الذى يثبته من عرف حقيقة الانسان ، وحكمة الديان ، وهو مما اصلحه القرآن من تعاليم الاديان ، فتذكرها هو الذى يقوى الوازع النفسى الذى يصد الانسان عن الباطل والشر ، والظلم والبغى ويرغبه فى التزام الحق والخير وعمل البر .

وفى الحديث عن ابى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى انه قال :

(. . . يا عبادى انما هى اعمالكم احصيتها لكم ثم اوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه) (١)

اهمية هذه العقيدة فى الدعوة الى الله

ان ما ورد فى القرآن الكريم فى صور الحياة الاخرية من البعث والحساب والجزاء ثوابا وعقابا ، بالاضافة الى ما فيه من حقيقة ايمانية قد ورد ليكون ايضا وارعا للانسان فى سيرته الدنيوية وراذعا يردعه عن الاثم وحافزا يدفعه الى الخير والبر والصلاح فيها لأن الانسان فى الاصل مدعو للتفكر فى نفسه ، وفى الكون من حوله ، ليعلم انه لا بد من حكمة لهذا الوجود ، ولا بد من اجل مسمى له . . . ولا بد من لقاء الله سبحانه وتعالى فى دار الجزاء ، قال تعالى :

(١) صحيح مسلم فى البر ، باب تحريم الظلم (٤٢٩ / ٢) .

قال تعالى :

(أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلفاء ربهم لكفرون) . (١)

فعمقيدة البعث والجزاء جعله الاسلام سندا قويا ضابطا ~~قويا~~ لسلوك الانسان فى اعمال الخير والصلاح او اعمال الشر والفساد . ولكن هذا الضابط لا يحتاج فى بقاءه الى قوة مادية أو سلطة حكومية وانما هو يضع فى نفس كل انسان بواسطة الايمان بالبعث والجزاء ضميرا حيا يترقبه فى الفضائل ويهربه من الرذائل .

فالقرآن الكريم قد استعان بهذه العمقيدة للدعوة الى فضائل الاعمال ومكارم الاخلاق قال تعالى :

(واتقوا الله الذى اليه تحشرون) . (٢)

وقال : (واتقوا الله واعلموا انكم ملقوه وبشر المؤمنين) . (٣)

وحرصهم على القتال وبذل المهج بأن اقنعهم بانهم اذا قتلوا لا يموتون وانما ينالون حياة خالدة سرمدية . . . ويلقنهم الصبر على المكابرة بهذه العمقيدة ، وينشئهم على عاطفة الشجاعة واليسالة ، ويحثهم على الانفاق وينهاهم عن البخل والشح ، ويدعوهم الى رفع ايديهم عن اكل الربا .

وبهذا كله يعلم أهمية الايمان بالبعث والجزاء ، وانهما من اعظم الاسباب التى يقوم عليها صلاح حياة الناس فى دينهم ودنياهم

(١) سورة الروم (٨) .

(٢) سورة المجادلة (٩) .

(٣) سورة البقرة (٢٢٣) .

وانه ينبغي للدعاة الى الله الاهتمام بشأنه من حيث الدعوة اليه وغرسه
 فى القلوب حتى يكون ضمير المسلم يقظا ، وحسه مرهفا ، ومراقبته لربه
 دقيقة ، وشعوره الدائم بأن الله عز وجل لا يخفى عليه من امره شىء ،
 وانه يحصى عليه كل صغيرة وكبيرة ، كما ينبغي لفت الانتظار الى العبر
 للاعتبار والاتعاظ والتذكر ، وبيان حقارة هذه الحياة ، وانها لا تدوم
 لأحد ، ولا يخلد فيها مخلوق ، وانها دار ابتلاء واختبار ، وانه
 لا ينبغي لعاقل ان يخلد اليها ، ويطمئن بها ، وهو يرى ما فيها
 من الهموم والاكدار والاحزان ، وان سعادة الانسان فى الدنيا مرهونة
 بالايمان والصلاح ، وفى الآخرة بنيل مرضاة الله حين يجد الانسان
 ثمرة ما قدم .

المبحث الرابع اثبات الوجدانية والقدرة

قال تعالى :

(١) (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره)

وقال : (فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها

ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شىء قدير) . (٢)

وقال : (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف

قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) (٣)

للقرآن الكريم لفتات ودعوات يستحضر بها العقل ، ويلفت انظار

الناس الى مشاهد وظواهر عظيمة الله تعالى فى كل صغيرة وكبيرة فى هذا

الكون الكبير ، والانسان هو المدعو الى ذلك ، اذ يأتى الى عقله من كل

افق ومن كل جانب يثيره ، ويجدد صور الوجود فى نظره .

ومما ينبغى على الانسان معرفته والايمان به انه سبحانه بالغ

القدرة لا يعجزه شىء ، وهذا عام يتناول افعال العباد من الطاعات

وكل شىء ومن قدرته انه اذا شاء فعل من غير ممانع ولا معارض اذ من

اسمائه سبحانه القدير فجميع الاشياء منقادة لقدرته ، تابعة لمشيئته ،

ولا يخرج عن علمه شىء منها كائنا ما كان . (٤)

(١) سورة الروم (٢٥) .

(٢) سورة الروم (٥٠) .

(٣) سورة الروم (٥٤) .

(٤) الاسئلة والأجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية لعبدالعزیز

محمد السلطان (ص ٨٧) .

فقدرته تعالى شاملة لكل شىء وظاهرة فى كل شىء ، وناطقة من كل شىء فى الوجود .

فى السماء وضخامتها وما فيه من الافلاك والكواكب والشموس والسحاب وما يصاحبه من البرق والرعد والمطر .

وفى الارض وضخامتها وحال كونها هامة ثم حياتها ونباتها من كل شىء بهيج وما فيها من مظاهر من الزروع والثمار والدواب التى تدب عليها فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على ارجل ومنهم من يمشى على رجلين .

فالقدرة الالهية ليس لوسعها حدود ، ولا يعيها شىء البتة وآثارها التى نشهدها تدل على طاقة لا تقف عند حد .

وآية القدرة وبرهانه هو هذا الكون الكبير الهائل ، الذى لا يدعى احد من البشر انه خلقه ، ولا ان احدا آخر خلقه من دون الله ، هذا الكون الهائل الدقيق فى نظامه ، المتناسق فى تكوينه ، حيث يواجه الفطرة مواجهة جاهرة ، لا تملك الافلات منها او الاعراض عنها ولا تملك الا التسليم بوحدانية الخالق العظيم ، وضلال من يشرك به آلهة اخرى ظلما للحق الواضح المبين .

وهذه السموات التى تواجه النظر والحس — بظاهر مدلولها —

وهذه الكواكب والمجرات والسدم السابعة فى الفضاء الذى لا يعلم سره ومداه الا الله سبحانه ، ومجرد تأمل هذه القبة التى فوقنا بالعين المجردة ، كاف وحده لرعدة الكيان الانسانى وارتجافه امام الضخامة الهائلة التى لا نهاية لها ولا حدود .

ان هذه الاكوان التى تدير الرؤوس وتكل الاعين وتبهر العقول

ماهى الا أثر من آثار قدرة الله التى لا نهاية لها فى الخلق والتكوين ،
وعلمه الذى لا ينتهى ولا يحد . (١)

(ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة
أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) . (٢)

فكل ما فى العالم من حركة أو سكون انما هو اثر من آثار القدرة
الالهية ، فليس هناك شىء ما له قدرة ذاتية يستمد منها من طبيعته
المجردة .

قال تعالى :

(ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولكن زالتا ان أمسكها
من احد من بعده انه كان حلِيمًا غفورًا) . (٣)

ويقول محمد بن المرتضى اليمانى :

" وهذه حجة اجمع عليها الكفرة مع المسلمين ، فان الجميع
اتفقوا على ان العالم فى الهواء ارضه وسماؤه ، وما فيه من البحار والجبال
وجميع الاثقال ، وقد ثبت بضرورة العقل ان الثقيل لا يستمسك فى الهواء
الا بمسك ، وان هذا الامسك الدائم المتقن لا يكون بما لا يعقل من
الرياح كما زعمت الفلاسفة ، على ان الرياح تحتاج الى خالق يخلقها
ثم الى مدبر يقدرها مستوية الانفاس موزونة القوة لا يزيد منها شىء على شىء
حتى تعتدل اعتدالا اتم من اعتدال الفاعل المختار (من الناس) فان
الفاعل المختار لو قصد الاعتدال التام حتى يستوى على رأسه جفنة مملوءة
ماء لم يستطع تمام الاعتدال الا برياضة شديدة ، فكيف تعتدل

(١) فى ظلال القرآن (٥ / ٢٧٩٥) (بتصرف) .

(٢) سورة لقمان (٢٧) .

(٣) سورة فاطر (٤١) .

عواصف الرياح وتقع موزونة وزن القاريط في الصنجات المعدلة حتى يستوى
عليها ثقل الارض والجبال من غير رب عظيم قدير عليم مدير حكيم . (١)

ومن قدرته العظيمة سبحانه هذه الارض التي يحييها بما يثير
فيها من دواعى الحياة من النباتات التي تشق الارض مرتفعة الى الفضاء
مستوية على سوقها ثم ما تخرجه من الطعوم المختلفة الالوان التي تجذب
الانسان ببهجته وجماله .

(فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها ان ذلك
لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير) . (٢)

واحياء هذه الارض وما يظهر عليها من آثار الحياة والحسن
والجمال الاخاذ الساحر مثال لاحياء الله سبحانه الموتى مرة اخرى للحساب
والعقاب ، وهذا من كمال قدرته وسيطرته الشاملة لهذا الكون .

ومن آيات قدرته سبحانه خلق الانسان من عدم ، ومن شئ
لا حركة له وعمو التراب ، ثم تكوينه بهذه الدقة المتناهية من توازن الاعضاء
وتجهيز الآلات الدقيقة المنظمة لحياته من القلب والعروق والاعصاب
والخلايا والغدد . . . الخ ، وتدرجه من ضعف فى طفولته ، الى
قوة وكمال فى شبابه ، ثم اعادته الى الضعف مرة اخرى ، كل ذلك
بقدره الله الشاملة المحيطة بالمخلوقات بحكمته وتقديره ، قال تعالى :

(الله الذى خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم
جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) . (٣)

(١) ايثار الحق على الخلق (ص ٥٣) .

(٢) سورة الروم (٥٠) .

(٣) سورة الروم (٥٤) .

فالأيات الكريمة تثبت لله تعالى صفة العلم ، والوحدانية والقدرة
والحث على الخوف من الله تعالى ومراقبته فى السر والعلن ، واحاطة
علمه بكل شىء ، وفى ذلك اثبات لالوهيته واستحقاقه لان يعبد وحده
لا اله غيره ، وفيه اشارة الى ما فى المخلوقات من الاحكام والاتقان ،
وعجيب الصنعة ، ودقيق الخلقة اثباتا لعظمة قدرته .

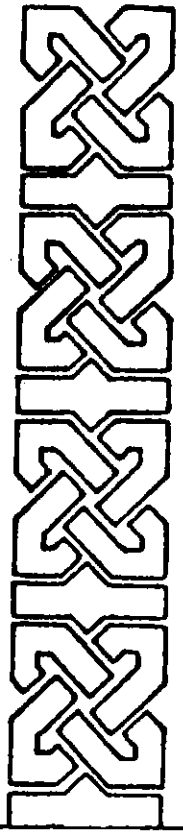
فكل شىء هين على قدرة الله الذى يقول للشىء كن فيكون/انما
يستهل الامر ويستصعبه من يحسبون بحساب البشر القاصر وينظرون
ويقيسون بمقاييس البشر ، ومن هنا يخطئون التصور والتقدير .

فقدرته سبحانه وتعالى لا يحدها شىء ، وهى التى تنفذ ما تتعلق
به ارادته المطلقة التى لا يقف دونها شىء ، ولا عجب فهو الاله لارب غيره
ولا معقب لحكمه ، ولا راد لما يريد ، ولا يعجزه شىء فى السموات
أو الارض .

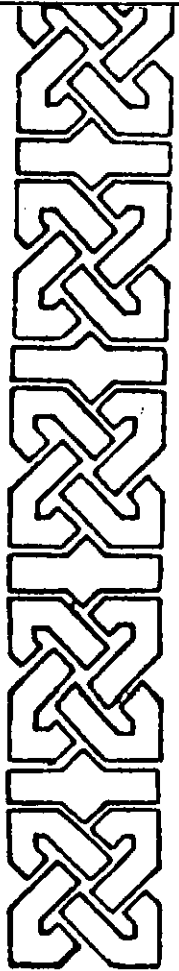
وليس للانسان ان يغتر بما وصل اليه من علم وكشوف واختراعات
فانه لولا الله وقدرته لما كان للانسان من نفسه وجود ، فضلا من أن يكون
منه اختراع او ايجاد لاي شىء مهما كان تافها لا خطر له .

ان الذى يؤمن بالله ويعتقد انه عليم بكل شىء ، ومطلع على كل
شىء ويعلم السر والنجوى وما تخفى الصدور ، ينبغي ان يراقب نفسه فلا
يرتكب ما يخالف امر الله من الآثام والذنوب ، ولا ان يضمر شيئا من السوء
لأحد من الناس .

وان الذى يؤمن بقدرة الله تعالى وبأنه ما كان ليعجزه شىء يريده
فى السموات او الارض ليس له ان ييأس ان نزل به ضر فى نفسه او ماله أو
ولده ، وليس له ان يموت حزنا واسفا على ما يرى ويعرف من ظلم الظالمين ،
فان الله على اخذهم لتقدير ، ولكن عليه مع هذا ان يبذل لكل ما يستطيع من
جهد لدفع الظلم ورد المعتدى ، ثم يترك الامر بعد ذلك لله .



المناسبات



الخاتمة

بعونه تعالى فقد تم هذا الجهد المتواضع عن الدعوة الى الله في هذه السورة الكريمة
وأسأل الله العلي القدير ألا يواءمني فيما أخطأت وأن يثيبني فيما أصبت، فما أنا
الا انسان مركب من نقص.

و في هذه الخاتمة سأقدم تلخيصا لأهم نتائج البحث

١ - ان هذا الكتاب العظيم معجز يتضمن جميع وجوه الاعجاز ، وأنه لا يستطيع أحد من
الانس و الجن أن يتحداه أو يأتي بمثله أو يمثل بعضه بأى حال من الأحوال و فسي
أى عصر من العصور الى أن يرث الله الأرض و من عليها ، و أن هذا دليل على أنه
تنزيل من حكيم حميد اذ لا يوجد كتاب تصح نسبه الى السماء غير القرآن الكريم
لأنه كتاب الله حقيقة بدون شك أو ريب. اذ حفظه الله من التحريف و التبديل
و التغيير منذ اربعة عشر قرنا .

٢ - ان الآيات المكية التي تقدر بنثى القرآن الكريم اشتملت على بناء العقيدة و تصفية
النفوس من الشركيات و البدع و الخرافات و العمل على تطهيرها من كل شيء يخالطها
مما تمس العقيدة من قريب أو بعيد ، كما اشتملت على مناهج دعوة المشركين بتوجيه
الألوهية التي ينكرونها و الدعوة الى الفضائل الخلقية و السلوكية التي تكون نواة المجتمع
الاسلامي فيما بعد .

٣ - ان هذا الكتاب العظيم يحمل في طياته عوامل بقاءه من صلاحيته لكل زمان و مكان ،
و أنه المعين الذي لا ينضب و البحر الذي لا يقلله كثرة و ارضيه ، و أنه الملجأ
الحصين و المشكاة المنير الذي يبحث فيه الدعاة الى الله و عما يتصفون به من الصفات
التي تعينهم في أداء الواجب الذي تحمله .

٤ - ان هذه السورة المكية اشتملت على مناهج الدعوة المختلفة كالمنهج العقلي و المنهج
العاطفي و المنهج الحسي و هي مناهج ذات أثر بالغ في النفوس ، فان المنهج
العقلي في القرآن الكريم اشتمل على أنواع متعددة مثل ضرب الأمثال و اثبات البعث
و اثبات الوجدانية و القدرة لما في ذلك من اعمال الفكر و العقل للوصول الى الخالق
سبحانه و تعالى .

و قد جاءت أساليب الدعوة في القرآن الكريم شاملة للاسس الرئيسة للوسائل بصورة عامه ،
ذلك أنها ضمنت في جنباتها منهجا دقيقا ، يضع الداعية المؤمن الذي يألف الناس و يألفونه
و يميزه بمعرفة الجوانب النفسية للمدعوين ، و يعرفه الطريقة المثلى في دعوة المخاطبين على
مختلف طبائعهم .

٥ - و ان المنهج العاطفي من المناهج المهمة باساليبه المختلفه من الترغيب والترهيب والحمد والشكر والجزاء و الرزق في توجيه الناس نحو خير الأعمال و حميد الخصال بما فيه من اساليب و استعمالات و خصائص، و هو من المناهج التي يجب على الدعاة الاهتمام و التركيز عليها خاصة في عالمنا الاسلامي الكبير.

٦ - كما أن في السورة تصنيف للمدعوين و أحوالهم و بيان لحال المشركين و سبب شركهم بالله الذي خلفهم و أسباب عنادهم و عدم استجابتهم للرسول صلى الله عليه و سلم، ثم دعوة المسلمين الى ما فيه حسن صلتهم بالله، و الى ما يؤدي بهم الى الترابط و التضامن و الألفة و العودة و في ذلك تطهير المجتمعات من عوامل الفرقة الشيء الكثير.

٧ - و اما اساليب المنهج الحسي بما فيها من الحس على النظر في الكون و في النفس ظاهرها و باطنها و كيفية النظر و وسائله مما لا يمكن للداعية ان يستغني عنها بحال من الاحوال علما بأن مجالات النظر الحسي هذه من أوسع المجالات في الاستدلال على الخالق سبحانه و على البعث بعد الموت، و على الحساب و العقاب اذ أنه لا يمكن للانسانيه أن تفوز بالسعادة في الدنيا و الآخرة الا اذا آمنت بهذا الدين و هذا الكتاب الكريم.

و في مجال مسئولية الدعاة الى الله عز وجل توصلت الى :-

١ - أن الدعوة الى الله من الوظائف ذات المسئولية الكبرى و تحتاج الى تضحيات و صبر و جلد و علم و عمل به، و صدق توكل مع الأخذ بالأسباب حتى يستطيع أن يؤدي الواجب الذي حمله الله للدعوة و التبليغ.

٢ - ينبغي للداعية أن يلفت الأنظار الى منهج القرآن العقلي و يوقظ الفطرة الى معرفه الله، و يلفت الأنظار الى خلق الكون و تنظيمه و ما يحيط بالانسان من جوانب نفسية و جوانب خلقية للدلالة على قدرة الله في الأرض و السموات و في الانسان.

٣ - اثاره العاطفة بالوسائل العاطفية المختلفه لأن الانسان مفطور على حب ما ينفعه و من ينفعه و كره ما يضره، فمخاطبة النفوس و معرفة العواطف مما يغذى الأرواح و يدفعها الى تحسين السلوك.

٤ - الصبر و التحمل و الاستمرار بدون ملل في توجيه الدعوة و عدم الاستعجال في الوصول الى نتائج ايجابية لأن الصبر و المثابرة على الدعوة من طرق التأليف و التألف في المجتمعات للوصول الى النشر و التبليغ.

- ٥ - ان هذا القرآن كما أنقذ الله به البشرية من عبادة الأجار وأوصلهم الى عبادة الله وحده و الى الاخلاق الفاضلة ، فانه الكتاب الوحيد الذى يستطيع اخراج الناس مما هم فيه الى الطمأنينة و الاستقرار في كل زمان و مكان .
- ٦ - ان الداعية الذى يهتم في دعوته بمنهج القرآن الكريم لشموله جميع جوانب الحياة في منهج القرآن و الوضوح في منهج القرآن الكريم لأنه الكتاب الذى شمل جميع جوانب الحياة و وضع نصب عينيه الأهداف والتخطيط السليم جدير بأن يأخذ الله بيده نحو النجاح في دعوته و الفوز في الدارين .
- ٧ - ان القرآن الكريم يضمن لمن آمن به و عمل بما فيه السعادة في الدنيا و الآخرة و أما من كفر به فان سنن الهلاك تأخذه في الدنيا بالعقاب أو تستدرجه الى عذاب يوم القيامة . و في مجال المشاركة الانسانية استنتجت :-
- ١ - ان البشرية وحدة من أصل واحد أساسه الأول آدم عليه السلام فلا اعتبار فيها لجنس أو لغة أو لون لأن هذه الأشياء من الدعوة الباطلة المفرقة للشعوب و أن الاسلام ليس فيه تعصب لجنس أو للغة أو للون .
- ٢ - أن الاسلام لا يفرق في النشأة بين الذكر و الانثى بل أعطى للمرأة حقوقاً لم تعطها شريعة من الشرائع ، بل رد اليها كرامتها التي سلبتها عند الأمم و الشعوب .
- ٣ - من المنهج العقلي الاستدلال بخلق الانسان ابتداءً و كذلك أطوار الحياة في الانسان و الحيوان و النبات بتنظيم دقيق دليل على الاحياء بعد الموت ثم الحساب و العقاب .
- أ - و من حيث الصفات الذاتية للداعية توصلت الى أن الالتجاء الى الله و التوكل عليه واجب على الداعية المسلم في كل الأمور ، و أن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب ، و لا ينافي الاكتساب ، لأن النتائج في كل حال لا تخرج عما قدر الله .
- ب - ان الصبر على الابتلاء ضرورة دنيوية و أخروية و خصوصية انسانية ، فلا نجاح في الدنيا الا به ، و ذلك في حدود طاقة الانسان و امكاناته و أن استعجال النتائج الايجابية لا ترتبط بجهود الانسان في هذه الدنيا ، و انما هي مرتبطة بمشيئة الله و حكمته .
- و من حيث الصفات السلوكية فلا بد أن يكون الداعية قدوة لغيره في أعماله كلها ، لأنه اذا ارتكب ما يخل بسلوكه الاسلامي لم يتضرر لوحده ، بل تعداه الضرر على المجتمع كله ، و في هذا جانب مهم في التربية الاسلامية التي تهدف القضاء على الشذوذ و الانحراف في المجتمعات .

كما أن واجب الدعاة في العصر الحديث أن يكونوا مثالا للحكمة والتآلف ، وأن يطوعوا وسائلهم و مناهجهم في صورة تشويقية مع اشتمالها على المناهج المتنوعة في القرآن الكريم .

و أما الاقتراحات التي توصلت اليها على ضوء هذه الرسالة فهي :-

١ - أن الدعوة الاسلامية من المهام الصعبة والتي تحتاج الى قدرة علمية و فنية مع اقتزانهما بالعمل و التطبيق ، فلا بد من تخطيط سليم مع الأخذ بالاعتبار حالة المدعويين و ظروفهم و أخلاقهم و سلوكهم ، و توجيه الدعوة بعد اتخاذ الوسائل الكفيلة بنجاح الداعية و ان لم يكن نجاحه مضمونا .


٢ - عمل دورات للدعاة يكون من مناهجها الدراسية تدريس مناهج الدعوة بأقسامها العقلية و العاطفية و الحسية حتى يكون الداعية ملما بأسلوب القرآن في توجيه الدعوة الى الاصناف المختلفة في علم اليوم مع استيعابه لاجاز القرآن الكريم في مختلف وجوهه .

٣ - دراسة طرق الغزو الفكري في عالم اليوم حتى يتمكن الى تنبيه المسلمين الى الوسائل و الخطط التي يتبعها الأعداء ، و أن تكون الدورات ذات ارتباط بالعلوم الحديثة الانسانية و غيرها بما فيها من دلالة على الخالق سبحانه لأن الكونيات مما يقررها القرآن الكريم و يدعو الى النظر فيها و التأمل و هذا جانب تطبيقي للجانب النظري ، كما كان علماء السلف الصالح قد كتبوا في النفس و الآفاق الكونية ، فالاقصر فقط على الجانب النظري مما يضعف الداعية في دعوته و يضعف استدلاله ، و جداله مع المدعويين .


٤ - كما اقترح ان يكون في الجامعة الاسلامية معهد لتعليم بعض الحرف التي تحتاجها المجتمعات الاسلامية في عالم اليوم حتى تمكن الداعية من التفرغ للدعوة الى الله تعالى اسوة بالسلف الصالح و الاستغناء عن الحاجة ، و حتى لا تزيق ماء وجوههم امام الاغنياء بالتذلل و السؤال او الوقوف امام الهيئات الرسمية في البحث عن وظائف عليه او اداريه فما اكثر المتخرجين الذين لا تتوفر لهم وظائف مناسبة في بلدتهم فيذهب عملهم و تضعف همهم عن التعليم و الدعوة .

و ختاماً أنه نفسي و اخواني في الاسلام الى ضرورة الالتزام بالكتاب و السنة في المجالات كلها لأنها يفيان بجميع حاجات البشر ، اذ تسوقهم الى الرقي في الدنيا ، و الفلاح في الآخرة ..

و صلى الله على نبينا محمد و على آله و صحبه الخيار و من اتبع نهجه و طريقته السبي يوم الدين ... و الحمد لله رب العالمين .



الفهارس

- (١) فهرس الآيات القرآنية.
 - (٢) فهرس الاحاديث النسبوية والآثار .
 - (٣) فهرس الاعلام وتر اجمعهم .
 - (٤) فهرس المراجع والمصادر
 - (٥) فهرس الموضوعات .
- 

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية
		البقرة ٢ :
١٧٥	٢ - ١	الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
٢٥٥	١٩	يجعلون اصابعهم في آذانهم
٢١	٢١	يأبها الناس اعبدوا ربكم
٧	٢٣	وان كنتم في ريب مما نزلنا
٥٠٧	٣٠	واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
٢٨٢ ، ٦٦	٣١	وعلم آدم الآسماء
٢٨٧	٣٦	ان الله لا يستحي ان يضرب
٩٢ ، ٩٦	٤٤	أتأمرون الناس بالبر
٢٦٦	٦١	ادع لنا ربك
٥٨٣	٧٢	واذ قتلتم نفسا فادركتم
٥٣٩ ، ٢٨٢	٨٨	وقالوا قلوبنا غلف
١٩٦	١٠٩	ود كثير من أهل الكتاب
٥٧٢	١٢١	ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون
١٣٩	١٤٠	ومن اظلم ممن كتم
١٢٣ - ٢٩	١٤٣	وكذلك جعلناكم امة وسطا
١٤٨	١٤٥	ولئن اتبعت اهواءهم
٣١١	١٥١	كما ارسلنا فيكم رسولا
١١٢ - ١١١	١٥٥	ولنبلونكم بشيء من الخوف
٤٨٤ ، ٢٨٠ ، ١٥٣	١٧٠	واذا قيل لهم اتبعوا
٢٢٦	١٨٤	وعلى الذين يطيقونه فدية
٢٠٥	١٨٦	واذا سألك عبادي
٢٢٧	١٩٦	فمن كان منكم مريضا

المفحة	رقم الآية	الآية
٨٩	٢٠٤	ومن الناس من يعجبك قوله
٢٢٣	٢١٥	يسئلونك ماذا ينفقون
٥٨٦	٢٢٧	واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه
٤٢٤	٢٢٨	وللرجال عليهن درجة
٢٧٧	٢٤٢	وكذلك يبين الله لكم
٤٤٢	٢٥٥	الله لا اله الا هو الحي القيوم
٥٨٢	٢٦٠	واذ قال ابراهيم رب انني
٢٩٣	٢٦١	مثل الذين ينفقون اموالهم
٢٩٣	٢٦٤	فمثلهم كمثل صفوان عليه تراب
٢٨٢	٢٦٦	كذلك يبين الله لكم الآيات
٢٩٣ - ٢٣٤	٢٧٥	الذين يأكلون الربوا
٢٣٤	٢٧٦	يمحق الله الربوا
٢٣٥	٢٧٨	بأيها الذين آمنوا اتقوا الله
٢٣٥ - ٢٣٤	٢٧٩	فان لم تفعلوا فاذنوا
		<u>آل عمران ٣ :</u>
٢٨٤	٦	هو الذي يصوركم في الأرحام
٦٤	٧	وما يعلم تأويله الا الله
١٣٨	١٢	قل للذين كفروا ستغلبون
٤١٢	١٤	زين للناس حب الشهوات
٣٧٠	١٥	قل أوأنبيكم بخير من ذلك
١٦٤	١٨	شهد الله انه لا اله الا هو
٩٧	٣١	قل ان كنتم تحبون الله
٤٢١	٣٦	وليس الذكر كالأنثى
٢١٤	٣٧	وكفلها زكريا

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠٤	٦٤	قل يا أهل الكتاب تعالوا
٢٣٠	٩٢	لن تناولوا البر حتى تنفقوا
٢٠٩	١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعا
٢٣١	١٠٤	ولتكن منكم امة يدهون
٢١٣	١٠٥	ولا تكونوا كالذين تفرقوا
٣١٤ - ٢٣١	١١٠	كنتم خير أمة اخرجت للناس
٢١	١٢٢	اذ همت طائفتان منكم
٢٣٥	١٣٠	يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا
٣١٣	١٣٤	والكاظمين الغيظ
١١٢	١٤٦	وكأي من نبي قُتل معه
١٤٢	١٥١	سنلقي في قلوب الذين
٤٥١ - ٤٤٩	١٥٤	ثم انزل عليكم من بعد الغم
١١٩ - ٦٠	١٥٩	وشاورهم في الأمر
٥٧١	١٨٥	كل نفس ذائقة الموت
١١١	١٨٦	وان تصبروا وتتقوا
٣٢٦ - ٢٧٢	١٩٠	ان في خلق السموات والأرض
٤٢٣	١٩٥	فاستجاب لهم ربهم
		<u>النساء ٤ :</u>
٤٢٢-٢٠٩- ٣١	١	يأيها الناس اتقوا ربكم
٤٣٠-٢٤٧	٥	ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
٢٢٨	١١	من بعد وصية يوصى
٤١٥	١٩	يأيها الذين آمنوا لا يحل لكم
٤٣١	١٩	وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن

الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٢٥	٢٠	وان اردتم استبدال زوج
٤٣٠-٤٢٧-٤٢٤	٢٤	الرجال قوامون على النساء
٢١٦	٢٦	واعبدوا الله ولا تشركوا به
١٩٩	٤٨	ان الله لا يغفر ان يشرك به
٥٧٣	٥٦	ان الذين كفروا بآياتنا سوف
٢١٤	٨٥	ومن يشفع شفاعة سيئة
٦٦	١١٣	وعلمك ما لم تكن تعلم
٧٠	١١٣	وانزل الله عليك الكتاب
٤٢٤	١٢٣	من يعمل سوءا يجز به ولا يجد
١٠١	١٢٤	ومن يعمل من الصالحات
١٦	١٥٦	وبكفرهم وقولهم على مريم
٦٤	١٦٢	لكن الراسخون في العلم
		<u>المائدة ٥ :</u>
١٨٣	٦	يأيتها الذين آمنوا اذا قمتم
٢٤٣	٢٣	وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
٥٧٤	٣٦	ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض
١٣٩	٤٥	ومن لم يحكم بما انزل الله
٢٦٥	٤٨	لكل جعلنا منكم شرعة
٧٤	٦٧	يأيتها الرسول بلغ
٢٢٤	٨٩	لا يؤاخذكم الله باللغو
٢٢٧	٩٥	يأيتها الذين آمنوا لا تقتلوا
		<u>الأنعام ٦ :</u>
٤٧٨ - ١٣٩	٢١	ومن اظلم ممن افترى

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٢٩	٢٩	وقالوا ان هي الا حياتنا
١٤٨	٥٦	قل لا اتبع اهواءكم
٤٥٣	٦٠	وهو الذي يتوفكم بالليل
١٣٧	٨٢	الذين آمنوا ولم يلبسوا
٣٣٠	٩٦	فالق الأصباح وجعل الليل
٣٣٠	٩٧	وهو الذي جعل لكم النجوم
٢٥٤ - ٦٧	١٢٢	أو من كان ميتا فأحييناه
٤٧١	١٢٩	وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا
١٣٩	١٥٧	فمن اظلم ممن كذب
٢٩٢	١٦٤	ولا تزر وازرة وزر اخرى
		<u>الأعراف ٧ :</u>
٥١٠	١٠	ولقد مكناكم في الأرض وجعلناكم
٢٨١	١٢	خلقتني من نار وخلقته من طين
٢٨٠	٢٨	واذا فعلوا فحشة قالوا
١٨٣	٣١	يبني آدم خذوا
٤٩٩-٢٤٥	٣٢	قل من حرم زينة الله
٥٢٤	٤٢	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
٥١١	٥٦	ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها
٣٥٨	٥٤	ينغشي الليل النهار يطلبه
٥١٢	٥٨	والبلد الطيب يخرج نباته
٢٠٦	٥٩	اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
١٥٠	٥٩	لقد أرسلنا نوحا الى قومه
١٥٥	٦٠	قال الملاء من قومه

المفحة	رقم الآية	الآية
٤٨٦٠	٦٤	واغرقنا الذين كذبوا
١٥٣	٧٥	قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين
٤٨٨	٧٨	فأخذتهم الرجفة فأصبحوا
١٥٦-١٥٠	٨٨	قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
٤٧٠	٩٦	ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا
٤٧٠	٩٦	ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا
١٥٣	١٢٧	وقال الملأ من قوم فرعون
٤٨٦	١٣٦	فانتقمنا منهم فاغرقناهم
٢١٠	١٧٢	واذ اخذ ربك من بني آدم
١٤٨	٠٧٦	ولو شئنا لرفعناه بها
٣٢٥	١٧٩	ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن
٧٤	١٧٩	لهم قلوب لا يفقهون بها
٣٢١	١٨٥	أو لم ينظروا في ملكوت السموات
١٤٦	١٩٥	ألهم أرجل يمشون بها
		<u>الأنفال ٨ :</u>
٤٤٩	١١	اذ ينشيكم النعاس
٢٨٢	٢٢	ان شر الدواب عند الله
٥٣٩	٢٣	ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم
٢١٣	٤٦	وأطيعوا الله ورسوله
٥٠٠-٤٩٨	٦٠	واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
		<u>التوبة ٩ :</u>
٤٨٥	١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢١١	٢٣	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
٢١٦	٦٠	إنما الصدقات للفقراء
١٩٨ - ٢١٣	٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
٢٢	١٠٧	والذين اتخذوا مسجدا
		<u>يونس ١٠ :</u>
٤٨٠	٧	إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا
٣٠٣	١٢	وإذا مس الإنسان الضر
٢٦٧	٢٥	والله يدعو إلى دار السلام
٧٩	٣١	قل من يرزقكم من السماء
٢٩٢	٣٩	بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
١٥٣	٧٥	ثم بعثنا من بعدهم موسى
١٥٥	٨٣	فما آمن لموسى إلا ذرية
٧٠	٨٩	فاستقيما ولا تتبعان
٢٢٣-٢٤	١٠١	قل انظروا ماذا في السموات
		<u>هود ١١ :</u>
٥٩٤-٥٩٠	٦	وما من دابة في الأرض
٧	١٤	فإن لم يستجيبوا لهم فاعلموا
١٥٤	٢٧	وما نراك اتبعك إلا الذين
١٥٦	٣٨	ويصنع الفلك وكلما مر عليه
١٢	٤٤	وقيل يا أرض ابلعي ماءك
١٦	٤٩	تلك من أنبياء الغيب
٥١٤-٥٠٦	٦١	هو إنشأكم من الأرض واستعمركم

الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٨٨	٨٢	وامطرنا عليها حجارة من سجيل
٦١	٨٨	قال يا قوم أرءيتم ان
١٩٧	٩١	قالوا يا شعيب ما نفقه
١٥٤	٩٧	فاتبعوا أمر فرعون
٥٦٩	١٠٦	فأما الذين شقوا ففي النار لهم
		<u>يوسف ١٢ :</u>
٢٦٧-٢٦٦	٣٣	قال رب السجن احب الي
٤٨٤	٣٨	واتبعت ملة آباءني ابراهيم
٢٩٢	٤١	قضى الأمر الذي فيه تستفيان
٣١٣-٣٠٨	٥٣	ان النفس لأمارة بالسوء
١٢٣	١٠٨	قل هذا سبيلي أدعو الى الله
		<u>الرعد ١٣ :</u>
٢٩٩	٣	وهو الذي مد الأرض وجعل فيها
٨١	١١	له معقبات من بين يديه
٣٠٧	١١	ان الله لا يغير ما بقوم
٣٥٥	١٣	ويرسل الصواعق فيصيب
١١٢	٢٣	والملائكة يدخلون عليهم
١٩٤	٢٥	والذين ينقضون عهد الله
٢٩٠-٢٨٨	٣٥	مثل الجنة التي وعد المتقون
		<u>ابراهيم ١٤ :</u>
٤٠٠-٢٦٠	٤	وما أرسلنا من رسول
١٣٨	١٣	وقال الذين كفروا لرسولهم

الصفحة	رقم الآية	الآية
١٣٩	٢٢	وقال الشيطان لما قضي الامر
٢٩١	٢٤	ضرب الله مثلا كلمة طيبة
٥٠٠	٢٢	الله الذي خلق السموات والأرض
٢٢٩	٢٢	وسخر لكم الشمس والقمر
٥٥٤	٢٤	وإنكم من كل ما سألتموه
١٧٤	٤٠	رب اجعلني مقيم الصلاة
٧٢	٥٢	هذا بلاغ للناس ولينذروا به
<u>الحجر ١٥ :</u>		
٤٧١	٤	وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم
٣٣٩-٣٣٦	١٩	والارض مددناها والقينا فيها
٣٣٤	٢١	وان من شيء إلا عندنا خزائنه
٣٤٧-٢٤	٢٢	وارسلنا الرياح
٣٨٠	٢٦	ولقد خلقنا الانسان من صلصل
٣٨٠	٢٨	واذ قال ربك للملائكة اني
٣٨١	٢٩	فاذا سويته ونفخت فيه
٣٧٨	٢٣	قال لم أكن لأسجد لبشر
<u>النحل ١٦ :</u>		
٣٢٩	٨	ويخلق ما لا تعلمون
٣٦٣	١٠	هو الذي انزل من السماء
٣٤٤	١٤	وتستخرجوا منه حلية
٣٣٩-٣٣٦	١٥	وألقى في الأرض رواسي
٤١٤	٥٨	واذا بشر احدهم بالانثى
٢٩٠	٦٠	ولله المثل الأعلى

الصفحة	رقم الآية	الآية
٥٦٨	٦١	ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
٣٨٤-٩٥	٧٨	والله اخرجكم من بطون
٣٤٠	٨١	والله جعل لكم مما خلق
٤٧٣	١١٢	وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة
<u>الاسراء ١٧ :</u>		
٥٢	٩	ان هذا القرآن يهدي
٣٠٧	٢٥	ربكم اعلم بما في نفوسكم
٣٢٥-٢٨١-٧٣	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به
٥٤٢-٣٤٣	٦٧	واذا مسكم الضر في البحر
٣٤٤	٧٠	ولقد كرمنا بني آدم
١٣-٧-١٥	٨٨	قل لئن اجتمعت الانس
٢٧	١٠٧	قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا
<u>الكهف ١٨ :</u>		
٢٥٤	٦	فلعلك بلّغ نفسك
٣٦٨	٧	انا جعلنا ما على الأرض
١٤٨	٢٨	ولا تطع من اغفلنا قلبه
٢٩٠ - ٢٤٠	٣٢	واضرب لهم مثلا رجلين
٣٧٧	٣٧	قال له صاحبه وهو يحاوره
٤٧٢	٤٢	يا ليتني لم أشرك بربي احدا
١٣٩	٥٧	ومن أظلم ممن ذكر
٦٩	٦٤	ذلك ما كنا نبغ فارتدا

الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>مريم ١٩ :</u>
٢٨٨	١٧	فتمثل لها بشرا سويا
٧٠	٤٣	يأبى أني قد جاءني من العلم
		<u>طه ٢٠ :</u>
١٤٨	١٦	فلا يمدنك عنها
١٢٨	٤٣	اذهبا الى فرعون
٣٦٧	٥٣	الذي جعل لكم الأرض مهذا
٣٧٥ - ٣٣٢	٥٥	منها خلقناكم وفيها نعيدكم
٦٩ - ٦٦	١١٤	وقل رب زدني علما
		<u>الأنبياء ٢١ :</u>
٤٨٢	١	اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة
٣٣٥	٣٠	أو لم ير الذين كفروا ان السموات
٣٦٣	٣٠	وجعلنا من الماء كل شيء حي
٣٣٩	٣١	وجعلنا في الأرض رواسي
٤٨٦	٣٥	ونبلوكم بالشر والخير فتنة
١٠٤	٨٣	وأيوب اذ نادى ربه
٢١٦	٩٢	ان هذه امتكم أمة واحدة
٥٠٠	١٠٥	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
٤٠٦	١٠٧	وما أرسلناك الا رحمة للعالمين
		<u>الحج ٢٢ :</u>
٣٩٨-٣٩٦-٣٩١	٥	ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
٣٩٨	٥	ومنكم من يرد الى ارضه العمر

المفحة	رقم الآية	الآية
٥٧٩ - ٣٦٨	٥	وترى الأرض هامدة
١٥٦	٣٩	أذن للذين يقتلون
٢١٧ - ١٨٥	٤١	الذين ان مكناهم في الأرض
٤٨٠	٤٥	فكأين من قرية اهلكنها وهي ظالمة
٤٦٩-٢٢٥-٢٧١	٤٦	أفلم يسيروا في الأرض
٣٥٨	٦١	ذلك بأن الله يولج الليل
		<u>المؤمنون ٢٣ :</u>
٣٨٤	١٢	ولقد خلقنا الانسان من سلسة
٣٨٧	١٢	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
٣٩٠-٣٨٩-٣٩٣	١٤	ثم خلقنا النطفة علقة
٣٩٢		
٣٢٩	١٧	ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق
٣٤٨	١٨	وأنزلنا من السماء ماء بقدر
١٥٣	٢٤	فقال الملوذ الذين كفروا
٥٧٧	٨١	بل قالوا مثل ما قال الأولون
١٥٧	٨٣	ان هذا الا اساطير الأولين
٢٧٥	٩١	ما اتخذ الله من ولد
٥٨٠ - ٤٧٨	١١٥	افحسبتم انما خلقناكم عبثا
		<u>النور ٢٤ :</u>
٤١٢	٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
٢٩١	٣٥	الزجاجة كأنها كوكب
٢٤٥	٣٧	رجال لا تلهيهم تجارة
٣٥٢	٤٣	الم تر أن الله يزجي سحابا

الصفحة	رقم الآية	الآية
٥٢٣ - ١٠١	٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
٢٨٢	٦١	كذلك يبين الله لكم
٢٦٦	٦٣	لا تجعلوا دعاء الرسول
		<u>الفرقان ٢٥ :</u>
١٤٨	٤٣	أرأيت من اتخذ الهه
٥٣٩	٤٤	أم تحسب أن أكثرهم يسمعون
٤٥٤	٤٧	وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
٢٩٢	٦٧	والذين إذا انفقوا لم يسرفوا
١٠١	٧٠	إلا من تاب وآمن وعمل
		<u>الشعراء ٢٦ :</u>
١٥٥	٢٧	قال إن رسولكم الذي
١٥٥	٥٠	قالوا لا ضير أنا إلى ربنا
٤٨٩	١٨٩	فكذبوه فأخذهم عذاب
١٥٦	٢١٤	وانذر عشيرتك الأقربين
		<u>النمل ٢٧ :</u>
١٥٣	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها
٣٦٨	٦٠	وانزل لكم من السماء ماء
٣٣٩	٦١	أمن جعل الأرض قرارا
		<u>القصص ٢٨ :</u>
٤٨٢ - ١٤٨	٥٠	ومن أضل ممن اتبع هواه
٤٧٣	٥٨	وكم اهلكنا من قرية بطرت
١٠١	٦٧	فأما من تاب وآمل وعمل

المفحة	رقم الآية	الآية
٤٥٣ - ٣٥٩	٧١	قل أرأيتم ان جعل الله عليكم
٢٤٠	٧٦	ان قارون كان من قوم موسى
٥١٥-٥٠٠-٢٤٩	٧٧	وابتغ فيما آتاك الله
٤٨٩	٨١	فخسفنا به وبداره الأرض
		<u>العنكبوت ٢٩ :</u>
١١٧	٢	احسب الناس أن يتركوا
٤٨٦	١٤	فأخذهم الطوفان وهم ظلمون
٢٤٦	١٧	انما تعبدون من دون الله
٣٢٥	٢٠	قل سيروا في الأرض
٤٨٥	٤٠	فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
٢٨٧	٤١	مثل الذين اتخذوا من دون الله
٢٩٠ - ٦٨	٤٣	وتلك الأمثال نضربها
١٧٧	٤٥	ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
		<u>الروم ٣٠ :</u>
١٧	١ - ٢	ألم غلبت الروم
٥٥	٤	لله الأمر من قبل ومن بعد
-٣٧١-٣١٨-٣٨٣	٨	أو لم يتفكروا في أنفسهم
٥٨٦		
٤٢٢ - ٥٦١	١١	الله يبدؤ الخلق ثم يعيده
٥٦٣	١٢	ويوم تقوم الساعة يبلس
٥٦١	١٤	ويوم تقوم الساعة
١٠١ - ٨٤ - ٥٦١	١٥	فاما الذين آمنوا وعملوا
٥٦١	١٦	وأما الذين كفروا وكذبوا
٣٦٠	١٧	فسبحان الله حين تمسون
٣٧٤ - ٣٧١	٢٠	ومن آياته ان خلقكم من تراب

الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٠٩-٢٣٨-٣٧١ ٤٣٥-٤٢٢	٢١	ومن آيته ان خلق لكم من انفسكم
٣٩٩	٢٢	ومن آيته خلق السموات
٣١٨-٢٣٨ ٤٤٢-٣٥٧-٣٧١	٢٣	ومن آيته مناكم
٣٥١-٣١٨	٢٤	ومن آيته يريك البرق
٥٩٩	٢٥	ومن آيته ان تقوم السماء
٥٧٩	٢٧	وهو الذي بيدو الخلق
٢٨٤	٢٨	ضرب لكم مثلا من انفسكم
١٣٥	٢٩	بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم
١٩٩	٣١	وأقيموا الصلوة ولا تكونوا
٢٠٠	٣٢	من الذين فرقوا دينهم
٣٠٢	٣٣	واذا مس الناس ضر دعوا
٥٩٢-٣٠٢	٣٦	واذا أذقنا رحمة فرحوا بها
٥٩٢-٥٨٨	٣٧	أولم يروا ان الله يبسط
١٨٦	٣٨	فئات ذا القربى حقه
٢١٤	٣٩	وما اتيتم من ربا ليربوا
٤٦٣	٤٢	قل سيروا في الأرض فانظروا
٨٤	٤٤	من كفر فعليه كفره
٨٤	٤٥	ليجزى الذين آمنوا
٣١٨	٤٦	ومن آيته أن يرسل الرياح
٣١٨	٤٨	الله الذي يرسل الريح
٦٠٢-٣٦١-٣١٨	٥٠	فانظر الى اثر رحمة الله
٢٥١	٥٢	فانك لا تسمع الموتى

الصفحة	رقم الآية	الآية
٦٠٢-٥٩٩-٣٧٢	٥٤	الله الذي خلقكم من ضعف
٣٩٤	٥٤	ثم انكم بعد ذلك لميتون
٦٤-٦٣	٥٦	وقال الذين أوتوا العلم والايمان
٢٨٤	٥٨	ولقد ضربنا في هذا القراءان
		<u>لقمان ٣١ :</u>
٣٣٩	١٠	والقى في الأرض رواسي أن
١٣٧	١٣	يا بني لا تشرك بالله
١١١	١٧	واصبر على ما اصابك
٢٤٥	٢٠	ألم تر أن الله سخر لكم
٦٠١	٢٧	ولو أنما في الارض من شجرة
		<u>السجدة ٣٢ :</u>
٣٧٩	٧	الذي احسن كل شيء خلقه
٥٦٢	١٧	فلا تعلم نفس ما اخفى لهم
		<u>الأحزاب ٣٣ :</u>
٩٣	٢١	لقد كان لكم في رسول الله
٤٢٤	٣٥	ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين
٢٩٢	٣٨	وكان امر الله قدرا مقدورا
٢٥٦	٤٦	وداعيا الى الله باذنه
		<u>سبا ٣٤ :</u>
١٥٠	٣٤	وما ارسلنا في قرية
٤٧٤	٤٦	قل انما اعظكم بواحدة

المفحة	رقم الآية	الآية
		<u>فاطسر : ٣٥</u>
٤٧٩	٢٥	وان يكذبوك فقد كذب الذين
٦٠١	٤١	ان الله يمسك السموات والأرض
٢٩٢	٤٣	ولا يحيق المكر السيء الا بأهله
		<u>يس : ٣٦</u>
٣٥٩	٣٧	وآية لهم الليل نسلخ منه النهار
٣٣٠	٤٠	لا الشمس ينبغي لها ان تدرك
٥٧٩ - ٥٧٧	٧٨	وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
		<u>ص : ٣٨</u>
١٤٨	٢٦	فاحكم بين الناس بالحق
١٠٤	٤٤	انا وجدناه صابرا
		<u>الزمر : ٣٩</u>
٣٥٨	٥	خلق السموات والأرض بالحق
٢٧٨ - ٧٢	٩	قل هل يستوي الذين
١١٢ - ١٠٧	١٠	انما يوفى الصابرون
٥٧٢	١٥	الذين خسروا انفسهم وأهليهم
٢٧	٢٣	الله نزل احسن الحديد
١٥٨	٣٨	ولئن سألتهم من خلق السموات
٢٠٥	٤٣	ام اتخذوا من دون الله
		<u>غافر : ٤٠</u>
٢٦٧ - ٢٦٦	٤١	ويا قوم ما لى ادعوكم الى
٢٦٧	٤٣	لا جرم انما تدعونني اليه

المفحة	رقم الآية	الآية
٩٨	٦٠	ادعوني استجب لكم
٣٣٢	٦٤	الله الذي جعل لكم الأرض
٣٩٨ - ٣٨٦	٦٧	هو الذي خلقكم من تراب
		<u>فصلت ٤١ :</u>
٣	٢ - ١	حم تنزيل من الرحمن الرحيم
٣٣٤	٩	قل أينكم لتكفرون بالذي
٣٣٩	١٠	وجعل فيها رواسي من فوقها
٢٦	٢٦	وقال الذين كفروا
٤٨١	٤٤	والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر
٤٨١	٥٠	ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده
		<u>الشورى ٤٢ :</u>
٢٨٨	١١	ليس كمثله شيء
		<u>الزخرف ٤٣ :</u>
٢٨٢	٣	إنا جعلناه قرآنا عربيا
٢٨٠	٢٣	إنا وجدنا آباءنا على أمة
٢٨٠	٢٨	وإذا فعلوا فاحشة قالوا
١٥٧	٣١	لولا نزل هذا القرآن على رجل
٥٩٣/٢٢٢	٣٢	ورفعنا بعضهم فوق بعض
١٥٤	٥٤	فاستخف قومه فاطعوه
٢٨٩	٥٦	فجعلناهم سلفا ومثلا
٢٨٩	٥٩	وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
		<u>الدخان ٤٤ :</u>
٤٧٨	٣٨	وما خلقنا السموات والأرض

الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>الجاثية ٤٥ :</u>
٣٤٤	١٢	الله الذي سخر لكم البحر
٤٨٣	١٣	وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض
٧٠	١٨	ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
١٤٨	٢٣	أفرأيت من اتخذ الهه
٤٧٨	٢٤	وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا
		<u>الأحقاف ٤٦ :</u>
١٥٩	٤	قل أرأيتم ما تدعون من دون الله
٢٦٧	٣١	يا قومنا اجيبوا داعي الله
١١١	٣٥	فاصبر كما صبر أولوا العزم
		<u>محمد ٤٧ :</u>
١٤٨	١٤	أقمن كان على بينة
٢٨٩	١٥	مثل الجنة التي وعد المتقون
٧٢	١٩	فاعلم أنه لا اله الا الله
٢٨٢	٢٤	أفلا يتدبرون القرآن
		<u>الفتح ٤٨ :</u>
١٩	٢٧	لقد صدق الله رسوله
١٠١	٢٩	وعد الله الذين ءامنوا
		<u>الحجرات ٤٩ :</u>
٢١٦ - ٢١١	١٠	انما المؤمنون اخوة
٣٧٨ - ٢٠٩ - ١٦٧ ٤٢٢	١٣	ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر

المفحة	رقم الآية	الآية
		<u>ق ٥٠ :</u>
٥٧٨	٥	بل كذبوا بالحق لما جاءهم
٣٦٨	٧	والأرض مددناها والقينا
٣١١ - ٣٠٩	١٦	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم
٢٧٢	٢٧	ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
		<u>الذاريات ٥١ :</u>
٤٨٨	٢٢	لنرسل عليهم حجارة من طين
٤٨٧	٤١	وفي عاد اذا أرسلنا عليهم الريح
٣٢٩	٤٧	والسما بنيناها بأيد
٣٣٥	٤٨	والارض فرشنا فنعم الماهدون
١٦٦	٥٦	وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
٥٩٤	٥٨	ان الله هو الرازق ذو القوة المتين
		<u>الطور ٥٢ :</u>
٣٥١	٦	والبحر المسجور
٥٨١	١٣	يوم يدعون الى نار جهنم
٧	٣٣	أم يقولون تقوله
		<u>النجم ٥٣ :</u>
٢٩٢	٥٨	ليس لها من دون الله كاشفة
		<u>القمر ٥٤ :</u>
٤٨٦ - ٣٤٩	١١	ففتحنا ابواب السماء بماء

المفحة	رقم الآية	الآية
		<u>الرحمن ٥٥ :</u>
٧٥	١ - ٢	الرحمن علم القرآن
٣٨١	١٤	خلق الانسان من صلصال
		<u>الواقعة ٥٦ :</u>
٣٤٩	٦٨	افرايتم الماء الذي تشربون
		<u>الحديد ٥٧ :</u>
٩٦	١٩	من ذا الذي يقرض الله
٥١٦	٢٥	لقد أرسلنا رسلنا بالبينات
٥١٤	٢٥	وانزلنا الحديد فيه بأس شديد
		<u>المجادلة ٥٨ :</u>
٢٢٥	١	قد سمع الله قول التي
٢٢	٨	ويقولون في أنفسهم لولا
٥٨٦	٩	واتقوا الله الذي اليه تحشرون
٦٤	١١	يرفع الله الذين آمنوا منكم
٢١١	٢٢	لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
		<u>الحشر ٥٩ :</u>
١٩٨	٩	والذين تبوءوا الدار
٥٤١	١٩	ولا تكونوا كالذين نسوا الله
٣٤١	٢١	لو أنزلنا هذا القرآن
		<u>المصف ٦٠ :</u>
٥٤٠	٥	فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم

الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>الجمعة ٦٢ :</u>
٥٩٥	١٠	فاذا قضيت الصلوة
		<u>الطلاق ٦٥ :</u>
٤٣٠	٣٤	لينفق ذو سعة من سعته
		<u>التحریم ٦٦ :</u>
٥٦٢	٦	يأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم
		<u>المالك ٦٧ :</u>
٢٧٤	١٠	لو كنا نسمع أو نعقل
٣٠٩	١٣	وأسروا قولكم أو اجهروا به
٥٩٥	١٥	فامشوا في مناكبها وكلوا
		<u>القلم ٦٨ :</u>
٤٨١	٣٥	أفنجعل المسلمين كالمجرمين
٤٨٢	٤٤	سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
		<u>الحاقة ٦٩ :</u>
٤٨٧	٦	وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر
٣٢٩	٣٨	فلا أقسم بما تبصرون
		<u>نوح ٧١ :</u>
١٤٣	٧	واني كلما دعوتهم
٣٢٢ - ٣٧٥	١٧	والله انبتكم من الارض نباتا
١٥٥	٢١	قال نوح رب انهم عصوني

الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>الجن ٧٢ :</u>
٥٧٨	٧	وانهم ظنوا كما ظننتهم
		<u>المزمل ٧٣ :</u>
٢٤٦	٢٠	وآخرون يضربون في الأرض
		<u>المدثر ٧٤ :</u>
١٥٩	١١	ذري ومن خلقت وحيدا
		<u>القيامة ٧٥ :</u>
٣٠٨	٢	فلا اقم بالنفس اللوامة
٥٦٩	٣٦	أيحسب الانسان أن يترك سدى
		<u>الانسان ٧٦ :</u>
٣٨٧ - ٩٥	٢	انا خلقنا الانسان
٢٢٨	٧	يوفون بالندر ويخافون
٩٨	٨	ويطعمون الطعام على حبه
		<u>المرسلات ٧٧ :</u>
٣٨٤	٢٠	ألم نخلقكم من ماء مهين
٣٢٩	٢٧	وجعلنا فيها رواسي
		<u>النبا ٧٨ :</u>
٣٢٧	٧	والجبال اوتادا
٤٥٤	١٠	وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
		<u>النازعات ٧٩ :</u>
٣٣٥	٣٠	والارض بعد ذلك رجاها

الصفحة	رقم الآية	الآية
		<u>عبس ٨٠ :</u>
٢٨٦	٢٠	ثم السبيل يسره
٢٦٢	٢٤	فلينظر الانسان الى طعامه
		<u>المطففين ٨٣ :</u>
٥٤١	١٤	كلا بل ران على قلوبهم
		<u>الطارق ٨٦ :</u>
٢٨٥	٦	خلق من ماء دافق
		<u>الفجر ٨٩ :</u>
٤٧٢	٩	ألم تر كيف فعل ربك بعاد
٢٠٨	٢٧	يأيتها النفس المطمئنة
		<u>البلد ٩٠ :</u>
٥٣٦ - ٢١٠	١٠	وهديناه النجدين
		<u>الشمس ٩١ :</u>
٢٠٥	١	والشمس وضحاها
٢١٢	٩	قد افلح من زكها
		<u>العلق ٩٦ :</u>
٦٦	١	اقرأ باسم ربك الذي خلق
		<u>الزلزلة ٩٩ :</u>
٥٦٣	١	إذا زلزلت الأرض

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	الحديث أو الأثر
٤٥٤	احب الصيام الى الله صيام داوود ...
١٩٠	احفظوا انسابكم تصلوا ارحامكم
٢٦٧	أدعوك بدعاية الاسلام
٤٢٨ ، ٤١٠	إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه
٤٥٦	إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك ...
٤٣٠	إذا خطب احدكم امرأة ...
٤١٢	إذا ظهر الزنا والربا في قرية ...
٣٩١	إذا مر بالنطفة اثنتان واربعون ليلة ...
٤٤٠	إذا انفق المسلم نفقه على أهله ...
١٢٦	أرأيتم لو أن نهرا ...
٢٨٩	اشد الناس بلاء الأنبياء ...
١٨٩	اعبدوا الله وحده
٢٧	اقرأ على قلت يا رسول الله اقرأ عليك ..
١٨١	اقرب ما يكون العبد من ربه ...
٤٣٢	الا اخبركم بالتيس المستعار ...
٥٣٢ ، ٢١	الا ان ربي امرني ان اعلمكم ...
٢٦١	اللهم بك امسينا وبك اصبحنا ...
٣٥٥	اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك ..
١٩	ليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ...
٣٦٠	امسينا وامسى الملك لله ...
٢٦١	ان ابا سفيان يحب هذا الفخر ...
٥٩٠ ، ٣٩٢	ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه ..
٢٠٠	انا اغنى الشركاء عن الشرك ...

المفحة	الحديث أو الأثر
٨٦	انا يصعب علينا حفظ القرآن ...
١٩٣	ان الرحمة لا تنزل على قوم
٣٠٦	ان الروح اذا قبض تبعه
٥٤١	ان العبد اذا أخطأ نكتت في قلبه
٢٩٣	ان القرآن نزل على خمسة أوجه
٢٢٩	ان الله تصدق عليكم عند وفاتكم ..
٢٧٥ ، ٢٢٧ ، ٤٠٣	ان الله خلق آدم من قبضة قبضها ...
٢١٢	ان الله عز وجل قد اذهب عنكم
١٠١	ان الله قال : من عادى لي وليا
١٩٥	ان الله يوصيكم بامهاتكم
٢٢٦	ان انس بن مالك ضعف عن الصوم ...
٤٠٦	ان المؤمن للمؤمن كالبنيان
٤٢٠	ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم ...
٤١١	انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ اما والله اني اخشاكم لله
٢٢٢	ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر صاعا
٨٦	ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر ...
٤٥٦	ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره النوم قبل العشاء ...
٤٢٩	انظر اليها فانه احرى ان يؤدم ...
٢٢٣	انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم
٥١٥ ، ٥١٠	ان قامت الساعة وببئ أحدكم فسيلة ...
١٢٩	انك تقدم على قوم من اهل الكتاب ...

الصفحة	الحديث أو الأثر
١٢٧	ان هذا من قوم يتألهون ...
٣٤٩	انه صلى الله عليه وسلم اذا شرب الماء
٢٠١	اني خلقت عبادي حنفاء كلهم ...
١٣٠	اني لأعطي الرجل وغيره احب الي
١١٤	اني لم ابعث لعانا ...
٤٤٠	او املك لك ان نزع الله من قلبك
١٩٢	اي الاعمال احب الي الله قال الايمان بالله
٧٤	بلغوا عني ولو آية
٢٢٦	بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل
٢٤٩	بعث الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خذ عليك ثيابك
٤٠٦	تري المؤمنين في تراحمهم
١٩٠	تعلموا انسابكم ثم صلوا ...
١٩٠	تعلموا من انسابكم ما تصلون
٤٢٧	تنكح المرأة لأربع
٢٢٩	تهادوا فان الهدية تذهب
٩٧	ثلاث من كن فيه وجد ...
٢٤٩	جاء ثلاثة رهط الي بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته
١٨١ ، ٤٣٦	حبب الي من الدنيا
٥٥٢	الحمد رأس الشكر
١٩٤	خلق الله الخلق فلما فرغ منه
٤٣١	خيركم خيركم لأهله
٤٢٧	الذي تسره اذا نظر وتطيعه اذا أمر

المفحة	الحديث أو الأثر
١٩٥	الرحم شجنة من الرحمن
١٩٢	الرحم معلقة بالعرش
٢٧٧	رفع القلم عن ثلاثة ...
٤٦٠	الرؤيا من الله والحلم من الشيطان
١٩٢	الصدقة على المسكين صدقة
١٩٣	صلة الرحم وحسن الجوار
١١٣	الطهور شرط الايمان
١١٣	عجبا لامر المؤمن
٤١٤	فاعتق عن كل واحدة بدنة
٥٤٢	فحامل المسك اما ان يحدّيك
٢٢٣	فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر
٧٢	فضل العالم على العابد
٢٦	فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنه
٢٦٢	فوالله لان يهدي بك رجل
٢١	فيما نزلت هذه الآية
٧٨	قد اراد القوم الصلح
٢٦١	قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشدد فرحهم بنا ... (وفد عبدالقيس)
٢٣٠	كان أبو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا ..
٤١٥	كان الرجل اذا مات كان اولياؤه احق بامرأته
١٨	كان المسلمون يحبون ان تظهر الروم
١٨٠	كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزبه
٢٠٨	كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه خطبة الحاجة

الصفحة	الحديث أو الأثر
٨٦	كان يقرئهم العشر فلا يجازونها
٤١٥	كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه احق بامرأته
٥٣٠	كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين
٨٠	كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
٩٥	لا تزول قدما عبد حتى يسأل
٥٧	لان تدع ورثتك اغنياء
١٩٤	لا يدخل الجنة قاطع
٢٤٨	لا يدخل الجنة من كان في قلبه ...
٥٣	لا يزال من امتي أمة قائمة بأمر الله
٥٥٢	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٨٦	لما أسرى بي مررت على رجال
٢٢١	لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابو بكر
٥٩	لو أنكم توكلتم على الله حق
٣١٢	ليس الشديد بالصرعة
١٨٩	ليس الواصل بالمكافيء
١٣٧	ليس ذلك انما هو الشرك
٤٢٨	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير له من زوجة
٥٩٦	ما اكل احد طعاما قط خيرا
٤٥١	ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ..
٢٧٨	ما من مولود الا يولد على الفطرة
١٦٨	مثله كمثل رجل بنى دارا
٢٧٨	المرء مع من احب

المفحة	الحديث أو الأثر
٢٧٧ ، ٢٧٨	مروا أولادكم بالملاة وهم ...
١٩١	من احب ان يبسط له في رزقه
١٣٠	من دخل دار ابي سفيان
٢٨٨	من سره أن يتمثل له الرجال قياما ...
١٩٢	من سره أن يمد له في عمره
٧٢	من سلك طريقا يلتمس
١٩١	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٧٢	من مات وهو يعلم
١١٣	من يتصبر يصبره الله
٥٧٧	نعم وبيعتك الله ويدخلك النار
١٢٧	هذا رجل غادر
١٦٧	هل تدري حق الله على عباده
٢٢٢	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف
٣٠	والله الذي لا اله الا هو ما نزلت سورة ...
٤٤١	ومهما انفقت فهو لك صدقة
١٨٢	يا بلال أقم الملاة ...
٣٥٦	يأبي الله عليك ذلك وابناء قلة
١٩٢	يا رسول الله او يا محمد اخبرني بعمل يدخلني
٢٣٠	يا رسول الله اني استفتت مالا ..
١٩٢	يا رسول الله اى الاعمال احب الى الله
١٧٧	يا سلمان الا تسألني لم افعل هذا
٥٨٥	يا عبادي انما هي اعمالكم احصيا لكم

الصفحة	الحديث أو الأثر
٤١٠	يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
٢٩١	يا معشر المهاجرين خمس اذا ابتليتم بهن واعو بالله ان تدركوهن
٤٥٥	يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم
٤٢٩	يمن المرأة تيسر خطبتها
٤٥٤	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا

فهرس الأعلام

(١)

- ابراهيم عليه السلام : ٦٩ ، ١١٢
- ابراهيم بن ادهم بن منصور البلخي ، زاهد مشهور ، أخذ من كثير من العلماء ، كان يأكل من عمل يده ، وكان يشترك في غزو الروم ، سنة ١٦١ هـ ، (انظر الأعلام ٣١/١) : ص ٩٨ .
- ابراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، كوفي فقيه ، ولد سنة ٥٠ هـ ، وتوفي وهو نحو ستخف عن الحجاج ، سنة ٩٦ هـ ، وفيات الأعيان : ٢٥/١ .
- أبي بن خلف بن وهب : ٥٧٧ .
- أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي (صحابي) : ص ٨٦ .
- أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ، ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، قال الشافعي عنه (خرجت من بغداد وما خلفت بها أتقى ولا أوفقه من ابن حنبل ، عذب في فتنة خلق القرآن ، وكان لصبره وموقفه نصرا للإسلام والمسلمين ، توفي سنة ٢٤١ هـ (انظر وفيات الأعيان ٦٣/١) : ص ١٧ ، ٨٠ ، ٩١ ، ٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٦١ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ .
- أحمد بن مروان الدينوري المالكي ، من رجال الحديث ، سنة ٣٣٣ هـ (انظر الأعلام للزركلي) .
- آدم عليه السلام : ص ٦٦ ، ٢٧٧ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢ .
- اريد بن ربيعة : ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
- أردشير الأول ملك فارس ، سنة ٢٤٠ م واشتهر بالقوة وهو مؤسس الأسرة الساسانية (الموسوعة العربية الميسرة : ١١٥/١) : ص ٣٦ .
- الأزهرى محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي أحد أئمة اللغة والأدب ، سنة ٢٧٠ هـ ، ص ٤٨٩ .
- ابن اسحاق - أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار الطلبي ، سنة ١٥١ هـ ، مؤلف أصل سيرة ابن هشام ، ص ٤٩٠ .

- اسماعيل عليه السلام : ص ١١٢ .
- أسيد بن خضير بن سماك الأنصاري الأشهلي (صحابي) : ص ١١٢ .
- أصحاب الجنتين : ص ١٦ .
- أصحاب الكهف : ص ١٦ .
- ابن الأعرابي - محمد بن زياد - علامة باللغة من أهل الكوفة ، ت سنة ٢٣١ هـ ،
(الأعلام للزركلي : ١٣١/٦) : ص ١٧٤ .
- الألباني - محمد ناصر الدين الألباني - : ص ٤٢٩
- الكسيس كاريل ، جراح وبيولوجي أمريكي ، له كتاب الانسان ذلك المجهول
، ت ١٩٤٤ م (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ص ٣٧٤ .
- أبو امامة - صدى بن عجلان الباهلي ، صحابي يقال انه شهد بدرا ، سكن الشام
وشهد صفين ، ت سنة ٨٦ هـ (الاصابة : ١٨٢/٢) : ص ٤٢٨ .
- أمير عبد العزيز (الدكتور) : ص ٣١٨ .
- أنس بن مالك بن النضر الأنصاري ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له ملازمة
طويلة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ت سنة ٩٣ (تذكرة الحفاظ : ٤٤/١) : ص ٨٠ .
- ٨٥ ، ١٨٠ ، ١٩١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٩ ، ٤٢٠ ، ٤٣٦ ، ٤٥٢ .
- انشتاين ، عالم مشهور ولد سنة ١٨٧٩ م ، ساهم بنصيب وافر في علوم الرياضة
والفلك ، اشتهر بنظريته النسبية ، مات سنة ١٩٥٥ م (دائرة معارف الناشئين
ص ٦٢) : ص ٣٢٩ .
- أنور حمدي (دكتور) ، ص ٤٥٨ .
- الأوزاعي ، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ، ولد في بعلبك عام ٨٨ هـ ،
وتوفي ببيروت عام ١٥٧ هـ (القاموس الاسلامي) : ص ١٨٤ .
- أوس بن الصامت (صحابي) : ص ٢٢٥ .
- أيوب عليه السلام : ص ١٠٣ ، ١١٢ .
- أبو أيوب الأنصاري - خالد بن زيد - (صحابي) ، توفي في حصار القسطنطينية عام
٥٠ هـ : ص ١٩٢ .

(ب)

- الباقلائي - محمد بن الطيب بن محمد - قاضي من كبار علماء الكلام ، ولد فسي
البصرة سنة ٣٣٨ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ (وفيات الأعيان : ٢٦٩/٤) :
ص ٨ ، ١٢ ، ١٤ ، ٣٠/١٥ .

- البخاري - محمد بن اسماعيل بن المغيرة شيخ الاسلام وامام الحفاظ (١٩٤ -
٢٥٦) ، تذكرة الحفاظ : ٥٥٥/٢ : ص ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٩٣ ، ١٠٠ ،
١٢٨ ، ١٧٦ ، ١٨٩ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٣٠ ، ٤١١ ، ٤١٤ ،
٤٤٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٥٣٢ .

- أبي برزة الأسلمي (صحابي) ت سنة ٦٥ هـ .
- البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري الأوسي ، استصفر يوم بدر وشهد ما بعدها
، توفي سنة ٧٢ هـ (الاصابة : ١٤٢/١) : ص ٤٥٦ .
- البزار - أبو بكر أحمد بن عمرو - من المحدثين ، ت ٢٩٢ هـ بالرطة ، له المسند
: ص ١٨٠ .

- بلال بن رباح الحبشي - مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ت سنة ٢٠ هـ .
- بولس ، يهودي ولد في طرسوس وتنصرف في دمشق ، وهو الذي أخرج الطسة
النصرانية من ثوبها الطبيعي الى ثوب الشرك (انظر شارل جينز - المسيحية) :
ص ٣٨ .

- البيضاوي - ناصر الدين عبد الله بن عمر ، ت ٦٩١ هـ ، : ص ١٨٨ ، ٣٣٥ ، ٣٨٠ ،
٤٠٢ .

- البيهقي - أبو بكر أحمد بن الحسين الخسرو جردى - صاحب التصانيف ، ولد
سنة ٣٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٨ هـ (تذكرة الحفاظ : ١٣٢/٣) : ص ١٩ ،
٢٢٦ ، ٢٩٣ .

(ت)

- الترمذي - محمد بن عيسى بن سورة - ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٧٩ : ص ٥٩ ،
٩٥ ، ١٣٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٣٢ ، ٢٧٧ ، ٣٧٥ ، ٤٢٩ ، ٥٤١ .

- ترتوليان ، أسقف مسيحي عاش بين ١٦٠ - ٢٤٥ ميلادية (المنجد في الأدب والعلوم : ص ٢٠ .

- ابن تيمية - الامام الحافظ الناقد الفقيه المجتهد أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحرائي ، حدث بدمشق ، ومصر ، والشفر ، ولد سنة ٦٦١ هـ ، وتوفي سنة ٧٢٨ هـ (تذكرة الحفاظ : ١٤٩٦/٤) : ص ١٤ ، ٤٩ ، ١٣٧ ، ١٦٧ ، ٢٥٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٤٧ ، ٥٣٤ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ .

- تيودوسيوس (الأول) امبراطور روماني ، عاش بين سنة (٣٤٦ - ٣٩٥ م) انقسمت ملكته بعد وفاته بين ولديه هونوريوس وأركاديوس ، (الموسوعة العربية الميسرة : ٥٨٩/١) : ص ٣٧ .

(ث)

- أبوشور - ابراهيم بن خالد الكلبى البغدادي ، صاحب الامام الشافعي ، توفي سنة ٢٤٠ هـ : ص ١٨٤ .

(ج)

- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ، صحابي شهد بيعة العقبة وفزا تسع عشرة غزوة ومات سنة ٧٨ هـ (تذكرة الحفاظ : ٤٣/١) : ص ٢١ ، ١٨٠ .

- الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر - أديب عباسي معتزلي ، ولد وعاش في البصرة ، وتوفي عام ٢٥٥ هـ (القاموس الاسلامي) : ص ١٣ ، ١٥ .

- جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، صحابي أسلم يوم الفتح أو قبل حنين ، توفي سنة ٥٨ هـ ، وقيل ٥٩ هـ بالمدينة (الاصابة : ٢٢٥/١) : ص ١٩٤ .

- الجرجاني - علي بن محمد بن علي الجرجاني - (٧٤٠ - ٨١٦) ((البدر الطالع للشوكاني : ٤٨٨/١)) : ص ١٤٥ ، ٤٤٤ .

- الجرجاني - عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، ت ٤٧١ هـ ، من أئمة اللغاة والبلاغة (فوات الوفيات : ٣٧٠/٢) : ص ١١ ، ٢٩٥ .

- جمعة الخولي (دكتور) : ص ٤٩٣ .

- أبو جهل - عمرو بن هشام : ص ٣ .

- ابن الجوزى - أبو الفرج عبدالرحمن بن طلى بن محمد البغدادى الواظظ الفسّر
صاحب التصانيف السائرة (٥١٠ - ٥٩٧) ، مولده ووفاته ببغداد (البدايئة
والنهاية : ١٣ / ٣١) : ص ٥٧ ، ٩١ ، ١٤٥ ، ١٩٦ ، ٢٥٥ ، ٢٧٣ ، ٢٨٠
- جيبون - ادوارد - مؤرخ انجليزى عاش فى الفترة من (١٧٣٧م - ١٧٩٤م) اشتهر
بكتابه اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها : ص ٣٨ ، ٣٩ .

(ج)

- أبو حاتم محمد بن حبان البستى ، أحد أوعية العلم فى اللغة والفقه والحديث والوعظ
، ت ٣٥٤ هـ (روضة العقلاء) : ص ٤٨ .
- ابن حجر - أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى - من أئمة الحديث مولده
وفاته بالقاهرة (٧٧٣ - ٨٥٢) (البدر الطالع : ١ / ٨٢) : ص
- حذيفة بن اليمان العيسى (صحابى) : ص ١٨٠ .
- الحسن بن يسار البصرى ، روى عن كثير من الصحابة ، كان عالما جامعاً فقيهاً
عابداً ناسكاً فصيحاً جميلاً وسيماً ، ت ١١٠ هـ (الطبقات الكبرى : ٧ / ١٥٦) : ص ٥٣
، ٥٤ ، ١١٥ ، ١٨٤ ، ٢٩٢ ، ٤٢٨ ، ٤٩٥ ، ٥٤١ .
- حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة ، وقتل
شهيدياً فى غزوة أحد (أسد الغابة : ٢ / ٤٦) : ص ١٩٦ .
- الحكيم الترمذى - أبى عبدالله محمد بن على بن الحسين ، عالم بالحديث وأصول الدين
، اختلف فى وفاته قيل ٣٣٠ هـ (كتاب الأمثال) : ص ٢٣٥ ، ٤٦٠ .
- أبو حميد الساعدى عبدالرحمن بن المنذر (صحابى) من الأنصار ومن قرائهم وتوفى
بالمدينة (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستى) ص ٤٣٠ .
- الحلبي بن علقمة الحارثى سيد الأحابيش ورئيسهم يوم أحد (الأعلام : ٢ / ٢٧٠)
: ص ١٢٧ .
- أبو حنيفة - النعمان بن ثابت الكوفى الامام العابد الزاهد الفقيه ، قال فيه
الشافعى : الناس عمال فى الفقه على أبى حنيفة ، توفى سنة ١٥٠ هـ : ص ٢٤٣ .

(خ)

- الخازن - علي بن محمد بن ابراهيم الشيعي - كان من علماء التفسير والحديث ، ولد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ وكان خان الكتب بالمدرسة السيمساطية بدمشق ، توفي فسي حلب سنة ٧٤١ هـ (الأعلام للزركلي) : ص ١٨٨ .
- خالص جليبي (الدكتور) : ص ٣٧٦ ، ٣٧٩ .
- خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله ، مات بدمشق على رئاسة سنة ٢١ هـ (انظر مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص ٣١) : ص ٢٣٦ .
- الخضري عليه السلام : ص ٦٩ .
- الخطيب الاسكافى أبو عبد الله محمد بن عبد الله - عالم فى اللغة والأدب من أهل اصفهان ، كان خطيباً بالرى ، ت سنة ٤٢٠ هـ (الأعلام) : ص ٤٠٢ ، ٤٣٨ .
- الخطيب البغدادى - أحمد بن علي بن ثابت - أحد الحفاظ المؤرخين ، كان فصيح اللهجة ، عارفاً بالأدب والشعر ، ولوعا بالمطالعة والتأليف ، ت سنة ٤٦٣ هـ ، (الأعلام : ١/١٧٢) : ص ٩١ .
- ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد - ولد بتونس وتوفى بمصر يعتبر واضع أسس علم الاجتماع (٣٧٢ - ٨١٨) (الأعلام للزركلي) : ص ٤٠١ - ٥١٧ .
- خولة بنت ثعلبة (صحابية) : ص ٢٢٥ .

(د)

- الدارقطنى - أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادى الحافظ الشهير ، صاحب السنن (٣٠٦ - ٤٢٥) (مقدمة السنن ص ٧) : ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- الدارمى - أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ، ت سنة ٢٥٥ هـ ، كان يضرب به المثل فى الحلم والدراسة والحفظ والعبادة والزهد (مقدمة سنن الدارمى) : ص ٤٢٩ .
- داود عليه السلام : ص ٤٥٤ .
- داود الطائى : ص ٤٥٤ .

- أبو داود - سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥) أحد حفاظ الإسلام
ومن أئمة المحدثين ، صاحب السنن ، قال ابن حبان عنه : أحد أئمة الدنيا
فقهها وعلمها وحفظها ونسكا وورعا واتقاناً (مقدمة السنن) : ص ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٥٤

- دراز محمد بن عبدالله (الدكتور) : ص ١٤ .

- ابن الدغنة : ص ٢٩ .

- دروزة - محمد عزة دروزة : ص ٤٨٣ .

(ذ)

- أبو ذر - جندب بن جنادة بن سفيان (صحابي) شهد المشاهد ومات بالريذة
سنة ٣٢ هـ (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٢) : ص ٥٨٦ .

(ر)

- الرازي - أبو عبدالله محمد بن عمر الطبرستاني فخر الدين الرازي ، صاحب
التفسير المشهور (٥٤٣ - ٦٠٦) (انظر التفسير الكبير) : ص ٤٩ ، ٦٦ ، ١٦٤
- الراغب - أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الأصفهاني ، اشتهر بالفردات
في غريب القرآن ، وله كتب أخرى ، ولم يعرف مولده ، ت ٥٠٢ هـ : ص ٢٧١ ،
٢٧٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٥٣٠ .

- الرافعي - مصطفى صادق بن عبدالرزاق ، أديب وكاتب مصري ، توفي بمصر
(١٢٩٨ - ١٣٥٦) (اعلام الزركلي : ٢٣٥/٧) : ص ٩ .

- الربيع بن خثيم الثوري التميمي ، من عباد أهل الكوفة وزهادهم ، مات بها سنة
٦٣ هـ ، (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٠٠) : ص ٤٨

- الرشيد - هارون بن محمد - (ال خليفة العباسي) ت سنة ١٩٣ هـ

(ز)

- الزجاج - ابراهيم بن السري بن سهل أبو اسحق الزجاج - عالم بالنحو واللغة ولد
سنة ٢٤١ هـ ، وتوفي سنة ٣١١ هـ (اعلام الزركلي : ٣٣/١) : ص ٦٥ .

- الزرقاني - محمد عبد العظيم ، من علماء الأزهر ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٦٧ هـ (اعلام
الزركلي) : ص ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣١ ، ٣٢٣ .

- الزركسى - بدر الدين محمد بن عبدالله بهادر ، أحد العلماء الأثبات الذين نجموا بالقاهرة ، وبها توفى (٧٤٥ - ٧٩٤) ، انظر النجوم الزاهرة : ١٢ / ١٣٤ ، ص : ٣٠ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٢٩٣ .
- الزمخشري - محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ، من أئمة العلم والتفسير واللغة ، كان معتزلي المذهب ، شديد الانكار على المتصوفة ، وأكثر التشنيع عليهم في الكشاف وغيره (لسان الميزان : ٤ / ٦ ، وأعلام الزركسى : ٧ / ١٧٨) ، توفى سنة ٥٢٨ هـ : ص ٤٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٣ ، ٤١٥ ، ٥٢٠ ، ٥٣٠ .
- زكريا عليه السلام : ص ٢١٤ .
- زيد بن ثابت بن الضحاک الأنصاري الخزرجي ، وكان كاتب الوحي ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ت سنة ٤٥ هـ : ص ١٢٧ .
- زيد بن وهب الجهني الهمداني أبو سليمان من تابعي الكوفة ، ت سنة ٩٦ هـ ، (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٠٢) : ص ٣٩٢ .
- (س)
- سابور - اسم عدة ملوك من بني ساسان : ص ١٧ ، ٣٧ .
- سارتر - جان بول - فيلسوف فرنسي ولد في باريس سنة ١٩٠٥ م ، نسب إليه المذهب الوجودي في الفلسفة الداعي الى انكار وجود الله عز وجل (انظر الموسوعة العربية الميسرة : ١ / ٩٤٢) : ص ١٨٢ .
- سالم بن أبي الجعد مولى أشجع ، من تابعي الكوفة ، مات سنة ٩٧ هـ (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ١٠٧) : ص ١٨٢ .
- ستانلاوا - باحثة سويسرية : ص ٤٥٦ .
- السجستاني - أبو بكر محمد السجستاني ، اشتهر بكتابة غريب القرآن ، توفى سنة ٣٣٠ هـ (أعلام الزركسى : ٦ / ٢٦٨) : ص ٥٣٠ .
- السدي - اسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، من مشاهير التابعين بالكوفة ، مات سنة ١٢٧ هـ (مشاهير علماء الأمصار ص ١١١) ، ص ٦٥ .
- سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي الأنصاري (صحابي) رمى بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه : ص ١٣٠ .

- سعد بن أبي وقاص مالك بن بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة - صحابي كان ثالثاً في الاسلام ، شهد المشاهد كلها : ص ٥٧ ، ٩٠
- السعدي - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم ، ولد بعنيزة عام ١٣٠٧ هـ ، ونبغ في العلوم وتقلد الاجتهاد ، توفي عام ١٣٧٦ هـ بعنيزة (علماء نجد : ٤٢٢/٢) : ص ١٨٨ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٥٨٥ ، ٤٢٤
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٨٩٨ - ٩٨٢) مفسر من علماء الترك المستعربين ، ولد بقرب القسطنطينية ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه (الأعلام : ٥٩/٧) : ص ٣٨١ ، ٤٣٥ ، ٤٤٣ ، ٥٣١
- سفيان الثوري - أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن سرور الثوري الكوفي ، قال فيه الامام أحمد : لم يتقدمه في قلبي أحد ، ت ١٦١ هـ (تذكرة الحفاظ : ٢٠٣/١) : ص ٤٨
- أبو سفيان - صخر بن حرب بن أمية (صحابي) توفي في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه (تهذيب التهذيب : ٤١٢/٤) : ص ١٣٠
- سلمان بن عامر بن أوس بن حجر الضبي ، له صحبة ، قال مسلم : وليس في الصحابة ضبي غيره ، قتل يوم الجمل عن مائة سنة ، (تهذيب التهذيب (١٣٧/٤) : ص ١٩٢
- سلمان الفارسي رضي الله عنه ، خرج من بلده طالبا الاسلام فأسروهم في المدينة وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي الدرداء ، ت ٣٣ هـ (الاصابة على هاشم الاصابة : ٥٦/٢) : ص ١٩٣
- سهل بن سعد بن مالك الأنصاري (صحابي) ، توفي النبي صلى الله عليه وسلم وعمره خمس عشرة سنة ، مات سنة ٩١ هـ (انظر الاصابة : ٨٨/٢) : ص ٣٢٣
- سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري (صحابي) أسلم يوم الفتح وكان خطيب قريش ، مات بالطاعون في الشام ، ت ١٨ هـ (صفة الصفوة : ٣٠٧/١) : ص ١٢٨
- سيد قطب بن ابراهيم ، مفكر اسلامي مصري (١٣٢٤ - ١٣٨٧) : سجن ثم أعدم (الأعلام : ١٤٧/٣) : ص ١٠ ، ١٢ ، ٧٨ ، ١٤٥ ، ١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٣٠٢ ، ٥٩١ ، ٥٥٧ ، ٤٩٠ ، ٤٨٧ ، ٣٢٠

- ابن سيده - أبو الحسن علي بن اسماعيل (٣٩٨ - ٤٥٨) امام في اللغة وآدابها
، ولد بمرسية في الأندلس (اعلام الزركلي : ٢٦٣/٤) : ص ٤٣٩
- السيوطي - جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد ، الامام الكبير صاحب
التصانيف ، ت (٩١١ هـ) (البدر الطالع : ٣٢٨/١) : ص ١٥ ، ١٨ ، ١٨١ ،
٢٩٤ .

(ش)

- الشافعي - أبو عبدالله محمد بن ادريس الهاشمي القرشي (١٥٠ - ٢٠٤) أحد
الأئمة الأربعة ، ولد بفلسطين وتوفي بصر (انظر وفيات الأعيان : ١٦٣/٤) :
ص ٦٧ ، ٩٢ ، ١٨٤ .
- شداد بن أوس بن ثابت النجاري الخزاعي ، ابن أخي حسان بن ثابت (صحابي) ،
ت ٥٨ هـ ، انظر (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٥٠) : ص ٥٦٢ .
- الشعبي - عامر بن شراحيل الحميري ، تابعي حافظ مجتهد ، ولد ونشأ بالكوفة
ومات فيها سنة ١٠٣ هـ (الأعلام) : ص ٤٨
- شعيب عليه السلام : ص ١٩٧
- الشنقيطي - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني : ص ٤٩ ، ٥٠٢
- شهاب بن عباد : ص ٢٦١
- شهربراز : ص ١٨
- الشوكاني - محمد بن علي بن محمد ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، وكسان
فقيها مجتهدا ، وكان يرى تحريم التقليد (١١٧٣ - ١٢٥٠) : ص ٢٢ ، ٦٥ ،
٢٠١
- ابن أبي شيبة - عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، مولاهم الكوفي ، له
السند والايان (١٥٩ - ٢٣٥) (أعلام الزركلي : ١١٧/٤) : ص ٢٢٦
(ص)
- صديق حسن خان - أبو الطيب نواب بهوفال (١٢٤٨ - ١٣٠٧) من رجال النهضة
المجددين (الأعلام) : ص ٣٩٣ ، ٥٢٩

- صهيب الرومي - صهيب بن سنان بن مالك (صحابي) ت سنة ٣٨ هـ بالمدينة سنة
(شاهير علماء الأماص ص ٢٠) : ص ١١٣
(ض)
- الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني ، كان اماما في التفسير ، قيل توفي
سنة ١٠٢ وقيل ١٠٥ (أعلام الزركلي : ٢١٥/٣) : ص ٣٤٩ .
(ط)
- أبو طالب - عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم - عم النبي صلى الله عليه وسلم
وكان للرسول صلى الله عليه وسلم عضدا وحرزا في أمره ، ومنعة وناصر على قومه ،
(أنظر القاموس الاسلامي لأحمد عطية الله : ٤٣٢/٤) : ص ١٩٦ .
- الطبراني - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي ، قال السيوطي
عنه مسند الدنيا وأحد فرسان هذا الشأن له المعاجم الثلاثة وغيرها ، توفي سنة
٣٦٠ هـ بأصفهان (مقدمة الروض الداني الى المعجم الصغير للطبراني) : ص ١٨٠ .
- الطبري - محمد بن جرير بن خالد - كان اماما في فنون كثيرة كالتفسير والحديث والفقه
والتاريخ ، كان مجتهدا لم يقلد أحدا ، ومن الناس من كان على مذهبه ، ت سنة
٣١٠ هـ (وفيات الأعيان : ١٩١/٤) : ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣٢٦ ، ٣٨١ ، ٣٩٣ .
- أبو طلحة - زيد بن سهل بن الأسود ، صحابي كان ممن شهد بدرًا وجواسم
المشاهد وكان من فرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مات سنة ٣٤ هـ بالمدينة
(شاهير علماء الأماص لابن حبان ص ١٥) : ص ٢٣٠ ، ٤٥٢ .
- طلق بن حبيب العنزي البصري ، قال أبو زرعة : كوفي سمع ابن عباس وهو ثقة
لكن كان يرى الأرجاء (تهذيب التهذيب : ٣١/٥) : ص ٩٠ .
- طنطاوي جوهرى ، فاضل اشتغل بالتفسير والعلوم الحديثة (١٢٨٧ - ١٣٥٨) ،
وتوفى بالقاهرة (أعلام الزركلي : ٢٣٠/٣) ، وكل تأليفاته مزج فيها الفكر الاسلامي
بالدراسات الكونية ولكنه توسع في اقحام علوم بأسرها في تفسيره وهذا ما أخذ
عليه (أحمد عطية الله - القاموس الاسلامي : ٥٤٣/٤) : ص ٣٦٥ ، ٤٤٩
(ع)
- عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنهما ، أم المؤمنين ، تزوجها الرسول صلى الله

عليه وسلم وهي بنت ست وقيل سبع ، ودخل عليها وهي بنت تسع ، وهي مسن
أحب نساء النبي صلى الله عليه وسلم اليه ، وأفقهن ، توفيت سنة ٥٨ هـ ودفنت
بالبقيع (الاصابة : ٣٥٩/٤) : ص ٢٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ،
٤٤٠ .

- عامر بن عبد قيس التميمي العنبري من عباد التابعين وزهادهم ، وأورع أهل البصرة
وأفضلهم ، ممن لا يأخذ في الله لومة لائم ، ت سنة ٥٥ هـ ببیت المقدس (شاهير
علما الأمازيغ ٨٩ - وأعلام الزركلي : ٢٥٢/٣) : ص ٢٧١ .

- عامر بن الطفيل بن مالك العامري ، فارس قومه ، وأحد فتاك العرب وشعرائهم
في الجاهلية ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم يريد الغدر به فلم يجروا وهلك
شركا (أعلام الزركلي : ٢٥٢/٣) : ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

- العباس بن عبد المطلب ، عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل الرسول
صلى الله عليه وسلم بسنتين ، وكان صاحب السقاية في الجاهلية ، أسرفسي
بدر وهاجر قبل الفتح ، توفي سنة ٣٢ (الاصابة : ٢٧١/٢) : ص ٢٦١ ، ٢٦٥
- عبد بن حميد بن نصر الكسبي من حفاظ الحديث ، ت سنة ٢٤٩ (الأعلام :
٢٦٨/٣) : ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

- عبد العزيز الخياط (الدكتور) : ص ٢١٥

- عبد الكريم الخطيب : ص ٤٤٣

- عبد الكريم زيدان : ص ٨٩

- عبد الله بن أبي بن مالك الخزرجي المشهور بابن سلول ، رئيس المنافقين فسسى
الاسلام ، هلك سنة ٩ (أعلام الزركلي : ٦٥/٤) : ص ٢٢ .

- عبد الله بن أبي أوفى الأسلي ، صحابي ، شهد بيعة الرضوان وهو آخر من مات
بالكوفة من الصحابة ، قيل مات سنة ٨٦ ، وقيل غير ذلك (تهذيب التهذيب :
١٥٢/٥) .

- عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، وهو أول مولود
ولد في الاسلام من المهاجرين بالمدينة ، قتله الحجاج بن يوسف في المسجد
الحرام ٧٢ (شاهير علما الأنصار لابن حبان ص ٣٠) : ص ٣٣٥ .

- عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل وسماه ابيــــن سمعود ترجمان القرآن ، توفي سنة ٦٨ (تذكرة الحفاظ (٤٠/١) : ص ١٨ ، ٤٨ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٨٧ ، ٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٨٩ ، ٤٩٥ .
- عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، توفي بمكة سنة ٧٣ هـ (الاستيعاب على هامش الاصابة : ٣٤١/٢) : ص ١٩٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ .
- عبدالله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي ، هاجر هو وأبوه قبل الفتح ، كان صواما قواما ، كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا ، توفي بصر سنة ٦٥ (تذكرة الحفاظ : (٤١/١) : ص ٨٠ ، ٨١ ، ١٨٩ ، ٤٥٤ .
- عبدالله بن المبارك مولى بنى حنظلة ، وكان أحد الأئمة فقهها وورعا وطما وفضلا وشجاعة ونجدة ، مات منصرفا من ترصوص سنة ١٨٠ (مشاهير علماء الأنصار لابن الحبان : ص ١٩٥) : ص ٧٨ .
- عبدالله بن سمعود الهذلي ، كان سادسا في الاسلام ، شهد بدرا ، والشاهد بعدها ، وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفي سنة ٣٢ هـ ، (الاصابة : ٣٦٨ ، والاستيعاب : ٣١٦/٢) : ص ٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٨ ، ٨٦ ، ١٣٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٢ ، ٤٥٢ ، ٥٩٠ .
- عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان زعيم قريش في الجاهلية وأحد سادات العرب ومقدميهم (الأعلام : ١٥٤/٤) : ص ٣ .
- عبدالمحسن صالح : ص ٤٤٥ .
- عبیدالله بن موسى بن أبي المختار ، مولاهم الكوفي أبو محمد الحافظ ، مات سنة ٢١٣ (تهذيب التهذيب : ٥٠/٧) : ص ١٩٣ .
- عتبة بن ربيعة بن عبدشمس ، شهد بدرا مع المشركين وقتل (الأعلام : ٢٠٠/٤) : ص ٣ ، ٤ .
- عثمان بن عفان الأموي ، أمير المؤمنين ذو النورين ، جامع الأمة على مصحف واحد ، من السابقين الصادقين القائمين الصائمين المنفقين في سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ذبح في داره والمصحف بين يديه سنة ٣٥ (تذكرة الحفاظ (٨/١) : ص ٤٨ ، ٨٦ ، ٥٢٣ .

- أبو العجفاء السلمي البصري ، قيل اسمه هرم بن نسيب ، روى عن عمر بن الخطاب وغيره ، مات قبل المئة (تهذيب التهذيب : ١٦٥/١٢) : ص ٤٢٩

- ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبدالله المعافى الاشبهلى النالكي ، قاضي من حفاظ الحديث ، بلغ رتبة الاجتهاد ، وصنف كتابا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ ، توفي سنة ٥٤٣ هـ (أعلام الزركلي : ٢٣٠/١٦) : ص ٢٢٤ .

- عروة بن الزبير بن العوام القرشي ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، من فقهاء المدينة وأفاضل التابعين ، وعباد قريش ، توفي سنة ٩٩ (مشاهير علماء الأنصار لابن حبان ص ٦٤) : ص ٤٢٩ .

- عطاء بن يسار الهلالي مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، الفقيه الواظ روى عن زيد بن ثابت وغيره ، كان ثقة جليلا من أوعية العلم ، توفي سنة ١٠٣ (تذكرة الحفاظ : ٩٠/١) : ص ١٨٤ .

- عطية محمد سالم (الشيخ) : ص ٢١٠ .

- بن عطية - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي مفسر وفقه - أندلسي ، توفي سنة ٥٤٢ هـ (أعلام الزركلي : ٢٨٢/٣) : ص ٥٢٩ .

- عباس محمود العقاد ، أديب مصري من المكثرين كتابة وتصنيفا ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٣ هـ (الأعلام للزركلي : ٢٦٦/٣) ، ص ٢٠٧ ، ٢٧٣ .

- عقبه بن عامر الجهني صحابي جليل كان قارئا عالما بالفرائض والفقه ، وأمره معاوية رضي الله عنه على مصر ، توفي سنة ٥٨ هـ (الاصابة : ٤٨٩/٢) : ص ٤٣٢ .

- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الخليفة الراشد الرابع ، قتل ونال الشهادة على يد خارجي سنة ٤٠ هـ (الاصابة : ٥٠٧/٢) : ص ٤٨ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٧٧ ، ٢٢٣ ،

٤٥١

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أمير المؤمنين ، ثاني الخلفاء الراشدين ، استشهد

سنة ٢٣ هـ (تذكرة الحفاظ : ١/٥) : ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٥٩ ، ٩٠ .

١٣١٠ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٩٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٥٢٣ .

- عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة العادل ، عد خاسا للخلفاء الراشدين ،

توفى سنة ١٠١ هـ (البداية والنهاية : ١٩٢/٩) : ص ١١٥ .

- أبو عمرو الداني - عثمان بن سعيد - من موالى بنى أمية ، وأحد حفاظ الحديث

ومن الأئمة في علم القرآن ، ورواياته وتفسيره ، توفى سنة ٤٤٤ هـ (الأعلام :

٢٠٦/٤) : ص ٨٦ .

- عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال الذهبي : أحد

علماء زمانه (تهذيب التهذيب : ٤٨/٨) : ص ٢٧٧ .

- عمرو بن العاص بن وائل السهمي الصحابي الجليل ، أمير مصر وفاتها ، أسلم

قبل الفتح ، ت ٤٣ هـ (الاصابة : ٢/٣) : ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٤٩ .

- عرف بن مالك الأشجعي الفطواني ، صحابي ، شهد فتح مكة ، توفى سنة

٧٣ هـ (تهذيب التهذيب : ١٦٨/٨) : ص ٤٥٩ .

- عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي التميمي (صحابي) سكن البصرة في أيام

علي رضي الله عنه (تهذيب التهذيب : ٢٠٠/٨) : ص ٢١ ، ٢٠١ ، ٥٣٠ ،

٥٣٢ .

- عيسى عليه السلام : ص ١٦ ، ٣٨ .

(غ)

- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، اشتهر بالتصوف والفلسفة

، كثير التصنيف (الأعلام : ٢٢/٧) : ص ١٠٨ ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ ، ٤٩٤ .

(ف)

- ابن فارس ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ، قال ابن خلكان : كان

مقيما بهمدان ، من أعيان العلم وأفذاذ الدهر ، لغوى مشهور ، توفى سنة ٣٦٠ هـ

وقيل غير ذلك (مقدمة معجم مقاييس اللغة لعبد السلام هارون) : ص ٤٩ ، ٢٨٨ .

- الفراء - يحيى بن زياد الديلمي ، امام الكوفيين وأطهم بالنحو واللغة وفنون الأدب

، ت سنة ٢٠٧ (الأعلام : ١٤٥/٨) : ص ٤٩ ، ٢١٤ ، ٥٧٢ .

- فرويد - سيجموند - طبيب نمساوي مؤسس مدرسة التحليل النفسي (١٨٥٦-١٩٣٩م)

وهو يهودي يشبه كارل ماركس في التخطيط لتخريب المجتمعات من الداخل

- والخارج وتنفيذ مخططات بروتوكولات صهيون .
- فرعون ، علم على ملوك مصر منذ الألف الأول قبل الميلاد (الموسوعة العربية -
الميسرة : ١٢٩٠/٢) : ص ١٢٨ ، ١٥٥
- الفيروزآبادى - محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى ، من علماء اللغة والحديث
، ت سنة ٨١٧ بمدينة زبيد (مقدمة الهورينى على القاموس) : ص ١٦٤ .

(ق)

- قابيل وهابيل : ص ١٤٦
- قارون : ص ٢٤٠ - ٢٨٩
- قبان : ص ٣٧
- قتادة بن دعامة السدوسى ، قال عنه الامام أحمد (عالم بالتفسير وباختلاف
العلماء ووصفه بأنه قل من تجد من يتقدمه) وكان من أحفظ أهل البصرة
، توفي بواسط سنة ١١٨ هـ (تذكرة الحفاظ : ١/١٢٢) : ص ٦٥ ، ١٨٠ ، ١٨٨ ،
٢٠١ ، ٣٥٥ ، ٤١٤
- القرضاوى - يوسف (الدكتور) : ص ١٢٩
- القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر الأنصارى الخزرجى الأندلسى
، من كبار المفسرين ، ت سنة ٦٧١ هـ بمصر ، وكان لا يتعصب لمذهب
بل يمشى مع الدليل ، (التفسير والمفسرون للذهبي : ٢/٤٥٧) : ص ٤٩ ، ٦٥
٦٩ ، ٨٤ ، ١٠٣ ، ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٨٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٣٢٦ ،
٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٤٣٢ ، ٥١٤ ، ٥٢٩ ، ٥٥٢ .
- قسطنطين - أباطرة رومان وبيزنطيون ، وأشهرهم قسطنطين الأول (٢٨٨ - ٣٣٧) ،
هو الذى دعا الى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م قرر فيه على أن الابن ساول للأب فى الجوهر
وكان هذا أكبر تغيير لدين النصرانية ، انظر الموسوعة العربية الميسرة : ٢/١٣٨٠ ،
١٨٦٧ : ص ٣٨ .
- قصى بن كلاب بن مرة ، وهو الأب الخاس من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم :

- قطرب - أبو محمد علي بن المستنير - النحوى اللغوى البصرى - ت ٢٠٦ هـ : ص ٤٩٠
- قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر التميمى السعدى ، صحابى ، وفد طى النبى
صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم فقال عند النبى صلى الله عليه وسلم
هذا سيد أهل الوبر ، كان عاقلا حلما ، ت سنة ٣٢ هـ (تهذيب التهذيب :
٤٠١/٨) : ص ٤١٤ .

- ابن القيم - أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى الدمشقى - كان محيطا
بالعلوم الجمة مناظرا وداعية حمل لواء الدعوة بعد شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية
، ت سنة ٧٥١ ، (البدر الطالع للشوكانى : ١٤٣/١) : ص ٥٨ ، ٨٥ ، ٩٩ ،
١٤٥ ، ١٦٧ ، ٢٥٩ ، ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٨٥ ، ٤٥٧ ،
٥٥٣ ، ٥٥١ .

(ك)

- الكنانى - محمد عبد الحى بن عبد الكبير المعروف بعبد الحى الكنانى ، ت سنة ١٣٨٢ هـ
(أعلام الزركلى : ١٨٧/٦) : ص ١٣٠

- ابن كثير - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصرى الدمشقى - الحافظ المفسر
البارع والمؤرخ الثبت ، ت سنة ٧٧٤ (البدر الطالع : ١٥٣/١) ص ٤٩ ، ٦٥ ،
١٠٣ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٣٢٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ،
٣٩٥ ، ٤٧٤ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥١٦ ، ٥٢٣ ، ٥٣١ ، ٥٩٣ .

- الكمال - علاء الدين أبى الحسن على بن عبد الكريم الحموى ، له الأحكام النبوية فى
الصناعة الطبية ، تعاطى الطب وشارك فى الآداب ، مات حدود سنة ٧٢٠ هـ (الدرر
الكامنة لابن حجر) : ص ٤٤٤ ، ٤٥٣ .

- الكسائى - على بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الأسدى ، مولاهم الكوفى ، أحد أئمة
القراءة والتجويد فى بغداد ، أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، ت سنة ٨٠ ، وقيل
غير ذلك (تهذيب التهذيب : ٣١٣/٧) : ص ٢٠١ .

- كسرى - ملوك فارس الساسانيون (راجع الموسوعة العربية الميسرة : ١٤٦٢/٢) :
ص ٤٠ ، ١٣٥ .

(ل)

- لقمان عليه السلام : ص ١٣٧

- لوبون - جوستاف (١٨٤١ - ١٩٣١) باحث فرنسي في علم النفس والاجتماع ، كان متعصبا للعنصرية ، وهو من أشاد بفضل الحضارة العربية (الموسوعة العربية : ١٥٦٩/٢) : ص ٤١٥ .

(م)

- ابن ماجة - محمد بن يزيد بن عبدالله القزويني ، طلب علم الحديث صغيرا ورحل في طلبه في أغلب البلاد وهو أحد الستة من أصحاب السنن والصحاح ، ت سنة ٢٧٣ هـ : ص ٥٩ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩

- ماكس مولر مستشرق لغوي ألماني ، مات سنة ١٨٦٣ م : ص ٥٣٦

- أبو مالك الأشعري ، اختلف في اسمه قيل عمرو وقيل عبيد ، وقيل كعب بن مالك صحابي ، توفي في خلافة عمر رضى الله عنه (الكنى والأسماء لسلم بن الحججاج ص ١٠٠ ، وتهذيب التهذيب : ٢١٧/١٢) : ص ١١٣ .

- مالك بن الحويرث ، أبو سليمان الليثي الصحابي ، ت سنة ٧٤ هـ (تهذيب التهذيب : ١٤/١٠) : ص ٣٨٨ .

- مالك بن دينار أبو يحيى البصرى الزاهد ، روى عن أنس وغيره ، مات نحو ١٣٠ هـ (تهذيب التهذيب : ١٤/١٠) : ص ٩٩

- المأمون العباسي - عبدالله بن هارون الرشيد ، سابع خلفاء بني العباس ، دفن في طرطوس سنة ٢١٨ هـ (الأعلام : ١٤٢/٤) : ص ٩٢

- الماوردي - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الفقيه الشافعي البصرى ، له تصانيف مشهورة في أصول الفقه وفروعه ، وفي التفسير وغيره ، ت سنة ٤٥٠ هـ ببغداد (اللباب لابن الأثير : ١٥٦/٣ ، وأدب الدنيا والدين ٠٠) : ص ٢٧١ ، ٣٠٠ .

- مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي بالولاء المكي ، كان ثقة فقيها عالما ، وكان من أظم التابعين بالتفسير ، ت ١٠٤ هـ : ص ١٨٨

- أبو مجلز - لاحق بن حميد السدوسي البصري - سمع من ابن عمرو بن عباس وأنسا ، مات بالكوفة سنة ١١٠ هـ (الكنى لمسلم بن الحجاج ص ١١٠ ، وشاهير علماء الأمصار لابن حبان ص ٩٠ ، وتهذيب التهذيب : ١٢ / ٢٢٢) ص ٢٨٥ .
- محمد رسول الله (نبي الله) صلى الله عليه وسلم : ١٥٠ ، ٦ ، ٥ ، ١٨٠ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، وفي أغلب صفحات الرسالة .
- محمد بن جبير بن مطعم القرشي من التابعين بالمدينة ، ومن علماء قريش وحفاظهم لأيامها ، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز (شاهير علماء الأمصار ص ٧٢) ص
- محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني ، قال الشافعي عنه (لو أشاء أن أقول نزل القرآن بلغه محمد بن الحسن لقلت لفصاحته ، وقد حملت عنه . وقربختي كتباً وهو الذي نشر علم أبي حنيفة ، ت ١٨٩ (تاريخ بغداد : ٢ / ١٢٥ ، الأعلام : ٨٠ / ٦) ص : ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ .
- محمد رشيد بن علي رضا البغدادي الأصل ، أحد رجال الإصلاح ، ت سنة ١٣٥٤ هـ (الأعلام : ١٢٦ / ٦) : ص ٤٤٩
- محمد قطب : ص ٤٩
- محمد المبارك : ص ٢٣٠
- محمد بن المرتضى بن الفضل الحسنی ، له إيثار الحق على الخلق ، ت سنة ٧٣٢ هـ (البدر الطالع : ٢ / ٢٠٧ الطلق) : ص ٦٠٢
- محمود شاكر : ص ٦
- مريم بنت عمران : ص ١٦
- المراغي - محمد مصطفى المراغي ، مفسر تأثر بأفكار الشيخ محمد عبده تأثراً كبيراً (التفسير والمفسرون للذهبي) : ص ٣٦٦ ، ٤٩٥ ، ٥٥١ .
- مسعر بن كرام بن ظهير الهلالي ، من أتباع التابعين بالكوفة ، قال عنه أحمد بن حنبل (كان خيار الثقة شعبية ومسعر) ، ت سنة ١٥٠ (ابن حبان - شاهير علماء الأمصار ص ١٦٩ ، وتهذيب التهذيب : ١٠ / ١١٣) : ص ١٨٢
- أبو مسعود الأنصاري - عقبه بن عمر بن شعبة ، صحابي ، شهد العقبة ولم يشهد بدرًا مات بالكوفة في خلافة علي رضي الله عنه (شاهير علماء الأمصار : ٤٤) : ص ٤٤٠

- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، الامام الحافظ ، حجة الاسلام ، صاحب
التصانيف ، ت سنة ٢٦١ هـ ، (تذكرة الحفاظ: ٥٨٩/٢) : ص ٢١ ، ١١٣ ،

٢٠٠ ، ٤٢٠ ، ٥٣٢

- المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، وهو الذي أجاز النبي صلى الله عليه
وسلم لما انصرف عن الطائف ، وهو الذي أجاز سعد بن عبادة حين دخل مكة

معترا ، مات قبل وقعة بدر (الأعلام: ٢٥٢/٧) : ص ٥٧

- المطرزي - ناصر بن عبد السيد بن علي النحوي ، الأديب ، من أهل خوارزم ،
وكان اماما عالما حازقا عارفا بالحديث ، ت سنة ١١٦ هـ ، بخوارزم (محمد بديع

الدين العمري الحيدرآبادي - مقدمة المغرب) : ص ٥٣٠

- مطرف بن الشخير - أبو عبد الله العامري البصري ، روى عن أبيه وعثمان وطلحة
وأبي ذر وغيرهم ، وكان ثقة ذا فضل وورع ، وأدب ، ولد في حياة النبي صلى الله

عليه وسلم ، مات سنة ٨٧ هـ (تهذيب التهذيب : ١٧٤/١٠) : ص ٢٠١

- معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي الامام المقدم في الحلال والحرام
، شهد المشاهد كلها ، ولاء الرسول صلى الله عليه وسلم اليمين ، توفي سنة ١٧ هـ

(الاصابة : ٤٢٦/٣) : ص ١٢٩

- معاوية بن أبي سفيان الأموي ، أمير المؤمنين ، من كتبة الوحي ، أخته أم حبيبة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ت سنة ٦٠ هـ (تهذيب التهذيب : ٢٠٦/١٠) :

ص ٩٣ .

- معمر بن راشد الأزدي البصري ، روى عن ثابت البناني وقتادة والزهري
كان من أطلب أهل زمانه للعلم ، وذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة ١٥٣ هـ ،

(تهذيب التهذيب : ٢٤٤/١٠) : ص ١٨٠ .

- المغيرة بن شعبه بن أبي عامر الثقفي ، الصحابي الجليل ، ولاء عمر رضي الله عنه
البصرة ثم عزله ، وولاه الكوفة ، مات سنة ٥٠ هـ ، وهو على الكوفة من قبل معاوية

رضي الله عنه : ص ٤٢٩ .

- مقاتل بن حيان النبلي البلخي الخزاز ، عالم خراسان ، قال الذهبي : كان اماما

- صادقا ناسكا خيرا كبير القدر صاحب سنة واتباع ، مات بأرض الهند قبيل
الخصين بعد المائة كما في التقريب : ص ٦٥ .
- المقدام بن معدى كرب - أبو كريمة صحابي ، سكن الشام ، ومات سنة ٨٧ هـ ،
(شاهير علماء الأمصار ص ٥٣) : ص ١٩٥
- المقوقس ملك مصر : ص ١٣٥ ، ١٦٧
- مكرز بن حفص بن الأخيف ، شاعر جاهلي من الفتاك ، مات بعد وقعة بدر ،
(الأعلام : ٢٨٤/٧) : ص ١٢٧
- مناع القطان (الشيخ) : ص ٢٩١
- المنذر بن عائذ بن المنذر (أشج عبد القيس) كان سيد قومه ، وفد على النبي
صلى الله عليه وسلم ، ولما أسلم رجع الى البحرين مع قومه ثم نزل البصرة بعد ذلك
(تهذيب : ٣٠١/١٠) : ص ٢٦١
- ابن منظور - محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الافريقي ، وكان فارسا
بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة ، له لسان العرب ، مات سنة ٧١١ هـ ،
(مقدمة اللسان) : ص ١٦٤ ، ٢٩٠ ، ٤٨٩ ، ٥٧٢
- أبو موسى الأشعري - عبد الله بن قيس بن وهب ، صحابي ، استوطن البصرة
، مات سنة ٤٤ هـ ، (شاهير علماء الأمصار ص ٣٧) : ص ٢٧٧ ، ٣٧٥ ، ٤٠٢
- موسى عليه السلام : ص ١٦ ، ٦٩

(ن)

- الندوي - أبو الحسن علي بن السيد عبد الحى الجنى : ص ٣٨
- النسائي - الامام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن دينار ، مات سنة ٣٠٣ هـ
، ص ١٨١ ، ٤٢٩
- النسفي - عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، فقيه حنفي مفسر ، مات سنة ٧١٠ هـ
(الأعلام : ٦٧/٤) : ص ١٨٨
- نوح عليه السلام : ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٦٦
- النووي - الامام الحافظ شيخ الاسلام محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي
الشافعي ، مات ٦٧٦ هـ (الأعلام : ١٥٠/٨) : ص ٢٠

- النيسابورى - نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين الخراسانى ، أصله من مدينة قم ، كان من أساطين العلم جامعاً للفنون ، وافر العلم بالتأويل والتفسير ، يقول الدكتور الذهبى : ليس فى تفسيره ما يدل على تشييعه بل مؤيد لمذهب أهل السنة والجماعة (التفسير والفسرون : ١/٣٢١) : ص ٤١٤

(هـ)

- هاشم بن عبد مناف ، جد الرسول صلى الله عليه وسلم : ص ٣

- هرقل : ص ١٧ ، ٤٠ ، ٣٥ ، ١٥٤ ، ١٨٨

- أبو هريرة ، الصحابى الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسى اليمانى ، كان من أوعية العلم ، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع ، تـ سنـ سنة

٥٧ هـ (تذكرة الحفاظ : ١/٣٢) : ص ٤٩

- هيكل - محمد حسين (الدكتور) كاتب ومؤرخ من أعضاء المجمع اللغوى

ومن رجال السياسة ، تـ سنة ١٣٧٦ (الأعلام : ٦/١٠٦) : ص ٣٨

- الواحدى - أبو الحسن على بن أحمد بن محمد النيسابورى ، وهو من العلماء

الذين عقدت لهم مجالس الاملاء ، تـ ٤٨٧ هـ ، (السيد أحمد صقر ، مقدمة

أسباب نزول القرآن) : ص ٦٥ ، ٣٥٥ ، ٥٧٧

- وحيد الدين خان الهندى : ص ٥٨١

- وهب بن منبه بن كامل بن سيح اليمانى الصنعانى الذمارى ، روى عن أبى هريرة

وأبى سعيد وغيرهما وذكره ابن حبان فى الثقات ، تـ سنة ١١٠ هـ ، وقيل

غير ذلك (تهذيب التهذيب : ١١/١٦٦) : ص ٨٥

- ويلز - هيرت جورج ، كاتب ومؤرخ انجليزى (١٨٦٦-١٩٤٦) (مراجع الموسوعة

العربية الميسرة : ٢/١٩٦٢) : ص ٣٩

(ى)

- يحيى : ص ١٨

- يحيى بن خالد بن برمك ، الوزير الجواد ، ومؤيد الرشيد ومعلمه ومربيه

، مات سنة ١٩٠ هـ (الأعلام : ٨/١٤٤)

- يحيى بن سعيد : ص ٢٠١

- يعقوب عليه السلام : ص ١١٢ ، ١٩٦

- أبو يعلى - الامام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، ت ٣٠٧ هـ ،
قال ابن كثير رحمه الله عنه (صاحب السند المشهور ، سمع الامام أحمد بن
حنبل وطبقته ، وكان حافظا حسن التصنيف ، عدلا فيما يرويه ، ضابطا
لما يحدث به) (حسين سليم أحمد ، مقدمة سند أبي يعلى) : ص ١٩٢ ،

٤٥١

- يوسف طيه السلام : ص ١٩٦

- أبو يوسف القاضي - يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري ، الكوفي البغدادي
، صاحب الامام أبي حنيفة وتلميذه ، كان فقيها ومن حفاظ الحديث ، توفي
سنة ١٨٢ هـ (الأعلام : ١٩٣ / ٨) : ص ٢٢٩ .

- ١ - الاتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى الشافعى - طبعة حجازى بالقاهرة ، سنة ١٣٦٨ هـ .
- ٢ - الأجزاء الكونية بين العقل والنقل لعبدالعزیز خلف العبدالله - مكتبة دار البيان للنشر ، ط. أولى ، سنة ١٣٨٩ هـ .
- ٣ - أحكام القرآن للجصاص .
- ٤ - الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية لأبى الحسن على بن عبدالكريم بسن طرخان بن تقى الحموى - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى سنة ١٣٧٤ هـ .
- ٥ - احياء علوم الدين - للامام أبى حامد الفزالى - دار الفكر - ط. أولى - سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٦ - الأخلاق الاسلامية وأسسها لعبدالرحمن حسن حنيفة الميدانى - دار القلم - بيروت - ط. أولى سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٧ - الأخلاق والسير فى مداواة النفوس - لأبى محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم - نشر دار الكتب العلمية - بيروت - ط. سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٨ - أدب الدنيا والدين لأبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى - طبع عبد الحميد أحمد حنفسى - ط. الأولى - بدون تاريخ .
- ٩ - الأدب المفرد للامام البخارى - مكتبة الآداب للطبع والنشر - سنة ١٩٧٩ م - مصر .
- ١٠ - آدم عليه السلام للبيهى الخولى - نشر مكتبة وهبة - ط. الثالثة - سنة ١٣٩٤ هـ .
- ١١ - ارشاد الثقات الى اتفاق الشرائع والمعاد والنبوات - محمد بن على الشوكانى - نشر دار الكتب العلمية - بيروت - ط. أولى - سنة ١٤٠٤ هـ .
- ١٢ - أساس البلاغة - لجارالله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشري - دار المعرفة للنشر - بيروت - ط. سنة ١٣٩٩ هـ .

- ١٣ - الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية لعبد العزيز محمد
السلمان - من مطبوعات دار الافتاء والدعوة والارشاد - الطبعة العاشرة
- سنة ١٤٠٠ هـ .
- ١٤ - أسباب نجاح الدعوة الاسلامية - لعبد الله الموسى .
- ١٥ - أسباب النزول لجلال الدين السيوطى - على هامش تفسير الجلالين .
- ١٦ - أسباب نزول القرآن لأبى الحسن على بن الواحدى - دار القبلة للثقافة
الاسلامية - ط. الثانية - ١٤٠٤ هـ .
- ١٧ - أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني - نشر دار المعرفة - بيروت - سنة
١٣٩٨ هـ .
- ١٨ - أسرار التكرار فى القرآن لمحمود بن حمزة بن نصر الكرمانى - دار
الاعتصام للنشر - ط. سنة بدون .
- ١٩ - الأسرة المثلى فى ضوء القرآن والسنة - د. عمارة نجيب - مكتبة المعارف
- الريانى - ط. أولى سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٢٠ - أسس الدعوة وأدب الدعاة - محمد السيد الوكيل - دار الطباعة والنشر
الاسلامية - القاهرة .
- ٢١ - الاسلام لسعيد حوى - الشركة المتحدة للتوزيع - ط. ثالثة .
- ٢٢ - الاسلام فى عصر العلم لمحمد أحمد الغمراوى - نشر دار الكتب المصرية
- سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٢٣ - الاسلام فى عصر العلم لمحمد فريد وجدى - المكتبة التجارية الكبرى بمصر
- ط. ثانية سنة ١٣٥٠ هـ .
- ٢٤ - الاسلام فى القرن العشرين لعباس محمود العقاد - سلسلة كتب
الهلال - سنة ١٩٦٠ م العدد ١٠٨ .
- ٢٥ - الاسلام والجاهلية لأبى الأعلى المودودى - دار الفكر الحديث - لبنان .
- ٢٦ - الاسلام والعلم . نظرات معجزة - د. محمد الخطيب - مؤسسة دار العلسوم
- الكويت - ط. أولى سنة ١٩٨١ م .

- ٢٧ - الاسلام والفكر الجغرافى العربى - د. صلاح الدين الشامى - نشر منشأة المعارف بالاسكندرية - سنة ١٩٧٨ م .
- ٢٨ - الاسلام والمرأة المعاصرة - للبهى الخولى - الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت ط. الثالثة .
- ٢٩ - الاسلام يتحدى - لوحيه الدين خان - الشركة المتحدة للتوزيع - ط. ثانية سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٣٠ - أسلوب الدعوة القرآنية - د. عبدالغنى محمد سعد بركة - نشر مكتبة وهبة - ط. أولى - سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٣١ - اصلاح المساجد من البدع والعوائد - لمحمد جمال الدين القاسمى - المكتب الاسلامى - بيروت - ط. الثالثة - سنة ١٣٩٧ هـ .
- ٣٢ - الأصوات اللغوية - د. ابراهيم أنيس - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - ط. خامسة - سنة ١٩٧٥ م .
- ٣٣ - أصول الدعوة لعبدالكريم زيدان - ط. الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٣٤ - أصول علم النفس - د. أحمد عزت راجح - دار القلم - بيروت .
- ٣٥ - أصول علم النفس العام فى ضوء الاسلام - د. أحمد محمد عامر - دار الشروق للنشر والتوزيع - ط. أولى - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٣٦ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها - لادوارد جيبسون - دارالكتاب العربى للطباعة والنشر .
- ٣٧ - أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن - للشيخ محمد الأمين الشنقيطى - مطبعة المدنى بالقاهرة - سنة ١٣٨٤ هـ .
- ٣٨ - الاعتقاد الهادى الى سبيل الرشاد - لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى - عالم الكتب ببيروت - ط. أولى سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٣٩ - اعجاز القرآن للباقلانى - لأبى بكر محمد بن النابى تحقيق أحمد مقرر - نشر دار المعارف بمصر - ط. الثالثة .
- ٤٠ - اعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعى - نشر دارالكتاب العربى - بيروت - سنة ١٣٩٣ - الطبعة التاسعة - سنة ١٣٩٣ .

- ٤١ - أفراح الروح لسيد قطب - نشر دار ابن القيم - الدمام - ط. ثانية -
سنة ١٤٠٧ هـ .
- ٤٢ - الاقتباس من القرآن الكريم - لأبي منصور الثعالبي - دار الحريسة
للطباعة - بغداد - سنة ١٣٩٥ هـ .
- ٤٣ - اقتضاء الصراط المستقيم . مخالفة أصحاب الجحيم - لشيخ الإسلام ابن تيمية
مطابع المجمع الخبارية .
- ٤٤ - اقتضاء العلم والعمل - للخطيب البغدادي - تحقيق محمد ناصر الدين
الألباني - المكتب الاسلامي - دمشق - ط. رابعة - سنة ١٣٩٧ هـ .
- ٤٥ - الأمثال في القرآن لمحمود بن الشريف - سلسلة اقرأ ٢٦٥ يناير ١٩٦٥ م
- ط. ثانية - دار المعارف بمصر .
- ٤٦ - الأمثال في القرآن الكريم - د . منصور بن عون العبدلي - عالم المعرفة للنشر
والتوزيع - جدة - الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٤٧ - الأمثال القرآنية لعبد الرحمن حنبلية الميداني - دار القلم - دمشق -
ط. أولى - سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٤٨ - الأمثال من الكتاب والسنة - لأبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي
- تحقيق علي محمد البجاوي - دار النهضة للطبع والنشر - القاهرة .
- ٤٩ - الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال للامام ناصر الدين أحمد بسن
المنير الاسكندراني على حاشية تفسير الكشاف .
- ٥٠ - الانسان بين المادية والاسلام لمحمد قطب - دار الشروق - بيسروت -
ط. سابعة - سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٥١ - الانسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا لجودت سعيد - دار الفكر -
دمشق .
- ٥٢ - الانسان والكون - محاضرة للدكتور زغول راغب النجار - عام ١٩٧٣ م -
في نهاية كتاب تفسير الآيات الكونية للدكتور عبد الله شحاته .
- ٥٣ - أناكيا القديمة جلا نفيل داولي - ترجمة الدكتور ابراهيم نصحي - دار
نهضة مصر - سنة ١٩٦٧ م .

- ٥٤ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر
البيضاوي (مجموع التفاسير) .
- ٥٥ - أنيس الفقهاء لقاسم القونوي ، تحقيق / أحمد بن عبد الرزاق الكبهسي
- نشر دار الوفاء بجدة - ط.أولى - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٥٦ - إثارة الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول
التوحيد لأبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني - مطبعة دار الكتب
العلمية - سنة ١٣١٨ هـ .
- ٥٧ - أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - لأبي بكر جابر الجزائري - نشر
نادى المدينة المنورة الأدبي - الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٧ هـ .
- ٥٨ - الإيمان لشيخ الاسلام ابن تيمية - المكتب الاسلامي - ط.ثانية سنة
١٣٩٢ هـ .
- ٥٩ - الإيمان أثره في حياة الانسان - د. حسن الترابي - الشركة المتحدة
للتوزيع - ط.أولى - سنة ١٣٩٤ هـ .
- (ب)
- ٦٠ - البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي - تحقيق د. أحمد أبو ملحم وزملاؤه
- دار الكتب العلمية - بيروت - ط.أولى سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٦١ - بذل المجهود في افحام اليهود للسموهل بن يحيى المغربي - مطبعة
الفضالة الجديدة - بمصر .
- ٦٢ - البرهان في علوم القرآن - لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ط.ثالثة - سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٦٣ - البيئة والانسان - د. حسين طه نجم وزملاؤه - نشر وكالة المطبوعات -
الكويت .
- (ت)
- ٦٤ - تاريخ الدعوة - لجمعة الخولي - دار الطباعة المحمدية بالأزهر - ط.
أولى - سنة ١٤٠٤ هـ .

- ٦٥ - تبیین المحارم لسنان الدین الأماسی - مخطوطة من مدرسة بشیر آغا
بالمدينة المنورة .
- ٦٦ - التراتیب الإدارية - لعبدالحی الكفانی - دار الكتاب العربی للنشر .
- ٦٧ - تربية الأولاد فی الاسلام - لعبدالله ناصح علوان - دار السلام
للنشر - ط. ثامنة سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٦٨ - الترغیب والترهیب - للحافظ عبدالمعظیم بن عبد القوی المنذرى - نشر
مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر - ط. ثانية - سنة ١٣٧٣ هـ .
- ٦٩ - تسلية أهل المصائب لأبى عبد الله محمد بن محمد بن محمد المنبجى
الجنبلی - مكتبة دار البيان - دمشق - ط. أولى - سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٧٠ - تصفية القلوب من الأوزار والذنوب - للإمام يحيى بن حمزة اليماني
الذمارى - مطبعة المكتبة السلفية - القاهرة .
- ٧١ - التصوير الفنى فى القرآن - لسيد قطب - نشر دار الشروق - بيروت .
- ٧٢ - التصور القرآنى للمجتمع - د. صلاح الفوال - دار الفكر العربى -
القاهرة - بدون تاريخ .
- ٧٣ - التعريفات - لأبى الحسن على بن محمد بن على الجرجانى - السدار
التونسية للنشر - سنة ١٩٧١ م .
- ٧٤ - تفسير الآيات الكونية - للدكتور عبد الله شحاته - دار الاعتصام للنشر
- ط. أولى - ١٤٠٠ هـ .
- ٧٥ - تفسير الجلالين - لجلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى - مطبعة
مصطفى البابى الحلبي بمصر - رجب سنة ١٣٤٢ هـ .
- ٧٦ - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد
النيسابورى فى حاشية تفسير الطبرى .
- ٧٧ - تفسير غريب القرآن لابن قتيبة - وتفسير غريب القرآن - للإمام محمد السجستاني
- ٧٨ - تفسير القرآن العظيم للإمام اسماعيل بن كثير القرشى دمشقى - الناشر
دار المعرفة - بيروت - سنة ١٣٨٨ هـ .

- ٧٩ - التفسير القرآني للقرآن - لعبد الكريم الخطيب - الناشر دار الفكر العربي .
- ٨٠ - التفسير القيم للامام ابن القيم - تحقيق محمد حامد الفقى - نشر دار الكتب العلمية - بيروت - ط سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٨١ - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب - لفخر الدين محمد الرازى فخرالدين ابن عمر - دار الفكر - ط .أولى سنة ١٤٠١ هـ .
- ٨٢ - تفسير المراغى لأحمد مصطفى المراغى - ط .ثالثة - سنة ١٣٩٤ هـ .
- ٨٣ - تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا - نشر دار المعرفة - ط .ثانية .
- ٨٤ - التفسير الواضح لمحمد محمود حجازى - مطبعة الاستقلال الكبرى - الطبعة الخامسة - سنة ١٩٦٤ م .
- ٨٥ - تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين - للراغب الأصفهاني - نشر سلسلة الثقافة الاسلامية بمصر - سنة ١٣٨٠ هـ .
- ٨٦ - التفكير فريضة اسلامية - لعباس محمود العقاد - نشر دار القلم - ط .أولى .
- ٨٧ - التكافل الاجتماعى فى الاسلام - لعبد الله علوان - دار السلام للنشر - القاهرة - ط .رابعة سنة ١٤٠٣ هـ .
- ٨٨ - تلبيس ابليس لجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى - مطبعة النهضة بمصر .
- ٨٩ - تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد - للشيوخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - المكتب الاسلامى - ط .رابعة سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٩٠ - تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام العنان - للشيوخ عبدالرحمن بن ناصر السعدى - مؤسسة مكة للطباعة والاعلام - سنة ١٣٩٨ هـ .
- (ث)
- ٩١ - ثقافة الداعية - لعبد الله ناصر علوان - دار السلام للطباعة والنشر - طبعة أولى - سنة ١٤٠٥ هـ .

(ج)

- ٩٢ - الجامع الصحيح للإمام محمد بن اسماعيل البخارى - اليمامة للنشر - ط. الثالثة - سنة ١٤٠٧ هـ - ترتيب الدكتور مصطفى ديب البغا .
- ٩٣ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي فى روايته وحمله لأبى عمر يوسف بسن عبد البر النمرى القرطبى - دار الكتب الاسلامية للنشر - ط. ثانية - سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٩٤ - جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - دار المعرفة - بيروت - ط. الثالثة - سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٩٥ - جامع الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى - نشر - باكستان كراتشى سنة ١٣٨٠ هـ .
- ٩٦ - الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى - دار الشروق للنشر .
- ٩٧ - جدد حياتك - لمحمد الغزالى - دار الكتب الحديثة - ط. سنة ١٩٧٥ م .
- ٩٨ - جمهرة رسائل العرب لأحمد زكى صفوة - ط. أولى - سنة ١٣٥٦ هـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي وشركاؤه .
- ٩٩ - جند الله ثقافة وأخلاقا - لسعيد حوى - مطابع معتوق اخوان - ط. أولى - سنة ١٩٧١ م .
- ١٠٠ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لشيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية . الطبعة ؟
- ١٠١ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوى جوهرى - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر - الطبعة الثانية - شوال ١٣٥٠ هـ .
- ١٠٢ - جواهر العقدين فى فضل الشرفين - لعلى بن عبد الله الحسنى السهمودى - احياء التراث الاسلامى - بالعراق - سنة ١٤٠٥ هـ - دراسة وتحقيق د. موسى بنى العليلى .

(ج)

- ١٠٣ - حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف فيما تضمنه من الاعتزال - مطبوع
في حاشية الكشاف للزمخشري .
- ١٠٤ - حتى يغيروا ما بأنفسهم - لجودت سعيد - توزيع دار الثقافة للجميع -
ط. ثانية - سنة ١٣٩٥ هـ .
- ١٠٥ - حجة الله البالغة - لشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي - تحقيق
السيد سابق - نشر دار الكتب الحديثة - بالقاهرة .
- ١٠٦ - الحسن البصري - أبي الفرج بن الجوزي - نشر المكتبة العلمية - حلب .
- ١٠٧ - حضارة روما لرونالد دولي - سلسلة الألف كتاب .
- ١٠٨ - حقيقة الانسان بين القرآن وتصور العلوم لأبي اليزيد العجمي - سلسلة
دعوة الحق برابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة - محرم سنة ١٤٠٤ هـ
عدد (٢٢) .
- ١٠٩ - الحكمة في مخلوقات الله عز وجل لأبي حامد الغزالي - دار احياء
العلوم - بيروت - تحقيق الدكتور محمد رشيد قباني - ط. أولسى -
سنة ١٣٩٨ هـ .
- ١١٠ - حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية لحسين
عبدالله باسلامة - ط. ثانية - سنة ١٣٨٨ هـ .

(خ)

- ١١١ - الخراج للمقاضي أبي يوسف - نشر دار المعرفة بيروت - ط. سنة ١٣٩٩ هـ .
- ١١٢ - الخصائص العامة للاسلام ليوسف القرضاوي - الشركة المتحدة للتوزيع -
بيروت - ط. ثالثة - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ١١٣ - الخلق الكامل - لمحمد أحمد جاد المولى - مؤسسة الرسالة للطباعة
والنشر والتوزيع - بيروت .

(د)

- ١١٤ - دراسات في طريق الدعوة الاسلامية - لمحمد عبدالسميع جاد - دار
الطباعة المحمدية بالقاهرة .

- ١١٥ - دراسات في القرآن والسنة - لأحمد جمال العمري - نشر دار المعارف
- القاهرة - ط. أولى - سنة ١٩٨٢ م.
- ١١٦ - دراسات قرآنية - لمحمد قطب - دار الشروق - بيروت - ط. ثانية
- سنة ١٤٠٠ هـ .
- ١١٧ - دراسات في النفس الانسانية - لمحمد قطب - دار الشروق - بيروت -
ط. سادسة - سنة ١٤٠٣ هـ .
- ١١٨ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - لموريس بوكاي -
نشر دار المعارف بالقاهرة - ط. رابعة - سبتمبر سنة ١٩٧٧ م.
- ١١٩ - درء تعارض العقل والنقل لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم
ابن تيمية - مطابع جامعة الامام محمد بن سعود - ط. أولى - سنسنة
١٣٩٩ هـ .
- ١٢٠ - درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات من كتاب الله
العزیز - للخطيب الاسكافي - دار الآفاق الجديدة للنشر - بيروت -
ط. ثالثة - سنة ١٩٣٩ م.
- ١٢١ - الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة لمحمد عزة دروزة -
المكتب الاسلامي للنشر - سنة ١٤٠١ هـ .
- ١٢٢ - الدعوة الاسلامية أصولها وأساليبها - د. أحمد أحمد غلوش - دار
الكتاب المصري - القاهرة .
- ١٢٣ - الدعوة الاسلامية في عهدنا المدني - د. رومي شلبي - نشر دار القلم
- الكويت - ط. أولى - سنة ١٤٠٣ هـ .
- ١٢٤ - الدعوة الاسلامية في عهدنا المكي - د. رومي شلبي - دار القلم -
الكويت - ط. ثانية - سنة ١٤٠١ هـ .
- ١٢٥ - الدعوة الى الاسلام مضامينها ومبادئها - لعبد الكريم الخطيب - نشر
دار الكتاب العربي - بيروت - ط. أولى - سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٢٦ - الدعوة الى الاسلام - للسير توماس أرنولد - نشر مكتبة النهضة المصرية -
ط. ثانية - سنة ١٩٥٧ م.

- ١٢٧ - الدعوة الى الاسلام - لأحمد عز الدين البيانوني - دار السلام للطباعة والنشر - ط. ثانية - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ١٢٨ - الدعوة الى الله في سورة ابراهيم الخليل - لمحمد بن سيدى بن الحبيب - نشر دار الوفاء - جدة - ط. أولى - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ١٢٩ - دعوة الرسل الى الله تعالى - للشيخ محمد أحمد العدوى - دار المعرفة للنشر - سنة ١٣٩٩ هـ .
- ١٣٠ - الدعوة في الاسلام عقيدة ومنهج - د. السيد رزق الطويل - سلسلة دعوة الحق بالرابطة - ذوالقعدة ١٤٠٤ هـ - عدد (٣٢) .
- ١٣١ - دعوة الله بين التكوين والتمكين لعللى جريشة - نشر مكتبة وهبة - ط. أولى - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ١٣٢ - الدعوة والدعاة من القرآن والى القرآن - للشيخ محمود الصواف - دار العمير للطباعة والنشر - ط. الثانية - ١٤٠٦ هـ .
- ١٣٣ - دلائل التوحيد - للشيخ محمد جمال الدين القاسمى - دار الكسب العلمية - بيروت - ط. أولى - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ١٣٤ - دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث - توفيق محمد عز الدين - دار السلام للنشر - ط. أولى - ١٤٠٧ هـ .
- ١٣٥ - دور المنهج الربانى فى الدعوة الاسلامية - لعدنان النحوى - توزيع مكتبة الاعتصام - ط. أولى - سنة ١٣٩٩ هـ .
- ١٣٦ - الدين ضرورة حياة الانسان - لعبدالكريم الخطيب - نشر دار الأمانة - ط. أولى - سنة ١٤٠١ هـ .
- ١٣٧ - الدين القيم - للمودودى - مؤسسة الرسالة للنشر - بيروت - ط. سنة ١٤٠١ هـ .

(ن)

- ١٣٨ - الذريعة الى مكارم الشريعة للشيخ أبى القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل الراغب الأصفهاني - دار الباز للنشر - طبعة أولى - سنة ١٤٠٠ هـ .

١٣٩ - ذم الهوى لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
- دار الكتب العلمية - بيروت - ط. أولى - سنة ١٤٠٧ هـ .

(ر)

١٤٠ - ركائز الايمان لمحمد الغزالي - دار المنارة للنشر - جدة - ط. أولى
- سنة ١٤٠٥ هـ .

١٤١ - روح الدين الاسلامي - لعفيف عبدالفتاح طيارة - دار الهلال بمصر
- سنة ١٣٧٤ هـ .

١٤٢ - الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة - لعبدالرحمن بن ناصر
السعدي - مطبعة الامام بمصر .

١٤٣ - الروح للامام ابن القيم - مطبعة محمد علي صبح وأولاده بمصر -
ط. سنة ١٣٩٣ هـ .

(ز)

١٤٤ - الزواج والعلاقات الأسرية - د. سناء الخولي - نشر دار النهضة
العربية - بيروت .

(س)

١٤٥ - سنن ابن ماجه / ^{الفريسي} - نشر باكستان كراتشي - بدون تاريخ .

١٤٦ - سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني -
المكتبة التجارية بمصر .

١٤٧ - سنن الله في المجتمع من خلال القرآن - لمحمد الصادق عرجون - الدار
السعودية للنشر والتوزيع - ط. ثالثة - سنة ١٤٠٤ هـ .

١٤٨ - سورة الرعد دراسة أدبية ولغوية وفكرية لعبدالرحمن حسن حنبلية
الميداني - دار عكاظ للنشر - جدة - ط. ثالثة - سنة ١٤٠٣ هـ .

١٤٩ - سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم - لمحمد عزة دروزة - مطبعة عيسى
البابي الحلبي - ط. ثالثة - سنة ١٣٨٤ هـ .

- ١٥٠ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام الحميري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر - سنة ١٣٨٣ هـ .
- (ش)
- ١٥١ - شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفى - المكتب الاسلامى للطباعة والنشر - ط.٣ - ثالثة .
- ١٥٢ - شرح النووى على صحيح مسلم فى حاشية ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى - دار الكتاب العربى - ط.٣ - أخيرة ثانية .
- ١٥٣ - شعب الايمان - لعبد الحليل بن موسى القصرى الأندلسى - سنة ١٣٠٨ هـ - أطروحة دكتوراة للدكتور أحمد مرعى العمرى (مطبوعة على الآلة) .
- ١٥٤ - الشفاء للقاضى عياض بن موسى اليعصبى - ط.٣ - سنة ١٣٩٠ - استانبول .
- (س)
- ١٥٥ - الصبر فى القرآن ليوسف القرناوى - مؤسسة الرسالة للنشر - بيروت - ط.٣ - ثانية - سنة ١٤٠٤ هـ .
- ١٥٦ - صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيرى - مطبعة عيسى البابى الحلبي - بدون تاريخ .
- ١٥٧ - صيد الخاطر - لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - نشر مكتبة الكليات الأزهرية - سنة ١٣٩٩ هـ .
- ١٥٨ - الصلاة وحكم تاركها للامام ابن القيم - مطبعة الامام بمصر .
- (ط)
- ١٥٩ - الطب محراب الايمان - للدكتور خالى جلى - الشركة المتحدة للتوزيع - ط.٣ - أولى - سنة ١٣٩١ هـ .
- ١٦٠ - الطب النبوى للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر - الطبعة الأولى - سنة ١٣٨٠ هـ .
- ١٦١ - الطببعة فى القرآن الكريم - د. كاصد ياسر الزيدى - دار الرشيد للنشر - بغداد - سنة ١٩٨٠ م .

- ١٦٢ - الطريق الى الله لكريسي موريسون - ترجمة وتعليق د. تقى الدين الهلالي
- دار الفتح للطباعة والنشر - ط. أولى - سنة ١٣٩٠ هـ .
١٦٣ - طريق الدعوة في ظلال القرآن لأحمد فائز - الشركة المتحدة للتوزيع
- بيروت - ط. سنة ١٤٠١ هـ .

(ظ)

- ١٦٤ - الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي - تقديم الأستاذ محمود محمد شاكر .
١٦٥ - ظلام من الغرب - لمحمد الغزالي - نشر دار الكتب الحديثة - ط. ثانية
- سنة ١٩٦٥ م .
١٦٦ - ظواهر جغرافية في ضوء القرآن - ابراهيم حسين النصيرات - جمعية
عمال المطابع التعاونية - عمان - ط. الثالثة - سنة ١٩٧٣ م .
١٦٧ - الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن - للدكتور عبد العليم خضر
- الدار السعودية للنشر - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ .

(ع)

- ١٦٨ - العبادات أحكامها وبيان آثارها في بناء المجتمع الاسلامي للدكتور
رفعت فوزي - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى - سنة ١٣٩٩ هـ .
١٦٩ - العبادة في الاسلام - ليوسف القرضاوي - الشركة المتحدة للتوزيع
- بيروت - ط. ثامنة عشر - سنة ١٤٠٦ هـ .
١٧٠ - العبودية - لتقى الدين أحمد بن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت
- ط. أولى - سنة ١٩٨١ م .
١٧١ - العدالة الاجتماعية في الاسلام - لسيد قطب - دار الشروق - بيروت -
ط. تاسعة - سنة ١٤٠٣ هـ .
١٧٢ - عدة الصابرين - للامام شمس الدين ابن قيم الجوزية - تحقيق نعيم
زرزور - دار الكتب العلمية - بيروت - ط. أولى - ١٤٠٣ هـ .
١٧٣ - علل وأدوية - لمحمد الغزالي - دار المنارة للنشر - جدة - ط. أولى -
- سنة ١٤٠٥ هـ .

- ١٧٤ - علم اللغة النفسى - لعبدالمجيد سيد أحمد منصور - نشر عمادة
شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود - ط. سنة ١٤٠٢ هـ .
- ١٧٥ - علم النفس الاجتماعى - د. حامد زهران - نشر عالم الكتب - ط. رابعة
- سنة ١٩٧٧ م .
- ١٧٦ - علم النفس المعاصر فى ضوء الاسلام - د. محمد محمود محمد - دار
الشروق للنشر والتوزيع - جدة - ط. أولى - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ١٧٧ - العلم والعلماء - لأبى بكر الجزائرى - نشر دار الشروق - جدة -
ط. أولى - سنة ١٤٠٣ هـ .
- ١٧٨ - العلم يدعو الى الايمان - لكريسى موريسون - ترجمة محمود الفلكسى
- مطبعة النهضة المصرية - ط. خاصة - سنة ١٩٦٥ م .
- ١٧٩ - علوم الأرض فى ظلال من الآيات القرآنية - د. محمد أحمد عبدالمطلب
(المؤتمر الدولى بالباكستان) .
- ١٨٠ - العلوم الطبيعية فى القرآن ليوסף مروة - دار مكتبة الهلال - بيروت
- ط. أولى - سنة ١٣٨٧ هـ .
- (ف)
- ١٨١ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى - لشهاب الدين أبو الفضل
العسقلانى (ابن حجر) - مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر - ط.
الأخيرة - سنة ١٣٧٨ هـ .
- ١٨٢ - فتح البيان فى مقاصد القرآن لصديق حسن خان - الناشر عبدالمحى
على محفوظ - (الطبعة - السنة) بدون .
- ١٨٣ - فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على
ابن محمد الشوكانى - مطبعة مصطفى البابى بمصر - الطبعة الثانية -
سنة ١٣٨٣ هـ .
- ١٨٤ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
- نشر المكتبة السلفية بالمدينة - ط. السابعة - ١٣٩٩ هـ .

- ١٨٥ - الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري - تحقيق حسام الدين
القدسى - ط. أولى - ١٤٠١ هـ .
- ١٨٦ - فقه السيرة - محمد سعيد رمضان البوطى - دار الفكر - ط. سابعة -
سنة ١٣٩٨ هـ .
- ١٨٧ - فقه اللغة وأسرار العربية - لأبي منصور عبد الملك بن محمد بسن
اسماعيل الثعالبي - المطبعة الأدبية بصر - ط. أولى - سنة ١٣١٧ هـ .
- ١٨٨ - الفكر الاسلامى بديلا عن الأفكار والعقائد والأيدولوجيات المستوردة
- لمحمد قطب - أبحاث ووقائع اللقاء الثانى للندوة العالمية للشباب
- ١٣٩٣ هـ - بعنوان (من قضايا الفكر الاسلامى المعاصر) .
- ١٨٩ - الفوائد - لشمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية
- نشر مكتبة النهضة العلمية السعودية .
- ١٩٠ - الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان للامام ابن قيم الجوزية
- دار نشر الكتب الاسلامية - طبعة أولى - رجب ١٣٩٤ هـ .
- ١٩١ - الفروق الفردية - د. عبد الحميد محمد الهاشمى - الشركة المتحدة
للتوزيع - بيروت - ط. ثانية - سنة ١٤٠٤ هـ .
- ١٩٢ - فى الثقافة الاسلامية - د. أحمد نوفل وزملاؤه - دار عمار للنشر
والتوزيع - عمان - ط. أولى سنة ١٤٠٤ هـ .
- ١٩٣ - فى ضوء القرآن والسنة - د. التهامى نقرة - الشركة التونسية للتوزيع
- ط. ثانية - ١٩٨٦ م .
- ١٩٤ - فى ظلال القرآن - لسيد قطب - دار الشروق للنشر - الطبعة الثامنة
- سنة ١٣٩٩ هـ .
- ١٩٥ - فى المجتمع الاسلامى - لمحمد أبوزهرة .
- ١٩٦ - فى النفس والمجتمع - لمحمد قطب - دار الشروق - سنة ١٣٩٨ هـ .

(ق)

- ١٩٧ - القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى - مطبعة
مصطفى البابى الحلبي - بصر - ط. ثانية - سنة ١٣٧١ هـ .

- ١٩٨ - القرآن العظيم هدايته واعجازه في أقوال المفسرين لمحمد صادق عرجون
- نشر مكتبة الكليات الأزهرية - سنة ١٣٨٦ هـ .
- ١٩٩ - القرآن واعجازه العلمي - لمحمد اسماعيل ابراهيم - دار الفكر العربي
بمصر - ط. ٢ .
- ٢٠٠ - القرآن وعلم الفلك - لأحمد جبالية - دار العربية للكتاب بليبيا -
ط. بدون - سنة ١٩٨٣ م .
- ٢٠١ - القرآن وعلم النفس - د. محمد عثمان نجاتي - مطابع الشروق - ط. ثانية
- سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٠٢ - القرآن وقضايا الانسان - د. عائشة عبدالرحمن - دار العلم للملايين -
ط. ثانية - سنة ١٩٧٥ م .
- ٢٠٣ - القصص والمذكرين - لجمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي
القرشي البغدادي - دار الباز للنشر والتوزيع - ط. أولى - سنة
١٤٠٦ هـ .
- ٢٠٤ - قصة الايمان - لنديم الجسر - توزيع دار العربية - ط. الثالثة - سنة
١٣٨٩ هـ .
- ٢٠٥ - قصص الأنبياء - لعبد الوهاب النجار - نشر مؤسسة الحلبي وشركائه
- سنة ١٣٨٦ هـ .
- ٢٠٦ - قواعد الأحكام في مصالح الأنام - لعز الدين بن عبدالعزیز بسن
عبدالسلام السلمي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٠٧ - قواعد الدعوة الى الله - لهمام عبدالرحمن سعيد - دار الوفاء للطباعة
والنشر - ط. ثانية - سنة ١٤٠٥ هـ .
- (ك)
- ٢٠٨ - الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني - نشر وتوزيع عبدالهادي حرصوني
- ط. أولى - سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٢٠٩ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم
جارالله محمود بن عمر الزمخشري - دار الفكر - بيروت .

- ٢١٠ - كشف السرائر في معنى الوجوه والأشياء والنظائر لابن العماد -
تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد - نشر مؤسسة شبساب
الجامعة - ط. ثامنة - شوال ١٤٠٠ هـ .
- ٢١١ - كشف الثنون لحاجي خليفة - مكتبة المثنى - بغداد .
- ٢١٢ - الكواشف الجلية عن معاني الواسطية - لعبد العزيز محمد السلطان
- مطبعة السعادة - ط. ثانية - سنة ١٣٩٠ هـ .
- ٢١٣ - كيف ندعو الناس - لعبد السميع مقرر - نشر مكتبة وهبة .
- ٢١٤ - كيف يدعو الداعية - لعبد الله ناصر طوان - نشر دار السلام -
القاهرة - ط. أولى - سنة ١٤٠٥ هـ .

(ل)

- ٢١٥ - لباب التأويل في معاني التنزيل - لعلاء الدين علي بن محمد بن
البغدادي المعروف بالخازن (مجموع التفاسير) .
- ٢١٦ - لسان العرب - المحيط محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ابن منظور) -
ترتيب يوسف خياط ونديم مرعشلي - دراسات العرب - بيروت .
- ٢١٧ - الله والهلم الحديث - لعبد الرزاق نوفل - مطابع دار الشعب .
- ٢١٨ - الله والكون - د. محمد جمال الدين الفندي - مطابع الهيئة
المصرية العامة للكتاب - سنة ١٩٧٦ م .
- ٢١٩ - الله يتجلى في عصر العلم - نخبة من علماء الطبيعة الغربيين - دار
القلم .
- ٢٢٠ - لمحات نفسية في القرآن الكريم - د. عبد الحميد الهاشمي - سلسلة
دعوة الحق برباطة العالم الاسلامي - العدد (١١) .

(م)

- ٢٢١ - المساء والحياة بين العلم والقرآن - د. عبد العليم خضر - دار
السعودية للنشر بجدة - ط. الأولى - ١٤٠٥ هـ .
- ٢٢٢ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - لأبي الحسن الندوي - نشر
دار الكتاب العربي - بيروت - ط. سابعة - سنة ١٩٦٧ م .

- ٢٢٣ - ماذا عن المرأة - د. نور الدين عتر - نشر دار الفكر - دمشق - ط. رابعة
- سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٢٤ - ما يقال عن الاسلام - لعبدان محمود العقاد - كتاب الهلال - ديسمبر ١٩٦٦
- عدد ١٨٩ .
- ٢٢٥ - مؤتمر تفسير سورة يوسف - للشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي -
مطابع دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى - سنة ١٣٨١ هـ .
- ٢٢٦ - مباحث في علوم القرآن لمنع القطان - الشركة المتحدة للتوزيع - ط. رابعة
- سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٢٢٧ - مبادئ الكونيات للأمين محمد أحمد كعورة - دار التأليف والترجمة
والنشر - جامعة الخرطوم - ط. الثالثة - ١٩٧٩ م .
- ٢٢٨ - المجتمع المتكافل في الاسلام - د. عبد العزيز الخياط - دار السلام
للطباعة والنشر - ط. الثالثة - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٢٢٩ - مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار - لمحمد طاهر
الفتنى - ت سنة ٩٨٦ هـ - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية
بحيدرآباد الدكن - الهند - سنة ١٣٩٣ هـ .
- ٢٣٠ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي
- دار الكتاب العربي - بيروت - ط. الثالثة - ١٤٠٢ هـ .
- ٢٣١ - مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر
- ط. أولى - سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٢٣٢ - محاسن التأويل - لمحمد جمال الدين القاسمي - دار احيا الكتب العلمية
- ط. أولى - سنة ١٣٧٦ هـ .
- ٢٣٣ - مختار الصحاح - لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي - الوكالة العامة
للتوزيع - ط. سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٣٤ - مختصر لوامع الأنوار البهية للسفاريني - للشيخ حسن الشطي الحنبلي
الدمشقي - ت ١٢١٨ هـ - مطبعة الترقى بدمشق - سنة ١٣٥٠ هـ .

- ٢٣٥ - مختصر منهاج القاصدين - لأحمد بن عبدالرحمن بن قدامة - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مكتبة دار البيان بدمشق - سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٢٣٦ - مدارج السالكين بين منازل ((اياك نعبد و اياك نستعين)) لابن قيم الجوزية - دار الكتاب العربي للنشر - سنة ١٩٧٢ م .
- ٢٣٧ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات بن عبد الله بن أحمد النسفي - (مجموع التفاسير) - طبع دار احيا التراث العربي - بيروت - عن الطبعة الأولى بالمطبعة العامرة - ١٣١٩ هـ .
- ٢٣٨ - مدخل الى التصور الاسلامي للانسان والحياة - لعابد توفيق الهاشمي - دار الفرقان للنشر - ط.أولى - سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٣٩ - المدخل لدراسة القرآن والسنة - لشعبان محمد اسماعيل - توزيع دار الأنصار - بالقاهرة - ط.أولى - سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٢٤٠ - المرأة بين البيت والمجتمع - للبهى الخولى - نشر مكتبة دار العروبة - القاهرة .
- ٢٤١ - المرأة بين الدين والمجتمع - لزيدان عبدالباقي - سلسلة الثقافة الاجتماعية الدينية للشباب - القاهرة - سنة ١٣٩٧ هـ .
- ٢٤٢ - المرأة بين الفقه والقانون - لمصطفى السباعي - المكتب الاسلامي للنشر - الطبعة الخامسة .
- ٢٤٣ - المرأة في الاسلام - لعلى عبدالواحد وافى - دار نهضة مصر للطبع والنشر - ط.ثانية .
- ٢٤٤ - المرأة في القرآن الكريم - لعبان محمود العقاد - كتاب الهلال أكتوبر سنة ١٩٥٩ م عدد ١٠٣ .
- ٢٤٥ - المرأة وهقوقها في الاسلام - للسيد مبشر الطرازي .
- ٢٤٦ - مرشد الدعاة - لمحمد نمر الخطيب - دار المعرفة للنشر - بيروت - ط.أولى - سنة ١٤٠١ هـ .

- ٢٤٧ - المسألة الاجتماعية بين الاسلام والنظم البشرية - لعمر عودة الخطيب
- الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت - ط. ١ - ثانية - سنة ١٣٩٨ هـ .
- ٢٤٨ - مسند أبي يعلى الموصلى - للإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي -
تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ
- ٢٤٩ - مسند الامام أحمد بن حنبل - دار صادر - بيروت - دار المأمون
للتراث - ط. ١ - أولى - سنة ١٤٠٤ هـ .
- ٢٥٠ - مشاهد القيامة في القرآن - لسيد قطب - دار الشروق - بيروت .
- ٢٥١ - مشكاة المصابيح - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي - المكتسب
الاسلامي للنشر - ط. ١ - الثالثة - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٥٢ - مع الله - محمد الغزالي - نشر دار الثقافة - الدوحة - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٥٣ - معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم - لعبد الوهاب بن لطف الديلمي -
نشر دار المجتمع - ط. ١ - أولى - سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٢٥٤ - معالم شخصية المسلم ليحيى فرغل - نشر المكتبة العصرية - بيروت .
- ٢٥٥ - معجزة خلق الانسان بين الطب والقرآن - د. نبيه عبد الرحمن عثمان
سلسلة دعوة الحق برابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة - سنة ١٤٠٦ هـ
العدد (٥٠) .
- ٢٥٦ - معجزة القرآن - لنعمت صدقي - دار الاعتصام - الطبعة الثانية -
١٣٩٨ هـ .
- ٢٥٧ - معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني - تحقيق نديم
مرعشلي - دار الكتاب العربي .
- ٢٥٨ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - نشر أ. ي. ونسناك - المكتبة
الاسلامية باستانبول - عن طبعه قليدن سنة ١٩٣٦ م .
- ٢٥٩ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - وضعه محمد فؤاد عبد الباقي -
المكتبة الاسلامية - استنبول - سنة ١٩٨٤ م .
- ٢٦٠ - معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا - دار الکتب
العلمية .

- ٢٦١ - المعجم الوسيط - د. ابراهيم أنيس وزملاؤه - المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر باستانبول - ط. الثانية .
- ٢٦٢ - معترك الأقران في اعجاز القرآن - لجلال الدين السيوطي - تحقيق علي محمد الجاوي - دار الفكر العربي - بالقاهرة سنة ١٩٧٣م .
- ٢٦٣ - المغرب في ترتيب المعرب - لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي - نشر دار الكتاب العربي - بيروت .
- ٢٦٤ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والادارة - لشمس الدين محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية - نشر دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٦٥ - مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون - المكتبة التجارية الكبرى بمصر .
- ٢٦٦ - من أسرار الكون والحياة - د. عبد المحسن صالح - كتاب العربي - الكتاب ١٥ - سنة ١٩٨٢م .
- ٢٦٧ - من اعجاز القرآن (الذكر والأثني) لمحمد عثمان الخشت - مكتبة القرآن للطبع والنشر - القاهرة .
- ٢٦٨ - مناقب الامام أحمد لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي - ط. ثانية - نشر محمد أمين الخانجي .
- ٢٦٩ - منهاج الدعوة (محاضرات للدكتور محمد العدوي "غير مطبوعة") .
- ٢٧٠ - منهاج الدعوة الى الله وأساليبها - د. علي جريشة - نشر دار الوفاء - ط. أولى - سنة ١٤٠٧ هـ .
- ٢٧١ - مناهل العرفان في علوم القرآن - للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - دار احياء التراث العربي - ط. ٢ .
- ٢٧٢ - منهاج المسلم - للشيخ أبي بكر جابر الجزائري - ط. ٢ .
- ٢٧٣ - منهاج اليقين (شرح أدب الدنيا والدين) لأويس بن وفا الأرزنجاني - دار الكتب العلمية - بيروت - سنة ١٤٠٠ هـ .
- ٢٧٤ - منهج التربية الاسلامية لمحمد قطب - دار الشروق - ط. خاصة - ١٤٠٣ هـ .

- ٢٧٥ - منهج الحضارة الانسانية في القرآن - لمحمد سعيد رمضان البوطي -
مطبعة دار الفكر - الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٢٧٦ - منهج القرآن في الدعوة الى الايمان - د. علي بن محمد ناصر الفقيهي
ط. الأولى - سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٢٧٧ - المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم - د. عبدالعليم
عبدالرحمن خضر - الدار السعودية للنشر والتوزيع - ط. الثانية
- ١٤٠٦ هـ .
- ٢٧٨ - موارد الظمان الى زوائد ابن حبان - للحافظ نور الدين علي بن أبي
بكر الهيثمي - تحقيق محمد عبدالرزاق حمزة - دار الكتب العلمية - بيروت
- ٢٧٩ - موجز تاريخ العالم لويلز - ترجمة عبدالعزيز توفيق - مطبعة الحلبي
بمصر - سنة ١٩٥٨ م .
- ٢٨٠ - موسوعة أخلاق القرآن - للدكتور أحمد الشرباصي - نشر دار الرائد
العربي - ط. الأولى - سنة ١٩٧١ م .
- ٢٨١ - الموسوعة العربية الميسرة - نخبة من العلماء باشراف حسن جلال العروسي
- دار احياء التراث العربي - بيروت .
- ٢٨٢ - الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي - مطبعة الحلبي بمصر - ١٣٤٩ هـ
- ٢٨٣ - موقف العقل والعلم من رب العالمين - لمصطفى صبري - دار احياء
التراث العربي - ط. ثانية - ١٤٠١ هـ .
- (ن)
- ٢٨٤ - النبأ العظيم - د. محمد عبدالله دراز - نشر الشركة المتحدة للتوزيع
- ط. ثانية - سنة ١٣٩٠ هـ .
- ٢٨٥ - نحو علم نفس اسلامي - لحسن الشرقاوي - مطبعة دار الناشر الجامعي -
الاسكندرية - ط. ثانية - سنة ١٩٧٩ م .
- ٢٨٦ - نشأة اللغة عند الانسان والطفل - د. علي عبدالواحد وافي - نشر مكتبة
غريب - بالقاهرة - ط. الثالثة - ١٣٩١ هـ .

- ٢٨٧ - نظام الاسلام (العقيدة والعبادة) لمحمد المبارك - دار الشروق -
ط. خامسة - سنة ١٣٩٦ هـ .
- ٢٨٨ - النظرية الماركسية في ميزان الاسلام - للدكتور أمير عبد العزيز - مكتبة
الأقصى بالأردن - ط. الأولى - ١٤٠١ هـ .
- ٢٨٩ - النهاية في غريب الحديث - لمجد الدين بن الأثير - تحقيق طاهر
الراوى وزميله - ط. ثانية - سنة ١٣٩٩ هـ .
- ٢٩٠ - نوارد الأصول في معرفة أحاديث الرسول - لأبي عبد الله محمد الحكيم
الترمذى - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت .
- ٢٩١ - النوم أسرارها وخفاياها - د. أنور حمدي - المكتب الاسلامي - بيروت - ط. أولى
- سنة ١٤٠٦ هـ .
- ٢٩٢ - النوم والأرق - د. أحمد فؤاد الأهواني - سلسلة اقرأ - عدد ١٥٦ - ١٩٥٥ م
(هـ)
- ٢٩٣ - هداية المرشدين - لعلي محفوظ - دار المعرفة للنشر - بيروت - ط. ٢ .
- ٢٩٤ - هكذا عرفت الله - لمحمد أحمد السباعي - سلسلة المكتبة الثقافية -
عدد ٣٥٣ سنة ١٩٧٩ م .
- (و)
- ٢٩٥ - الوحي المحمدي - لرشيد رضا - المكتب الاسلامي - ط. تاسعة - ١٣٩٩ هـ
- ٢٩٦ - وفي الصلاة صحة ووقاية - للدكتور فارس طوان - نشر دار المجتمع بجدة
- ط. أولى - سنة ١٤٠٧ هـ .

المجلات العربية

(وقد ذكرت عدد المجلة وسنتها في مكانها من البحث)

-
- ٢٩٧ - مجلة الأزهر القاهرية .
 - ٢٩٨ - مجلة الأمة القطرية .
 - ٢٩٩ - مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .
 - ٣٠٠ - مجلة الضياء بدولة الامارات .
 - ٣٠١ - مجلة الفكر الاسلامى اللبنانيىة .
 - ٣٠٢ - مجلة كلية التربية (جامعة الملك سعود) بالرياض .
 - ٣٠٣ - مجلة المختار المصرية .
 - ٣٠٤ - مجلة منار الاسلام بدولة الامارات .
 - ٣٠٥ - مجلة الوعى الاسلامى الكويتية .

فهرس الموضوعات

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
كلمة شكر وعرفان	-
المقدمة	أ - ك
<u>التمهيد ويشتمل علي :</u>	١
وجوه الاعجاز فى القرآن وعلاقتها بالدعوة الى الله .	٥
خصائص القرآن المكى والمدنى وعلاقة كل منهما بالدعوة الى الله .	٢٤
الصراع بين الوثنية وأهل الكتاب .	٢٨
مكانة السورة وعلاقتها بالدعوة الى الله	٣٤
<u>الباب الأول : من صفات الداعية :</u>	٣٦
<u>توطئه</u>	٣٧
<u>الفصل الاول :</u> التوكل والأخذ بالأسباب	٣٩
تعريف التوكل	٤٠
الفهم الخاطى * للتوكل	٤١
اتخاذ الأسباب من التوكل	٤٢
علاقة التوكل بصفات الداعية	٤٥
<u>الفصل الثانى :</u> العلم والإيمان	٦٣
من هم الذين أوتوا العلم والايمان	٦٥
القرآن يدعو الى العلم والمعرفة	٥٠
حقيقه العلم وأنواعه	٥١
علاقة الداعية بالعلم	٥٣
الايمان معناه واهميته	٥٨
أثر الايمان بالله فى نفس الداعية	٦٠

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
<u>الفصل الثالث:</u> العمل الصالح	٦٥
العمل الصالح والقدوة	٦٨
سر تأثير القدوة	٧٢
العمل الصالح دليل على الشكر.	٧٤
العمل الصالح علامة من يحب الله.	٧٦
البعد عن العمل مضر بالداعية والدعوة.	٧٨
من نتائج الايمان والعمل الصالح.	٨٠
<u>الفصل الرابع:</u> الصبر	٨٢
معنى الصبر وتعريفه	٨٣
اسماء الصبر.	٨٥
علاقة الصبر بنجاح الداعية.	٨٩
<u>الباب الثاني : أصناف المدعوين</u>	٩٣
<u>الفصل الأول :</u> معرفه حالة المدعوين في نجاح الداعية	٩٤
الفروق الفردية في المدعو	٩٤
معرفه الفروق الفردية والدعوة الى الله	٩٥
معرفه أحوال المدعو في السيرة.	٩٩
النتيجة	١٠٦
<u>الفصل الثاني :</u> دعوة المشركين	١٠٨
الشرك أشد أنواع الظلم	١٠٩
الأسباب التي تؤدى الى الشرك	١١٣
خصائص مله الكفر	١١٦
الهوى والأثار المترتبة عليه	١١٧

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الملأفي مجتمعات الشرك	١٢٢
أسباب عداوة الملأ للدعوة الى الله	١٢٥
جمهور الناس وأسباب تأثرهم بالملأ .	١٢٦
واجب الداعية في دعوة غير المسلمين	١٢٨
دعوة المسلمين	١٣٣
<u>الفصل الثالث :</u>	
<u>المبحث الأول :</u>	
الدعوة الى العبادات	١٣٤
معنى العبادة	١٣٦
مقاصد العبادة في الاسلام ومكانتها وأهميتها	١٣٧
شمول العبادات	١٤١
أثر العبادات في صلاح الفرد والجماعة	١٤٣
عبادة الصلاة وأهميتها في الكتاب والسنة	١٤٦
الصلاة وأثرها في النفس والروح	١٥٠
نصيب الدعاة من الصلاة	١٥١
صلة المواقيت بحياة الانسان .	١٥٤
الطهارة نظافة وتجميل	١٥٥
حضور الجماعة وعلاقتها بالدعوة	١٥٦
<u>المبحث الثاني :</u>	
الدعوة الى الترابط والصلة	١٥٨
بم تكون الصلة والقطيعة	١٦١
آثار الصلة وآثار القطيعة	١٦٣
بيان مراتب الرحم .	١٦٦

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
<u>المبحث الثالث :</u> الدعوة الى التوحيد الصحيح والوحدة وعدم الفرقة .	١٧١
. ميزة الاسلام على الديانات الأخرى .	١٧٥
. الاسلام لا يقبل التجزئة .	١٧٦
. الاسلام والعنصرية .	١٧٧
. عقيدة التوحيد وسيلة جمع لفرقة .	١٧٨
. الآفات المفرقة للمسلمين .	١٧٩
<u>المبحث الرابع :</u> الدعوة الى التكافل	١٨٢
أهمية التكافل فى الاسلام	١٨٤
. أنواع التكافل .	١٨٧
أولاً: الزكاة	١٨٩
ثانياً : الكفارات .	١٩١
ثالثاً : النذور	١٩٦
رابعاً : الوصايا والهبات والهدايا والأوقاف.	١٩٦
التكافل المعنوى	١٩٩
الربا من مقوضات التكافل الاجتماعى .	٢٠٢
الأضرار التى تترتب على تعطيل مبدأ التكافل الاجتماعى .	٢٠٣
<u>المبحث الخامس :</u> الدعوة الى التكافل والتوازن بين الدين والدنيا .	٢٠٦
المادة والروح	٢٠٦
. الماديون فى القرآن والسنة .	٢٠٧
. الرهينة والانعزال عن الدنيا .	٢١٠

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
توازن الاسلام وتكامله .	٢١٢
المادة وسيلة الى أراء الحقوق .	٢١٤
من التوازن أراء الحقوق فى الجانب المادى والجانب الروحى .	٢١٥
دعوة السنة الى التوازن .	٢١٧
الدعوة الى التكامل والتوازن .	٢١٨
دعوة المعرضين وتهيئتهم لسماع الدعوة	٢١٩
<u>الفصل الرابع:</u>	
أهمية دراسة البيئة	٢١٩
درجات الاعراض فى الآيه	٢٢٢
الانحراف عن الحق عمى وصم	٢٢٣
أهمية دراسة الجماعات المؤثرة .	٢٢٦
من أساليب تهيئة النفوس	٢٢٨
<u>الباب الثالث : مناهج الدعوة فى السورة الكريمة</u>	
معنى المنهج والاسلوب	٢٣٥
تعريف الدعوة لغة واصطلاحا	٢٣٧
المنهج العقلى : ويشتمل على المباحث <u>الآتية :</u>	٢٤١
معنى العقل وأهميته	٢٤٢
اهتمام القرآن بالعقل	٢٤٣
سبب تفاوت العقول	٢٤٥
أهمية المنهج العقلى	٢٤٧
تعريف الاسلوب العقلى وأساليبه	٢٤٩
خصائص المنهج العقلى ومجالاته	٢٥٠

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
<u>المبحث الأول :</u> ضرب الأمثال	٢٥١
معنى ضرب الأمثال في الآية الكريمة	٢٥١
فوائد الامثال	٢٥٤
أثرها في النفوس	٢٥٦
حاجة الداعية اليه	٢٥٩
<u>المبحث الثاني :</u> تصوير خصائص النفس البشرية والاحاطة بد خائلها .	٢٦٣
النفس في القرآن	٢٦٦
النفس والروح والجسد	٢٦٧
النفس واحد، وأقسا مها باعتبار حالاتها	٢٦٨
منهج القرآن في معاملة النفس	٢٧٠
مؤثرات النفس	٢٧٢
حرص الاسلام على مجاهدة النفس	٢٧٣
علاقة الدعوة بعلم النفس	٢٧٥
<u>المبحث الثالث :</u> لفت الأنظار الى السنن الكونية	٢٧٩
توطئة في أهميته النظر والتأمل في ملكوت السموات والأرض	٢٨٠
تعريف المنهج الحسي التجريبي	٢٨٤
خصائص هذا المنهج	٢٨٥
خلق السموات والارض	٢٨٨
النظر في السماء واجرامها .	٢٨٩
زرقة السماء	٢٩٤

الموضوع

الصفحة

النظر في الأرض وظواهرها .	٢٩٤
مكونات محيط الأرض .	٢٩٦
النظر في الجبال ووظائفها .	٢٩٨
النظر في البحار والحكمة من ملوحتها .	٣٠٠
النظر في دورة الماء .	٣٠٣
الإنتقام بالماء .	٣٠٦
ظواهر دورة الماء (البرق ، الرعد ، الصواعق)	٣٠٩
النظر في ظاهرة الليل والنهار .	٣١٥
النظر في ظاهرة النبات	٣١٩
لفت الأنظار الى ظواهر الخلق الانساني	٣٢٩
<u>المبحث الرابع:</u>	
ظاهرة خلق الانسان من التراب	٣٣٢
التراب مادة الخلق .	٣٣٣
المساواة الانسانية	٣٣٦
ظاهرة تدرج الانسان من الضعف الى القوة-	٣٣٩
الى الضعف .	
مظاهر العجز الانساني	٣٤١
ظاهرة اختلاف الألسن واللغات	٣٤٣
ظاهرة اختلاف الألوان	٣٤٧
الحكمة في اختلاف الألسن والألوان	٣٤٩
استغلال الاسلام لظاهرتي اللغة واللون	٣٥٠
ظاهرة التزاوج في الانسان	٣٥٣
غريزة الشهوة	٣٥٥
مهانة المرأة عند الشعوب السابقة على الاسلام	٣٥٨
الفروق الخلقية بين الرجل والمرأة وساواتها له في الانسانية .	٣٦٠

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الضوابط والضمانات للاستقرار الزوجي مثل الدين والمهر . . الخ	٣٦٥
تحليل لظاهرة السكن والانجذاب وكيف يتحقق .	٣٧٤
المودة والرحمة .	٣٧٧
ظاهرة النوم وتعريفه	٣٨١
انواع النوم ودرجاته ومقدماته	٣٨٦
النوم الطبيعي ظرفه وحالته	٣٩٢
فائدة النوم	٣٩٧
الرؤيا	٣٩٨
الحرام من النوم	٤٠٠
<u>لفت الأنظار الى سنن الله في الأهلاك</u>	<u>البحث الخامس:</u> ٤٠٢
منهج السير في الأرض وكيفيته .	٤٠٤
كيفية النظر والتفكير	٤٠٨
اختلاف التفكير باختلاف غرض المفكر	٤٠٩
سبب الاعراض عن سنن الله .	٤١١
الآفات الناتجة عن العيشية .	٤١٢
أنواع المهلكات ووسائل الأهلاك في القرآن	٤١٩
<u>لفت الأنظار الى علوم الطواهر الدنيوية</u>	<u>البحث السادس:</u> ٤٢١
للدنيا ظاهر ومآطن	٤٢٢
العلم وسيلة قوة للمسلمين	٤٢٤
العلم يهدى الى الايمان	٤٢٩
الخلاصة	٤٣٠
اعمار الأرض	٤٣١

خلافة الإنسان في الأرض .	٤٢٣
ما تتم به خلافة الانسان في الأرض	٤٢٤
صلة الانسان بالكون	٤٣٥
الإعمار الزم بالمؤمن من غيره	٤٣٨
كيفية الإعمار وعلاقتها بالدعوة .	٤٤٠
<u>الفصل الثاني : المنهج العاطفي</u>	٤٤٤
تعريفه واستعمالاته	٤٤٥
القرآن الكريم والمنهج العاطفي .	٤٤٨
وسائل هذا المنهج في القرآن الكريم .	٤٤٩
الترفيب والترهيب	٤٥١
<u>البحث الأول :</u>	
انواع الترفيب والترهيب .	٤٥٢
علاقة الرزق في تثبيت الداعية .	٤٥٧
<u>البحث الثاني :</u>	
مفهوم الرزق ومصادره .	٤٥٧
علاقة الرزق بالدعوة الى الله .	٤٦٣
<u>الفصل الثالث : في النتائج والآثار</u>	٤٦٨
<u>البحث الأول :</u>	
الحمد والشكر	٤٦٩
تعريف الشكر والفرق بينه وبين الحمد وأقسامهما	٤٦٩
أصناف الشاكرين	٤٧٣
مظاهر كفران النعمة	٤٧٥
مظاهر الشكر وأثره في المجتمع	٤٧٦
علاقة الشكر بالدعوة الى الله تعالى .	٤٧٧

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
الجزء الأخرى	٤٨٠
المبحث الثاني :	-----
الايان بالجزء ضرورة بشرية	٤٨٦
الأثر النفسى للايمان بالجزء وحصوله	٤٨٩
بمفهومين .	
المبحث الثالث :	٤٩٤
اثبات البعث	-----
معنى البعث	٤٩٤
ما تهدف اليه آيات البعث فى القرآن الكريم	٤٩٥
صورة مجادله المكذبين بالبعث فى السور	٤٩٧
المكية .	
تأثير انكار البعث على السلوك	٥٠٢
أهمية هذه العقيدة فى الدعوة الى الله	٥٠٤
المبحث الرابع :	٥٠٧
اثبات الوجدانيه والقدرة	-----
<u>الخاتمة</u>	٥١٢
<u>الفهارس</u>	٥١٧
(١) فهرس الآيات القرانيه .	٥١٨
(٢) فهرس الاحاديث النبوية والآثار .	٥٤٢
(٣) فهرس الاعلام وتراجمهم .	٥٤٩
(٤) فهرس المراجع والمصادر	٥٧٢
(٥) فهرس الموضوعات	٥٩٧